المبحث الأول: تعريف القبورية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القبورية لغة:

القبورية لغة جمع قبـوري وهو مصـدر صـناعي صـيغ بإضافة اسم مجموع " قبور " إلى ياء النســبة المردوفة بالتاء.

وقد سَوَّغ نسبته للجمع - مع أن له واحـداً مسـتعملاً من لفظــه- أنه صــار (جاريــاً مجــرى العلم لاختصاصه بطائفة بأعيانهم كأنصاري نسـبة إلى الأنصـار، وأصـولي نسـبة إلى علم الأصـول؛ لأنه غلب علىعِلْم خـاص حـتى صار كالعَلَم عليه)[1].

وبذلك يكون إطلاق هذا اللفظ على مقدِّسي القبــور والغلاة فيها سـائغاً؛ لأنه قدصــار كـالعلم عليهم. و أصل القبورية مـأخوذ من " القــبر " وهو مــدفن الإنســان إذا مـات. وجمعها قبـور. والمقـبرة: موضع القبـور. وجمعها مقابر. وقبرت الميت قبراً إذا دفنتـه، وأقبرته " بـالألف" أمرت أن يقبر أو جعلت له قبراً[2].

المطلب الثاني: تعريف القبورية في الإصطلاح:

---

1 (?) انظر شرح التصريح على التلويح للشيخ خالد الأزهــري (2/336) طبع دار الفكر بــيروت، وهمع الهوامع للســيوطي (2/197) طبع ســـنة 1327 هـــ بعناية محمد بـــدر الـــدين النعساني.

2 (?) مــادة " قــبر" في لســان العــرب لابن منظــور طبع دار الفكر الطبعة الأولى سـنة(1410هــ- 1990م)، والقــاموس المحيط للفيروز آبـادي طبع مؤسسة الرسـالة الطبعة الثانية (1407هـ-1987م).

دأب العلمــــاء - رحمهم الله تعـــالى - على إطلاق وصف " القبورية " على الغلاة في تعظيم القبــــــــور وتقديسها والاعتقاد فيها ما لا يجـوز اعتقـاده إلا في الله تعالى وقصدها بأنواع العبـادات والقربـات ودعـاء أربابها من دون الله تعالى.

وســأنقل لك طائفة من عبــاراتهم في ذلك وأكتفي بجماعة من علماء اليمن: فمنهم العلامة البدر محمد بن إســماعيل الأمــير - رحمه الله -[1] حيث قــال في كتابه الشـهير " تطهـير الاعتقـاد عن أدران الإلحـاد": (والنـذر بالمـال على الميت ونحـوه، والنحر عل القـبر، والتوسل بــه، وطلب الحاجــات منه هو بعينه الــذي كــانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونـه لما يسـمونه وثنـاً وصـنماً، وفعله القبوريــون لما يســمونه وليــاً وقــبراً ومشــهداً والأسماء لا أثر لها ولا تُغيّر المعاني)[2].

ومنهم العلامة حســين بن مهــدي النعمي[3]- رحمه الله - في كتابه " معا رج الألبـــاب في منـــاهج الحق والصـواب " ذكـره بلفظ القبـوريين فقـال: (والمشـروع فيها - زيـــارة القبـــور - إنما هو تـــذكر الـــدار الآخـــرة

---

1 (?) انظر ترجمته (ص 570).

2 (?) تطهـير الاعتقــاد ص (37) ضــمن مجموعة رســائل في التوحيد قـــام على طبعها القاضي عبــدالرحمن بن يحـــيى الإريــاني، طبع دار الفكر ببــيروت الطبعة الأولى (1403هــ-1983 م)، وقد كرر هذا المصطلح في الصفحات (40، 42، 43، 44، 45، 47، 50، 51) كما أطلقه في كتابه " الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف" ص(47، 57) حققه مجموعة من طلاب العلم بإشـراف الشـيخ حسن بن علي حسين عواجي الطبعة الأولى (1417هـ-1996م).

3 (?) انظر ترجمته: ص (595)

والإحسان إلى الميت المزور بالدعاء والترحم، والاستغفار، وسؤال العافية. فقلب القبوريون الأمر وعكسوا وعاكسوا مقاصد الشرع، وجعلوا المقصود بالزيارة: الشرك بالميت، والدعاء به، وسؤاله الحوائج، واستنزال البركات، والنصر على الأعداء. فأساءوا إلى أنفسهم وإلى الميت)[1] إلخ.

ومنهم شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني[2]- رحمه الله- أطلق هذا اللفظ في "نيل الأوطار" حيث قال في كتاب الجنائز: (وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يُشك معه أن كثيراً من هؤلاء **القبوريين** أو أكثرهم إذا توجهتْ عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكَّأ، وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة)[3] إلخ.

وقال في كتابه " الدر النضيد" وهو يتكلم عن حكم التصوير: (فانظر إلى ما في هذه الأحاديث من الوعيد الشديد للمصورين لكونهم فعلوا فعلاً يشبه فعل الخالق، وإن لم يكن ذلك مقصوداً لهم، وهؤلاء **القبوريون** قد جعلوا بعض خلق الله شريكاً له ومثلاً

---

1 (?) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب تحقيق محمد حامد الفقي وتخريج علي بن حسن بن عبدالحميد طبع دار المعرفة بالرياض الطبعة الرابعة (1407هـ-1987 م) ص (140) وكرر مثل ذلك في ص (153، 218).

2 (?) انظر ترجمته ص (579).

3 5 نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للإمام الشوكاني (4/95) طبع مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة بدون تاريخ.

ونداً، فاستغاثوا به فيما لا يستغاث فيه إلا بالله، وطلبــوا منه ما لا يطلب إلا من الله، مع القصد والإرادة)[1].

ومنهم العلامة الســـــلفي الشـــــيخ محمد بن علي بافضل[2] - رحمه الله - في كتابه "دعـــــوة الخلف إلى طريقة السلف" فقد قال: (أما اسـتغاثة القبـوريين بمن يعتقدون صلاحه من الموتى فغـير جـائزة شـرعاً وعقلاً، بل هو شرك ينبغي التنبيه عليه وإنكاره)[3].

بعد هذه النقول الـتي مـرَّت بنا يتضح لنا أن العلمـاء يطلقون لفظ القبـوريين، ومثله القبورية على الغلاة في أربـــاب القبـــور الـــذين يعتقـــدون فيهم النفع والضـــر، ويطلبـــون منهم حاجـــاتهم، ويلـــوذون بهم عند خـــوفهم، ويقدِّمون لهم أنواعـاً من العبـادات والقـرابين كالـدعاء، والنذر، و الــــــذبح، والحلف بهم. ويتلخص من ذلك أن القبورية عند العلماء هم: (**طائفة غَلَت في أصـحاب القبــور واعتقــدت فيهم عقائــدَ ضــالة حملَتها على تعظيم قبــورهم وآثــارهم والتقــرّب إليها بــأنواع من العبــادات حــتى صــيَّرتها أنــداداً لله تعالى**).

---

1 (?)الــدر النضــيد في إخلاص كلمة التوحيد ص (63) طبع دار ابن خزيمة الطبعة الأولى عــام (1414هــ)، وقد كــرر ذلك الوصف حوالى عشر مرات في ذلك الكتاب.

2 (?) انظر ترجمته ص (604).

3 (?) دعــوة الخلف إلى طريقة الســلف، طبع مطــابع النصر الحديثة بالرياض بــدون تــاريخ وكــرر ذلك الوصف أيضــاً (ص 237).

المبحث الثاني: خطورة عقائد القبورية وعلاقتها بالشرك والوثنية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك[1] وخطورته:

إن أعظم انحـــراف وقع في تـــاريخ البشـــرية هو الإشراكُ بالله، وعبـادةُ غـيره معه، ولـذلك كـانت أعظم غاية من إرســـال الرسل هي إزالة الشـــرك، وإعـــادة الناس إلى التوحيد: قال تعــالى: **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبـوا الطـاغوت**[2]، وقال تعالى: **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**[3]، وقال الرسول : **$بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحـده لا شـريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعلت الذلة والصـــــغار على من خالف أمـري ومن تشـبه بقـومٍ فهو منهم#**[4]،

---

1 (?) الشــرك هــو: أن يعتقد في غــير الله أنه يضر أو ينفــع، أويقدر على ما لايقدر عليه إلا الله تعالى ودعاء غــير الله في الأشياء التي تختص به، أو اعتقاد القدرة لغــيره فيما لا يقــدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشــيء مما لا يتقــرب به إلا إليه. وانظر: الدر النضيد للشوكاني ص (70).

2 (?) النحل (36).

3 (?) الأنبياء(25).

4 (?) رواه أحمد في المسـند(7/121 - 122) رقم (5114-5115)، بتحقيق أحمد شـاكر، طبع دار المعـارف المعـارف بمصــر، الطبعة الثانية عـام (1391هــ- 1971م)، وصــححه أحمد شاكر كما صححه الشيخ الألبــاني في الإرواء (5/109-110) (رقم 1269) طبع المكتب الإســــــلامي ط الثانية (

فهذه النصوص صريحة في أن أعظم غاية من إرسال الرسل هي إزالة الشرك، وإعادة الناس إلى التوحيد وماذاك إلا لقبح الشرك، وعظيم خطره على العباد في دنياهم وآخرتهم.

وتظهر تلك الخطورة من أوجه عدّة: -

الوجه الأول - أنه سبب هلاك كثيرمن الأمم في الدنيا: كما قال تعالى: **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين**[1]، فقد ختمت الآية بقوله تعالى: **كان أكثرهم مشركين** لبيان السبب الذي أورد تلك الأمم هذه العاقبة السيئة، وذلك السبب هو شركهم بالله تعالى تعالىقال ابن جرير[2]: **كان أكثرهم مشركين** يقول: فعلنا ذلك أي الهلاك بهم لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم)[3].

1405هـ- 1985م)..

1 5 الروم (42).

2 (?) هو شيخ المفسرين وعمدتهم الإمام العلم المجتهد محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب التصانيف البديعة والمذهب الفقهي المستقل، قال عنه الذهبي: (كان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصنيف قلّ أن ترى العيون مثله) ولد سنة (224هـ)و توفي سنة(310هـ) رحمه لله، انظر تهذيب الأسماء واللغات للإمام يحي بن شرف النووي (1/78) طبع دار ابن تيميه بالقاهرة (1410هـ- 1990م) والسير للإمام شمس الدين الذهبي(14/267-282) طبع دار الرسالة بيروت (الطبعة الأولى 1409هـ-1988م)

3 (?) تفسير الطبري المسمى " جامع البيان في تأويل القرآن " (21/33) دار المعرفة بيروت (1406هـ-1986م).

وقال ابن الجوزي[1]: (﴿**كـان أكـثرهم مشـركين**﴾ المعنى فأهلكوا بشركهم)[2].

الوجه الثـاني- **أنه السـبب في تـردِّي الإنسـان من منـــزلة التكـــريم إلى منزلة الإهانة والتحقـــير**، وإلى الاتصاف بـأخبث الأوصـاف؛ وهو وصف النجس[3]**:** قـال تعـالى: ﴿**ياأيها الذين آمنـوا إنما المشـركون**

---

1 (?) الشيخ الإمام الحافظ المفسر أبو الفرج عبــدالرحمن بن علي بن محمد القـرني الـتيمي البغـدادي الحنبلي المعـروف بابن الجوزي، الواعظ المشهور، والمؤلف المكـثر من فنـون متعـددة، حـتى أنه وصف بكـثرة الخطأ في مصـنفاته، قـال الذهبي: (له أوهام وألوان من ترك المراجعة وأخذ العلم من صحف، وصنف شيئاً لو عاش عمراً ثانياً لم يلحق أن يحـرره ويتقنـه) ولد سـنة (509 أو 510هــ) وتـوفي سـنة (597هــ) وانظر السـير (21/365-384) والبداية والنهاية للإمـام ابن كثـــــير (13/28-30)طبع دار المعرفة بــــيروت الطبعة السادسة(1405هـ-1985م)

2 (?) زاد المســير للإمــام ابن الجــوزي (6/154) المكتب الإســلامي الطبعة الثالثة ســنة (1404هـ-1984م)، وانظر أسباب هلاك الأمم: ص (108-109) للشيخ محمد سعيد بابا سيلا وهو رسالة ماجسـتير مقدمة للجامعة الإسـلامية ضـمن إصـــدارت الحكمة (بريطانيـــا) الطبعة الأولى (1420هـــ-2000م).

3 (?) هو في الأصل "القذر" كما في معجم مقاييس اللغة لابن فــارس(ص1013) تحقيق شــهاب الــدين أبي عمروالطبعة الثانية دار الفكرسنة (1418هـ-1998م)، وإنما وُصفوا بـذلك مبالغة في تحقـــيرهم، قـــال الشـــوكاني-رحمه اللـــه-: (والمشركون مبتدأ وخبره المصدر مبالغة في وصفهم بــذلك حتىكأنهم عين النجاسة أو على تقـدير مضـاف أي ذوو نجس لأن معهم الشرك وهو بمنزلة النجس) فتح القدير للشوكاني (2/349) طبع دار الفكر سنة (1403هـ-1983م).

نجسٌ فلا يقربـوا المسـجدَ الحـرام بعد عـامهم هــذا وإن خِفتم عَيلة فســوف يغــنيكمُ الله من فضله إن شاء إنَّ الله عليم حكيم﴾[1].

قال السيد رشيد رضا[2] -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (أي ليس المشـركون كما تعرفـون من حـالهم إلا أنجاسـاً فاسـدي الاعتقـاد، يشـركون بالله ما لا ينفع ولا يضر؛ فيعبـدون الـرجس من الأوثـان والأصـنام ويـدينون بالخرافــات والأوهــام ولا يتــنزهون عن النجاســات ولا الأوثــان، ويــأكلون الميتة والــدم من الأقــذار الحســية، ويســـتحلّون القمـــار والزنا من الأرجـــاس المعنويـــة، ويستبيحون الأشهر الحرم.

وقدتمكّنت صفات النجس منهم حساً ومعـنىً، حـتى كـأنهم عينه وحقيقته؛فلا تمكنـوهم بعد العـام أن يقربـوا المسجد الحرام) إلخ[3].

وقـــال ســـيد قطب[4] - رحمـــه الله- في الظلال:

---

1 (?) التوبة (28).

2 (?) هو العلامة المصلح محمد رشـيد بن علي رضا البغـدادي الأصل، شامي النشأة، سكن مصر إلى آخر عمره، من أشهر من دعا إلى السنة ونشر كتبها في مصـر، وله تفسـيرومجلة المنار الشهيران، ولد بالقلمون من أعمـال طـرابلس الشـام عام (1282هـ) وتوفي بمصر عام (1354هـ). انظـر: الأعلام لخيرالـــدين الـــزركلي (6/126) طبع دار الملايين بـــيروت الطبعة الثانية عشـرة (1997م)، وانظر الدراسة المسـتقلة بعنـــوان (الســـبد محمد رشـــيد رضا إصـــلاحاته الإجتماعية والدينية للدكتور محمد أحمد درنيقه.

3 (?) تفسير المنار للشيخ محمد رشـيد رضـا(10/275). طبع دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية بدون تاريخ.

4 (?) الداعية الشهير والمجاهد الكبير الذي بذل نفسه رخيصة لله تعـــالى بعد أن كـــوّن مدرسة في الـــدعوة لها ميزاتهـــا،

(يجسِّم التعبير نجاسة أرواحهم فيجعلها ماهيتهم وكيانهم فهم بكيـــــانهم وبحقيقتهم: نجس يســــتقذره الحس، ويتطهر منه المتطهرون وهو النجس المعنوي لا الحسي في الحقيقة فأجسـامهم ليست نجسـة لـذاتها، إنما هي طريقة التعبير القرآنية بالتجسيم)[1].

الوجه الثـالث- أنه يحبط الأعمـال: قـال تعـالى: **ذلك هُـدى الله يهـدي به من يشـاءُ من عبـاده ولو أشـركوا لحبِـطَ عنهم ما كـانوا يعملـون**[2]، لقد جـاءت هـذه الآية في سـياق ذكر الأنبياء والرسل الـذين اجتبـاهم الله واصـطفاهم، فـبين أن تلك الهداية وذلك الاصـطفاء إنما هو بتوفيق الله تعـالى، ولو لم يصـاحبهم ذلك التوفيق فوقعوا في الشرك لحبطت أعمالهم.

قال ابن كثير[3] -رحمه الله-: ثم قـال تعـالى: **ذلك**

وسماتها البارزة، وصاحب تفسـير (في ظلال القـرآن) أشـهر التفاسـير المعاصـرة مع أخطـاء يسـيرة أخـذها عليه بعض العلماء سيّما في بـاب العقيـدة، غـير أنها مغمـورة في بحـار حسـنات ذلك التفسـير وحسـنات مؤلفـه، غفر الله له وتقبله في الشـهداء، قتل مظلومـاً شـهيداً -إن شـاء اللـه- سـنة(1387هــ)، وكـان مولـده سـنة(1324هــ). انظـر: الأعلام للزركلي(3/147-148).

1 (?) في ظلال القـــرآن ســـيد قطب (3/1618) طبع دار الشروق بيروت الطبعة الشرعية الثانية عشـرة. (1406هــ-1986م)

2 (?) الأنعام(88).

3 (?) المفسر والمحدث والمؤرخ الشهير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي صـاحب التفسـير الـذي قـال فيه الشـوكاني: (وهو من أحسن التفاسـير إن لم يكن أحسنها). ولد سنة (701هــ) وتـوفي سـنة (774هــ)، انظـر: البدر الطالع (1/153) طبع دار المعرفة -بيروت بدون تاريخ.

هدى الله يهدي به من يشـاء من عبـاده أي إنما حصل لهم ذلك بتوفيق اللـــــــــه، وهدايته لهم **ولو أشـركوا لحبط عنهم ما كـانوا يعملـون** تشـديد لأمر الشرك وتغليظ لشأنه وتعظيم لملابسته)[1].

وقال تعـالى مخاطبـاً نبيه محمـداً : **ولقد أوحي اليك وإلى الـــــذين من قبلك لئن اشـــــركت ليحبطن عملك ولتكوننَّ من الخاسرين**[2]، قــال الإمـام الألوسـي[3] -رحمه الله-: (وأيـاً ما كـان فهو كلام على سبيل الفرض؛ لتهييج المخاطب المعصوم، وإقناط الكفرة، والإيـذان بغاية شـناعة الإشـراك وقبحـه، وكونه ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه)[4].

الوجه الرابع - **أنه يحول دون المغفـرة:** قـال تعـالى: **إنَّ الله لا يغفرُ أن يُشـــــركَ به ويغفرُ ما دون**

---

1 (?) مختصرابن كثير للشيخ محمد نسيب الرفاعي (2/139) طبع مكتبة المعـــارف بالريـــاض طبعة جديـــدة (1410هـ-1989م)

2 (?) الزمر(65).

3 (?) مفـتي بغـداد في وقته وصـاحب التفسـير الشـهير (روح المعاني)، أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبدالله الألوسي البغدادي، ولد عام (1227هـ) وتوفي عام (1270هــ)- رحمه الله -. انظر ترجمته في: جلاء العينين لابنه نعمان خير الدين الأ لوسي طبع مطبعة المـدني بالقـاهرة ودار المـدني بجـده بدون تاريخ ص (57-58) والأعلام للزركلي (7/127).

4 (?) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثـاني للشـيخ محمود الألوسي طبع دار الفكر بيروت (1414هـ-1994م) (13/37) قلت: وهـــذه الآية والـــتي قبلها ردٌ صـــارخ على القبورية الذين يثورون ويغضبون على من حـذَّر من الشـرك؛ بزعم أنه لايمكن أن يحدث الشرك في هذه الأمة!.

ذلك لمن يشاء[1].

قــال ســيد قطب- رحمه الله- في كلامه على هــذه الآية: (إن الشرك انقطـاع ما بين الله والعبـاد. فلا يبقى لهم معه أمل في مغفرة. إذا خرجوا من هذه الدنيا وهم مشـــركون مقطوعو الصـــلة بالله رب العـــالمين. وما تشرك النفس بالله وتبقى على هذا الشرك حتى تخــرج من الـــدنيا - وأمامها دلائل التوحيد في صــفحة الكـــون وفي هداية الرسل- ما تفعل النفس هـــــذا وفيها عنصر من عناصر الخـــير والصـــلاحية. إنما تفعله وقد فســـدت فســـاداً لا رجعة فيـــه، وتَلِفَت فطرتها الـــتي برأها الله عليهــا، وارتدّت أســفل ســافلين وتهيـأت بــذاتها لحيــاة الجحيم!)[2].

الوجه الخـامس- **أنه يحرم العبد من الاســتفادة من شفاعة الشافعين**[3] يوم القيامة؛ الشـفاعة الموجبـة للجنة والمنجية من النار: ففي البخــاري من حــديث أبي هريرة أنه قـال: قلت يارســول الله من أســعد النـاس بشـــفاعتك يـــوم القيامـــة؟ قـــال: **$لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يســـألني عن هــذا الحـــديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحـديث، أسـعد**

1 (?) النساء آية (48) وآية (116).

2 (?) الظلال (2/678).

3 (?) الشـفاعة: (السـؤال في التجـاوز عن الـذنوب ممن وقع منه جناية) انظر: التوقيف على مهمـات التعـاريف (ص432) للشيخ محمد عبد الـرؤوف المنـاوي تحقيق د/محمد رضـوان الدايه طبع دار الفكر المعاصر بـــــيروت ودار الفكر دمشق الطبعة الأولى(1410هـ-1990م) و(الشـافعون: جمع شـافع وهو صــاحب الشــفاعة). انظــر: المعجم الوســيط(1/487) مجمع اللغة العربية (1410هـ-1990م) طبع المكتبة الإسلامية إستانبول.

الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله الا الله خالصــاً من قبل نفسه#[1] قـــال الحافظ[2]: (قوله: **$من قـــــال لا إله الا الله#** احـــــتراز من الشرك)[3] قال ملا علي القاري[4] في مرقاة المفــاتيح: (أي لا يشــوبه شك ولا شــرك ولا يخلطــه نفاق وســمعة وريــاء... وقيل: أســعد هنا بمعــنى أصل الفعل وقيل بل على بابه وأن كل أحد يحصل له ســعادة شــفاعته لكن المـؤمن المخلص أكـثر سـعادة فإنــه يشـفع في إراحة الخلق من هول الموقف، ويشفع في بعض الكفار كـأبي طــالب في تخفيف عــذاب النــار) انتهى محل الغــرض منه[5] وهو يفيد ما عنوّنا له من أن المشرك محروم من

---

1 (?) البخاري مع الفتح (11/418) كتاب الرقـاق، بـاب صـفة الجنة والنـــار، مكتبة الريـــاض الحديثة مصـــورة عن طبعة المكتبة السلفية بدون تاريخ.

2 (?) هوخاتمة الحفــاظ شـيخ الإســلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مرجع المحدثين ممن جاء بعده، وصاحب الفضل عليهم في علم الحديث، ومصـطلحه، وعلم الرجـال والجـرح والتعديل، وصاحب فتح الباري أشهر وأفضل شروح البخــاري المطبوعة على الإطلاق، ولد عــام (773هــ) وتــوفي عــام (852هــ) بالقــاهرة - رحمه الله - وانظــر: الضــوء اللامع (ج 2/36) للحافظ محمد عبد الرحمن السخاوي طبع دار الحياة بيروت بدون تاريخ والبدر الطالع (1/83-92).

3 (?) فتح الباري شرح صحيح البخــاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر (1/194).

4 (?) العلامة الفقيه علي بن ســـلطان القـــارئ الحنفي، من أفاضل علماء زمانه، ولد بهراة وتـوطن مكة ومـات بهـا، وله مؤلفـــات كثـــيرة نافعة من أعظمها في الحـــديث مرقـــاة المفــاتيح شــرح مشــكاة المصــابيح تــوفي عــام (1014هــ). انظر: البدر الطالع (1/445) والأعلام (5/12, 13).

5 (?) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصـابيح للشـيخ مُلا علي القاري طبع دار الفكر بيروت(1414هـ- 1994م) (9/525).

الشفاعة المنجية من النار والموجبة للجنة.

الوجه السادس- **أنه أعظم الموانع من دخول الجنة وأعظم أسباب الخلـود في النـار: قـال تعـالى**: **﴿لقد كفر الـذين قـالوا إنَّ الله هو المسـيحُ ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبـدوا الله ربي وربَّكم إنه من يُشـرك بالله فقد حـرَّم الله عليه الجنة ومـــأواه النـــار وما للظـــالمين من أنصار﴾**[1].

قـال السـيد رشـيد رضا -رحمه الله-: (أمـرهم عليه الســـلام بالتوحيد الخـــالص، وقفّى عليه بالتحـــذير من الشرك، والوعيد عليه ببيـان أن الحـال والشـأن الثـابت عند الله تعالى هو أن كل من يشـرك بالله شـيئاً مـامن ملَـكٍ أو بشرٍ أو كـوكب أو حجر أو غـير ذلك بـأن يجعله نداً له أو متّخِداً به، أو يـدعوه لجلب نفع أو دفع ضـر، أو يزعم أنه يقرِّبه إلى الله زلفى فيتخذه شفيعاً زاعمـاً أنه يــؤثر في إرادة الله تعــالى أو علمه فيحمله على شــئ غـير ما سـبق به علمه وخصصـته إرادته في الأزل - من يشرك هـذا الشـرك ونحـوه- فـإن الله يحرِّم عليه الجنة في الآخـــــرة بل هو قد حرَّمها عليه في ســــابق علمه وبمقتضى دينه الـذي أوحاه إلى جميع رسـله، فلا يكـون له مأوى ولا ملجأ يأوي إليه إلا النار دار العذاب والهوان، وما لهــؤلاء الظــالمين لأنفســهم بالشــرك من نصــير ينصرهم ولا شفيع ينقذهم **﴿من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه﴾**[2] **﴿ولا يشـــفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشــيته مشــفقون﴾**[3] فالنــافع رضــاه: **﴿ولا**

[1] (?) المائدة (72).

[2] (?) البقرة (255).

[3] (?) الأنبياء(28).

يرضى لعبـــاده الكفر[1] وشر أنواعه الشـــرك)[2]
انتهى المقصود منه.

المطلب الثـاني: الوثنية هي الوعـاء الـذي يحوي الشرك:

إذا عـرفت الشـرك وخطورته في الـدنيا والآخـرة، فـاعلم أن الوثنية هي الوعـاء الـذي يحـوي الشـرك، والجسم الذي يتجسَّد ويسري فيه ذلك الروح الخـبيث - الشرك - فالأصنام والأوثـان والهياكل ما هي إلا مظـاهر يتجسد فيها الشرك الذي يتعلق في الحقيقة بمخلوقـات أخرى اعتقدها المشركون، وتعلقت بها قلوبهم ومنحوها صفات الآلهة. يقول الفخر الرازي[3] -رحمه الله تعـالى- في تفسـيره عنـد قوله تعـالى في سـورة يـونس: **ويعبـــــــدون من دون الله ما لا يضرُّهم ولا ينفعهم ويقولون هـؤلاء شـفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لايعلمُ في الســماوات ولا في الأرض سـبحانه وتعـالى عما يُشـركون**[4]: (... " وأما النوع الثـاني " ما حكـاه الله تعـالى عنهم في هـذه الآية، وهو قولهم: **هؤلاء شفعاؤنا عند الله** فـاعلم أن من النـاس من قـال: إن أولئك الكفـار توهمـوا أن

---

1 (?) الزمر (7).

2 (?) تفسير المنار (6/483).

3 (?) العلامة الكبير ذو الفنـون فخر الـدين محمد بن عمر بن الحسـين القرشي البكـري الطبرسـتاني، الأصـولي المفسر كبـير الأذكيـاء والحكمـاء والمصـنفين، ولد سـنة(544هــ)، وتــوفي ســنة (606هــ)، وقد بــدت منه في تواليفه بلايا وعظــائم وســحر وانحرافــات. انظــر: ســير أعلام النبلاء (21/501).

4 (2) يونس(18).

عبـــادة الأصـــنام أشد في تعظيم الله من عبـــادة الله سـبحانه وتعـالى. فقـالوا: ليست لنا أهلية أن نشـتغل بعبادة الله تعالى بل نحن نشتغل بعبـادة هـذه الأصـنام، وأنها تكـون شـفعاء لنا عند اللـه. ثم اختلفـوا في أنهم كيف قالوا في الأصنام أنها شـفعاؤنا عند اللـه؟ وذكـروا فيه أقوالاً كثيرة:

فأحـدها- أنهم اعتقـدوا أن المتـولي لكل إقليم من أقاليم العالم روح معين من أوراح عـالم الأفلاك؛ فعيّنـوا لذلك الروح صنماً معينـاً واشـتغلوا بعبـادة ذلك الصـنم، ومقصودهم عبادة ذلك الروح، ثم اعتقدوا أن ذلك الروح يكون عبداً للإله الأعظم ومشتغلاً بعبوديته.

وثانيها- أنهم كـانوا يعبـدون الكـواكب وزعمـوا أن الكـواكب هي الـتي لها أهلية عبودية الله تعـالى، ثم لما رأوا أن الكواكب تطلع وتغرب وضعوا لها أصـناماً معينة واشـــتغلوا بعبادتهـــا، ومقصـــودهم توجيه العبـــادة إلى الكواكب.

وثالثها - أنهم وضـــعوا طلســـمات معينة على تلك الأصــنام والأوثــان، ثم تقرَّبــوا إليها كما يفعله أصــحاب الطلسمات.

ورابعها - أنهم وضعوا هـذه الأصـنام والأوثـان على صـور أنبيـائهم وأكـابرهم، وزعمـوا أنهم مـتى اشـتغلوا بعبادة هذه التماثيل، فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى، **ونظيره في هذا الزمـان اشـتغال كثـــير من الخلق بتعظيم قبـــور الأكـــابر، على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونـون شفعاء لهم عند الله.**

وخامسـها - أنهم اعتقـدوا أن الإله نـور عظيم وأن

الملائكة أنوار فوضعوا على صورة الإله الأكبر الصنم الأكبر، وعلى صورة الملائكة صوراً أخرى.

وسادسها- لعل القوم حلولية، وجوزوا حلول الإله في بعض الأجسام العالية الشريفة)[1].

وما ذكره الرازي أمر منطقي إذ لا يُعقَل أن الإنسان بسمعه وبصره وعقله، ينحتُ صنماً أو يصنع وثناً بيده -وهو يعلم مادته ومن أين أُخذ- ثم يزعم أن هذا الصنم أو الوثن هو الذي يخلق ويرزق، وهو الذي ينفع ويضر، هذا لا يكون أبداً. فلم يبقَ إلا ما ذكره الرازي من أنهم يرون أن هذه التماثيل والأصنام هي رموز لمخلوقات معظَّمة تستحق العبادة لقربها من الله، ومنزلتها عنده كما يفعل القبورية بقبور معظميهم. وبهذا تعلم أن هذه الظاهرة إنما هي جسد يحتضن الشرك الذي هو لها بمنزلة الروح.

المطلب الثالث: الغلو في الصالحين هو أصل الوثنية:

إذا كان منهج القبورية هو الغلو في أرباب القبور الذين يُظن أنهم أولياء لله ومقربون لديه، فإن ذلك المنهج هو نفسه أصل الوثنية وعبادة الأصنام كما جاء في البخاري في كتاب (التفسير) عند قوله تعالى: **﴿وقالوا لا تذرُن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾**[2] قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هذه أسماء رجال صالحين من

---

1 (?) التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي (17/59-60) طبع دار الكتب العلمية طهران الطبعة الثانية.

2 (?) نوح (23).

قـوم نـوح، فلما هلكـوا أوحى الشـيطان الى قـومهم أن انصــبوا إلى مجالســهم الــتي كــانوا يجلســون أنصــاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت)[1]. إذاً أصنام قوم نوح كانت رمـوزاً لرجــال صــالحين حمل الغلو أتبــاعهم على تقديســهم وتعظيمهم وتطور الأمر حتى عبدوهم.

قـال الحافظ ابن حجر في الفتح: (وقصة الصـالحين كانت مبدأ عبـادة قـوم نـوح هـذه الأصـنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك)[2].

المطلب الرابع: كثرة النصـوص الناهية عن تعظيم القبور والعلة في ذلك:

ولمّا كان أصل الشرك والوثنية هو الغلو في أصحاب القبـور؛ تـواترت الأحـاديث تـواتراً معنويـاً بـالنهي عن تعظيم القبــور بــأي نــوع من أنــواع التعظيم، وفَهِمَ الصحابةُ والتابعون لهم بإحسان العلة من تلك النصوص، وأشاعوا ذلك الفهم وعملوا بمقتضـاه، وتبعهم على ذلك سـائر علمـاء أهل السـنة من المتقـدمين والمتـأخرين، وإليك طائفة من تلك النصــوص الــتي وردت بأســاليب متنوعة:

الأســلوب الأول- **في النهي عن زيـارة القبــور في أوّل الإســلام وما فهمه العلمــاء من ذلك**: فعن بريدة بن الحصيب قال: قال رسـول الله : $**نهيتكم عن زيـــارة القبـــور فزوروها**#[3]. قـــال العلامة

---

1 (?) البخاري مع الفتح (8/667) كتـاب التفسـير، بـاب وداً ولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً.

2 (?) الفتح (8/669).

3 (?) رواه مسلم في صـحيحه مع شـرح الإمـام النـووي طبع

المناوي[1] -رحمه الله- في "فيض القدير شـرح الجـامع الصـغير": (.. **$كنت نهيتكم عن زيـارة القبـور#** لحــدثان عهــدكم بــالكفر. وأما الآن حيث انمحت آثــار الجاهلية واسـتحكم الإسـلام وصـرتم أهل يقين وتقـوى **$فـزوروا القبـور#** أي بشـرط أن لا يقـترن بـذلك تمسح بالقبر، أو تقبيل، أوسجود عليه، أو نحو ذلك. فإنه كما قال السـبكي[2]: " بدعة منكـرة إنما يفعلها الجهـال ... ")[3].

مؤسسة الكتب الثقافية بيروت بـدون تـاريخ (7/46)، كتـاب الجنائز باب زيارة في القبور والاستغفار لهم.

1 (?) العلامة الكبير الشيخ محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري، له مشاركة في فنون عديـدة وله مؤلفـات كثيرة من أشـهرها فيض القـدير شـرح الجـامع الصـغير، ولد سـنة (952هــ) وتــوفي سـنة (1031هــ)رحمه الله (انظر الأعلام 6/204) ومقدمة كتابه التوقيف على مهمــــــــات التعاريف0

2 (?) القاضي العلامة علي بن عبدالكافي السـبكي الشـافعي، من كبار علمـاء عصـره غـير أنه ممن اصـطدم بـدعوة شـيخ الإســـلام ابن تيمية وجماعته أمثـــال ابن القيم وابن كثـــير والذهبي والمزي وغـيرهم، وله ردود على شـيخ الإسـلام ابن تيمية أشهرها (شفاء السقام في زيارة خير الأنـام) الـذي رد عليه الـــرد القـــويم المفحم العلامة ابن عبـــدالهادي تلميذ مدرسة ابن تيمية -رحمهم الله جميعاً-، ورغم أنه مرجع كثـير من القبـــوريين إلا أنه لم يبلغ مبلغهم في الانحـــراف بـــدليل كلامه الســـالف وهو من متعصـــبة الأشـــعرية - رحمه الله تعالى-. وانظر طبقات الشافعية لابنه تاج الدين عبدالوهاب (10/139ـ 338) طبع دار هجر ط 2 (1413هـ-1992م)، والـــــــدرر الكامنة لابن حجر (3/39-41) طبع دار الجيل - بـــيروت (1414هـ-1993هـــ)، وجلاء العيـــنين في محاكمة الأحمدين للألوسي ص (32 - 37).

3 (?) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغيرللعلامة المنــاوي(

وقـــال الشـــيخ أحمد الـــرومي الحنفي[1] في كتابه "مجـالس الأبــرار ومســالك الأخيــار " في شــرح هــذا الحديث: (هذا الحديث من صحاح المصابيح رواه بريـدة، فيه تصريح بوقــوع النهي في أوائل الإســلام عن زيــارة القبور لكونها مبـدأ عبـادة الأصـنام) ثم ذكر قصة عبـادة الأصنام في قوم نـوح، ثم قـال: (فلما كـان منشأ عبـادة الأصنام من جهة القبور؛نهى ﷺ أصحابه في أوائل الإسلام عن زيارة القبور سـداً لذريعة الشـرك، لكـونهم حـديثي عهد بكفر، ثم لما تمكن التوحيد في قلــــوبهم أذن لهم في زيارتها)[2].

وقـال الشـيخ علي محفـوظ[3] في كتابه (الإبـداع في مضـــار الابتـــداع): (وسر النهي أولاً عن زيارتها؛ أنه لما

5/55) دار الفكر بدون تاريخ.

1 (?) أحمد بن محمد الآقحصاري الرومي الحنفي، من مشـايخ الخلتوية، يعرف بالرومي، من علماء الدولة العثمانيـة، تـوفي - رحمه الله - عام (1043هـ)، صنف حاشية على تفسير أبي السـعود، وله دقـائق الحقـائق في التصـوف نظمـاً ونـثراً، ومجالس الأبرار ومسالك الأخبار، ترجمته في كشف الظنون (5/157)، دار الفكر (1402هـ-1982م) ومعجم المـؤلفين لكحالة (2/213) بواســـــطة المجمـــــوع المفيد في نقض القبورية ونصـــــرة التوحيد (ص 357) للــــدكتور محمد عبد الــرحمن الخميس ط. دار أطلس، الريــاض الطبعة الأولى (1418هـ- 1997م).

2 (?) المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد ص (385-386)

3 (?) الشـيخ العلامة علي محفـوظ المصـري الشـافعي تخـرَّج بـالأزهر ثم كـان من أعضـاء كبـار العلمـاء وأسـتاذاً للوعظ والإرشـاد بكلية أصـول الـدين تـوفي سـنة (1361هــ)، انظر الأعلام (4/323).

كان منشأ عبادة الأصنام من جهة القبور في قـوم نـوح، نهى النبي أصحابه في صدر الإسـلام عن زيارتها سـداً للذريعة، لكونهم حديثي عهد بكفر، ثم لما تمكن التوحيد في قلـوبهم؛ أذن لهم في زيارتها وعلمهم كيفيتها. تـارة بفعله، وتارة بقوله، كما مـرّ في الأحـاديث أول الفصـل)[2].

الأسـلوب الثـاني - النهي عن اتخـاذ قـبره عيداً وما فهمه العلماء من ذلك:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : **$لا تجعلوا بيـوتكم قبـوراً ولا تجعلـوا قـبري عيـداً وصـلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم#**[3].

قال المناوي -رحمه الله-: (معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتمـاعهم للعيد، إما لرفع المشـقة أو كراهة أن يتجـــاوزوا حدّ التعظيم، وقيل العيد ما يعـــاد إليه أي لا تجعلـوا قـبري عيـداً تعـودون إليه مـتى أردتم أن تصلّوا عليّ، فظــاهره نهي عن المعــاودة، والمــراد المنع عما يوجبه وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه، ويؤيــده: **$وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغــني حيث كنتم#** أي " لا تتكلفــوا المعــاودة إلي فقد اســتغنيتم بالصــلاة علي".

---

2 الإبداع في مضار الابتداع للأستاذ الشيخ علي محفـوظ ص(190) طبع دار المعرفة الطبعة الخامسة ســـــنة(1375هـ-1956م).

3 رواه أبو داود في سننه مع شرحه عون المعبـود في كتـاب المناسك، باب زيـارة القبـور، (6/31) طبع المكتبة السـلفية بالمدينة المنورة الطبعة الثانية (1388هـ-1968م) وصـحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (1/383) ط مكتب التربية لدول الخليج العربي ط الأولى (1409هـ-1989م).

-قـال-: ويؤخذ منه أن اجتمـاع العامة في بعض أضـرحة الأولياء، في يوم أو شهر مخصوص من السَّنة، ويقولون هذا يوم مولد الشيخ ويأكلون ويشربون وربما يرقصـون فيه، منهي عنه شـرعاً وعلى ولي الشـرع ردعهم على ذلك وإنكاره عليهم وإبطاله)[1] انتهى.

وقال شمس الحق العظيم أبادي[2] - رحمه الله- في شرح هذا الحديث: (وأما الآن فـإن النـاس في المسـجد الشريف إذا سلم الإمام عن الصلاة قـاموا في مصـلاهم مستقبلين

القـبر الشـريف كـالراكعين له[3] ومنهم من يلتصق بالسرادق[4] ويطوف حوله وكل ذلك حـرام باتفـاق أهل العلم وفيه ما يجر الفاعل إلى الشـرك) موضع الشـاهد قوله: (وفيه ما يجر الفاعل إلى الشرك).

وقـال الطيـبي[5] - رحمه الله - في شـرح نفس

---

1 (?) بواسـطة عـون المعبـود شـرح سـنن أبي داود لشـمس الحق العظيم أبادي (6/32 - 33).

2 (?) الشيخ العلامة محمد أشرف بن أمـير بن علي بن حيـدر أبو الطيب الصديقي العظيم أبادي، من محدثي الهند له عدة مصنفات في الحديث من أشهرها عـون المعبـود على سـنن أبي داود توفي بعد سنة (1310هـ) رحمه اللـه، انظر الأعلام (6/39).

3 (?) في الأصل " الراكعين له" ومعناه غير مستقيم، وبما أن تلك الطبعة كثـيرة الغلط فالظـاهر أن الصـواب ماأثبته والله أعلم.

4 (?) (السـرادق كل ما أحـاط بشئ من حائط أومِضْـرَب) المعجم الوسـيط (1/426) والمقصـود هنا هو سـرادق قـبر النـبي وهو الشـبك النحاسي المحيط بـالحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

5 (?) الإمـام المشـهور صـاحب شـرح المشـكاة الحسـين بن

الحديث: (نهاهم عن الاجتمـاع لها اجتمـاعهم للعيد نزهة وزينة، وكانت اليهود والنصارى تفعل ذلك بقبور أنبيـائهم فأورثهم الغفلة والقسوة، ومن عادة عَبَـدة الأوثـان أنهم لا يزالون يعظِّمون أمواتهم حتى اتخذوهم أصـناماً، وإلى هـذا الإشـارة بقوله: **$اللهم لا تجعل قـبري وثنـاً يعبد#**[1] فيكـــــون المقصــــــود من النهي كراهته أن يتجـاوزوا في قـبره غاية التجـاوز ولهـذا ورد: **$اشـتد غضب الله على قــوم اتخــذوا قبــور أنبيــائهم مساجد#**[2]...)[3] انتهى موضع الشاهد.

الأسلوب الثـالث - **نهيه عن الصـلاة على القبـور وإليها**: عن أبي ســعيد الخـــدري أن رســـول الله : **$نهى أن يبـــنى على القبــور أو يقعد عليها أو يصلى عليها#**[4]، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما-

---

محمد بن عبدالله الطيـــبي، كـــان كريمـــاً متواضـــعاً حسن المعتقـد، شـديد الـرد على الفلاسـفة والمبتدعـة، مظهـراً فضـائحهم مع اسـتيلائهم على بلاد المسـلمين حينئـذ، تـوفي سـنة (743هــ) رحمه الله تعـالى، وانظـر: الـدرر الكامنة (2/68-69)، والبدر الطالع (1/229- 230).

1 (?) سيأتي تخريجه (ص 43).

2 (?) سيأتي تخريجه(ص 43)

3 (?) بواسطة مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقـاري (3/14).

4 (?) رواه أبو يعلى في مسـنده (2/297) طبع دار المـأمون للـــــتراث دمشق الطبعة الأولى (1404هـ-1984م) تحقيق حسـين سـليم أسـد، وقـال الهيثمي: رجاله ثقـات كما في مجمع الزوائد (3/64) كتاب الجنائز، بـاب البنـاء على القبـور والجلوس عليها وغـير ذلك طبع مؤسسة المعـارف -بـيروت (1406-1986)، وقال الشيخ الألباني: إسناده صحيح (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد) للشـيخ محمد ناصر الـدين

أن رسـول قـال: **$لا تصلّوا إلى قـبر ولا تصـلوا على قبر#**[1]، وعن أبي مرثد الغنوي عن رسول الله أنه قـال: **$لا تجلسـوا على القبـور ولا تصـلوا إليها#**[2].

قـال الإمـام الشـافعي -رحمه الله تعـالى- في كتابه "الأم" في كتـاب الصـلاة: (وأكـره أن يُبـنى على القـبر مسـجد وأن يسوَّى أو يصــلى عليه وهو غــير مسوَّى أو يصلى إليه. قال وإن صلى إليه أجـزأه وقد أسـاء، أخبرنا مالك أن رســـول الله قـــال: **$قاتل الله اليهـــود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقى دينـان بـأرض العـرب#** - قـال -: وأكـره هـذا لِلسنّة والآثـــــار وأنه كـــــره - والله أعلم - أن يعظَّم أحد من المسلمين يعني يتخذ قبره مسجداً، ولم تــؤمن في ذلك الفتنة والضــلال على من يــأتي بعــده)[3]. تأمل قـــول الشــــافعي- رحمه الله-: (ولم تــــؤمن في ذلك الفتنة والضلال على من يـأتي بعـده)، إذن ليست العلة أن في ذلك تضييقاً على المسلمين في مقابرهم، وإن كان ذلك

الألبــــاني طبع المكتب الإســـلامي، بــــيروت الطبعة الثالثة 1398ه (ص22).

1 (?) رواه الطبراني في الكبير وغيره، انظر سلسلة الأحاديث الصـحيحة للشـيخ الألبـاني، طبع مكتبة المعـارف بالريـاض الطبعة الأولى (1409هــ - 1989م) (3/13) رقم الحـديث (1016)، وصححه الشيخ رحمه الله.

2 (?) رواه مسـلم (2/668) رقم (97) تحقيق عبـدالباقي طبع دار إحيـاء الـتراث العـربي بـيروت الطبعة الأولى (1375هـ-1955م)

3 (?) الأُم للإمـــام محمد بن أدريس الشـــافعي (1/278) طبع دار المعرفة بيروت بدون تاريخ.

لازم من اتخـاذ مقـابر المسـلمين العامـة مسـاجد على بعض القبـور، وليست العلة الخـوف من تنجس الأرض لأن الحكم عام في القبر الذي ابتدِئ حفـره كما هو في القـبر المنبـوش؛ وإنما العلة عند الشـافعي-رحمه اللـه- خشية الفتنة والضلال على من يـأتي بعـده، وأي فتنة أو ضلال أعظم من أن يعَظَّم المخلوق حتى يُصرَف لقـبره من العبادة والتقديس ما لا يليق إلا بالله عز وجل؟!.

وقـال القرطـبي[1] -رحمه الله- في تفسـيره في تفسير سورة الكهف- بعد أن ساق كثـيراً من الأحـاديث الـتي فيها النهي عن البنـاء على القبـور وتعظيمها-: (وروى الأئمة عن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله يقـول: **$لا تصـلوا الى القبـور ولا تجلسـوا عليها#** لفظ مسلم. أي لا تتخـذوها قبلة فتصـلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى؛ فيؤدِّي الى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصـنام، فحـذر النـبي عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤدية الى ذلك)[2].

الأسلوب الرابع - **دعاؤه ربه أن لا يجعل قبره وثناً**

1 (?) الشيخ الإمـام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصـاري القرطـبي المـالكي أحد مشـاهير المفسـرين وكتابه الجامع لأحكـام القـرآن من أوسع كتب التفسـير يميل فيه إلى تتبع الأحكـام الفقهية تـوفي سـنة (671هـ) وانظر ترجمته في كشف الظنـون لحـاجي خليفـة(1/534) والمفسرون بين التأويل والإثبات في آيـات الصـفات للشـيخ محمد بن عبـدالرحمن المغـراوي (1/287). طبع دار طيبة الرياض ط الأولى(1405-1985).

2 (?) الجـامع لأحكـام القـرآن المشـهور بتفسـير القرطـبي(10/380) الطبعة ذات العشـرين جـزءٍ مصـورة ليس عليها اسم دار النشر.

يعبد، مع إخبـاره بشـدة غضب الله على متخـذي قبـور أنبيـائهم مسـاجد، مما يؤكد العلاقة بين القبورية "اتخـاذ القبـــور مســـاجد " والوثنية " صــــيرورة تلك القبـــور المعظمة أوثانـــاً تعبد من دون الله ": ما جـــاء عن أبي هريـــرة أن رســـول الله قـــال: **$اللهم لا تجعل قــبري وثنــاً يعبد اشــتدَّ غضب الله على قــوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد#**[1].

قال الحافظ ابن عبد الـبر[2] في (التمهيد) في شـرح

[1] (?) قال الشيخ محمد بن عبدالرحمن المغـراوي في تخـريج كتابه فتح الـبر في الـترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد الـبر مع فتح المجيد في اختصـــار تخـــريج أحـــاديث التمهيد لنفس المؤلف طبع مجموعة التحف النفائس بالريـاض، ط الأولى (1416هـ-1996م) (1/280): (ابن ســـعد في "الطبقـــات (241-2/240)ـــــ " من طريق مالك0 وعبـــــدالرزاق (1/406/1587).ـ وابن أبي شــيبة(2/150/7544) كلهم عن زيد بن أسلم مرسـلاً بسـند صـحيح. ووصـله أحمد (2/246) والحميدي (1025) وأبونعيم في(الحلية) (6/283) (7/317) عن أبي هريـرة بسـند صـحيح وصـححه الـبزار0 انظر (النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد (ص115).

[2] (?) الإمــام العلامة حافظ المغــرب شــيخ الإسـلام أبــوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبـــدالبر بن عاصم النمـــري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة. كـان إماماً ديناً متقناً، علامة، متبحـراً، صـاحب سـنة واتبـاع وكـان في ابتداء أمره أثرياً ظاهرياً فيما قيل، ثم تحـول مالكيـاً مع ميل بيِّن إلى فقه الشافعي في مسائل، ولاينكرله ذلـك، فإنه ممن بلغ مرتبة الأئمة المجتهـــدين. ومن نظر في مصــــنفاته بان له منزلته من سعة العلم، وقوة الفهم، وسـيلان الـذهن، وكل أحد يؤخذ من قوله ويـــترك إلا رســـول الله ، ولكن إذا أخطأ إمام في اجتهاده لاينبغي لنا أن ننسى محاسنه ونغطي معارفه، بل نستغفر له ونعتذر عنه) ولد سنة (368هـ) ومات (463هـ)، الترجمة ملتقطة بحروفهامن الســــير للــــذهبي(

هـذا الحـديث: (الـوثن: الصـنم) وهو الصـورة من ذهب كان، أومن فضة، أوغيرذلك من التمثال. وكل مايعبد من دون الله فهو وثن صــنماً كــان، أو غيرصــنم. وكــانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها فخشي رسـول الله على أمته أن تصنع كما صـنع بعض من مضى من الأمم، كـانوا إذا مـات لهم نـبي عكفـوا حـول قـبره كما يصـنع بالصــنم فقــال : **$اللهم لا تجعل قــبري وثنــاً#** يصلى إليه، ويسـجد نحـوه، ويعبد، فقد اشـتد غضب الله على من فعل ذلك. وكـان رسـول الله يحـذر أصـحابه وسائر أمته من سـوء صـنيع الأمم قبله الـذين صلّوا الى قبور أنبيائهم، واتخذوها قبلة ومسجداً، كماصنعت الوثنية بالأوثــان الــتي كــانوا يســجدون لها ويعظمونهــا، وذلك الشرك الأكبر.

فكـان النـبي يخـبرهم بما في ذلك من سـخط الله وغضبه وأنه مما لا يرضاه خشيةً عليهم امتثال طـرقهم)[1].

وقد عنون العلامة ابن حجر المكي الهيتمي[2] -رحمه

163-18/153) وانظر المقـدمتين الضـافيتين لكتابيه التمهيد والاستذكار.

1 (?) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للإمام ابي عمر يوسف بن عبد البر القرطـبي الأندلسي (5/45) تحقيق سعيد أحمد أعراب (1396هـ- 1976م)

2 (?) العلامة الفقيه الشــيخ أحمــدبن محمد بن حجر الهيتمي الســعدي الشــافعي من أجل وأعظم علمــاء الشــافعية في وقتــه، وأحد الشــيخين الــذين تفــردا بالاعتمــاد من شــراح المنهـاج، والآخر هو شـمس الـدين محمـدبن أحمد الـرملي، واعتماد أهل الحجـاز واليمن على= = مارجحه ابن حجر في تحفته، وهو من جـانب آخر أشـعري محـارب لشـيخ الإسـلام

الله -في كتابه (الزواجر) عنوانـــاً قـــال فيه: (الكبـــيرة الثالثـــة، والرابعة، والخامســـة، والسادسة، والســـابعة، والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد الســرج عليها، واتخاذها أوثاناً، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها). ثم ساق جملة من الأحاديث الدالة على ما عنـون له، ثم قال(" تنبيه " عَدُّ هذه الستة من الكبـائر وقع في كلام بعض الشـــافعية وكأنه أخـــذه مما ذكرته من هـــذه الأحاديث)، ثم ذكر وجه الدلالة على تلك الكبائر، إلى أن قال وهو موضع الشاهد: (وأما اتخاذها أوثاناً فجاء النهي عنه بقوله ﷺ: " **لا تتخـذوا قـبري وثنـاً يعبد بعـدي** "[1]، أي لا تعظِّموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسـجود لـه، أو نحـوه، فـإن أراد ذلك الإمـام بقوله: (واتخاذها أوثانـاً) هـــذا المعـــنى اتجه ما قاله من أن ذلك كبـــيرة بل كفر بشرطه، وإن أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبـيرة ففيه بُعـد، نعم قـال بعض الحنابلـة: قصدُ الرجل الصلاة عند القـبر متبركـاً به عين المحـادة لله ورسـوله وابتـداع دين لم يـأذن به الله للنهي عنها ثم إجماعـاً)[2]

ابن تيمية رحمه الله فيما يتعلق ببعض مســـــــــائل التوحيد والاتباع، وخصوصاً شدّ الرحال لزيـارة قـبر النـبي ﷺ، غـير أنه مع ذلك ضد القبـــوريين في مســـائل البنـــاء على القبـــور، وتعظيمها وفي مسـألة الاسـتغاثة بغـير اللـه، وانظر ترجمته في جلاء العيـنين ص (40) و النـور السـافر لعبد القـادر بن شـــيخ العيـــدروس ص (258-263) طبع دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى (1405هـ- 1985م).

1 (?) كذا قال. والحديث إنما هو بلفظ الدعاء لابلفظ النهي.

2 (?) الزواجر عن اقـتراف الكبـائر للشـيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي (1/148-149) طبع دار المعرفة ببيروت (1402هـ-1982م).

إلخ.

وقــال الملا علي القــاري -رحمه الله- في "مرقــاة المفــاتيح ": (أي لا تجعل قــبري مثل الــوثن في تعظيم الناس، وعودهم للزيـارة بعد بـدئهم، واسـتقبالهم نحـوه في الســـجود، كما نســـمع ونشـــاهد الآن في بعض المـزارات والمشـاهد $اشـتد# اسـتئناف كأنه قيـل: لِمَ تدعو بهذا الـدعاء؟ فأجـاب بقوله اشـتد $غضب الله#: ترحماً على أمته وتعطفـاً لهم، قالـه الطيـبي، وتبعه ابن حجـر، والأظهر أنه إخبــار عما وقع في الأمم الســابقة؛ تحـذيراً للأمة المرحومة من أن يفعلــوا فعلهم، فيشــتد غضبه عليهم)[1] انتهى محل الغرض منه.

فهـذه نصـوص أربــاب المـذاهب الأربعة: المالكيـة، والشـافعية، والحنابلـة، والأحنـاف، متفقة على أن الغلو في القبــور وتعظيمها بالصـلاة لها أو إليها يجعلها أوثانــاً تعبد من دون الله.

الأسلوب الخامس: **لعنهُ لليهود والنصارى وإخبــاره بلعن الله لهم كــونهم اتخــذوا قبــور انبيــائهم مساجد يحـذر أمته مما صـنعوا،** فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قـال رسـول الله في مرضه الـذي لم يقم منــه: **$لعن الله اليهــود والنصــارى اتخــذوا قبور أنبيائهم مساجد#** قالت: فلولا ذلك أبرز قــبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً #[2].

---

1 (?) المرقاة (2/458).

2 (?) البخاري مع الفتح (3/200) كتاب الجنـائز، بـاب مـايكره من اتخــاذ المســاجدعلىالقبور، ومســلم مع النــووي (5/12) كتــاب المســاجد ومواضع الصــلوات، بــاب النهي عن بنــاء المسـجدعلى القبـور واتخـاذ الصـور فيهـا، طبع دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.

وعنها رضي الله عنها قالت: لما كـان مـرض رسـول الله تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقــال لها مارية وقد كـــــانت أم ســـــلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة، فـذكرتا من حسـنها وتصـاويرها، قـالت: فرفع النـبي رأسه فقـال: **$أولئكِ إذاكـان فيهم الرجل الصالح بنوا على قـبره مسـجداً، ثم صوَّروا فيه تلك الصـور، أولئكِ شـرار الخلق عند الله يــوم القيامة#**[1].

وعن ابن عبـــــــاس وعائشة أن رسول الله لما حضـرته الوفـاة جعل يلقي على وجهه طـرف خميصة[2] له فــإذا اغتم بها كشــفها عن وجهه وهو يقــول**: $لعنة الله على اليهـــود والنصـــارى اتخـــذوا قبـــور أنبيـــائهم مســـاجد# تقـــول عائشة رضي الله عنها: (يحذّر ما صنعوا)**[3].

هــذه الأحــاديث الثلاثة يشــدد فيها النــبي النكــير، ويؤكـده بلعن الفـاعلين لـذلك، وأنهم شـرار الخلق عند الله تعــــالى، وذلك لقبح ذلك الفعل وعظيم أثـــره في الانحـراف عن العقيـدة الصـحيحة، وفتح البـاب للشـرك والوثنية وقد بيَّنت عائشة رضي الله عنهــا أن الصــحابة

---

1 (?)البخـاري مع الفتح (3/208) كتـاب المسـاجد، بـاب بنـاء المســجد على القــبر، ومســلم مع النــووي (5/11)كتــاب المسـاجد ومواضع الصـلوات، بـاب النهي عن بنـاء المسـجد على القبور واتخاذ الصور فيها.

2 (?) (الخميصة كســاء أســود مربع له علمــان) القــاموس المحيط ص (797).

3 (?) البخاري مع الفتح (6/494-495) كتاب أحـاديث الأنبيـاء، بـاب ما ذكر عن بـني إسـرائيل، ومسـلم مع النـووي(5/13) الكتاب والباب المتقدمين.

فهموا ما قصده النبي وعناه، ومن أجل ذلك لم يبرزوا قبره خشية أن يتخذ مسجداً، وأنه إنما قال ذلك محـذراً لأمته أن تصنع كما صنع أولئك.

قلت: وبالفعل عمل الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسـائرُ العلمـاء في العصـور المختلفة علىستر قـبره وحجبه عن النـاس، وبـالغوا في ذلك غاية المبالغة كماسـيأتي في كلام النووي[1] والسـمهودي[2]-رحمهما الله-، وإليك كلام بعض العلمـاء على هـذه الأحـاديث وإشارتهم وتصريحهم بأن هذه النصوص تمنع من تعظيم القبـور حـتى لا تعبد من دون اللـه، ويفتتن بها النـاس، وتؤدي إلى ما أدى إليه غلوّ الأولين في قبـور معظميهم، حيث صارت أوثاناً تعبد من دون الله.

قـال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في كلامه على حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما: (وكأنه علم أنه مرتحل فخـاف أن يعظَّم قـبره كما فعل من مضى

---

1 (?) الإمـام العلامة شـيخ الشـافعية وعمـدتهم، وأحد أئمة الحـديث في زمانـه، محـيي الـدين يحـيى بن شـرف النـووي صاحب التصانيف المفيدة المباركـة، الـتي لاقت القبـول عند سـائر علمـاء المسـلمين ببركة إخلاصـه، ولد بنـوى سـنة (631هـ) وتـوفي بها سـنة(676هـ)، وانظر البداية والنهاية (3/278-279)، وطبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الـدين السبكي (8/395-400).

2 (?) مؤرخ المدينة النبوية وفقيهها في وقتـه، علي بن عبدالله بن أحمد السـمهودي القـاهري الشـافعي، نزيل الحـرمين، صـاحب أضـخم كتـاب مطبـوع في تـاريخ المدينة وهو كتـاب (وفاء الوفاء في أخبـار دار المصـطفى)، ولد سـنة (844هـ) وتوفي سنة(911 هـ) انظر الضوء اللامع للسخاوي (5/245-248).

فلعنَ اليهود والنصـارى إشـارة الى ذم من فعل فعلهم)[1].

ويناسب هذا المقام ما ذكـره الإمامـان النـووي وابن حجر في شرحهما على الصحيحين في الكلام على قصة مـــــوت موسى ، وســــؤال ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة.

قال النووي -رحمه الله-: (قـال بعض العلمـاء: وإنما سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس)[2].

وقال ابن حجر: (لكن حكى ابن بطـال عن غـيره أن الحكمة في أنه لم يطلب دخولها ليُعمِّي موضع قبره لئلا يعبده الجهال من أمته)[3].

من هـذه النقـول الثلاثة يتـبين ما فهمه العلمـاء من أحـاديث النهي عن اتخـاذ المســاجد على القبـور؛ وهو خشـــــــية التعظيم المفضي إلىعبادتها كما حصل للأمم السابقة بغلوها في أنبيائها وصالحيها إلى أن عبدتهم من دون الله، وتحولت القبورية إلى وثنية وشرك، أجـار الله أمة محمد من ذلك.

وقــال العلامة ابن دقيق العيد[4] -رحمه الله تعــالى-

1 (?) الفتح (1/532).

2 (?) النووي على مسلم (15/128).

3 (?) الفتح (3/207).

4 (?) الإمـــــام المجتهد المحـــــدث محمد بن علي بن وهب المصري الدار، والشافعي ثم المالكي المذهب، أحد من قيل إنهم من المجــددين لهــذا الــدين، وصــاحب المصــنفات المستعذبة المفيدة، ولد في البحر قرب ينبع سـنة (625هــ) وتوفي سنة (702هـ) انظر البداية والنهاية (14/27) والــدرر الكامنة في إعيـــان المائة الثامنة للحافظ أحمد بن علي بن

في شــرح عمــدة الأحكــام في حــديث عائشة الثــاني: وقوله ﷺ: $**بنــوا على قــبره مســجداً**# إشــارة الى المنع من ذلك وقد صرح به الحــديث الآخر: $**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيـائهم مسـاجد اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد**#[1].

وقد علّــق الصــنعاني -رحمه الله- على كلامه هــذا فقال: (قوله: $إشـارة الى المنع من ذلك#. أقـول: من حيث إنه جعل شرار خلق الله هم المصـورون، ومعلـوم أن من فعل شيئاً يكون به من شــرار خلق الله أنه فعل محرماً وقد صرح به في حديث آخر، يريد الحديث الـذي أخرجه الشـيخان بلفـظ: $**قاتل الله اليهود اتخـذوا قبور أنبيائهم مساجد**# زاد مسلم: $**والنصـارى**# وحــديث عائشة بلفــظ: $**الرجل الصــالح**# أعم من قبــــور الأنبيــــاء. والكل محـــــرم فإنه ذريعة إلى تعظيم الميت، والطواف بقبره، التماس أركانه، والنداء باسمه، وبالجملة أنه يصير صنماً يعبد) انتهى محل الغرض منـه. ولايزال بعده كلام قوي مـتين في النعي على القبـوريين فلينظر هناك[2].

ومما يناسب هــذا المقــام ما قــرره العلامة الشــيخ محمد بن ســــالم البيحـــــاني[3] -رحمه الله- في كتابه (إصلاح المجتمع) إذ قال وهو يتحدث عن الشرك: (ومن الشــرك تعظيم القبــور الــذي فتن به المســلمون في

حجر رحمة الله تعالى (4/91-96).

1 (?) الإحكـام للإمـام ابن دقيق العيد مع حاشـية الصـنعاني (3/257-258) طبع المكتبة السلفية (1409هـ).

2 3 المصدر السابق (3/258).

3 (?) ستأتي ترجمته في الباب الثالث(ص590).

مختلف الجهـات، حـتى بنـوا عليها القبـاب، واتخـذوا لها الأقفـاص والتـوابيت، وطـافوا بها وحجـوا إليها، ونـذروا لأصحابها بجزء معلـوم من أولادهم وأقـاموا لها الحفلات والمواسـم، وجـاءوا إليها متوسـلين ومسـتغيثين. وهـذا يطلب منهم الولـد، وثانٍ يطلب منهم شـفاء المـريض، وثالث يريد منهم النصـرة على الأعـداء، وأن ينصـفوا له من فلان الظالم، ونسبوا إليهم من الكرامات ما لا يصح أن يكـون معجـزة لنـبي مرسـل، وكتبـوا عنهم الشـطح، والكلام الذي لا يصدر إلا من ملحد في دين الله، أو مدّع أنه شريك لله) إلخ كلامه رحمه الله[1].

الأسلوب السـادس - **النهي المباشر للأمة عن البناء على القبـور، وتعظيمها بـأي نـوع من أنـواع التعظيم، وإخبـاره أنه لا يفعل ذلك إلا شـرار الخلق عند الله تعـالى**: فعن جنـدب بن عبدالله قال: سمعت رسول الله قبل أن يموت بخمس يقول: **$إني أبرأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليل...#** إلى أن قـال: **$ألا وإن من كـان قبلكم كـانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إنى أنهاكم عن ذلك#**[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهماقـال: **$نهى رسـول الله أن يجصص القـبر وأن يقعد عليه ويبـنى عليه#**[3]. ولفظ أبي داود: **$نهى أن يقعد**

---

1 (?) إصـلاح المجتمع للشـيخ محمد بن سـالم البيحـاني ص (130) طبع مؤسسة طيبة الخيرية (1419هـ- 1998م).

2 (?) النووي علىمسلم (5/13)كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المسجد على القبور0

3 (?) النووي على مسلم (7/37) كتاب الجنائز بـاب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه والجلوس عليه.

على القبر ويبنى عليه#[1].

وعن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله يقول: **$إن من شـرار النـاس من تدركه السـاعة وهم أحيـاء ومن يتخذ القبـور مسـاجد#**[2]. ففي هـذه الأحـاديث الـتي مـرت النهي الصـريح عن أي نــوع من أنـــواع التعظيم للقبـــور ومن ذلك: النهي عن اتخاذها مساجد، والنهي عن مجرد البناء عليها، وعن تجصيصـها، والكتابة عليها. وقد توجه النهي أول ما توجه إلى قبـــور

---

1 (?) رواه أبوداود(2/235) كتاب الجنائز، باب في البنـاء على القـــبر طبع دار الجنـــان ومؤسسة الكتب الثقافية بـــيروت دراسة وفهرسة كمـال يوسف الحـوت ط الأولى (1409هـ-1988م)، والنسـائي في سـننه (4/86-ـ 88) كتـاب الجنـائز رقم (2027، 2028، 2029) طبع مكتب المطبوعـــات الإسـلامية بحلب عناية عبد الفتـاح أبو غـده الطبعة الأولى (1406هـ-1986م) = = و ابن ماجه في ســـــننه (1/498) كتـاب الجنـائز با ب ماجـاء في النهي عن البنـاء على القبـور وتجصيصـــها والكتابة عليها طبع دار إحيـــاء الكتب العربية (1372-1952) تحقيق وتـــرقيم محمد فـــؤاد عبد البـــاقي، وصححه الشيخ الألباني، ينظر صحيح أبي داود للشيخ الألباني (2/621).

2 (?) رواه أحمد (5/324) تحقيق أحمد محمد شـــــاكر، وابن خزيمة في صحيحه (2/7)كتاب الصلاة بـاب الزجر عن اتخـاذ القبـــور مســـاجد تحقيق محمد مصـــطفى الأعظمي طبع المكتب الإسـلامي الطبعة الأولى (1395هـ-1975م)، وقـال أحمد شــاكر في تعليقه على المســند (5/324):) إســناده صـــحيح. وهو في "مجمع الزوائد " (2/27) وقـــال: "رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن " وهو فيه أيضـاً (8/13) وقـال: " رواه الـبزار بإسـنادين في أحـدهما عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح ").

الأنبيـاء والصـالحين. لمـاذا؟ لأنها هي الـتي يخشى الغلو في أربابها عكس قبـور سـائر النـاس، والفتنة بها أعظم من غيرها. وهذا هو الواقع المشـاهد فإنه ما من مشـهد إلا ويزعم أنه بني على ولي صالح، ذي مناقب وكرامات عظيمة يـرجى نفعه ويخـاف انتقامه، أو يـزعم أنه على نــبي من أنبيــاء الله كما ظهر ذلك تخمينــاً في أمــاكن كثــيرة من بلاد اللــه، ولكثــيرٍ من الأنبيــاء، مع تصــريح العلمـــاء أنه لا يُعلم على التحقيق واليقين إلاّ قـــبر نبينا محمد ، وزاد بعضـــــهم قـــــبر الخليل في الموضع المشهور باسمه في فلسطين[1].

ثم لاحِظْ كيف قرَنَ النـبي من يتخذ المسـاجد على القبور بمن تقوم عليهم السـاعة وقد صرَّح عليه الصـلاة والسـلام في أحـاديث صـحيحة أن أولئك الـذين تقـوم عليهم الساعة لا يؤمنـون بالله ولا يعرفونه كما جـاء في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك أن رسول الله قـال: **$لا تقـوم السـاعة حـتى لا يقـال في الأرض: الله، الله#**[2]، فالذين تقوم عليهم الساعة لم يستحقوا أن يكونوا شرار الخلق إلا بـالكفر التـام والخلو التام من الإيمان، إذاً فمقارنتهم بالـذين يتخـذون القبـور مســاجد يــدل على خطــورة النهاية الــتى تصل إليها القبورية بأصحابها.

وهـذا يظهر من تعليق العلمـاء على تلك الأحـاديث: يقـول الإمـام النـووي - رحمه الله - في شـرح حـديث

1 (?) مجموع فتاوى شـيخ الإسـلام ابن تيمية (27/141). طبع مكتبة المعارف الرباط بالمغرب بدون تاريخ.

2 (?) النووي على مسلم (2/178) كتـاب الإيمـان بـاب ذهـاب الإيمان في آخر الزمان0

جندب : (قال العلماء: إنما نهى النبي عن اتخاذ قـبره مسـجداً خوفـاً من المبالغة في تعظيمه، والافتتـان بـه، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جـــرى لكثـــيرمن الأمم الخالية، ولما احتـــاجت الصـــحابة رضـــوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسـجد رسـول الله حين كــثر المســلمون وامتــدت الزيــادة إلى أن دخلت بيوت أمهـات المؤمـنين فيه، ومنها حجـرة عائشة رضي الله عنها، مـدفن رسـول اللـه وصـاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، بنـــوا على القـــبر حيطانـــاً مرتفعة مســـتديرة حوله لئلا يظهـــر في المســـجد؛ فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحـذور، ثم بنوا جـدارين من ركـني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لايتمكن أحد من اسـتقبال القـبر، ولهـذا قـال في الحـديث: **$ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً#** والله أعلم بالصواب)[1].

وقال العلامة صديق حسن خان[2] في كتابه "السراج الوهاج في كشف مطـالب صـحيح مسـلم بن الحجـاج " في شـرحه لحـديث جـابر : **$وأن يبنى عليه#** قـال

---

1 **(?)** ا لنووي على مسلم (5/12- 13).

2 (?)محـيي السـنة وقـامع البدعـة، الإمـام العلامة أبو الطيب صـديق بن حسن بن علي الحسـيني البخـاري القنـوجي، أحد مجددي علوم السنة في الهنـد، وصـاحب المصـنفات الذائعة والمؤلفــات النافعــةالتي يجنح فيها إلى الاجتهــاد وينفر عن التقليد تبعـاً لشـيخه وأسـتاذه الـذي تتلمذ على كتبـه، ونسج على منوالها شيخ الإسلام الشوكاني رحمه اللــه، ولد سـنة (1248هـ) وتوفي سنة (1307هـ). انظر كتاب: السيد صـديق حسن خـــان آراؤه الاعتقادية وموقفه من عقيـــدة الســـلف للدكتور اختر جمال لقمان.

النووي: فيه كراهة البناء عليه، قال: أما البناء عليه، فإن كـان في ملك البـاني فمكروه. وإن كـان في مقـبرة (مسبلة) فحرام نص عليه الشافعي والأصحاب، قال في (الأم): ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهـدم ما يبـنى، ويؤيد الهدم قوله: **$ولا قبراً مشرفاً إلا سويته#** انتهى.

وأقـول - و لازال الكلام لصـدِّيق -: فـإن البنـاء على القبر حرام لا مكـروه في أي مكـان ولأجل أي قبرٍ كـان، وهـذا بالأدلة الثابتة الصـحيحة في الصـحيح وغـيره، من طرق تُوجِب العلم اليقين:

(فمنها): الأمر بالتسوية كما تقدم.

(ومنها): النهي عن البناء كما مر هنا.

(ومنها): النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعنُ فاعل ذلك وغير ذلك مما هو مبين في كتب السنة.

وبالجملة فما هـذه أول شـريعة صـحيحة محكمـة، وسنة قائمة صريحة تركها الناس واستبدلوا بها غيرها.

وقد صـارت هـذه البدعة وسـيلة لضـلال كثـير من النـاس، "ولا سـيما العـوام" فـإنهم إذا رأوا القـبر عليه الأبنية الرفيعة، والسـتور العاليـة، وانضم إلى ذلك إيقـاد السرج عليه، سبب عن ذلك الاعتقاد في ذلك الميت ولا يـزال الشـيطان الـرجيم وإبليس اللعين يرفعه من رتبة إلى رتبة حتى ينادى مع الله، ويطلب منه ما لا يطلب إلا من الله ولا يقـدر عليه سـواه فيقع في الشـرك.. هـذا أمر العوام.

وأما الخواص فلهم عـرس[1] المـوتى على قبـورهم وطوافهـا، والمراقبة عنـدها وانتظـار وصـول الفيض من أصحابها، والاستمداد بهم في الفرج بعد الشدة وإيجـاب

1 (?) كذا في الأصل ولم أتبين المراد به.

النذور لهم ووضع الأموال في المقابر إلى غـير ذلك من الكبائر، والإشراك، والبدع، وكل ذلك ضلالة على ضـلالة وظلمة فـوق ظلمة **وسـيعلمُ الذين ظلمـوا أي منقلب ينقلبون**[1].

وأما تخصيص قبور الفضلاء بهذه الداهية الدهياء، والمعصية الصماء، والفاقرة العظمى فلا وجه له) إلخ[2].

وقـال القرطـبي -رحمه الله تعـالى- في تفسـيره "تفسير سـورة الكهف ": (وأما تعلية البنـاء الكثـير على نحو ما كـانت الجاهلية تفعله تفخيمـاً وتعظيمـاً فـذلك يُهـدم ويـزال، فـإن فيه اسـتعمال زينة الـدنيا في أول منازل الآخرة، وتشـبهاً بمن كـان يعظم القبـور ويعبـدها وباعتبار هذه المعـاني وظـاهر النهي ينبغي أن يقـال هو حرام)[3].

وكان - رحمه الله تعالى- قد صرح في تفسير سورة البقـرة عند قوله تعـالى: **يا أيها الـذين آمنـوا لا تقولـوا راعنا وقولـوا انظرنا واسـمعوا وللكـافرين عـذاب أليم**[4]. وهو يتكلم عن سد الـذرائع بـأن ما ورد من الأحـاديث في النهي عن البنـاء على القبـور وتجصيصـها... إلخ. إنما هو لسد الذريعة المؤدية الى ما وصلت إليه الأمم السـابقة من التـدرج في عبادتها من دون الله وهـذا نص كلامه -رحمه الله-:

---

1 (?) الشعراء (227).

2 (?) السـراج الوهـاج من كشف مطـالب صـحيح مسـلم بن الحجـاج للشـيخ صـديق حسن خـان إصـدار وزارة الأوقـاف والشؤون الإسلامية قطر (3/82-83-384).

3 (?) الجامع لأحكام القرآن (10/381).

4 (?)البقرة (104).

(قـال علماؤنـا: ففعَـلَ ذلك أوائلهم ليأنسـوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهـادهم ويعبـدون الله عز وجل عند قبـورهم، فمضت لهم بـذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم، ووسـوس لهم الشـيطان: أن آباءكم وأجـدادكم كـانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها فحذر النـبي عن مثل ذلك وشدّد النكـير والوعيد على من فعل ذلك وسـدَّ الـذرائع المؤدية الى ذلك فقـال: **$اشـتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مسـاجد# وقال: $اللهم لا تجعلْ قبري وثناً يعبد#**[1].

هـذه أقـوال أهل العلم على هـذه الأحـاديث ونحوها، وكلها تؤكد أن المقصد من ذلك النهي والتشـديد هو سد ذرائع الشـرك، وألا يصل الحـال بهـذه الأمة كما وصل بـالأمم السـابقة حـتى حلّت بها الوثنية والشـرك وذلك يؤكّد ما عَنْوَنَّا له أول الفصل ولله الحمد.

الأسلوب السابع - الأمر بتسوية القبور المشرفة مع قـرن ذلك بطمس التماثيل: فعن ثمامة ابن شُفي -رحمه الله - قال: (كنا مع فضالة بن عبيد بـأرض الـروم بـرودس[2] فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى ثم قال: سمعت رسول الله يـأمر بتسـويتها)[3]. وعن أبي

---

1 (?) تفسير القرطبي (2/58).

2 (?) (هي جزيـرة من جـزر البحر الأبيض المتوسط افتتحها معاوية ودانت بالإسـلام زمنـاً ثم طـرد منها المسـلمون وعـادت إلى النصـرانية) انظر معجم البـدان ليـاقوت بن عبد الله الحمـوي (3/78) طبع دار صـادر، بـيروت ط ثانيـة (1995م).

3 (?) مسلم كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر (7/35-36) مع النووي.

الهيَّاج الأسـدي-رحمه الله- قـال: قـال لي علي بن أبي طـالب: **(ألا أبعثك على ما بعثـني عليه رسـول الله ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سوّيته)[1].** وهكذا فهم الصحابة رضوان الله عليهم الأمر، فسوّوا القبور المشرفة، وأمروا بذلك وصـار هـذا شعارهم وديدنهم.

فهذا فضالة بن عبيد يطبِّق ما سمع ويـأمر بتسـوية القبر؛ امتثالاً لأمر رسـول الله بتسـويتها، وهـذا علي يبعث رئيس شـــرطته أبالهيـــاج الأســـدي[2] لطمس القبوركما بعثه رســــــول الله أي أنه يطبِّق ماعرفه وفهمه من أمر رسول الله بذلك، وهذا عثمـان يـأمر بتسـوية القبـور كـذلك. قـال عبدالله بن شـرحبيل بن حسنة - رحمه الله-: (رأيت عثمان يأمر بتسوية القبور فقيل له هذا قبر أم عمرو بنت عثمان! فأمر به فسوِّي)[3] وعن عمـرو بن شـرحبيل قـال: (لا ترفعـوا جـدثي - يعني القـبر - فـإني رأيت المهـاجرين يكرهـون ذلـك)[4]، وسيأتي مزيد بيان لهذا في الباب الأول إن شاء الله[5].

---

1 (?) المصدر السابق (7/36).

2 (?) تحذير الساجد من اتخاد القبور مساجد ص (88) للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

3 (?) رواه أبـوبكر بن أبي شـيبة في المصـنف، كتـاب الجنـائز بــاب في تســوية القــبر وما جــاء فيه (3/341) طبع الــدار الســـلفية بالهند بومـــبي الطبعة الثانية (1399هـ-1979م)، وأبو زرعة في تاريخه بسند صحيح إلى عبدالله وانظر تحـذير الساجد(88).

4 (?)رواه ابن ســـعد في الطبقـــات (6/108) دار بـــيروت للطباعة والنشر (1377 هـ - 1957م)وصحح إسناده الشـيخ الألباني وانظر: تحذير الساجد ص (98).

5 (?) الفصل الثاني من الباب الأول0

وأما العلماء ممن جـاء بعد الصـحابة والتـابعين وإلى عصرنا الحاضر، فسـتأتي نمـاذج من كلامهم الـدال على أنهم فهموا ذلك المعنى، وعملوا بمقتضاه، وصرحوا بأنه من باب سد الذريعة المفضية إلى الوثنية والشرك بالله تعالى.

قــال الإمــام الشــافعي-رحمه الله-: (ولم أرَ قبــور المهاجرين والأنصار مجصصة قال الراوي عن طـاووس: أن رسـول الله نهى أن تبـنى القبـور أو تجصص (قـال الشافعي) وقد رأيت من الولاة من يهـدم بمكة ما يبـنى فيها فلم أرَ الفقهاء يعيبون ذلك)[1].

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي في "الفتاوى الكبرى " في جــواب ســؤال يتعلق بهــذا الموضــوع: (المنقــول المعتمد كما جـزم به النـووي في شـرح المهـذب حرمة البناء في المقبرة المسبلة، فإن بُني فيها هُدم ولا فــرق في ذلك بين قبور الصالحين والعلمـاء وغـيرهم، وما في الخادم مما يخالف ذلك ضعيف لايلتفت إليـه، وكم أنكــر العلمــاء على بــاني قبة الإمــام الشــافعي- رحمه الله - وغيرها، وكفى بتصريحهم في كتبهم إنكــاراً) انتهى محل الغرض منه[2].

وقال في جواب سؤال آخـر: (يحـرم بنـاء القـبر في المقبرة المسبلة؛وهي التي اعتاد أهل البلد الـدفن فيها، ومثلها الموقوفة لذلك، سواء كـان مـدماكاً أم مـدماكين لأن الكل يسمى بناء ولوجود علة تحـريم البنـاء في ذلك وهي تحجــير الأرض على من يــدفن بعد بلاء الميت، إذ

---

1 (?) الأم (1/277).

2 (?) الفتاوى الكـبرى للإمـام العلامة أحمد بن محمد الهيثمي المكي (2/17)طبع دار الفكر ببيروت (1403هـ-1983م).

الغـالب أن البنـاء يمكث إلى ما بعد البلى، وأن النـاس يهـابون فتح القـبر المبـني، فكـان في البنـاء تضـييق للمقبرة ومنع الناس من الانتفاع بها فحرم، ووجب على ولاة الأمر هدم الأبنية الـتي في المقـابر المسـبلة، ولقد أفـتى جماعة من عظمـاء الشـافعية بهـدم قبة الإمـام الشـافعي -رحمه اللـه-وإن صـُرفت عليها ألـوف من الدنانير لكونها المقبرة المسبلة وهـذا - أعني البنـاء في المقـابر المسـبلة - مما عمّ وطم، ولم يتوقَّه كبـير ولا صغير فإنا لله وإنا اليه راجعون)[1].

وقال شيخ الإسلام الشـوكاني -رحمه الله- في النيل في شرح حـديث علي : (قولـه: **" ولا قبراً مشـرفاً إلا سويته "** فيه أن السنة أن القبر لا يرفع رفعاً كثيراً من غير فرق بين من كان فاضلاً ومن كان غـير فاضـل، والظاهر أن رفع القبـور زيـادة على القـدر المـأذون فيه محرّم، وقد صـرح بـذلك أصـحاب أحمد وجماعة من أصـحاب الشـافعي ومالـك، والقـول بأنه غـير محظـور لوقوعه من السـلف والخلـف بلا نكـير - كماقـال الإمـام يحيى[2] والمهـدي[3] في الغيث - لا يصح لأنه غاية ما فيه

---

1 (?) المرجع السابق (2/25).

2 (?) ستأتي ترجمته في الباب الأول (ص 144).

3 (?) الإمـام أحمد بن يحـيى بن المرتضـى، من كبـار أئمة الزيدية ومن عليهم المعـوَّل في الفقه بل إن كتابه (الأزهـار) هو عمـدتهم بلا منـازع. بلغ درجة الاجتهـاد وهي شـرط من شروط الإمامة عند الزيدية فبويع له بالإمامة سـنة (793هـ) ولم يتم له الأمر، له عدد كبـير من المصـنفات من أشـهرها: =

= - الأزهار وشرحه الغيث المدرار.

- البحر الزخار الجامع لمذهب علماء الأمصار.

أنهم سـكتوا عن ذلك والسـكوت لا يكـون دليلاً إذا كـان في الأمور الظنية، وتحريم رفع القبـور ظني، ومِن رفـع القبـــور الداخل تحت الحـــديث دخـــولاً أولياً القبب والمشاهد المعمـورة على القبـور، وأيضـاً هو من اتخـاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي فاعل ذلك كما سـيأتي. وكم قد سـرى عن تشـييد أبنية القبـور وتحسـينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأً لنجاح المطالب وسألوا منها ما يسـأله العبـاد من ربهم، وشدّوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا.

وبالجملة إنهم لم يدَعوا شـيئاً مما كـانت الجاهلية تفعله بالأصـنام إلا فعلـوه - فإنا لله وإنا إليه راجعـون - ومع هـــذا المنكر الشـــنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد تـوارد إلينا من الأخبـار ما لا يشك معه أن كثـيراً من هـؤلاء القبـوريين[1] أو أكـثرهم إذا تـوجهت عليه يمين من جهة خصـمه حلف بالله فـاجراً، فـإن قيل له بعد ذلـك: احلف بشـيخك ومعتقدك الـــولي الفلاني تلعثم وتلكأ وأبى واعـــترف بالحق، وهـذا من أبين الأدلة الدالة على أن شـركهم قد

- المنية والأمل في الملل والنحـل. وغيرها كثـير، تـوفي - رحمه الله - سـنة(840هـ). انظر البـدر الطـالع (1/122-126)، بلوغ المرام في شرح مسك لختـام للقاضي حسـين بن أحمد العرشي ص (410)، طبع دار إحياء التراث العربي ببيروت عني بطبعة الأب أنستاس ماري الكرملي.

1 (?) في المطبوع المقبورين وهو خطأ.

بلغ فوق شرك من قال: إنه- تعالى- ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة، فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين، أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رمادِ[1]

وقال صديق حسن خان: (أقول: الأحاديث الصحيحة وردت بالنهي عن رفع القبور، وقد ثبت من حديث أبي الهياج ما تقدم فما صدق عليه أنه قبر مرفوع أو مشرف لغة فهو من منكرات الشريعة التي يجب على المسلمين إنكارها وتسويتها، من غير فرق بين نبي وغير نبي، وصالح وطالح، فقد مات جماعة من أكابر الصحابة في عصره ولم يرفع قبورهم، بل أمر علياً بتسوية المشرف منها، ومات ولم يرفع قبرَه أصحابُه، وكان من آخر قوله: **$لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد#**، ونهى أن يتخذ قبره وثناً، فما أحق الصلحاء والعلماء أن يكون شعارهم هو الشعار الذي أرشدهم إليه ، وتخصيصهم بهذه البدعة المنهي عنها تخصيص لهم بما لايناسب العلم والفضل؛فإنهم لو تكلموا لضجوا مِن اتخاذ الأبنية على قبورهم وزخرفتها لأنهم لا يرضون بأن يكون لهم شعار من مبتدعات الدين ومنهياته، فإن رضوا بذلك في الحياة كمن يوصي من

1 (?) نيل الأوطار (4/95).

بعــده أن يجعل على قــبره بنــاء، أو يزخرفه فهو غــير فاضل، والعالم يزجره علمه عن أن يكون على قـبره ما هو مخـــــالف لهــــدي نبيه ، فما أقبح ما ابتدعه جهلة المسلمين من زخرفة القبـور، وتشـييدها، وما أسـرع ما خالفوا وصية رسول الله عند موته فجعلـوا قـبره على الصِــفة الــتي هو عليها الآن وقد شــدَّ من عضد هــذه البدعة ما وقع من بعض الفقهـــاء من تســـويغها لأهل الفضل حـــــــــــــتى دوّنوها في كتب الهداية والله المستعان...)[1].

الأسلوب الثامن - إنكاره على من طلبـوا أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها:

كما في قصة ذات أنــواط والحــديث بــذلك أخرجه الترمذي -رحمه الله- في سننه في كتـاب الفتن، بـاب " لــتركبن ســنن من كــان قبلكم " من حــديث أبي واقد الليــثي : (أن رســول الله لما خــرج إلى حــنين مــرَّ بشجرة للمشركين يقال لها: ذاتُ أنـواط، يعلِّقـون عليها أسلحتهم، قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنــواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال لهم النبي : **$سبحان الله هذا كما قال قـوم موســى: اجعل لنا إلهـاً كما لهم آلهة. والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كــان قبلكم#** قال أبوعيسى هذا حديث حسن صحيح[2].

---

1 (?)الروضة الندية شرح الدر البهية للسيد صديق حسن خـان (175-176) طبع دار النــدوة الجديــدة ببــيروت (1404هـ-1984م)

2 (?) ســنن الترمــذي (4/475) طبع شــركة مكتبة ومطبعة مصــطفى البــابي الحلــبي بمصــر، ط الأولى (1382هــ-1962م)تحقيق وتعليق إبراهيم عطوه عـوض، وقـال الشـيخ

فـــانظر- رحمك اللــــه- كيف عظَّم رســـول الله سؤالهم له أن يجعل لهم شـجرة يتـبركون بها كما يفعل المشركون وذلك بعدة أمور، منها: التسـبيح الـذي يقـال عند ســماع الأمر العظيم، ومنهــا: تشــبيه طلبهم ذلك بطلب قوم موسى حين قالوا له: **اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة**[1]، ومنها: الإخبار بالسُنَّة الماضية من اتِّبـاع هذه الأمة لغيرها من الأمم السابقة فيما وقعـوا فيه من الفتن والضلال وإقسامه على ذلك.

فهـذا كله برهـان واضح على خطـورة تلك المظـاهر الوثنية ومــاتجرُّه على الأمة من انحــراف في عقيــدتها ولهـذا حـذر العلمـاء - رحمهم اللـه- من وجـود مثل تلك الأمـاكن الـتي يعظِّمها العـوام ويتـبركون بها ويعتقـدون فيها شيئاً من النفع والضـر، أو يقومـون عنـدها بشـعائر تعبدية مبتدعة أو شــــركية، قــــال الإمــــام أبــــوبكر الطرطوشي[2] - رحمه الله - في كتابه "الحـــــــوادث والبـدع " بعد سـياق هـذا الحـديث: (فـانظروا - رحمكم الله - أينما وجــدتم ســدرة وشــجرة يقصــدها النــاس،

الألباني في صـحيحه (2/235): (صـحيح)، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط الأولى (1408هـ-1988م).

1 (?) الأعراف (138).

2 (?) الإمــــام العلامة محمد بن الوليد بن محمد الفهـــــري المعـروف بالطرطوشـي، ولد بطرطوشه ببلاد الأنـدلس، ثم رحل إلى أهل بلده في طلب العلم ثم إلى المشرق العربي، واستقر به المقام بالإسكندرية حتى توفي بها رحمه الله، ولد سنة (451هـ) وتوفي سـنة (520هــ) انظر الأعلام (7/133-134) ومقدمة كتابه الحــــوادث والبــــدع تحقيق عبدالمجيد تـــركي، طبع دار الغــرب الإســلامي ط الأولى (1410هـ-1990م).

ويعظِّمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلهـا، وينوطــون بها المســامير والخــرق، فهي ذات أنــواط فاقطعوها)[1].

وقال الإمام أبو شامة الدمشقي الشافعي[2] - رحمه اللـه- في كتابه " البـاعث على إنكارالبـدع والحـوادث" وهو يتكلم عن البدع والمحدثات المستقبحة: (ومن هـذا القسم أيضـاً: ماقد عمَّ به الابتلاء من تـزيين الشـيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد[3] وسـرْج مواضع في كل بلد يحكي لهم حـاكٍ أنه رأى في منامه بها أحـداً ممن شهر بالصـلاح والولايـة، فيفعلـون ذلك ويحـافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله وسننه، ويظنون أنهم متقربـون بذلك، ثم يتجاوزون هـذا إلى أن يعظم وقع تلك الأمـاكن في قلـوبهم، فيعظمونها ويرجـون الشـفاء لمرضـاهم وقضاء حـوائجهم بالنـذر لهـا؛وهي ما بين عُيـونٍ وشـجرٍ

1 (?) الحــوادث والبــدع للإمــام محمد بن الوليد الطرطوشي (ص105).

2 (?)الإمــام الحافظ المجتهد شــهاب الــدين أبو القاسم عبدالرحمن بن إسماعيل الدمشقي الشافعي المعروف بأبي شـامة، قـال عنه السـخاوي (كـان عالمـاً راسـخاً في العلم، مقرئـاً محـدثاً نحويـاً، يكتب الخط المليح المتقن مع التواضع والانطـراح والتصـانيف العـدة) ولد سـنة (599هـ) وتـوفي - رحمه الله - سنة (665هـ). انظر: البداية والنهاية (13/250-251)، والإعلان بـالتوبيخ (ص60) طبع دار الكتـاب العـربي طبعة مصورة عن نسختي الأستاذ المحقق أحمد باشا تيمـور (1403 هـ-. 1983م).

3 (?) التخليـق: أي طليها بـالخلوق (والخلـوق: طيب معـروف يتخذ من الزعفــران وغــيره من أنــواع الطيب، وتغلب عليه الحمـرة والصـفرة) لسـان العـرب(10/91)، و(العُمُـد: جمع عمود) وانظر المعجم الوسيط (2/626).

وحائـطٍ وحجـر. وفي مدينة دمشق - صـانها الله تعـالى من ذلك- مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما، والعمود المخلق داخل باب الصغير، والشــجرة الملعونة اليابسة خـــارج بـــاب النصر في نفس قارعة الطريق - سهَّل الله قطعها واجتثاثها من أصلها- فما أشبهها بـذات أنواط الوارد في الحديث...)[1] وذكر الحديث السابق.

فـانظر كيف فهم العلمـاء- رحمهم الله تعـالى - من هـذا الحـديث النهي عن هـذه المظـاهر الوثنية القبورية وأنها تـؤدي إلى الشـرك بالله تعـالى وعبـادة غـيره كما قـــال ابن القيم[2]-رحمه الله تعـــالى-: (فما أسرع أهل الشـرك إلى اتخـاذ الأوثـان من دون اللـه، ولو كـانت ما كـانت. ويقولـون: إن هـذا الحجر وهـذه الشـجرة وهـذه العين تقبل النـذر. أي تقبل العبـادة من دون الله تعـالى فإن النذر عبادة وقربـة، يتقـرب بها النـاذر إلى المنـذور لــه، ويتمســحون بــذلك النصب ويســتلمونه، ولقد أنكر

---

1 (?) الباعث على إنكار البدع والحـوادث للشـيخ عبد الـرحمن بن إسماعيل المعـروف بـأبي شـامة الدمشـقي ص (101). طبع دار الراية للنشر والتوزيع الريــــــــاض الطبعة الأولى (1410هـ- 1990م)

2 (?) العلامة المحقق الأصـولي الفقيه النحـوي شـمس الـدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن أيــوب الــزرعي الدمشــقي المعروف بابن قيم الجوزية، صحب الإمــام ابن تيمية ووافقه في كثـير من آرائه دون تقليد وأُوذي وحبس معه حـتى مـات شـيخه فـأفرج عنـه، تعتـبر كتبه شـجىً في حلـوق المبتدعة وقرة عين لأهل السنة، لاسيما زاد المعـاد الـذي لاتكـاد تخلو منه مكتبة عالم موافق له أو مخالف رحمه اللـه، ولد سـنة (691هــ) وتـوفي سـنة (751هــ). انظر ترجمتـه: في البداية والنهاية (14/234-235) والدرر الكامنة (3/400-403).

السـلف التمسح بحجر المقـام الـذي أمر الله تعـالى أن يتخذ منه مصـلى كما ذكر الأزرقي[1] في كتـاب " تـاريخ مكة " عن قتـــادة في قوله تعـــالى: **واتخـــذوا من مقام إبراهيم مصلى**[2] قال: **(**إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هـذه الأمة شـيئاً ما تكلفته الأمم قبلهـا، ذكر لنا من رأى أثــره وأصــابعه فمازالت هـذه الأمة تمسـحه حـتى اخلولـق)[3]. وأعظم الفتنة بهذه الأنصـاب فتنة القبـور وهي أصل فتنة عبـادة الأصـنام كما قاله السـلف من الصـحابة والتـابعين وقد تقدَّم)[4].

وعلى ذلك فإن تنبيه رسول الله لأصحابه، هو تنبيه للأمة كلها ألا يتبعوا الأمم الضالة فيما سلكوه من ســبل الضلال، ومن أهمها وسائل الشرك.

الأســـلوب التاسع - **نهيه أن يـــذبح لله في مواضع الشرك وأعياد الجاهلية:**

فقد روى أبــوداود من حــديث ثــابت بن الضــحاك

---

1 (?) الإمام الشـيخ محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي المكي صاحب أول تاريخ موجود لمكة المكرمة، مات سنة (250هـ) انظـر: مقدمة كتابه أخبـار مكة طبع مطـابع دار الثقافة بمكة تحقيق رشــــدي الصــــالح ملحس الطبعة الثامنة (1416هـ-1996 م)، الأعلام (6/222).

2 (?) البقرة (125).

3 (?) أخبـار مكة وما جـاء فيها من الآثـار لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي (2/29-30).

4 (?) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان للإمــام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (1/212) طبع دار المعرفة ببـــــــيروت بتحقيق محمد حامد الفقي.

قال: (نـذر رجل على عهد النـبي أن ينحر إبلاً ببوانة[1] فأتى النبي فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال النبي : **$هل كـان فيها وثن من أوثـان الجاهلية يعبـد؟ قـالوا: لا، قـال: هل كـان فيها عيد من أعيادهم، قـالوا: لا، قـال النـبي : أوفِ بنـذرك فإنه لانذر في معصـية الله ولافيما لا يملك ابن آدم#**[2].

فالرسول استوضح السائل عن سر تخصيصه لذلك المكـان بالـذبح فيه، لأنه ربما كـان فيه وثن من أوثـان الجاهلية يـــذبح له من دون الله، أو كـــان فيه عيد من أعيادهم، وخشي أن يكون ذلك السائل أراد التشـبه بهم في ذلــك، أو أنه بقي لديه شـــيء من آثــار تعظيم ذلك المكان، فلما أجاب السـائلُ بـالنفي أجـاز النـبي نـذره وأمره بالوفاء بـه، معلنـاً له وللأمة كلها أنه لاوفـاء لنـذر في معصـــية اللـــه، ومن ذلك يفهم أنه لوكـــان في ذلك المكان وثن يعبد، أو عيد من أعياد الجاهليـة، لكـان ذلك النذر بتخصيص ذلك المكان معصية ولما جاز الوفاء بـــه، ومـاذاك إلا لاستئصـال كل مـايؤدي إلى تعظيم الأمـاكن التي يؤدي تعظيمها إلى إفساد العقيدة، وإيجاد نـــوع من التعظيم القلبي الذي يوجب الشرك بالله في ذلك.

---

1 (?) بضم الموحـدة وبعد الألف نـون وقيل بفتح البـاء: هضـبة من وراء ينبع. انظر: عون المعبود (9/140)

2 (?) رواه أبـوداود (9/140) مع عـون المعبـود وقـال الشـيخ عبـــدالقادر الأرنـــاؤوط في تعليقه على جـــامع الأصـــول: (وإسـناده صـحيح) (11/140) جـامع الأصـول في أحـاديث الرســـول طبع دار الفكر بـــيروت ط الثانية (1403 هـــ - 1983 م)، وكـذلك صـححه الشـيخ الألبـاني في صـحيح أبي داود (2/636).

قــال شــيخ الإســلام ابن تيمية[3] - رحمه اللــه- في "اقتضاء الصـراط المسـتقيم مخالفة أصـحاب الجحيم": (وهذا يدل على أن الذبح بمكـان عيـدهم ومحل أوثـانهم معصية لله من وجوه:

أحــدها - أن قوله **$فــأوفِ بنــذرك#** تعقيب للوصف بــالحكم بحــرف الفــاء وذلك يــدل على أن الوصف هو

---

3 (?) شـيخ الإسـلام وعلم الأعلام ومجـدد القـرن الثـامن أبو العبـاس تقي الـدين أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسـلام بن تيمية الحــراني ثم الدمشــقي، لايفي بــالتعريف به أســطر قليلة، كيف وقد أفردت لترجمته مؤلفات جليلـة، كـان رحمه الله أمة في عصــره وبعد عصــره، جمع الله له من أبــواب الخير مالم يجمعه لسواه منذ القـرون الأولى للإسـلام؛ جاهد في الله حق جهاده بسـنانه ولسـانه وبنانه حـتى أتـاه اليقين، وهو مجدد منهج السلف الصالح وليس مبتـدعا فيه كما ير يد أن يلبسه ذلك أعداء السنة الذين يحاربونها بـالطعن في ذاته الشريفة، ورافع لـواء التوحيد وليس مخترعـاً سـبيله، تـوفي رحمه الله مسـجوناً في ذات الله من أجل إعلان كلمة الحق في زمن يضيق بها أهله، وتصغر عن فهمها عقولهم، وتتضرر به مصالحهم فنشر بـذلك ذكـره وعلا قـدره ومـات وانـدرس ذكـرُ وقـدرُ مناوئيه فلايكـاد يـذكرهم أحد بخـير. ولد سـنة (661هــ) وتـوفي رحمه الله سـنة(728هــ) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للإمـام للـذهبي==(4/1496 -ـ 1497) طبع دار الكتب العلمية بــيروت بــدون تــاريخ، والبداية والنهاية (14/135 -ـ 140)، والتذكرة والإعتبار والانتصار للأبـرار في الثناء على شيخ الإسلام والوصاية به لعماد الـدين الواسـطي طبع دار العاصــمة بالريــاض ط الثانية (1415هـ-1994 م) تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي، والأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لعمر بن علي البزّار طبع المكتب الإسلامي بيروت ط الثانية (1396هـ) تحقيق زهير الشاويش، والجامع لسيرة شــيخ الإســلام ابن تيمية خلال ســبعة قــرون لمحمد عزيز

سبب الحكم فيكون سبب الأمر بالوفاء وجود النذر خالياً من هذين الوصفين فيكون الوصفان مانعين من الوفاء ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به.

الثاني - أنه عقب ذلك بقوله: **$لاوفاء لنذر في معصية الله#** ولولا اندراج الصورة المسؤول عنها في هذا اللفظ العام، وإلا لم يكن في الكلام ارتباط والمنذور في نفسه وإن لم يكن معصية لكن لما سأله النبي عن الصورتين قال له: **$فأوفِ بنذرك#** حيث ليس هناك مايوجب تحريم الذبح هناك، فكان جوابه فيه أمراً بالوفاء عند الخلو من هذا، ونهى عنه عند وجود هذا، وأصل الوفاء بالنذر معلوم، فبين ما لا وفاء فيه.

الثالث - أنه لوكان الذبح في موضع العيد جائزاً لسوغ للناذر الوفاء به كما سوّغ لمن نذرت الضرب بالدف أن تضرب به بل لأوجب الوفاء به إذ كان الذبح بالمكان المنذور واجباً. وإذا كان الذبح بمكان عيدهم منهياً عنه فكيف بالموافقة في نفس العيد بفعل بعض الأعمال التي تعمل بسبب عيدهم...) ثم أخذ يتكلم عن العيد واشتقاقاته ثم قال: (... ومعلوم أن ذلك إنما هو لتعظيم البقعة التي يعظمونها، بالتعييد فيها، أو لمشاركتهم في التعييد فيها، أو لإحياء شعار عيدهم فيها، ونحو ذلك. إذ ليس إلا مكان الفعل أو نفس الفعل أو زمانه.

فإن كان من أجل تخصيص البقعة - وهو الظاهر - فإنما نهى عن تخصيص البقعة لأجل كونها موضع عيدهم، ولهذا لما خلت من ذلك أذن في الذبح، وقصد التخصيص باق، فعلم أن المحذور تخصيص بقعة عيدهم.

وإذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذوراً، فكيف نفس

شمس وعلي العمران طبع دار عالم الفوائد مكة ط الأولى (1420هـ).

عيـدهم؟. هـذا كما أنه لما كرهها لكونها موضع شـركهم بعبـادة الأوثـان كـان ذلك أدل على النهي عن الشـرك وعبادة الأوثان... فإذا كان قد نهى أن يـذبح في مكـان كان الكفار يعملون فيه عيداً - وإن كان أولئك الكفار قد أسلموا وتركوا ذلك العيد، والسائل لايتخذ المكان عيداً، بل يذبح فيه فقط - فقد ظهر أن ذلك سـداً للذريعة إلى بقـاء شـيء من أعيـادهم؛خشـية أن يكـون الـذبح هنـاك سبباً لإحياء أمر تلك البقعة؛وذريعة لاتخاذها عيداً)[1].

وقـال الملا علي القـاري - رحمه الله - في شـرح المشـكاة: (وهـذا كله احـتراز من التشـبه بالكفـار في أفعالهم)[2].

1 1 اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشـيخ الإسـلام ابن تيمية تحقيق الـدكتور ناصر العقل (1/440-443) ط الأولى (1404 هـ) ليس عليه اسم الدار، مع شيء من الاختصار.

2 (?) المرقاة (6/609).

المبحث الثالث: هدي الإسلام في التعامل مع القبور وزيارتها

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: موازنة الإسلام بين مصالح الأحيـاء والأمـوات بالحفاظ على كرامة الأموات وعقيدة الأحياء:

من مزايا الإسلام شموله وكماله، ووسطيته واعتداله، وموازنته بين المصالح والمفاسد؛ بحيث لا يحث على جلب منفعة يترتب عليها حدوث مفسدة، أو تفويت مصلحة أعظم منها، ومن هذا المنطلق جاءت نظرته إلى مقابر المسلمين، فحفظت للأموات كرامتهم وشرعت ما فيه مصلحتهم، ونهت عن تقديس القبور تقديساً يؤدِّي إلى تعظيمها في نظر الأحياء وافتتانهم بها والاعتقاد في أصحابها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله.

فنهى رسول الله عن امتهان المقابر بجعلها مواطن لقضاء الحاجة[1]، وعن وطء القبور[2]، والجلوس

---

1 (?) لما رواه ابن ماجه من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله : (لأن أمشي على جمرة أوسيف أو أخصف نعلي برجلي، أحب إليَّ من ان أمشي على قبر مسلم، وما أبالي أوسط القبور قضيت حاجتي أو وسط السوق)، كتاب الجنائز باب ما جاء في النهي عن المشي على القبور والجلوس عليها (1/499)، وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (1/261)، طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج ط الثالثة (1408هـ-1988 م).

2 (?) للحديث السابق.

عليها[1]، وعن كسر عظـــام الميت[2]، وحــــذر علمـــاءُ المسلمين وفقهاؤهم من نبش القبور لغير مصلحة تعود على الميت أو ضـــــــــرورة تلجىء إلى ذلك[3]، وأرشد الرســول الماشي بين القبــور أن يخلع نعليه[4]، وهــذه الأمــور فيها غاية الحفـاظ على قبــور المســلمين، وغاية التكريم لأمواتهم.

---

1 (?) لحــديث أبي هريــرة قــال: قــال رســول الله : $لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحـرق ثيابـه، فتخلص إلى جلـده، خير له من أن يجلس على قبر مسلم#. رواه مســلم كتـاب الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبنـاء عليه والجلـوس عليه (7/37- 38) مع النووي.

2 (?) لحــديث عائشة رضي الله عنها أن رســول قــال: $إن كسر عظم المــؤمن ميتــاً مثل كســره حيــاً# رواه أحمــد(6/58) وأبو داود في كتــاب الجنــائز بــاب في الحفــار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان؟ (2/231)، وابن ماجه كتـاب الجنــــائز بــــاب في النهي عن كسر عظم الميت (1/516)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (2/618).

3 (?) انظر المجموع للإمام النووي تحقيق الشيخ محمد نجيب المطيعي(5/246، 266-ـ 277) طبع مكتبة الإرشــاد جــده بدون تاريخ.

4 (?) لحديث بشر مولى رسول الله وفيه: (أن رســول الله رأى رجلاً يمشي بين القبــور عليه نعلان فقــال: $ياصــاحب الســبتيتين ويحك ألق ســبتيتيك#. فنظر فلما عــرف رســول الله خلعهما فــرمى بهمــا) رواه أبو داود في كتــاب الجنــائز باب المشي في النعل بين القبور(2/236)، وحســنه الشــيخ الألباني في صحيحه (2/622)، وكذا روى نحوه ابن ماجه في كتــاب الجنــائز بــاب ماجــاء في خلع النعلين في المقــابر (1/499) وحسنه الشيخ الألباني في صحيحه (1/261).

3 ورد ذلك من حديث ابن عبــاس وأبي مرثد الغنــوي وقد ســبقا مع تخريجهما ص (41).

وحتى لا يؤدِّي تكـريم أمـوات المسـلمين، والحفـاظ عليهم إلى تقديسـهم والغلوّ فيهم، فقد نهى رسـول الله ﷺ عما يـؤدي إلى ذلك. فنهى عن الصـلاة على القبـور وإليهـا[1]، ونهى أن تتخذ مسـاجد[2]، وعن تجصيصـها والبنـاء عليها والكتابة عليها[3]، وأمر بتسـوية القبـور المشرفة التي ترفع فوق الحد الذي يسمح به الشرع[4]، وقد عقل الصـحابة والتـابعون لهم بإحسـان، والأئمة المقتدى بهم ذلـك، وحـافظوا على ذلك الهدي الصـالح، والطريقة الرشيدة حتى نهاية القرون المفضـلة، عنـدما آلت ولاية المسـلمين إلى الـروافض والباطنية فغيّـروا وبدّلوا وأماتوا سنة الرسـول ﷺ وأصـحابه، ونشـروا سـنة اليهـود والنصـارى في بلاد المسـلمين، وتبعهم على ذلك جهلة الحكام، ومنحرفو المتصـوفة، حـتى شـاع ذلك في بلاد المسـلمين، وصـار هو الغـالب على كثـير منها رغم تحذير العلماء وتقرير الفقهاء، وصـيحات الغيـورين على سنة المصطفى ﷺ)[5].

المطلب الثـاني: تعامل الصـحابة مع ما عـرف من قبـور الأنبياء:

---

1 4 صح بـذلك الأحـاديث عن جماعة من الصـحابة رضي الله عنهم انظر طائفة منها ص (42).

2 5كما في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما وقد سبق ص (47)

3 6 صح ذلك من حديث فضـالة بن عبيد وعلي بن أبي طـالب رضي الله عنهما وقد سبقا مع تخريجهما ص (51).

4 7 الكشف المبين عن حقيقة القبـوريين زيـارة هـود وما فيها من ضـلالات ومنكـرات للبـاحث ص (39-40)ط الأولى (1420هـ- 1999 م).

5

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى - تعاملهم مع قبر النبي ﷺ:

لقد مرت بنا أحاديث لعن النبي ﷺ اليهود والنصارى؛ حيث اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد[1]، وأن ذلك كان في آخر حياته ﷺ[2]، بل كان آخر ذلك في حال نزول الموت به ﷺ[3]، وقدصرحت عائشة رضي الله عنها أنه كان **$يحذرماصنعوا#**، وصرحت أن الصحابة لم يبرزوا قبره لتلك العلة.

وهذا الذي فهمته عائشة من أحاديث الرسول ﷺ التي لعن فيها اليهود والنصارى لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد- هو الفقه الصحيح والفهم الثاقب اللائق بها رضي الله عنها، وليس هو فهمها وحدها رضي الله عنها، وإنما فَهْمُ الصحابة جميعاً، والدليل على ذلك أنهم دفنوه كما يدفن سائرالمسلمين لم يميّزوه بشيء عن سائر الموتى إلاوضع قطيفة في لحده[4] حيث لا يخشى من ذلك أي تأثير علىعقائدالناس إذ لم تكن ظاهرة لهم ولا يمكن أن يفتتن بها أحد. وأما هيئة القبر فإنه كسائر القبور، فقد روى البخاري - رحمه الله - عن سفيان التمار أنه (رأىقبر النبي ﷺ مسنماً)[5]. قال الحافظ: (أي

---

1 (?)من ذلك حديثان عن عائشة وحديث عنها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انظر فيما تقدم ص (45) وحديث جندب ابن عبدالله وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما ص (47).

2 (?) تقدم تخريجه ص (47).

3 (?)تقدم تخريجه ص (44).

4 (?) مسلم مع النووي(7/34)كتاب الجنائز باب جعل القطيفة في القبر.

5 (?) البخاري مع الفتح (3/255) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النبيﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

مرتفعاً)[1].

قلت: الارتفاع المشـروع فقـط، يفسـره مـارواه أبو داود والحـاكم وقـال: صـحيح الإسـناد ولم يخرجـاه عن القاسم بن محمد قــــال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: ياأمــاه اكشــفي لي قـــبر رســـول الله وصاحبيه فكشفت لي عن ثلاثة قبور لامشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء)[2] وزاد الأمر وضـوحاً مارواه الآجُرّي في كتـاب صـفة قـبر النـبي من طريق إسحاق بن عيسى بن بنت داود بن أبي هند عن غنيم بن بسطام المدني قال: رأيت قـبر النـبي في إمـارة عمر بن عبدالعزيز فرأيته مرتفعاً نحواً من أربع أصابع ورأيت قـبر أبي بكر وراء قـبره ورأيت قـبر عمر وراء قـبر أبي بكر أسفل منه)[3].

فهذه الروايات تبين ما كان عليـه قـبر النـبي وقـبر صــاحبيه، وأنهــا ليس عليهــا أي أثر من آثــار التعظيم والتقــديس، وإنما هي قبــور عادية كســائر القبــور، لا مجصصة، ولا مرتفعة، وليس عليها تــوابيت، ولا ســرج، ولا ثيـاب، ولا أي شـيء مما ابتدعته القبورية فيما بعـد، وهـذا كله يحقق لنا هدي النـبي وأصـحابه في القبـور،

---

1 (?) المرجع السابق (3/257).

2 (?) رواه أبوداود (2/234) كتاب الجنائز باب تسـوية القبـور، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (4/3) كتـاب الجنـائز بـاب تسـوية القبـور وتسـطيحها طبع دار المعرفة بـيروت بـدون تاريخ، ورواه الحاكم أيضـاً (1/700-ـ 701)طبع دار المعرفة بيروت ط الأولى (1418 هـ -1998 م)، وقال الأرناؤوط في نخريج جامع الأصول(11/82) " إسناده حسن ".

3 (?) الفتح (3/255) كتاب الجنائز باب ماجاء في قبر النـبي وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وأنَّ ما خالفه إنما هو هــدي اليهــود والنصــارى الــذين استحقوا اللعن على ذلك.

وكمـافهم الصـحابة من تلـك الأحـاديث أنه لا يجـوز إضـــــفاء ملامح العظمة على قبر النـــــبي وقبـــــور المسلمين، كذلك فهمـوا أنه لو أبـرز قـبر النـبي لربما أدَّى الى ان يفتتن النــاس بــه، وأن يعملــوا عنــده مالا يجــــوز، وذلك جَعَلَه يـــــدعو ربه أن يجنبه إيـــــاه، ولقد استجاب الله دعاءه، وحمـاه بما فعله الصـحابة رضـوان الله عليهم، ثم التابعون رحمهم الله كماقـال الإمـام ابن القيم-رحمه الله-:

فأجـاب ربُّ العـالمين دعـاءه وأحاطه بثلاثة الجدرانِ

حتى غدت أرجـاؤه بدعائه في عِـزّةٍ وحمايـةٍ وصيانِ

ففي عهد الصحابة كان في بيت عائشة -رضي الله عنها- وكـان لا يـدخل عليه ولا يصل إليه أحد إلا بإذنهـا، ولم يُنقَــل أن النــاس كــانوا يســتأذنونها لزيارته، وإنما يســلمون من المســجد ثم ينصــرفون، ثم دفن معه أبو بكر ثم عمر ولم يدفن عمر إلا بإذنها -رضي الله عنها- وقد روى قصة دفنه مع صــاحبيه البخــاري -رحمه الله- في صحيحه[1]، ومما يؤيد أن القبر كان بعيداً عن أنظـار النـــــاس وعن وصـــــولهم إليه؛ قصة القاسم بن محمد المتقدمة قريبــاً في هــذا البحث، وأنه عنــدما رغب في رؤية القــبر اســتأذن عائشة في ذلك فكشــفت له عن القبور، أي أنها فتحت الباب وكشفت الستارة التي على

---

1 (?)البخاري مع الفتح (3/256)كتاب الجنـائز بـاب ماجـاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

الباب الذي في الجدار الـذي بنته عنـدما دفن عمر مع النبي وأبي بكر ليكون حائلاً بينها وبين القبور[1]، وهـذا دليل قوي على أن القبور كانت في غاية الصـيانة والبعد عن وصـول النـاس، حـتى أقـرب النـاس إلى عائشة لا يرونها إلا بإذن منها رضي الله عنها،

ومما يؤكد ذلك أيضـاً ما رواه البخـاري في صـحيحه عن هشــام بن عــروة عن أبيــه: (لما ســقط عليهم الحائط[2] في زمـــان الوليد بن عبد الملك أخــــذوا في بنائه، فبدت لهم قدم ففزعـوا وظنـوا أنها قـدم النـبي فما وجدوا أحداً يعلم ذلك حتى قال لهم عـروة، لا والله ما هي قدم النبي ، ما هي إلا قدم عمر بن الخطـاب)[3]، فـانظر كيف كـان ذلك الجمع الحاضـر لتلك الحادثة غير مميز لمواقع القبـور بعضـها من بعض مما يؤكد أنها كانت محجوبة عنهم لا يعرفون عنها شيئاً.

ومما يؤكد أن القــبر الشــريف كـان محجوبـاً عن النـاس، لا يصـلون اليه إلا بطريقة غـير مـأذون فيها، ولا مقـــــرة من أهل العلم وأولي الأمر، حـــــديث علي بن الحسـين زين العابـدين -رحمه الله- أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كـانت عند قـبر النـبي فيـدخل فيها فنهـاه،

---

1 (?) انظر وفاء الوفاء (2/544)طبع دار إحياء التراث العربي بـــيروت ط الرابعة (1404هـ-1984 م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

2 (?)أي حائط بيت عائشة رضي الله عنها وذلك عنـــدما أراد عمر بن عبدالعزيز رفع الحائط حول الحجـرة الشـريفة حيث رأى بعض النـاس يصـلون إلى القـبر فلما حفر حـول الحائط القديم انهدم فبدت تلك القدم، انظر الفتح (3/257).

3 (?) البخاري مع الفتح(3/255) كتاب الجنائز بـاب ماجـاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما0

وقـال: ألا أحـدثك حـديثاً سـمعته من أبي عن جـدي عن رسـول الله قـال: **$لا تتخـذوا قـبري عيـداً ولا بيـوتكم قبـوراً وصـلوا علي فـإن تسـليمكم ليبلغـني أين كنتم#**[1]. فـأنت تـرى أن الرجل كـان يـدخل من فرجـة، إذاً هنـاك جـدار محيط بـالقبر مغلق عليه غـير أن فرجة فتحت بـأيّ سـبب من الأسـباب استغلَّها ذلك الرجل، فصار يدخل إلى عند القـبر فيسلّم على النبي ، فنهاه ذلك الإمام العظيم علي بن الحسين زين العابدين -رحمه الله-، والجدار الذي أشـرتُ اليه هو جـدار حجـرة عائشة رضي الله عنها الـتي سبقَ أن أشـرتُ إليها فيما مضى وهذا -رواية سـقوط جـدار عائشة- من أوضح الأدلة على ما ذكرت من حجب القبر عن النـاس وكـذلك -رواية زين العابـدين- على موقف علماء السلف ممن يحـاول أن يصل إلى القـبر ظانـاً أن في ذلك قُرْبى وفضيلة، والله أعلم.

المسألة الثانية - تعاملهم مع قبر النبي دانيال عليه السلام[2]:

لقد تعلَّم الصحابة من رسول الله أن سبب حدوث الشرك في العالم هو الغلوّ في الصـالحين، وفهمـوا من نهيه المكثف آخر حياتـه، وفي مـرض موتـه، أن قبـور

---

[1] (?) رواه أحمد في المسـند (2/367)، وأبو داودفي كتـاب المناسك باب زيارة القبور(1/622)برقم (2042)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (1/361) رقم (469)، وقـال المحقق عبدالقادر الأرناؤوط في تخـريج كتـاب التوحيد للشـيخ محمد بن عبد الوهاب طبع دار السـلام الريـاض 1413ه (ص 90): وهوحديث صحيح بشواهده وطرقه حسنة.

[2] (?) يقال إنه أحد أنبياء بني إسـرائيل الـذين أسـرهم بختنصر وسـار بهم إلى بابل وأنه مـات ببلد السـوس، انظر البداية والنهاية (2/325)وانظر خبره (2/40-42).

الأنبيـاء والصـالحين لا يجـوز تعظيمها، وأن اليهـود والنصـارى اسـتحقوا اللعن حينما بنـوا المسـاجد على قبورهم، وصوَّروا فيها صورهم، لـذلك تعـاملوا مع قـبره بالشـكل الـذي سـبق في المسـألة الأولى من هـذا المطلب.

وعندما انسابت جيوش المسلمين في أرجـاء الأرض فاتحةً -تقتلع الشـرك من النفـوس، وتقتلع وسـائله ومظـاهره من على وجه الأرض، ووصل جيش أبي موسى الأشـعري مدينة تَستُر[1] -وجـدوا رجلاً يعظِّمه أهل البلد، ويسـتنزلون به الغيث، ويتوسـلون به إلى ربهم، ويذكرون أنه النبي دانيال أحد أنبياء بني إسـرائيل الذين أُتيَ بهم إلى هـذه الجهة أيـام بختنصر، فخشي أن يبقى بين النـاس فيفتتنـون به، ويغلُـون فيه، فعمل على إخفائه، وإبعاده عن متناول الناس، وطمس قـبره؛ حـتى لا يعرفه أحد أبـداً، ولم يشـفع كونه نبياً أو صـالحاً أن يبرزه أو يميِّز قبره.

قال الإمام ابن كثـير-رحمه الله تعـالى- في تاريخـه: (وقال يونس بن بكيرعن محمدبن إسـحاق عن خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قـال: لما افتتحنا تَستُر وجـدنا في بيت الهرمـزان سـريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصـحف، فأخـذنا المصـحف فحملنـاه الى عمر بن الخطاب، فدعا له كعباً فنسخه بالعربيـة، قـال: فأنا أول رجل من العـرب قـرأه، قرأته مثلما أقـرأ القـرآن هـذا، فقلت: لأبي العالية ما كان فيه؟ قـال: سـيركم وأمـركم ولحـون كلامكم وما هو كـائن بعـد، قلت: فما صـنعتم

---

1 (?) تَستُر: هي أعظم مدينة بخوزسـتان من بلاد العجم. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (2/29).

بالرجـل؟ قـال: حفرنا بالنهـار ثلاثة عشر قـبراً متفرقة، فلما كان الليل دفنـاه وسوَّينا القبـور كلهـا، لتعميته على الناس فلا ينبشونه قلت: فما يرجون منـه؟ قـال: كـانت السـماء اذا حبست عنهم بـرزوا بسـريره فيمطـرون، قلت: مَن كنتم تظنـون الرجـل؟ قـال: رجل يقـال له دانيـال، قلت: منذ كم وجـدتموه قد مـات؟ قـال: منذ ثلاثمائة سنة، قلت ما تغـير منه شـيء؟ قـال: لا، إلا شعرات من قفاه، إن لحـوم الأنبيـاء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع. وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية)[1].

قلت: قد يطعن البعض في هـذه الرواية لقوله فيها: (منذ ثلاثمائة سنة) إذ من المعلـوم أن آخر رسل وأنبيـاء بـني إسـرائيل هو عيسى عليه السـلام، وأنه لا نبي بينه وبين نبينا محمد ﷺ، وأنه من المتفق عليه أن ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام أكـثر من ثلاثمائة سنة بكثير، وكان ابن كثـير قد أجـاب عن هـذا الإشـكال فقال: (ولكن إن كان تـاريخ وفاته محفوظـاً من ثلاثمائة سنة فليس بنبي بل هو رجل صالح لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في البخـاري[2] والفـترة الـتي كـانت بينهما أربعمائة سـنة، وقيل ستمائة، وقيل ستمائة وعشرون سـنة، وقد يكـون تـاريخ وفاته من ثمانمائة سـنة، وهو قـريب من وقت دانيال، إن كـان كونه دانيـال هو المطـابق لما في نفس

---

1 (?) البداية والنهاية (2/40).

2 (?)البخاري مع الفتح (6/477-478) كتاب الأنبياء بـاب قـول الله: ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾ ولفظـه: (أنا أولى الناس بابن مـريم، والأنبيـاء أولاد علات ليس بيـني وبينه نبي) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الأمر، فإنه قد يكـــــون رجلاً آخر، إما من الأنبيـــــاء، أو الصالحين، ولكن قـربت الظنـون أنه دانيـال؛ لأن دانيـال كـان قد أخـذه ملك الفـرس فأقـام عنـده مسـجوناً كما تقـــدم)[1]. قلت: كيفما كـــان الأمر فموضع الشـــاهد محفـوظ لنا وهو أن الصـحابة منهجهم الـذي تلقَّوه من النبي هو طمس القبور، وإخفاؤها سـواء كـانت لأنبيـاء أو صالحين أو غيرهم، بل كلما كان العبد ذا منزلة أعظم كانت عنايتهم بإخفاء قـبره أكـبر لأن خـوف الفتنة حينئذ أشد.

المطلب الثـــالث: كيف تصرَّف التـــابعون حين اضطروا إلى توسعة المسـجد ليشـمل الحجـرة النبوية موضع القبر الشــريف في خلافة الوليد بن عبدالملك؟!

كـان الوليد بن عبد الملك[2] من أشـهر خلفـاء بـني أُميَّة، وهو أكـثرهم عنايةً بالبنـاء والعمـران حـتى لقب مهنـدس بـني أميَّة[3]، وكـان بين بـني أمية وآل علي بن أبي طـالب عـداء تـاريخي كما هو معلـوم، فلا يرضى خلفـاء بـني أمية أن يتمـيز عنهم آل علي بـأي فضـيلة، وكـان بيت فاطمة رضي الله عنها ضـمن أبيـات النـبي الواقعة على الحد الشرقي للمسجد النبوي على صاحبه أفضل الصـلاة والسـلام، فتـوافقت رغبة الوليد في بنـاء المســـجد، وتشـــييده بما يليق به وبعظمة الخلافة في

---

1 (?) البداية والنهاية (2/40- 41).

2 (?) ولي الخلافة سنة (86 هـ) وتوفي سنة (96هـ).

3 (?)الشامل في تاريخ المدينة (1/396) للـدكتور عبد الباسط بدر الطبعة الأولى (1414هـ-1993 م).

عهده مع الرغبة في إلغاء تلك الميزة التي يتميز بها بنو علي بسكناهم في بيت فاطمة رضي الله عنها جوار المسجد، وبين أبيات النبي ، فصمم على تنفيذ ذلك المشروع وهو توسعة المسجد من جوانبه الأربعة، وإدخال حجر أمهات المؤمنين وحجرة فاطمة وحجرة عائشة رضي الله عنهن جميعاً في المسجد إضافة إلى أن بعض المؤرخين قد ذكروا أن بعض جدران الحجرة قد بدأ فيه الخلل نتيجة القِدَم[1]، وعندما وصل خطابه بذلك إلى واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز جمع الفقهاء العشرة[2] ووجوه الناس، وأخبرهم بما أمر به

---

1 (?) انظر لهذه المبررات كلها المرجع السابق (1/395-396).

2 4 وهم: سعيد بن المسيب (ت93هـ) وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود (ت94هـ) وعروة بن الزبيربن العوام (ت94هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت 106هـ)، وأبوبكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي (ت94هـ)، وسليمان بن يسار مولى ميمونة رضي الله عنها (ت100هـ)، وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري (ت100هـ). هؤلاء هم الفقهاء السبعة يجمعهم هذان البيتان:

إذا قيل من في العلم سبعة أبحرٍ روايتهم ليست عن العلم خارجة

فقل هم عبيدالله عروة قاسم سعيد أبوبكر سليمان خارجة

ولعل تكملة العشرة هم: سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب (ت106هـ)، وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف (ت 104هـ)، وأبان بن عثمان (ت105هـ). وانظر: سير أعلام النبلاء (4/354)، و الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (1/291-294). للشيخ محمد الحسين الحجوي الثعلبي الفاسي طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة (1397هـ-

الوليد فأنكروا ذلك، وكرهوه، ورأوا أن بقاء بيـوت النـبي على حالها أدعى للعبرة، والاتعاظ، فكتب عمر بن عبد العزيز للوليد فـرد بإنفـاذ الأمر وعــزم على عمر بــذلك فنفذ ما أمر به[1]، وعارض في ذلك سعيد بن المســيب، قـال ابن كثـير-رحمه الله-: (كأنه خشـيَ أن يُتَّخذَ القـبر مسجداً والله أعلم)[2].

وأصــرحُ من ذلك ما نقله الســمهودي عن عــروة بن الزبــير أنه قــال: (نــازلت عمر بن عبد العزيز في قــبر النبي ألا يجعل في المسجد أشد المنازلة فأبى وقــال: كتاب أمير المؤمنين لابد من إنفاذه، قال قلت: فإن كان ولابد فــاجعلوا له حوجــواً - قــال الســمهودي: (أي وهو الموضع المزور خلف الحجرة)[3].

قلت: وهذا العمل الذي أشار به عــروة - رحمه الله- هو الذي ذكـره الإمـام النـووي -رحمه الله - حيث قـال: (ولما احتـاجت الصـحابة[4] رضـوان الله عليهم أجمعين

1997 م).

1 (?) البداية والنهاية (9/74).

2 2 المرجع السابق (9/75).

3 (?) وفاء الوفاء (2/548).

4 (?) الصحيح أن ذلك في عهد كبار التـابعين أما الصـحابة فلم يبق بالمدينة أحد منهم آنــــذاك إلا على قـــــول في كل من السائب بن يزيد وسهل بن سـعد ولكن ابن عبـدالهادي جـزم أنه لم يوجد حينــذاك أحد بها من الصــحابة. انظــر: الصــارم المنكي في الــرد على الســبكي للشــيخ محمد أحمد بن عبد الهــــادي تحقيق الشــــيخ عقيل بن محمد المقطـــــري طبع مؤسسة الرياض بيروت الطبعة الأولى (1414هــ- 1992م) ص (303)، وفتح المغيث شـــرح ألفية الحــديث (3/116) للشيخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي تخريج وتعليق الشيخ

والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر. ولهذا قال في الحديث: $ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً #[1] والله أعلم بالصواب)[2]. هذا ما فعله أهل العلم وأولو الأمر عندما اضطروا إلى ذلك سترًا للقبر ستراً كاملاً، فلا يُنظر، ولا يتمكن أحد من الصلاة إليه، وما ذاك إلا أنهم فهموا الأحاديث الناهية عن الصلاة على القبور وإليها، وعن اتخاذ القبور مساجد، وفهموا العلة في ذلك النهي، فعملوا على إزالة تلك العلة وفي هذا أبلغ رد على شبهة القبوريين الذين يحتجون بأن قبر النبي في مسجده[3].

صلاح محمد عويضة طبع دار الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى (1414هـ- 1993 م).

1 (?) تقدّم تخريجه ص (45)

2 (?) شرح مسلم (5/12- 13).

3 (?) انظر ذلك وأضف إليه ما سبق نقله عن النووي وابن حجر من شرحهما لحديث موسى عليه السلام حيث صرحا بأنه قصد إخفاء قبره خشية الفتنة على قومه، ثم انظر إلى معاكسة القبورية لذلك حيث يقول أحد مؤلفيهم المعاصرين: (... ومع ذلك فإن النبي في حادثة الإسراء والمعراج قد عرفهم ووصف لهم قبر موسى وقال: $لو كنت هناك

المطلب الرابع: هدْيُ الإسلام في زيارة القبور:

كما هو الشأن في سـائر شـرائع الإسـلام أنها تكـون في غاية من الاعتــدال والســماحة، وصــادرة عن حكمة بالغة تضمن لمن عمل بها على بصيرة: الفوز، والنجـاح، والسـعادة، دون أن يتعـرض بسـببها لأي نـوع من أنـواع الضلال والشقاء في الدنيا و الآخرة.

كذلك كانت شرعية زيارة القبـور في الإسـلام حينما كان الناس حدثاء عهد بالكفر والشرك وعبـادة غـير الله نهاهم الرسـول عن الزيـارة، حـتى يكـون هنـاك بـرزخ فاصل بين العهـــدين عهد الشـــرك وعهد التوحيد، وعهد الجاهلية وعهد الإسلام حـتى يـذهب ما في النفـوس من الالتفات إلى الأرض وما عليها مما يقدِّسه الناس، وعهد السموّ الروحي والصفاء القلـبي والـذهني الـذي لا يبقى معه التفات إلى غير الله .

وفعلاً حينما حصل ذلك؛خـاطب النــبي أمته قـائلاً: **$كنت نهيتكم عن زيـــارة القبـــور فزوروها#**[1]

لأريتكم إيـــاه#. هو بنفسة عليه الصـــلاة والســـلام يتـــولى تعـريفهم بهـذا المـوطن المبـارك من أجل مـاذا؟!! من أجل إقامة الصـلات والروابط بين المؤمـنين وأنبيـائهم وصـلحائهم وأوليـائهم بالتـأدب معهم وسـلوك طـريقتهم وزيـارتهم في حياتهم وبعد مماتهم، وهومقصد سـامي سـعت إليه شـريعتنا له أثر بيِّن على القلـوب، فـالمرء يـوم القيامة مع من أحب، ولاينبغي أن يصـــرف ولاؤنا إلى غـــير هـــؤلاء القـــوم الـــذين اصـــطفاهم بـــارئهم، ومن بين خلقه اجتبـــاهم). انظر الـــدر المنضود في أخبار قبر وزيارة النبي هود، لفهمي بن علي بن عبيـــدون الـــتريمي الحضـــرمي، دار الفقيه للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1419ه.

1 (?)رواه مسلم في كتاب الجنـائز بـاب اسـتئذان النـبي ربه

$فإنها تـــذكر الموت#**، وفي رواية: **$فـــإن في زيارتها تـــــذكرة#، وفي أخـــــرى: **$فإنها تذكر الآخـــــرة#**[1]، وفي ثالثة: **$فزوروها ولـــــتزدكم زيارتها خـــيراً#**[2]، وفي رواية رابعة: **$فـــإن فيها عـــبرة#**[3]، ومن حـــديث أنس : **$ثم بـــدا لي أنها تُـــرقّ القلب وتُـــدمع العين وتُـــذكر الآخـــرة فزوروها ولا تقولوا هُجراً#**[4].

وبهذا يشرع لنا الرسول الله زيارة القبور مع بيــان

في زيارة قبر أمه من حديث أبي هريرة وانظرلشرح النووي (7/46).

1 (?) انظر تخريجها في المرجع السابق (7/46).

2 (?)رواه الترمذي في كتاب الجنـائز بـاب ماجـاء في الرخصة في زيارة القبور من حديث بريدة وقال: وفي البـاب عن أبي سعيد وابن مسعود وأنس وأبي هريرة وأم ســلمة (3/361)، وصـــحه الشـــيخ الألبـــاني في صـــحيحه (1/307-308)، والنســـائي في كتـــاب الضـــحايا بـــاب الإذن في أكل لحـــوم الأضـــاحي بعد ثلاثة أيـــام من حـــديث بريـــدة واللفظ لـــه(7/234)وصححه الشـيخ الألبـاني في صـحيحه (3/923) طبع مكتب التربية العـــربي لـــدول الخليج الريـــاض ط الأولى (1409-1988)، ورواه ابن ماجه كتاب الجنائز باب ماجاء في زيارة القبور من حديث أبي هريرة (1/500)، وصححه الشيخ الألباني في صحيحه (1/262).

3 (?) رواه أحمد (3/38)من حـديث أبي سـعيد الخـدري وقـال الأرنـاؤوط في تحقيقه للمسـند (17/429): حـديث صـحيح، طبع مؤسسة الرســالة بـــيروت ط الأولى (1419هـ-1998 م).

4 (?) رواه أحمد من حـديث أنس (3/237، 250)، وصـححه بطرقه وشـواهده الأرنـاؤوط في تحقيقه (21/223)، وكـذا روى نحوه الحاكم (1/376) والبيهقي في السنن (4/77).

العلة فيها وهي تذكرة الموت، والدار الآخرة، وتزهِّد في الــدنيا، وتــرق القلب وتــدمع العين، وينبغي أن يحــرص الزائر أن تزيــده زيارته للمقــابر خــيراً، وهــذا كله فيما يخص الزائر.

أما الأموات فإن لهم فيها نصيباً أيضاً حيث كان إذا زارهم يدعو ويسـتغفر لهم، كما روى مسـلم من حـديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسـول الله : **(كلما كـــان ليلتها من رســـول الله يخـــرج من آخر الليل إلى البقيع فيقـــول: الســـلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعـدون غـداً مؤجَّلـون وإنا إن شـــاء الله بكم للاحقـــون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد#**[1]**،** وعنها رضي الله عنها أنها سـألته إذا هي زارت القبـور ما تقـول: قـال: **$قـولي الســـلام على أهل الـــديار من المؤمـــنين والمســـلمين ويـــرحم الله المســـتقدمين منا والمســـــتأخرين وإنا إن شـــــاء الله بكم لاحقون#**[2]**.**

ففي هــذه الأحــاديث بيــان أن من مقاصد الزيــارة وعللها السـلام على الأمـوات والـدعاء والاسـتغفار لهم، قــال الإمــام الصــنعاني -رحمه الله- في"ســبل الســلام "بعدما شــرح أحــاديث الإذن بالزيــارة: (والكل دالّ على مشـــروعية زيـــارة القبـــور وبيـــان الحكمة فيها وأنها للاعتبار... فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعاً)[3].

---

1 (?) مسلم مع النووي (7/40-41) كتاب الجنائز باب مايقال عند زيارة القبور والدعاء لأهلها.

2 (?) المصدر السابق (7/44).

3 (?) ســبل الســلام شــرح بلــوغ المــرام للإمــام محمد بن

فهـذه هي زيـارة القبـور عند أهل السـنة كما علّمهم إيّاها رسـول الله فمن أتى بها على هـذا الوجه ولهـذه الغاية ظفر بـالأجر والفائـدة المترتبة عليهـا، ومن زارها لغير ذلك فهي ردٌّ عليه. ثم إنها إما أن تكون بدعية، وإما أن تكـــون شـــركية بحسب ما يحصل فيها من أعمـــال ويقارنها من اعتقاد وقصد.

ذلك هو هدي الإسلام في زيارة القبور، وتلك هي أهداف وغايات الزيارة واضحة ناصعة بعيدة عن كل ذريعة تـؤدي إلى الشـرك بأربابها والغلـوّ في أصـحابها، وقد جاءت بعض القيود التي تسد الثغرات الموصلة إلى ذلك:

القيد الأول: **ألا تتخذ أعيـــاداً: قـــال : (لاتجعلـــوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلـوا قـبري عيـداً، وصـلوا عليّ، فـإن صـلاتكم تبلغـني حيث كنتم)[1]**، وقد سبق كلام العلماء عليه ونص المناوي على أن من ذلك: (اجتمـاع العامة في بعض أضـرحة الأوليـاء في يـوم أو أشهر مخصـوص من السـنة) ودعا ولاة الأمر إلى إنكـار ذلك عليهم[2].

ونفهم من هذا أنه ليس من هدي الإسلام تعيين يـوم معين من سـنة، أو شـهر، أو أسـبوع، يخصص لزيـارة القبور كما هو شأن القبورية.

القيد الثـاني: ألا تُشَـدّ إليها الرحـال، فعن أبي سـعيد الخدري قال: قال رسـول الله : $**ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسـجد الحـرام و مسـجد**

اسـماعيل الأمـير الصـنعاني (2/230-231) طبع دار الكتـاب العربي ط الثانية (1406هـ-1986).

1 (?) تقدم تخريجه (ص 40).

2 (?) انظر كلامه رحمه الله (ص40).

الأقصى ومسـجدي#[1]، وروى الإمـام أحمد - رحمه الله تعالى - في مسنده عن عبد الـرحمن بن هشـام بن الحارث أنه قال: (لقي أبو بصرة الغفاري أبا هريرة وهو جاءٍ من الطور فقال: من أين أقبلت؟ فقال: من الطـور صليت فيه، قـال: أما لو أدركتك قبل أن ترحل ما رحلت إني سمعت رسول الله يقول: **$لا تشد الرحـال إلا إلى ثلاثة مسـاجد: المسـجد الحـرام ومسـجدي هذا والمسجد الأقصى#**[2].

فهذا النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة مقصود به أن يشد رحله مسافراً إلى مكان بعينه لعبادة الله تعالى فيه، هذا هو الظاهر المتبـادر إلى الـذهن وهو الذي فهمه ذلك الصحابي أبو بصـرة الغفـاري، واحتج به على أبي هريــرة ، وســكت أبو هريرة فلم يــرد عليه وهذا دليل التسليم لما رُوي ولِمَا أُخذ واسـتُنبط من تلك الروايــة؛فــإن قــال قائــل: إن أبا هريــرة قد روى ذلك الحديث كما في الصحيحين[3]، قيل له: إن هذا مما يؤكد

---

1 (?) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري وانظر الفتح(3/70) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب مسجد بيت المقدس واللفظ له، ومسلم نحوه في كتاب الحج باب سـفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (9/104-106) مع النووي.

2 (?)رواه مالك في الموطأ تحقيق محمد فـــؤاد عبد البـــاقي طبع دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ (1/108-109) في كتاب الجمعة باب ماجاء في الساعة التي في يــوم الجمعــة، وأحمد في المسند (6/7) وصححه الشـيخ الألبـاني في إرواء الغليل في سـياق تخريجه لحـديث أبي هريــرة بــرقم (970) وانظر (4/141-143)من الإرواء وأبو بصــرة هو حُمَيْل (مثل حُمَيْــدلكن آخــره لام وقيل بــالجيم) بن بصــرة بن وقــاص الغفاري، صحابي سكن مصر ومات بها.

3 (?)البخاري مع الفتح (3/63) كتاب فضل الصلاة في مسـجد

قبول أبي هريرة لِمَا أتاه به أبو بصرة رضي الله عنهمـا، ومن المعلـــوم أن أبا هريـــرة لم يقل أنه ســـمع ذلك الحـديث من رسـول الله ، فالغـالب أنه يرويه عن أبي بصـرة، ولم يثبت عن أبي هريـرة أي رد لما جـاء به أبو بصرة لا في الصـــحيحين ولا في مســـند أحمـــد؛ حيث جـاءت القصة كاملـة، وهـذا يؤكد ذلك القبـول والرجـوع من أبي هريرة لما جاء به أبوبصرة، كما فهم ذلك أيضــاً أبو سعيد الخـدري راوي الحـديث، فقد روى أحمد في مسنده أن شهر ابن حوشب قـال: لقينا أبا سـعيد ونحن نريد الطور، فقال سـمعت رسـول يقـول: **$لا تُعمَل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد...#** الحديث[1].

وكــذلك فهمه عبدالله بن عمر؛ فعن قزعة قــال: سألت ابن عمر آتي الطور؟ فقال: (دع الطور ولا تأتها وقــال: لا تشد الرحــال إلا إلى ثلاثة مســاجد)[2]، وعلى

مكة والمدينة، ومسلم كتاب الحج باب فضل المساجد الثلاثة (9/167- 168) مع النووي.

1 (?) رواه أحمد في المســـند(3/93)وقـــال الإرنـــاؤوط في تحقيقه: صحيح وقدرواه أحمد من غير طريق شهر مما يــدل على أن شهر حفظ هذا الحديث وانظر (17/91) من تحقيق المســند(وشــهر هو بن حوشب الأشــعري الشــامي مــولى أســماء بنت يزيد بن السـكن) قـال عنه الحافظ في تقـريب التهــذيب تحقيق أبي الأشـــبال ص (441): صـــدوق، كثـــير الإرسال والأوهـام، من الثالثة (ت112هــ)طبع دار العاصــمة بالرياض ط الأولى (1416هـ).

2 1 رواه ابن أبي شـيبة في مصـنفه(2/374-375) في كتـاب الصلوات باب في الصلاة في بيت المقدس ومسجد الكوفة، وصححه الألباني في أحكـام الجنـائز ص (226) طبع المكتب الإسلامي بـيروت ط الرابعة (1406هـ-1986م) وقـال: رواه ابن أبي شـيبة والأزرقي في أخبـار مكة ص (304)، وقزعة

ذلك درج الصحابة والتابعون وتابعوهم لم يثبت أن أحـداً منهم سـافر إلى قـبر، أو مشـهد لمجـرد الزيـارة، ولم يصرح أحد منهم باستحباب ذلك العمل.

وأما الفقهاء المتـأخرون فقد اختلفـوا في ذلك ونقل خلافهم الإمـام النـووي[1]، وشـيخ الإسـلام ابن تيمية[2]، والحافظ ابن حجر[3] - رحمهم اللـــه-، وقد بحث هـــذه المسـألة بحثـاً مستفيضـاً العلامة صـديق حسن خـان - رحمه اللـــه- في شـــرحه لمختصر مســلم المســمى (السـراج الوهـاج من كشف مطـالب صـحيح مسـلم بن الحجـاج) وقد اسـتغرق بحثه أربعـاً وثلاثين صـفحة من الحجم الكبير (من ص84-117) من الجزء الخامس من طبعة قطر؛وبعد إيراد مختلف الأقوال ومناقشـتها قـال: (وأما السفر لغير زيـارة القبـور كما تقـدم نظـائره، فقد ثبت بأدلة صحيحة ووقع في عصره وقرره النـبي عليه السـلام فلا سـبيل إلى المنع منه و النهي عنــه، بخلاف السفر إلى زيارة القبور فإنه لم يقع في زمنــه، ولم يقر أحـداً من أصـحابه، ولم يشر في حـديث واحد إلى فعله واختياره ولم يشــرعه لأحد من أمته لا قــولاً ولا فعلاً...) إلى أن قــال: (وحاصل الكلام وجملة المــرام في هــذا المقام أن مسألة السفر لزيارة قبر من القبور " أي قبر كان" أقل درجاتها أن تكون من المشـتبهات والمؤمنـون

هو ابن يحيى البصـري قـال عنه الحافظ في التقـريب: ص (801) ثقة من الثالثة.

1 (?) صحيح مسلم (9/105-106).

2 (?) اقتضاء الصـراط المسـتقيم لمخالفة أصـحاب الجحيم (2/665-666).

3 (?) الفتح (3/64).

وقّافون عند الشبهات)[4].

---

4 (?) السراج الوهاج (5/116).

بين يدي هذا الفصل

إننا عندما نبحث عن القبورية في العالم لسنا مجـرد مؤرخين، يطيب لهم أن يتعرفـوا على أحـداث ويصـوروا مجتمعـات، ويصـفوا ما وصـلوا إليه من أحـوال العـالم لمجرد السـرد التـاريخي، وإنما نبحث ذلك منطلقين من سـنة كونية ثابتة أخبرنا عنها الرسـول ، وهي أن هـذه الأمة ستأخذ مأخذ الأمم السابقة، وستسلك سـبيلها في كل جــــوانب حياتها بما في ذلك الجــــوانب الاعتقادية والتعبدية والأخلاقية.

فـــإذا ثبت أن تلك الأمم عظَّمت القبـــور وآثـــار الصـــالحين وتـــدرجت في ذلك حـــتى عبـــدت أولئك الصالحين-في نظرهـا- فـإن من هـذه الأمة من سـيفعل ذلك، وهـذا ما أخـبر عنه رسـول الله وما يشـاهد على أرض الواقع.

فأما ما أخـــبر به النـــبي ففيما رواه البخـــاري من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله : **$لا تقـوم السـاعة حـتى تأخذ أمـتي مأخذ القـرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فقيل: يا رسول الله كفـــارس والـــروم؟ فقـــال ومَنْ النـــاس إلا أولئك#**[1].

وروى البخاري أيضاً من حديث أبي سعيد الخـدري قـال: قـال رسـول الله : **$لتتبعن سـنن من كـان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا**

[1] (?) البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي لتتبعن سنن من كان قبلكم الفتح(13/300).

جحر ضب لدخلتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمَنْ؟#[1].

وقد وقع ما أخبر به النبي كاملاً. والـذي يهمنا إثباته هو مشـــابهة هـــذه الأمة للأمم قبلها في قبـــوريتهم، وتعظيمهم للأنبياء والصالحين، وانتشار عقائدهم الباطلة لدى كثير منهم، وهذا ما سوف نبيّنه في هـذا الفصل إن شاء الله.

1 (?) المصدر السابق (13/300).

المبحث الأول: نشأة القبورية في العالم بأسره

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إثبات أن البشرية كانت على التوحيد قبل طروء الشرك:

من المعلوم المتفق عليه أن الله تعالى خلق الخلق جميعاً على فطرة التوحيد، فآدم عليه السلام هو الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته، وجرى له في الجنة ما جرى، ولم يكن من ذلك شيء يخالف التوحيد أو يقدح فيه، ثم أهبطه إلى الأرض نبياً كريماً ورسولاً مرشداً إلى ذريته، و هو قول جمع من العلماء.

وعلى تعاليم رسالة آدم نشأ بنوه وعلى نهجه ساروا، حتى لقد صرح عكرمة بأنهم داموا على ذلك عشرة قرون، [1] وهذا الذي ذكرناه من نشأة البشرية على التوحيد هو ما قرره القرآن وشهدت به السنة المطهرة.

أما القرآن ففي قول الله تعالى: **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**[2].

ففي الآية الكريمة أن الدين الذي أمر الله رسوله أن يقيم وجهه عليه هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ثم أكّد ذلك بقوله **ذلك الدين القيم** فالدين

---

1 (?) تفسير الطبري (29/62).

2 (?) الروم $30).

الحــنيف والــدين القيم هو التوحيد وهو الــذي فطر الله الناس عليه.

قال ابن كثير - رحمه الله -: (فإنه تعـالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره)[1].

وقد أكــدت ذلك الســـنة وفصَّـــلته وذلك فيما رواه البخـاري ومسـلم من حـديث أبي هريـرة قـال: قـال رســـول الله : **$كل مولـــود يولد على الفطـــرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجســانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمـــــة، هل تـــــرون فيها من جدعاء؟#**[2][3] **ثم يقول أبو هريـرة: (واقـرأوا إن شئتم فطـرت الله الـتي فطر النـاس عليها لا تبديل لخلق الله**[4].

قال ابن حجر - رحمه الله - في شرح هـذا الحـديث: (وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعـالى: **فطرت الله الـتي فطر النـاس عليها** الإسـلام واحتجوا بقول أبي هريرة وبحديث عياض بن حمار عن النــبي فيما يرويه عن ربــه: **$وإني خلقت عبــادي حنفـــاء كلهم، فاجتـــالتهم الشـــياطين عن دينهم#**[5] الحديث وقد رواه غــيره فــزاد فيه **$حنفاء مســلمين#** ورجحه بعض المتـــأخرين بقوله تعـــالى:

---

1 (?) تفسير ابن كثير، طبعة دار الشعب (6/320).

2 (?) أي مقطوعة الأنف أو الأذن أو الشفة القاموس المحيط ص (914).

3 (?) البخاري كتاب الجنائز بـاب ما قيل في أولاد المشـركين الفتح (3/245-246)، ومسلم كتـاب القـدر بـاب معـنى كل مولود يولد على الفطرة (4/2047)..

4 (?) الروم (30).

5 (?) سيأتي تخريجه (ص 100)

فطـرت اللـه لأنها إضـافة مـدح وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام)[1].

ونكتفي بهـذه النصـوص الواضـحة الصـريحة الـتي لا خلاف على معناهـا، لإثبـات أن البشـرية كـانت على التوحيد قبل طروء الشرك عليها.

المطلب الثاني: إثبـات أن أول شـرك حصل في العالم كان بسبب الغلو في الصالحين:

كـانت عـداوة إبليس لآدم قديمة منذ أن أمـره الله بالسجود له، فأبى فلعنه الله وطرده بسـبب ذلـك، ومنذ ذلك الحين أخذ على نفسـه: أن يعمل على كل ما فيه الإسـاءة إليه وإلى جلب سـخط الله عليـه، وكـان أول عمل عمله إغراؤه بالأكل من الشجرة، ذلك العمل الذي كـان سـبباً لإخراجه من الجنة وإهباطه إلى الأرض هو وإبليس معاً، ولم يكتفِ إبليس بعداوة آدم وحده بل ضمّ إلى ذلك عـداوة ذريته وأعلنها صـريحة بأنه لن يـدخر جهداً لإغوائهم وصـدّهم عن السـبيل، والعمل على جعل مصيرهم مقترناً بمصيره هو إلى نار جهنم **قـال فبما أغويتـني لأقعـدن لهم صـراطك المسـتقيم، ثم لآتينهم من بين أيـديهم ومن خلفهم وعن أيمـانهم وعن شـمائلهم ولا تجد أكـثرهم شاكرين، قال اخـرج منها مـذءوماً مـدحوراً** لمن تبعك **منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين**[2]، **قال فبعزتك لأغـوينهم أجمعين، إلاّ عبـادك منهم المخلصـين، قـال فـالحق والحق أقـول، لأملأن**

---

1 (?) فتح الباري (3/248).

2 (?) الأعراف (16-18).

جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين[1].

وقد حـذر الله عبـاده المؤمـنين وجميع بـني آدم من تلك العداوة وخطورتها، وخطـورة الهـدف الـذي يسـعى إبليس لتحقيقه من خلال عداوته لهم، فقـــال ســـبحانه وتعالى: **إن الشيطان لكم عـدو فاتخـذوه عـدواً إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السـعير**[2] وقـال: **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبـدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وأن اعبدوني هـذا صـراط مسـتقيم، ولقد أضل منكم جبلاً كثـيراً أفلم تكونوا تعقلون**[3].

ولكن لأمـــرٍ أراده الله نسي بنو آدم تلك العـــداوة، وجهلوا ذلك التحذير الذي حذرهم الله إيـاه ولم ينسَ هو ذلــك، بل عمل على جلب الأنصــار والجنــود من الإنس والجن، فسلطهم على بني آدم حين غفلوا عما أوصـاهم به الله، فأجلب عليهم هو وجنـوده فاجتـالوهم عن دينهم وأوقعوهم في الشرك، وهو ما رواه النـبي عن ربه عز وجل كما في حــديث عيــاض بن حمــار المجاشــعي أن رســول الله قـال ذات يـوم في خطبته **$ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمـني يـومي هذا، كلّ مـال نحلته[4] عبـداً حلال، وإني خلقت عبــادي حنفــاء كلهم وإنهم أتتهم الشــياطين فاجتـــالتهم[5] عن دينهم، وحــــرمت عليهم ما**

---

1 (?) سورة ص (82-85).

2 (?) فاطر (6).

3 (?) يس (60-62).

4 (?) نحلته أعطيته النووي على مسلم (17/197).

5 (?) اجتالتهم (أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا

أحللت لهم، وأمـــرَتْهم أن يشـــركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عـــــربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب#[1].

ولم يكن ذلك في عهد النبي وإنما من فجر التاريخ قبل أن يبعث نـوح عليه السـلام، بل إن مبعث نـوح إنما كـان لإرجـاع النـاس إلى الجـادة بعد ذلك الانحـراف الخطير، وكان الباب الذي دخل منه الشيطان إلى إغواء أولئك النـاس: بـاب الغلو في الصـالحين، فكـانت أول أصنام عبدت على وجه الأرض هي صور وتماثيل لرجـال صالحين أحبهم قومهم وغلَوا فيهم فصـوّروهم، ثم تـدرج بهم الحـال حـتى عبـدوهم من دون الله تعـالى! ولما جـاءهم نـوح ينعى عليهم ذلك المسـلك الخـاطىء، ويـدعوهم إلى العـودة إلى الصـراط المسـتقيم أبـوا وعانـدوا وتواصـوا بالصـبر على تلك الآلهة والاسـتمرار على الإشــراك بالله المتمثل في عبادتها من دون الله **وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولاسـواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً**[2].

وهــذه كما هو واضح أسـماء بشر كـانوا صـالحين محبـوبين لـدى قـومهم، حملهم ذلك على الغلو فيهم وإنزالهم فوق منزلتهم، وتطور الأمر حتى عبـدوهم، كما ورد عن ابن عبـاس في تفسـير هـذه الآية أنه قـال:

عليه وجالوا معهم في الباطن) نفس المصدر (17/197)

1 (?) مسلم مع الشرح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها بـاب الصـفات الـتي يعـرف بها في الـدنيا أهل الجنة وأهل النـار)(17/197)

2 (?) نوح (23).

(أسماء رجال صالحين من قوم نـوح، فلما هلكـوا أوحى الشـيطان إلى قـومهم أن انصـبوا إلى مجالسـهم الـتي كانوا يجلسون أنصـاباً، وسـموها بأسـمائهم ففعلـوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسِخ العلم عبدت)[1].

قـــال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شـــرح هـــذا الحديث: (وقصة الصالحين كانت مبتدأ عبـادة قـوم نـوح هــذه الأصــنام ثم تبعهم من بعــدهم على ذلــك)[2] وقد تواطأ المفسـرون عند تفسـير هـذه الآية على ذكر هـذا الأثر وأثاراً أخرى كلها تؤدي نفس المعنى[3].

وقد صـرح القرطـبي - رحمه الله تعـالى -: بأنه من أجل أن عبادة الأوثان ابتدأت بسبب الغلو في الصالحين حـذر النـبي ﷺ من اتخـاذ القبـور مسـاجد ولعن من فعل

---

1 (?) البخاري والفتح (2/667).

2 (?) الفتح (8/669).

3 (?) انظر: تفسير الطبري (29/62) للإمام الطـبري، معـالم التنزيل (8/232-233) للإمـام الحسـين بن مسـعود البغـوي تحقيق وتخريج محمد عبد الله النمر وعثمـان جمعة ضـميرية وسـليمان مسـلم الحـرش طبع دار طيبة بالريـاض الطبعة الرابعة (1417هـ-1997م)، زاد المســـــير (8/373) لأبي الفـرج ابن الجـوزي طبع المكتب الإسـلامي بـيروت الطبعة الثالثة (1404هـ-1984م)= =والكشـاف (4/414) للشـيخ محمود بن عمر الزمخشري طبع دار الكتاب العربي ببـيروت (1407هـ- 1987م)، والمحرر الوجيز (15/122) لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق الرحـــالي الفـــاروق وآخـــرين، الطبعة الأولى قطر ســـنة (1401هـ-1981م). وتفسير القرطبي (18/307-310) وتفسير القرآن العظيم (8/262) لابن كثير. الدر المنثور (8/293-295) لعبد الرحمن بن أبى بكر السـيوطي (دار الفكر - بـيروت ط الأولى سـنه 1403هـ- 1983م). وفتح القدير (5/300) للشوكاني.

ذلك، قال: (قلت: وبهذا المعنى فسِّر ماجـاء في صـحيح مسـلم من حـديث عائشة أن أم حبيبة وأم سـلمه ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشـــة- تســـمى مارية فيها تصـــاوير- لرسـول الله فقـال رسـول : **$إن أولئك إذا كـان فيهم الرجل الصـالح فمـات بنـوا على قـبره مسـجداً وصـوروا فيه تلك الصـور أولئك شـرار الخلق عند الله يوم القيامة#**[1].

وقـال ابن القيم - رحمه الله تعـالى -: (وقـال غـير واحد من السلف: " كان هؤلاء قومـاً صـالحين في قـوم نـوح ، فلما مـاتوا عكفـوا على قبـورهم، ثم صـوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبـدوهم" فهـؤلاء جمعـوا بين الفتنتين، فتنة القبور وفتنة التماثيـل، وهما الفتنتـان اللتـان أشـار إليهما رسـول الله في الحـديث المتفق على صـــــــــــــــــــحته: عن عائشة - رضي الله عنها - ثم ذكر الحـــديث الســـابق في كلام القرطـــبي - ثم قـــال: " فجمع في هـــذا الحـــديث بين التماثيل والقبـور "وهـذا كـان سـبب عبـادة اللات، فقد روى ابن جرير بإســناده عن ســفيان عن منصــور عن مجاهد: **أفرأيتم اللات والعزى**[2] قـال: (كـان يلت السـويق فمـات فعكفـوا على قـبره)، وكـذلك قـال أبو الجـوزاء عن ابن عبـاس رضي الله عنهمـا: (كـان يلت السويق للحاج)[3] فقد رأيت أن سبب عبادة ودّ، ويغوث،

---

1 (?) الجـامع لأحكـام القـرآن (18/308)، والحـديث تقـدم تخريجه(ص 47).

2 (?) سورة النجم آية (19).

3 (?) روى أثر مجاهد الطبري في تفسـيره (27/35)، أما أثر ابن عباس فسيأتي تخريجه (ص 100).

ويعوق، ونسر، واللات، إنما كانت من تعظيم قبورهم ثم اتخذوا لها التماثيل وعبدوها، كما أشار إليه النـبي قـال شيخنا[1]: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخـاذ المساجد على القبـور هي الـتي أوقعت كثـيراً من الأمم إما في الشـرك الأكـبر، أو فيما دونه من الشـرك، فـإن النفوس قد أشـركت بتماثيل القـوم الصـالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلـك، فـإن الشـرك بقبر الرجل الذي يعتقد صـلاحه أقـرب إلى النفـوس من الشرك بخشبةٍ أو حجـر، ولهـذا نجد أهل الشـرك كثـيراً يتضـرعون عنـدها، ويخشـعون ويخضـعون، ويعبـدونهم بقلـــوبهم عبـــادة لا يفعلونها في بيـــوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجــون من بركة الصلاة عندها والدعاء مـالا يرجونه في المسـاجد فلأجل هـذه المفسـدة حسَـم النـبي مادتهـا، حـتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشـمس وغروبهـا؛ لأنها أوقـات يقصد المشركون الصـلاة فيها للشـمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذ، وألا يقصد المصلي ما قصـده المشـركون سداً للذريعة)[2].

وبهـــذه الآيـــات المحكمة والأحـــاديث الصـــحيحة الصـــــــــريحة، وما علق به عليها أهل العلم؛ تعلم أن القبورية هي أســـاس الوثنيـــة، وأن الوثنية هي الوعـــاء الذي أحتوى على الشرك بالله عز وجل وجسَّدَه.

---

1 (?) هو شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -.

2 (?) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/184) لابن القيم.

المبحث الثاني: القبورية عند اليهود والنصارى

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القبورية عند اليهود:

لست بحاجة إلى الإطالة في إثبــات قبورية اليهــود، فقد أغنتنا الأحـــاديث المصـــرحة بـــذلك عن الصـــادق المصـدوق والمخرجة في الصـحيحين وغيرهمـا، ومنها حديث أبي هريرة أن رسول الله قـال: **$قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مسـاجد#**[1] وحـديث عائشة رضي الله عنها عن النـــبي قـــال: **في مرضه الــذي مــات فيه $لعن الله اليهــود والنصــارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد#**[2].

فهـذان الحـديثان في الصـحيحين - وسـيأتي غيرهما في المطلب الثاني- قاطعـان على قبورية اليهـود، وأزيد أن اليهود ليسوا قبوريين فقط ولكنهم أيضاً ميـالون إلى عبادة غير الله بشكل أوضح وأصرح، كما نقل ذلك عنهم القرآن وذلك في موضعين من قصة موسى .

الموضع الأول: بعد نجـــاتهم من ملاحقة فرعـــون وخـــــروجهم من البحر وإهلاك الله لعــــدوهم وهي نعم عظيمة تستوجب شكر مسديها وإفراده بالعبـادة وعـدم الالتفات إلى غيره، لكن النفوس الدنيئة لا تكون نظرتها

---

1 (?) أخرجه البخاري (1/532) مع الفتح كتـاب الصـلاة بـاب " حـــدثنا أبو اليمـــان "، ومســـلم (5/12) مع النـــووي كتـــاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بنـاء المسـاجد على القبور0

2 (?) تقدم تخريجه (ص 45).

إلا إلى الأسـفل دائمـاً، لـذلك عنـدما مـروا على القـوم المشركين العاكفين على أصنامهم مـالت نفوسـهم إلى تقليـدهم ومحاكـاتهم في ذلـك، قـال تعـالى: **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فـأتوا على قـوم يعكفـون على أصنام لهم قـالوا يا موسى اجعل لنا إلهـاً كما لهم آلهة قـال: إنكم قـوم تجهلـون. إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون. قـال أغـير الله أبغيكم إلهـاً وهو فضـلكم على العالمين**[1].

وهـذا في غاية الصـراحة فهم طلبـوا من موسى أن يجعل لهم إلهـاً آخر كما أن أولئك لهم آلهة فهو طلب الشرك والاستعداد النفسي له.

الموضع الثـاني: حينما ذهب موسى لميقـات ربه وتركهم مع هارون فصنع لهم السـامري العجل ودعـاهم إلى عبادته، فبادروا إلى ذلك ولما يأبهوا لتحـذير هـارون من ذلك بل واجهوه بـالتمرد وكـادوا يقتلونه حينما وقف في طريقهم قال تعـالى: **وما أعجلك عن قومك يا موسى. قـال هم أولاء على أثـري وعجلت إليك ربِّ لترضى. قال فإنا قد فتنا قومك من بعـدك وأضـلهم السـامري. فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعـداً حسـناً أفطـال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي. قـالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقـذفناها فكـذلك ألقى السـامري. فـأخرج لهم عجلاً جسـداً له خـوار فقـالوا هـذا**

[1] 3 الأعراف (138-140).

إلهكم وإله موسى فنسـي. أفلا يـرون ألا يرجع إليهم قـولاً ولا يملك لهم ضـراً ولا نفعـاً. ولقد قال لهم هارون من قبل يا قــوم إنما فتنتم به وإن ربكم الـرحمن فـاتبعوني وأطيعـوا أمـري. قـالوا لن نـبرح عليه عـاكفين حـتى يرجع إلينا موسى[1].

وبهذا العرض اليسـير تتضح قبورية اليهـود وشـركهم واتخاذهم الآلهة من دون الله.

المطلب الثاني: القبورية عند النصارى:

الأمة النصــرانية أمة غالية فيمن تعظمه من الأنبيــاء والصــالحين ولقد حملهم ذلك على تأليه المســيح وأمه وغيرهما من الأحبار والرهبان، وهذا صريحُ نصِّ القــرآن، حيث يقــول الله تعــالى فيهم: **اتخــذوا أحبــارهم ورهبــانهم أربابــاً من دون الله والمســيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحــداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**[2].

وقد أمر الله رسـوله أن يقيم عليهم الحجة ببطلان ما هم عليه من عبادة غـير الله فقـال: **قل أتعبـدون من دون الله ما لا يملك لكم ضــــراً ولا نفعـــاً والله هو السميع العليم**[3]، ثم أمره أن ينهاهم عن الغلو في الدين وتقليد سلفهم الغالين فيه؛ لأن الغلو هو سبب عبادتهم لغـير الله فقـال: **قل يا أهل الكتـاب لا تغلـوا في دينكم غـير الحق ولا تتبعـوا أهـواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلّوا عن**

---

1 (?) طه من (83 - 91).

2 (?) التوبة (31).

3 (?) المائدة (76).

سواء السبيل[1]، فمن غلـوِّهم أنهم اتخـذوا المسـيح وأمه إلهين من دون اللـه، واتخـذوا أحبـارهم ورهبـانهم أربابـاً من دونه وتلك العلـة- الـتي هي الغلو -هي العلة المشتركة بين جميع المشركين.

ومن الغلو كذلك اتخـاذهم قبـور أنبيـائهم وصـالحيهم مســـاجد كما في حـــديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم ســـــــلمه ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصــاوير فــذكرتا ذلك للنــبي فقــال: **$إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قــبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، فأولئكِ شـرار الخلق عند الله يوم القيامه#**[2].

وهــذه الكنيسة الــتي رأتها أم حبيبة وأم ســلمه هي قطعاً كنيسة نصارى فهـذا إثبـات قـاطع لقبـوريتهم وقد حـذر النـبي من الاقتـداء بهم في ذلك كما في حـديث عائشة وعبدالله بن عباس قـالا: (**لما نُزِل برسـول الله طفق يطـرح خميصة له على وجهه فـإذا اغتم كشـــفها عن وجهه فقـــال وهو كـــذلك: $لعنة الله على اليهود والنصارى اتخـذوا قبـور أنبيائهم مساجد# يحذر ما صنعوا**)[3].

وقد بيّن ابن كثـــير رحمه الله في تاريخـــه: أن تلك القبورية عند النصـارى. إنما حـدثت فيهم بعد أن حرفـوا دينهم، وقالوا بـالتثليث، قـال رحمه الله تعـالى: (ثم بعد المســيح بثلاثمائة ســنة؛حــدثت فيهم الطامة العظمى،

---

1 (?) المائدة (77).

2 (?) تقدم تخريجه (47).

3 (?) تقدم تخريجه (47).

والبليّة الكـــــــــبرى، واختلف البتاركة[1] الأربعة وجميع الاساقفة[2] والقساوسة[3] والشماسة[4] والرَهَابين[5] في المســيح على أقــوال متعــددة لا تنحصر ولا تنضــبط، واجتمعـــوا وتحـــاكموا إلى الملك قســـطنطين بـــاني القسطنطينية، وهو المجمع الأول فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قـول من تلك المقـالات فسـموا "الملائكـــة"، ودحَضَ من عـــداهم وأبعـــدهم، وتفـــردتْ الفرقة التابعة لعبدالله بن أديوس الـذي اثبت أن عيسى عبد من عباد الله، ورسول من رسله، فسكنوا الـبراري، والبوادي، وبنوا الصـوامع[6]، والـديارات[7]، والقلايـات[8]، وقنعـــوا بـــالعيش الزهيـــد، ولم يخـــالطوا أولئك الملل والنحـل، وبنت الملائكة[9] الكنـائس الهائلـة، عمـدوا إلى

---

1 (?) ويقـــال البطارقة جمع بطريق وهو رئيس رؤســـاء الأساقفة انظر: المعجم الوسيط (1/61).

2 (?) جمع أســقف وهو رئيس من رؤســاء النصــارى فــوق القسيس ودون المطران، المصدر السابق (1/436).

3 (?) جمع قس وهو رئيس من رؤساء النصارى بين الأسـقف والشماس، المصدر السابق (2/734).

4 (?) جمع شـماس من يقـوم بالخدمة الكنيسة ومرتبته دون القسيس، المصدر السابق (1/494).

5 (?) جمع راهب المتعبد في صومعة من النصــارى يتخلى عن أشـغال الـدنيا وملاذها زاهـداً فيها معـتزلاً أهلهـا. ، المصـدر السابق (1/376).

6 (?) جمع صـومعة و صـومع وهو بيت العبـادة عند النصـارى، المصدر السابق (1/523).

7 (?) جمع دير وهو دار الرهبان، المعجم الوسيط (1/307).

8 (?) القلايات جمع قلاية وهي الصـومعة. المصـدر السـابق (2/757)

9 (?) أي الفرقة التي سميت الملائكة.

ماكان من بناء اليونان فحولوا محاريبها إلى الشرق وقد كانت إلى الشمال إلى الجدي[1][2].

ثم قــال: رحمه الله تحت عنــوان " بنــاء بيت لحم والقمامة[3] " (وبــنى الملك قســطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وبنت أمه هيلانة القمامة يعــني على قبر المصلوب وهم يسلّمون لليهود أنه المسيح)[4].

وبما مر من نصـــــوص قرآنية ونبوية وتاريخية تتضح قبورية النصارى و غلوّهم في أنبيـائهم وصـالحيهم حـتى عبدوهم من دون الله تعالى.

---

1 (?) الجدي نجم قريب من القطب تعرف به القبلة، المصدر السابق (1/112).

2 (?) البداية والنهاية (2/101).

3 (?) وهي التي يطلق عليها الناس اليوم كنيسة القيامة.

4 (?) المصدر السابق (2/101).

المبحث الثالث: قبورية اليونان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قبورية الأمة اليونانية:

الأمة اليونانية أمة عظيمة ســـادت وظهـــرت على مسـرح التـاريخ القـديم قرونـاً من الـزمن، وقد أنشـأت حضـارة متمـيزة وظهر فيها علـوم ومعـارف وفلسـفة وصلت إلى الأمم الأخـرى، وتناقلتها الأجيـال إلى العصر الحاضر، وهذا لا مراء فيه، ولكن مع كل ذلك فقد كـانت هـــذه الأمة أمة وثنية قبورية تُألِّه كل ما أعجبت به من مظـاهر الكـون، وعبـاقرة وأبطـال البشـر، بل وجميلات النســاء!فهنــاك (آلهة الســماء) و (آلهة الأرض) و (آلهة الخصب) و(الآلهة الحيوانية) و(آلهة ما تحت الأرض) إلى آخر القائمــة، وقد ذكر المؤرخــون كيف تنشأ تلك الآلهة وكيف تعبد[1] وكــانت كــذلك أمة قبورية تقــدس قبــور موتاها، فقد كان الموتى في العصور المبكرة من تــاريخ اليونــان يُعْتَـبرون أرواحــاً قــادرة على أن تفعل للنــاس الخــير والشر وتسترضى بــالقرابين والصــلاة[2]. وكــان اليونـــان في عصـــرهم الزاهر يرهبـــون هـــذه الأشـــباح الغامضة أكثر مما يحبونها، وكانوا يسترضـونها بطقـوس ومراسم يقصد بها إبعادها واتقــاء شــرها[3]، وكــان الإله في أول الأمر من الأسلاف والأبطـال المـوتى، كما كـان

---

1 (?) انظر: الفكر الإغـريقي تـأليف محمد الخطيب (دمشـق، الطبعة الأولى عام (1999م)، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة ص (28 - 52).

2 (?) المصدر السابق ص(35-36).

3 (?) المصدر السابق ص (35-36).

المعبد في الأصل قبراً، ولا تزال الكنيسة حــتى الآن في معظم البلاد مكاناً تحفظ فيه آثار الموتى القديسين[1].

هـذه هي أمة اليونـان وتلك آلهتها كـانت في بـدايتها أمواتـاً من ذوي التمـيز في جـوانب مختلفة من الحيـاة، تدرج بهم الشيطان حتى صيروهم آلهة من دون اللــه، و قبـور أولئك المـوتى هي الأصل في المعابد الـتي تـتربع فيها تلك الآلهة.

المطلب الثاني: قبورية فلاسفة اليونان:

في تلك الأمة وذلك الجو نشأ فلاسـفة اليونـان على الوثنية والقبوريــة، وبقي ذلك هو اعتقــادهم وتفكــيرهم ولم يغنِهم ما وصـــلوا إليه في مختلف العلـــوم- الـــتي أصبحوا فيها أسـاتذة العـالم- لم تغنهم تلك العلـوم، ولم ترتفع بتفكيرهم في الجانب الإلهي من حياتهم، بل ظلوا يتخبطون في ظلمات الجهل ومسـالك الضـلال، ذلك أن هــذا الجــانب ليس بمقــدور العقــول تصــوّره التصــوّر الصحيح، والوصول إلى حقيقته، وإنما مصدره هو الوحي الذي ينزله الله على رسله، فيبلغونه للنـاس ويقـودونهم به إلى معرفة ربهم وما يجب عليهم، وما يلتحق بــــذلك من أركان الإيمان ومقوماته، وحيث إن أولئك الفلاسـفة مصـــدرهم في بحثهم عن الحقيقة هو العقـــل، والعقل قاصر عن إدراكها فقد تـــــاهوا في أودية الضـــــلال وما وصــلوا إلا إلى نظريــات متناقضــة، وقضــايا فجّة غــير ناضــجة، وبقي ما تربَّوا عليه من الوثنية والقبوريـــة؛ هو الذي يوجه تفكيرهم ويستحوذ على أعمالهم وطقوسهم، وقد شـــهد المتلقفــون لفلســفة اليونـــان من علمـــاء

---

1 (?) المصدر السابق ص (36).

المسلمين على قـدواتهم من فلاسـفة اليونـان بالقبورية وأبانوا كيف يتصور أولئك الفلاسفة إمداد أرواح المــوتى لمن دعاهم وتشفع بهم.

يقول الفخر الرازي في كتابه المطـالب العاليـة: (إن فلاسـفة اليونـان كـانوا يسـتمدون الفيـوض من القبـور وأهلهــا، إذا اعــترتهم مشــكلة من المشــكلات، وكــان الفلاسفة من تلاميذ أرسطو إذا دهمتهم نازلة ذهبـوا إلى قبره للحصول على المدد والفيض)[1].

وبما أن القوم فلاسفة وليسوا مقلدين لما كان عليه الآباء والأجداد فقد خرَّجوا تعلقهم بالقبور تخريجاً علميـاً مبنياً على نظـريتهم العامة في الإلهيـات، حيث يؤمنـون بنظرية الفيض أي أن " العقل الفعـال " الـذي هو مـوازٍ للإله يفيض على من دونه من المخلوقات.

وبما أن أرواح المــوتى القديســين هي كــذلك آلهة صغيرة حسب العقيـدة اليونانية العامة فـإن تلك الأرواح تفيض على من زارها طالبـــــاً منها الشـــــفاعة، وذلك بحسب يقين الزائر وفنائه في المــزور واسـتعداد نفسه لتقبل ذلك الفيض، وهي بــدورها تتلقى الفيض من الإله الأعظم، وقد مثلـوا ذلك بانعكـاس شـعاع الشـمس إذا وقع على جسم صــقيل ثم انعكس على غــيره، فـــإن الشمس إذا وقعت على الماء أو مرآة وانعكس شعاعها على حائط أو غــيره حصل النــور في الموضع الثــاني بواسطة الشـعاع المنعكس على المـرآة، قـالوا: فهكـذا

---

1 (?) المطـالب العالية (7-228) بواسـطة جهـود الحنفية في إبطــال عقائد القبورية (1-416) للــدكتور شــمس الــدين السـلفي الأفغـاني دار الصـميعي الريـاض، الطبعة الأولى (1416هـ- 1996 م).

الرحمة تفيض على النفـوس الفاضـلة كنفـوس الأنبيـاء والصالحين، ثم تفيض بتوسطهم على نفـوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكــاس الشــعاع يحتــاج إلى المحــاذاة فكذلك الفيض لابدّ فيه من توجه الإنسـان إلى النفـوس الفاضلة[1].

المطلب الثالث: اِتَّباع قبورية المسلمين لفلاسـفة اليونان في علة زيارة القبور:

إن معظم ما يأتيه القبورية وما يعتقدونه تجاه القبور وأهلها وإنما هو اتبـاع للأمم السـابقة، تصـديقاً لحـديث الرســول في حــديث ذات أنــواط حيث طلب بعض أصـحابه أن يجعل لهم ذات أنـواط كما للمشـركين ذات أنـواط فقـال لهم: **$الله أكـبر! إنها السـنن، قلتم والــذي نفسي بيــده كما قــالت بنو إســرائيل لموسى اجعل لنا إلهــاً كما لهم ءالهه قــال: إنكم قـوم تجهلـون[2] لـتركبن سـنن من كـان قبلكم#**[3]، وجاء من حـديث أبي سـعيد رضي الله عنه بلفظ: **$لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشـبر وذراعــــاً بــــذراع حــــتى لو دخلــــوا جحر ضب لتبعتمــــوهم، قلنــــا: يارســــول الله اليهــــود والنصارى قال فمن؟#**[4]، ومن حـديث أبي هريـرة

---

1 (?) انظر الاســتغاثة في الــرد على البكر ي (2/410-411) لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيميـة، تحقيق عبد الله بن دجين السهيلي، دار الـوطن، الطبعة الأولى (1417 هــ - 1997م)

2 (?) ا لأعراف (138).

3 (?) الترمذي في الفتن بـاب ماجـاء لـتركبن سـنن من كـان قبلكم (4/475). وأحمد (5/218).

4 (?) تقدم تخريجه ص (82)

رضي الله عنه **$لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمــتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعــاً بــذراع، قيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: مَنْ الناس إلا أولئك#**[1].

ويظهر من سـبب ورود الحـديث الأول أن بعضـاً من هذه الأمة سـتتبع اليهـود فيما انحرفـوا فيه من التفـاتهم إلى التعلق بالمخلوقين، وهذا هو أساس القبورية.

كما يظهر من الحديث الثالث أن اتباع الأمم السابقة لا يقتصر على اليهود والنصـارى وإنما يتعـداه إلى سـائر فــارس والــروم، ومن الــروم اليونــان الــذين نُقِلت فلسفتهم إلى الأمة الإسلامية فأفسـدت عقائد قـوم من المسلمين.

وممن تلقى عقائد الفلاسـفة وألبسـها رداء الإسـلام ونشــــرها في الأمة المحمدية قبورية المســــلمين من فلاسفة وباطنية شيعية وصوفية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو يتكلم عن الوســائل المشــروعة وغيرهــا: " الوجه الثــاني أن يدعو له الرســول فهـذه أيضـاً مما يتوسل به إلى الله تعــالى، فــإن دعــاءه وشــفاعته عند الله من أعظم الوســــــائل فأما إذا لم يتوسل العبد بفعل واجب، ولا مســتحب، ولا الرســول دعا لــه، فليس في عظم قــدر الرسول ما ينفعه، ولكن بعض النـاس الـذين دخلـوا في دين الصابئة والمشركين، ظنوا شفاعة الرســول لأمته لا تحتــاج إلى دعــاء منــه، بل الرحمة الــتي تفيض على الرســول تفيض على المستشـفع من غـير شـعور من الرسـول ولا دعـاء منـه، ومثلـوا ذلك بانعكـاس شـعاع

[1] (?) تقدم تخريجه ص (82).

الشـــمس إذا وقع على جسم صـــقيل ثم انعكس على غــيره، فــإن الشــمس إذا وقعت على المــاء أو مــرآة، وانعكس شـعاعها على حائط أو غـيره؛ حصل النـور في الموضع الثاني بواسطة الشعاع المنعكس على المــرآة، قـــالوا: فهكـــذا الرحمة تفيض على النفس الفاضـــلة كنفـوس الأنبيـاء والصـالحين، ثم تفيض بتوسـطهم على نفوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكـاس الشـعاع يحتـاج إلى المحاذاة فكـذلك الفيض لابد فيه من توجه الإنسـان إلى النفـوس الفاضـلة وجعل هـؤلاء الفائـدة في زيـارة قبورهم من هذا الوجه.

وقـــــــالوا أن الأرواح المفارقة تجتمع هي والأرواح الزائرة فيقـوى تأثيرها وهـذه المعـاني ذكرها طائفة من الفلاســـفة ومن أخذ عنهم كـــابن ســـيناء وأبي حامد وغيرهم)[1].

قلت: هذا فرع من فروع نظرية الفيض التي يعتقدها الفلاسـفة، وطـبيعي على هـذا الاعتقـاد أن يكـون هنـاك توجه إلى النفـــوس الفاضـــلة لتكـــون واســـطة بين المستشـفع والخـالق المعطي سـبحانه، تلك الواسـطة هي "الشافع" وقد قرر ذلك من أتباع الفلاسفة قوم كما ذكـــره شـــيخ الإســـلام - رحمه الله - منهم أبو حامد الغزالي وذلك في كتابه " المظنـون به على غـير أهله " والفخر الـرازي في كتابه "المطـالب العليـة" ونقل عن الاثـــنين أحد قبورية حضـــرموت وهو عبد الـــرحمن بن محمد العيـدروس في كتابه " بـذل المجهـود في خدمة ضريح نبي الله هـود "وجعل ذلك هو علة زيـارة القبـور، وســيأتي نص كلام الغــزالي منقــولاً من كتابــه، وكلام

1 (?) الاستغاثة (412-2/411).

الـــرازي عن العيـــدروس في مطلب علة الزيـــارة عند القبورية[1]، وبهذا يتضح أن زيـارات القبورية لم تكن هي الزيارات الشرعية الـتي علتها الاعتبـار والاتعـاض بحـال المـوتى ورقة القلب وتـذكر الآخـرة والـدعاء للأمـوات والســـلام، عليهم وإنما لاســـتمداد من الأمـــوات على طريقة الفلاسفة.

وأما تشبههم باليهود والنصارى في البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها فظـاهر، وحـتى لا يقـول قائل إن ذلك من أتباع الفلاسفة في علة الزيـارة إنما هو مـذهب مهجور لدى قبورية اليوم لا وجود له عندهم.

أقـــول له ولكل من يـــدافع عنهم: انظر إلى محمد علوي مالكي -بـاعث القبورية في مكة من جديد ووارث أحمد زيـــني دحلان ويوسف النبهـــاني- انظر إليه وهو يحكي أحوال الزائرين للنبي ﷺ: (تختلف أحوال الزائــرين في اســـتفادتهم من زيـــارتهم واســـتمدادهم من الله بواسطة نبيهم المصطفى وحـبيبهم المجتـبى ﷺ وبحسب اســـتعدادهم في تلقي الفيوضـــات الإلهية والـــواردات الربانية بواسطة الحضرة المحمدية)[2].

ويقـول في مـوطن آخـر: (اللهم صـلِّ وسـلم على سيدنا محمد أول متلق لفيضك الأول. صلاة نشـهدك بها من مرآتـه، ونصل بها إلى حضـرتك من حضـرة ذاتـه، قـائمين لك وله بـالأدب الـوافر، مغمـورين منك ومنه

---

1 1 انظر ص (403)

2 (?) شفاء الفـؤاد بزيـارة خـير العبـاد (124)السـيد محمد بن السيد علوي بن السيد عباس المـالكي الحسـني، ط الأولى(1411 هـ-1991م).

بالمدد الباطن والظاهر)[3].

وأما تشبههم باليهود والنصارى في البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها فظاهر ليس به خفاء.

3 (?) المصدر السابق (117).

المبحث الرابع: القبورية عند العرب قبل الإسلام وصلتها بالوثنية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إثبـات أن العـرب كـانوا على ملة إبراهيم الحنيفية السمحة:

كانت العرب وبالأخص عـرب الحجـاز على ملة أبيهم إبـــراهيم ، ملة التوحيد الحنيفية الســـمحة، بـــرآء من الشرك وأهله، كما حكى الله تعالى عن إبراهيم مثنيــاً عليه وعلى أتباعه بـــذلك: **إن إبـــراهيم كـــان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين. شــاكرا لأنعمه اجتبـــاه وهـــداه إلى صـــراط مســـتقيم وآتيناه في الـدنيا حسـنة وإنه في الآخـرة لمن الصــالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبــراهيم حنيفـاً وما كـان من المشـركين**[1] وقـال تعـالى مبرِئـاً إبـراهيم والـذين معه من الشـرك، ومقـدِّمَهم لنا قدوةً، وجاعلاً لنا الأسوة فيهم **قد كانت لكم أسـوة حســـنة في إبـــراهيم والـــذين معه إذ قـــالوا لقومهم إناَّ برءآؤا منكم ومما تعبـدون من دون الله كفرنا بكم وبـــــدا بيننا وبينكم العـــــداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده**[2].

وقد ذكّر الله العرب بهذا الإرث العظيم الذي ورثوه من أبيهم إبـــراهيم فقـــال: **ملة أبيكم إبـــراهيم هو سـمّاكم المسـلمين من قبل وفي هـذا ليكـون الرسـول شـهيدا عليكم وتكونـوا شـهداء على**

1 (?) النحل (120 - 123).

2 (?) الممتحنة (4).

الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكـاة واعتصـموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير[1] .

وقد بقي العـرب على تلك الملة قرونـاً، حـتى ظهر عمرو بن لحي الخزاعي فغيرها، ودعا العرب إلى عبادة الأوثـان، قـال رسـول الله : **$وعرضت عليَّ النـار فلما وجـدت سـفعتها تـأخرت عنهـا، وأكـثر من رأيت فيها النساء إنِ ائتمن أفشين، وإن سألن ألحفن، وإذا سـئلن بخلن، وإذا أعطين لم يشكرن، ورأيت فيها عمرو بن لحي يجر قُصـبه في النـار وأشـبه من رأيت به معبد بن أكثم الخزاعي، فقـال معبـد: يا رسـول أتخشى عليَّ من شَـبَهِه فإنه والـدي، فقـال: لا، أنت مـؤمن وهو كـافر، وهو أول من حمل العـرب على عبادة الأصنام#**[2]، وهناك ألفاظ أخرى بنفس المعنى في الصحيحين وغيرهما[3].

وكان سبب انحرافهم ووقوعهم في الشرك هو الغلو في الصـالحين كما سـيأتي في قصة عبـادتهم للّات أو للأمـاكن المقدسة كما في قصة نقلهم حجـارة الحـرم والطواف بها حيثما حلّوا.

المطلب الثاني: القبورية هي أصل الوثنية عند العرب:

كما هو الشـأن -بعد كل رسـالة من الرسـالات السابقة- تـأتي بعـدها فـترة ينقص العلم ويثبت الجهـل،

---

1 (?) الحج (78).

2 (?) الحاكم في المستدرك (4/605) وقـال: حـديث صـحيح الإسـناد ولم يخرجـاه ووافقه الـذهبي، طبع دار المعرفة بيروت بإشراف د. يوسف المرعشلي.

3 (?) انظر: السلسة الصحيحة للشيخ الألباني (4/242-244).

ويجد الشـيطان سـبيلاً إلى نفـوس النـاس وعقـولهم، فينحرف بهم عن الصـراط المسـتقيم، وقد مـرّ معنا أن دين إبـراهيم ظل قائمــاً حــتى ظهــور عمــرو بن لحي الخزاعي الـذي كـان أول من غيّـره وحـرَف العـرب عنه إلى عبادة الأصنام، وكان سـبب وقـوعهم في الوثنية هو الغلو في الصالحين منهم وتعظيم قبورهم حتى اتخذوها أصــناماً، قــال ابن عبــاس في قوله تعــالى ﴿**اللات والعزى**﴾[1]: (كـان اللات رجلاً يلت السـويق للحـاج)[2] والذي أمرهم بذلك هو عمرو بن لحي.

قال الحافظ ابن حجر في شـرح هـذا الحـديث -راداً على من زعم أن اللات هو عمــرو بن لحي: (والصـحيح أن اللات غـير عمـرو بن لحي، فقد أخـرج الفـاكهي من وجه آخر عن ابن عبــاس أن اللات لما مــات قــال لهم عمـــــرو بن لحي: إنه لم يمت ولكنه دخل الصـــــخرة فعبدوها وبنوا عليها بيتـاً، وتقـدم في منـاقب قـريش أن عمــرو بن لحي هو الــذي حمل العــرب على عبــادة الأصنام، وهو يؤيد هذه الرواية)[3].

فهـذا وجه من أوجه القبورية المؤدية إلى الوثنية عند العــــرب، **وهنــــاك وجه آخر** وهو تعظيم آثــــار الصالحين ومنازلهم وبيوت عباداتهم تعظيمـاً زائـداً على الحد المشروع.

قــال ابن هشــام في ســيرته: قــال: ابن إســحاق: (ويزعمـون أن أول ما كـانت عبـادة الحجـارة في بـني

---

1 (?) النجم (19).

2 (?) البخاري كتاب التفسـير بـاب (أفـرأيتم اللات والعـزى) (8/611) مع الفتح.

3 (?) الفتح (8/612).

إسماعيل أنه كـان لا يظعن من مكة ظـاعن منهم -حين ضاقت عليهم والتمسـوا الفسح في البلاد- إلا حمل معه حجراً من حجارة الحـرم تعظيمـاً للحـرم، فحيثما نزلـوا وضعوه فطـافوا به كطـوافهم بالكعبـة، حـتى سـلخ ذلك بهم إلى أن كـانوا يعبـدون ما استحسـنوا من الحجـارة، وأعجبهم، حـتى خلف الخلـوف ونسـوا ما كـانوا عليـه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات)[1].

فهـذا السـبب كما تـرى كـان ناتجـاً عن تعظيم آثـار إبراهيم وإسماعيل عليهما السـلام، فـالحرم شـرَّفه الله تعـــالى بهما حيث بَنَيَا فيه بيت الله الحـــرام والكعبة المشـرفة، فكـان تعظيم المكـان نـاتج عن تعظيم من اشتهر به وهو إبـراهيم وإسـماعيل عليهما السـلام، ذلك الغلو فيهما وفي البيت الذي ينسب إليهما كان سبباً في ضـــلال طوائف من العـــرب والـــزج بهم في الوثنية والشرك.

المطلب الثالث: انتشار الأصنام في جزيرة العرب:

بعد تلك البـــدايات البســـيطة والبدائية أخذ إبليس يرقّي العرب في سلّم الوثنية حـتى أصـبحت دينـاً تـدين

---

1 (?) سـيرة ابن هشـام (1/77)طبع مؤسسة علـوم القـرآن بـــدون تـاريخ تحقيق مصـطفى السـقا وإبـراهيم الأبيـاري وعبدالحفيظ شلبي

بـــه، له شـــعائره[1] ومشـــاعره[2] وطقوسه[3] وعقائـــده وتنوعت العبادات من طواف وتمسح ودعاء واستشـــفاع واستقسـام[4] بـالأزلام بين يـدي تلك الأصـنام إلى نـذر الأموال ونحر النعم وغير ذلك، كما انتشرت الأصنام في الجزيرة العربية انتشار النار في الهشيم بدءاً بـــبيت الله الـــذي أنشئ على التوحيد ولأجل التوحيـــد، حيث يقـــول الله تعالى عنـه: ﴿**وإذ بوأنا لإبراهيم مكـان الـبيت أن لا تشـرك بي شـيئاً وطهر بيـتي للطـائفين والقائمين والركع السجود**﴾[5].

هذا الـبيت كـان فيه أكـبر تجمع للأصـنام في جزيـرة العرب حيث كان عدد الأصنام -

---

1 (?) جمع شـعيرة مناسك العبـادة ومعالمها انظر القـاموس المحيط ص (535).

2 (?) جمع مشعر موطن العبادة. المصدر السابق ص (535)

3 (?) جمع طقس وهو نظـــام الخدمة الدينية عند النصـــارى. انظر: المعجم الوسيط (2/561).

4 (?) قال ابن جريـر(6/49): (وأن تستقسـموا بـالأزلام " وأن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام وهو استفعلت من القسـم، قسم الـرزق والحاجـات وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو نحو ذلك أجـال القـداح وهي الأزلام وكانت قداحاً مكتوبـاً على بعضـها "نهـاني ربي" وعلى بعضها "أمرني ربي" فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه أمـرني ربي مضى لـذلك لما أراد من سـفر أو غـزو أو تزويج وغير ذلك وإن خرج الـذي عليه "نهـاني ربي" كف عن المعنى لذلك وأمسـك، وأما الأزلام فـإن واحـدها زلم ويقـال زلم وهي القداح التي وصفنا أمرها).

5 (?) الحج (26).

الــتي كســرها رســول الله ﷺ يــوم فتح مكة في جــوف الكعبة وحولهـا- ثلاثمائة وسـتين صـنماً[1]، كما كـان في جوف الكعبة أشهر أصنام قريش على الإطلاق (هبل)[2]، ولم تبق قبيلة من قبائل العــرب إلا ولها صــنمها الــذي يعرف بها وتعـرف به وتعبّد له أبناءها[3]، بل تجـاوز الأمر إلى أن أصــبح لكل بيت صــنمه الخــاص به[4]، وحــتى المســـافر لا يقيم أثنـــاء ســـفره في بقعة إلا تخيّر من أحجارها ما يعجبه فينصبه إلهاً له[5].

ولم يكتف الشيطان بذلك بل دلّهم على أصنام قــوم نــوح الــتي كـانت مطمــورة في رمــال ســاحل جــدّة فاستخرجها مؤسس الوثنية في الجزيـرة العربية عمـرو بن لحي الخزاعي وفرقها على العرب فعظمت وعبـدت فيهم[6].

وبــذلك انطمست ملة إبــراهيم وغـاب التوحيد وحل الشرك محله، حتى صـارت الـدعوة إلى إخلاص العبـادة لله تعـالى من العجـائب لـديهم حينما صـدع بها النـبي ﷺ فقــالوا -كما حكــاه القــرآن -: ﴿**أجعل الآلهة إلهــاً**

1 (?) البخاري كتاب التفسير سـورة الإسـراء بـاب (وقل جـاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كـــان زهوقـــا) (8/400) من حديث ابن مسعود ﷺ.

2 (?) الأصنام لابن الكلبي ص (27).

3 (?) انظــر: الأصــنام ص(13) و(16) و(18) الــدار القومية بالقاهرة نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة (1343هـ-1924م).

4 (?) المصدر السابق ص (33).

5 (?) االمصدر السابق ص (33).

6 (?) أصله في البخاري كتاب التفسير سورة نوح بـاب " ود اً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق " وانظر: ابن هشام (1/78-80).

واحداً إن هذا لشيء عجاب، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هـذا لشـيء يراد، ما سـمعنا بهـذا في الملة الآخـرة إن هـذا إلاّ اختلاق[1].

المطلب الرابع: الحنفاء من العرب:

ذلك هو الجوّ المظلم الذي وصـلت إليه الأمة العربية قبل البعثة وهو الغالب عليها، ولكن بقي بصـيص ضـئيل من النور الخافت الذي نجا من أطباق الظلمة، ولكنه لم يهـدِ أصـحابه صـراطاً مسـتقيماً، ولم يسـلك بهم سـبيلاً قويماً[2]، وقد تمثّل ذلك في بقاء مجموعة صـغيرة جـداً متفرقة في أنحــاء الجزيــرة العربيــة، وربما كــان بمكة منهم نصيب أوفـر، أولئك هم من سُـمّوا بالحنفـاء نسـبة إلى الحنيفية ملة إبراهيم، وتمثل تمسكهم بالحنيفية في رفضهم للوثنية من حيث عبادة الأوثان وتقريب القرابين لهــا، واعتقــاد نفعها وضــرّها وشــفاعتها كما هو شــأن الوثنيين، هداهم إلى ذلك فطـرتهم الـتي مَنَّ الله عليهم ببقائها صــافية نقية من كَـدُورات الوثنيــة، غــير أنهم لم يهتــدوا إلى مــراد الله تعــالى وما يجب له من العبــادة، حــتى لقد نقل أهل الســير عن زيد بن عمــرو بن نقيل قوله: (اللهم إني لو أعلم أيّ الوجـوه إليك أحب عبـدتك به ولكني لا أعلمـه)[3] ولـذلك تفرقـوا في البلاد يبحثـون عن دين إبــراهيم، فمنهم من دخل النصــرانية كورقة بن

---

1 (?) سورة ص (5- 7).

2 (?) لأن الهداية التامة لا تكون إلا بالوحي لا غير.

3 (?) ابن هشام (1/225) عن ابن إسحاق قال حدثني: هشام بن عروة عن أبيه عن أمه أسماء، وهذا حديث حسن لمكــان ابن إسحاق وأما بقية أصحاب السند فمن أصح الأسانيد.

نوفـــل، ومنهم من لم يـــدخل أيّ دين وبقي على ما هو عليه كزيد بن عمرو بن نفيل.

وقد ذكـــرت أســـماء بعض هـــؤلاء فمنهم: قس بن ساعدة الأيادي، وزيد بن عمـرو بن نفيـل، وأمية بن أبي الصـــــلت، وأبو قيس بن أبى أنس، وخالد بن ســـــنان، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سُلمى، وكعب بن لــؤي بن غالب أحد أجداد النبي [1] وقد ذكر غـيرهم أيضـاً[2]، غير أن من هؤلاء الذين ذكروا من تنصر، وكل هــؤلاء لم يــدركوا الإســـلام إلا ورقة بن نوفل حيث أدرك الفــترة الأولى من الــوحي ففـــرح واستبشر وتمـــنى أن يعيش لــيرى دعــوة النــبي وينصــره ولكنه مــات في فــترة الوحي[3].

---

1 (?) الســيرة النبوية في ضــوء المصــادر الأصــلية (دراسة وتحليــل) ص (72) للــدكتور مهــدي رزق الله أحمد الأســتاذ المشارك بكلية التربية جامعة الملك سـعود الطبعة الأولى، (1412هـــــ- 1992م) نشر مركز الملك فيصل للبحــــوث والدراسات الإسلامية الرياض.

2 (?) نفس المصدر (77).

3 (?) انظر خبره في البخـاري كتـاب بـدء الـوحي (1/22) مع الفتح.

المبحث الأول: حال جزيرة العرب حين مبعث النبي وكيف قضى على الوثنية فيها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حـــال جزيـــرة العـــرب عند مبعث النبي :

عرفنا في مطلب القبورية عند العـــرب كيف فشت عبادة الأصنام، وشـملت جميع أطـراف جزيـرة العـرب، وأنه لم يبـــقَ على أصل التوحيد إلاّ أفـــراد يعـــدون بالأصـابع، منبـوذون من قـومهم يلقـون منهم السـخرية والاســـتهزاء والمقت، وكيف ســـيطرت الجاهلية على جميع أوجه الحيـاة حـتى أظلم الكـون، واسـتوجب أهله مقت الله وغضـبه، إلاّ أولئك الحنفـاء القلائل وبقايا من أهل الكتاب مشردين في الصحاري والقفار متوارين في صوامعهم وأديرتهم، وقد صوَّر النبي تلك الحالة، وذلك فيما رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشـعي قال: **$ألا إن ربي أمـرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمـني يـومي هـذا، كل مـال نحلته عبـداً حلال، وإني خلقت عبـادي حنفـاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحـرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشـركوا بي ما لم أنـزل به سـلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عـــربهم وعجمهم إلاّ بقايا من أهل الكتـاب#**[1]، هكـذا كـانت الـدنيا بما فيها جزيـرة

1 (?)صـحيح مسـلم (4/2197)، كتـاب الجنة وصـفة نعيمها وأهلها، باب الصفات الـتي يعـرف بها في الـدنيا أهل الجنة و أهل النار.

العرب عند مبعث النبي ، فكيف انجابت تلك الظلمة، وزالت تلك الجاهلية؟ هذا ما سنعرفه في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: قضاء النبي على الوثنية في جزيرة العرب:

لقد بعث الله رسوله بما بعث به إخوانه المرسلين من قبله؛ لإزالة الشرك، ونشر التوحيد، وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد سبحانه، كما قال تعالى: **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**[1]، فشمرّ الرسول في الدعوة إلى الله سراً وجهراً وليلاً ونهاراً، وكان أول ما أعلنه من دعوته حين أمره الله تعالى أن يصدع بها أن قال: **$يا أيها الناس قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا#**[2]، فاستجاب له السابقون الأولون، وحاربه بقية قومه واستهجنوا ما جاء به واستنكروه، وقالوا ما حكاه الله عنهم: **وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب. أجعل الآلهة إلهًا واحداً إن هذا لشيء**

---

1 (?) النحل (36).

2 (?)المسند (3/492، 4/341)، و الطبراني في الكبير (4582) من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد، وله شاهد من طريق طارق بن عبدالله المحاربي أخرجه ا بن حبان (6562)كتاب التاريخ، باب كتب النبي ذكر مقاساة المصطفى ما كان يقاسي من قومه في إظهار الإسلام صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان طبع مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية = (1314هـ-1993م) بتحقيق شعيب الأرناؤوط. وصححه الحاكم (2/612)كتاب التاريخ، ذكر أخبار سيد المرسلين ، ووافقه الذهبي.

عجاب. وانطلق الملأ منهم أن امشـوا واصـبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد. ما سمعنا بهـذا في المِلَّةِ الآخرة إن هذا إلا اختلاق[1].

لكن الله أبى إلاّ أن يتم نـوره ويعليَ كلمته ولـوكره الكـــافرون، ومضى في دعوته وتـــربى على ذلك أصحابه، وانطلقوا دعاةً إلى ذلك، فاتسعت دائـرة الحق وانتشر نـور الإسـلام بعد جهد كبـير وزمن غـير قصـير؛ حمل عليه العناية الفائقة الـتي أولاها رسـول للتربية وغـرس العقيـدة في النفـوس حـتى تمكنت منهـا، ثم توالت المحن وصب العذاب على أصحابه ليشتدّ عودهم وتصقل نفوسهم، حتى إذا تهيأوا لإقامة دولة التوحيد؛هيأ لهم الملاذ الآمن والقاعدة الصـلبة الـتي تبـنى عليها تلك الدولة، وذلك بإسلام الأوس والخزرج ومبايعتهم للنبي ، ثم هجرته إليهم، وحينما استقر في المدينة وثبّت دعـائم الدولة انكفأ يدعو إلى الله بأسلوب آخر، بالقوة والجهاد لمن يعـترض سـبيل تلك الـدعوة كما أمـره الله تعـالى بـذلك حيث قـال: **وقـاتلوهم حـتى لا تكـون فتـةٌ ويكون الدين كله لله فـإن انتهـوا فـإنَّ الله بما يعملون بصير**[2]، وكما صـرَّح هو عن حقيقة دعوته ووسـيلته لتحقيقها حيث قـال: $**بعثت بين يـدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحـده لا شـريك له وجُعـلَ رزقي تحت ظل رمحي وجُعلَت الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبَّه بقوم فهو منهم**#[3].

---

1 3سورة ص (4 - 7).

2 (?) الأنفال (39)

3 (?) تقدَّم تخريجه في الباب التمهيدي ص (32).

وتـوالت الحـروب بينه وبين الكـافرين مع اسـتمراره في الدعوة والتربية، حتى أذن الله بالفتح ففتحت مكـة، وعلى أثر ذلك دخل الناس في دين الله أفواجاً كما قال تعالى: **﴿إذا جـاء نصر الله والفتح. ورأيت النـاس يدخلون في دين الله أفواجاً. فسـبِّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾**[1].

وعند ذلك علت راية التوحيد خفاقة على ربـوع الجزيرة العربيـة، وكـانت الدولة والكلمة للإسـلام، وزال الشـرك وقضي عليـه، حـتى بعَث النـبي ﷺ في السـنة التاسعة من الهجرة علياً رضي الله عنه بهذا الإعلان النهائي المشـعر بأنه لا مكان للشرك في هذه الجزيـرة، ولاحق لمشـرك أن يمـارس شـركه فيهـا، فكـان هـذا الإعلان في موسم الحج ليسـمعه كل من شـهد الموسم ويعـود لإبلاغه إلى قومـه: **﴿بـراءةٌ من الله ورسـوله إلى الـذين عاهـدتم من المشـركين. فسـيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غيرُ معجزي الله وأن الله مخـزي الكـافرين. وأذان من الله ورسـوله إلى النـاس يـوم الحج الأكـبر أن الله بـريء من المشـركين ورسـوله، فـإن تبتم فهو خـير لكم وإن تـوليتم فـاعلموا أنكم غـير معجـزي الله وبشر الـذين كفـروا بعـذاب أليم﴾[2]**، وكـان عليّ يتبع ذلك بقوله: (ألا لا يحجنَّ بعد هذا العـام مشـرك، ولا يطوفن بالبيت عريان)[3].

---

1 (?) سورة النصر.

2 (?) التوبة (1-3).

3 (?) البخاري مع الفتح (8/317-318)، كتاب التفسير، بـاب (فسـيحوا في الأرض أربعة أشـهر)، وبـاب (وأذان من الله

وبالفعل لم يعد ذلك الموسم من السنة العاشـرة إلَّا وقد طهِّرت الجزيـرة من الشـرك والمشـركين ,وأُجلِب أهلها للاستجابة لـدعوة اللـه، وحققـوا توحيـده، وصـاروا من حزبه بعد أن كـانوا من حـزب الشـيطان، فما حج رسـول الله حجته الوحيـدة الشـهيرة بحجة الـوداع إلّا وكل من حضر الموسم - وهم عـدد كبـير لم تشـهد الجزيرة تجمعاً مثله من قبل - كلهم مسلمون موحـدون وبـذلك أكمل الله الـدين وأتم النعمة على عبـاده المؤمنين وانتهت مهمة خاتم المرسلين، ونزلت في يوم عرفة من ذلك العام آخر آية من كتـاب الله معلنة ذلـك: **اليـوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**[1].

وحين رأى الشيطان تلك الفتـوح وذلك الإقبـال على دين الله وتلك النهاية للشـرك والمشـركين في جزيـرة العـرب، أصـابه اليـأس وغلب عليه القنـوط من عـودة الشـرك إليها وقيـام دولة له فيها كتلك الـتي هـوت وتلاشت بقيـام دولة الإسـلام، وقد أخـبر النـبي بيأسه ذلك فقـال: **$إنَّ الشـيطان قد أيس أن يعبـده المصـلون في جزيـرة العـرب ولكن في التحـريش بينهم#**[2]، وقـال: **$وإني والله ما أخـاف عليكم أن تشـركوا بعـدي، ولكن أخـاف**

ورسـوله إلى النـاس يـوم الحج الأكـبر أن الله بـريء من المشركين ورسوله).

1 (?) المائدة (3).

2 (?) صـحيح مسـلم (4/2166)، كتـاب صـفة المنـافقين وأحكامهم، باب تحريش الشيطان وبعثه السرايا لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً.

عليكم أن تنافســوا فيها#[1]، وقــال**: $لا تــزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضـرهم من خذلهم ولا من عاداهم حـتى يـأتي أمر الله وهم على ذلك#**[2].

وليس معنى ذلك أن لا يتطـرق أي نـوع من الشـرك على أي حال من الأحوال، وإنما المقصود نوع خاص من عبادة الشيطان، كما سيأتي إيضاحه في المبحث الثـاني إن شاء الله.

---

1 (?) رواه البخــاري مع الفتح (3/209)، في الجنــائز بــاب الصلاة على الشهيد، ومسـلم (4/1795)في الفضـائل، بـاب إثبات حوض النبي ، تحقيق عبد الباقي.

2 (?) مسلم (3/1523)، كتاب الإمارة، باب قوله : (لا تـزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم).

المبحث الثاني: إنذار النبي بعودة الشرك إلى جزيرة العرب

والرد على من زعم المنع من عودة الشرك إليها مطلقاً

و فيه مطلبان:

المطلب الأول: الإنذار بعـودة الشـرك إلى جزيـرة العرب:

رغم البشـــارات العظيمة الـــتي رأيناها في المبحث السابق، فإن النبي أنذر كذلك بعـودة الشـرك والوثنية إلى هذه الجزيرة المباركة في أحاديث كثيرة صـرَّح فيها بعبـادة الأوثـان مطلقـاً، أو عبـادة أوثـان مخصوصة من أوثـان العـرب في جاهليتهـا، أو بلحـوق أقـوام من أمته بالمشركين، وهذا كله يدل على أن الأحاديث الـتي يُفهم منها امتناع عودة الشرك إلى جزيـرة العـرب ليس على إطلاقهـــا، وإنما هي محمولة على معـــانٍ أو أحـــوال مخصوصـــة، والـــداعي إلى حملها على تلك الأحـــوال والمعـاني المخصوصة هو وجـوب الجمع بين النصـوص الصـحيحة؛ حـتى نتمكن من إعمـال جميع النصـوص ولا نلجأ إلى التحكم بإبطال بعضـها مع صـحة أسـانيدها إلى النبي كما صرّح بذلك علماء الأصول والمصطلح[1]

[1] (?) انظر: الموافقـات (4/299) للإمـام إبـراهيم بن موسى الشـاطبي، طبع دار المعرفة بـيروت بـدون تـاريخ، والاعتبـار في الناسخ و المنسوخ من الآثار (54) للإمام أبي بكر محمد بن موسى الحـازمي الهمـذاني، تحقيق الـدكتور عبد لمعطي قلعجي، نشر جامعة الدراسات الإسـلامية بكراتشـي، الطبعة الأولى (1403هـ-1982م).

ومن هـذه الأحـاديث حـديث ثوبـان الطويل الـذي أخـبر فيه النـبي ببلـوغ الإسـلام إلى مشـارق الأرض ومغاربها وفيــه: **$لا تقــوم الســاعة حــتى تلحق قبائل من أمتي بالمشـركين وحـتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان#**[1].

ومنها حديث أبي هريرة أن رسول الله قـال: **$لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليـات نسـاء دوس حول ذي الخلصة#**[2].

ومنها حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله قـال: **$لا يـذهب الليل والنهـار حـتى تعبد اللات والعزى، فقالت عائشة: يا رسـول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: هو الـذي أرسل رسـوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كــره المشــركون[3] أن ذلك تــام قــال: $إنه ســيكون من ذلك ما شــاء اللــه، ثم يبعث الله ريحـاً طيبـة، فَتَـوَفَّى كل من في قلبه مثقـال حبة خــردل من إيمــان فيبقى من لا خــير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم#**[4].

---

1 (?) أبو داود (2/499) كتــاب الفتن ودلائلهــا، بــاب ما ذكر الفتن ودلائلها، وابن ماجه (2/1304)، كتـاب الفتن، بـاب ما يكـون من الفتن. وصـححه شـيخنا الألبـاني في صـحيح ابن ماجه (2/352).

2 (?) البخـاري مع الفتح(13/76)، كتــاب الفتن، بــاب تغـير الزمان حتى تعبد الأوثان، ومسلم مع النووي(18/32)، كتاب الفتن.

3 (?) الصف (9).

4 (?) مســلم مع النــووي (18/33) كتــاب الفتن و أشــراط الساعة.

فهـذه الأحـاديث الثلاثة صـحيحة أسـانيدها، صـريحة متونها، في أن الأوثـان سـتعبد في جزيـرة العـرب، وأن أقوامــاً من أمة محمد سـيلتحقون بالمشـركين، ومن بـاب الإنصـاف فإنه يفهم من حـديث عائشة رضي الله عنها أن ذلك كـائن بعد أن يبعث الله الـريح الـتي تقبض أرواح المؤمـنين، ومع تسـليمنا بـذلك إلا أننا نقـول: إنه ليس في الحديث ما يمنع وقوع الشرك وعبـادة الأوثـان قبل ذلك الريح، وهذا ما سنثبته في المطلب الثـاني إن شاء الله.

المطلب الثـــاني: الـــرد على من زعم المنع من عودة الشرك إلى جزيرة العرب:

إن الأحـاديث الـتي أوردنا بعضـها في المطلب الأول لَتَردُّ على مَنْ منع عـودة الشـرك في هـذه الأمـة، وذلك من ناحيتين:

الناحية الأولى أن هذه الأحـاديث دالة قطعـاً على أن الحــديث الــذي يســتدلون به **$إن الشــيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيـرة العـرب#**[1] ليس على عمومه بل هو مخصــوص، ومعلــوم عند أهل الأصول أن العام الذي قد دخل عليه التخصـيص تضـعف دلالته بذلك، ولا يكون كالسالم من ذلك الذي لم يتطرق إليه تخصيص، وعلى هذا فإننا نقول إن كان النـبي ذكر يـأس الشـيطان مقِـراً له فـإن ذلك محمـول على حـال مخصوص وهو أن تجتمع الأمة على عبادة الأوثان أو نحو ذلك من المعاني والأحوال.

وإن كـان مجـرد إخبـار عن حـال الشـيطان حين بُهِر بانتشار الإسلام ودخول الناس في دين الله أفواجاً فهذا

1 (?) تقدم تخريجه ص (107).

ليس بدليل أصلاً؛ لأن يـأْس الشـيطان ليس بحجة على أحـد، وهو لا شك مخلـوق كسـائر الخلق معـرض لسـوء التقـــدير وخلف الظن، وطـــروء ســـائر ما يطـــرأ على المخلوقين من أمل وقنوط ويـأس واستبشـار، ولا يلـزم أن يتحقق كل ما يطـرأ عليـه، وما يأسُـه هنا إلا من هـذا القبيل، أيِسَ في ذلك الوقت الذي رأى فيه إقبال الخـير واندحار الشر، ثم عاد إليه الأمل والرجـاء منذ أن أوشك الرسول ﷺ على الرحيل، وتحقق له شيء مما أمَّلَـهُ على يد مســيلمة الكــذاب، والأســود العنسي وأتباعهما من المرتـدين في نـواحي الجزيـرة العربيـة، وإن كـان هـذا الحـال لم يـدمْ طـويلاً حيث قضى أبـوبكر ومعه سـائر الصحابة على تلك الردة، وأعادوا المرتدين إلى حظـيرة الإســـلام، إلا أن ما حصل كـــان دليلاً على أن يـــأس الشيطان لم يكن قاطعاً ولا ثابتاً، بل كان قـابلاً للتحـول إلى الأمل والرجاء.

الناحية الثانية: إن مما يدل على أن ذلك الحـديث ليس دالاً على عدم وقوع الشرك في جزيرة العرب هو وقوعه بالفعل وإليك نماذج من ذلك الوقوع:

النمـوذج الأول الـردة الواقعة عند وفـاة النـبي ﷺ وهي معلومة لـــدى الجميع امتلأت بها كتب الســـير والتواريخ وكتب السنة والحـديث[1]، ومجـرد الـردة يعتـبر عبـادةً للشـيطان على أي صـورة كـانت، فمجـرد الكفر بالله يعتــبر عبــادة للشــيطان، لأنه اســتجابة وطاعة للشيطان وتلك هي العبادة بعينها.

ومع ذلك فقد صـــرح العلمـــاء برجـــوع طوائف من

1 (?) وقد أورد ابن كثير أخبار الردة وقتال المرتدين بإسـهاب في تاريخه (6/311-332).

العرب إلى عبادة الأوثان.

فقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي عيـــــاض[1] وغيره أنهم قـالوا: (كـان أهل الـردة على ثلاثة أصـناف، صنف عادوا إلى عبـادة الأوثـان، وصـنف تبعـوا مسـيلمة والأسـود العنسـي، وكـان كل منهمـا، ادعى النبـوة قبل مــوت النــبي فصــدق مســيلمة أهل اليمامة وجماعة غيرهم، وصدق الأسود أهل صنعاء وجماعة غيرهم - إلى أن قال - وصـنف ثـالث اسـتمروا على الإسـلام، ولكنهم جحـدوا الزكـاة وتـأولوا بأنها خاصة بـزمن النـبي وهم الذين ناظر عمر أبا بكر في قتـالهم كما وقع في حـديث البـاب، ثم نقل عن ابن حـزم أن العـرب انقسـمت إلى أربعة أقسام ".. والثالثة أعلنت بالكفر والردة..")[2].

وقد أقر الحافظ هـذه الأقـوال، كما أقرها غـيره من العلماء والمؤرخين، وممن نقل ذلك عن القاضي عياض -مقــراً له -أحد مــؤرخي حضــرموت المعتمــدين لــدى القبـوريين وهو صـالح بن علي الحامد في كتابه " تـاريخ حضـرموت "[3]، فهـذه الحادثة تنقض الاسـتدلال بحـديث: **$يأس الشـيطان#** وحـديث: **$ما الشـرك أخشى عليكم#** على اســتحالة عــودة الشــرك إلى جزيــرة العرب نقضاً صريحاً.

النمـوذج الثـاني - التصــريح بألوهية علي بن أبي

---

1 (?) هو القاضي عيـاض بن موسى اليحصـبي تـوفي سـنة (544هـ) انظر ترجمته في السير (20/212) والبداية والنهاية (12/225).

2 (?) الفتح (12/276).

3 (?) تاريخ حضرموت (ص146) لصالح بن علي الحامد، طبع مكتب الإرشاد بجدة بدون تاريخ.

طالب من قبل عبدالله بن سـبأ اليهـودي وأتباعه أيـام خلافته بالعراق.

روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن عكرمة - رحمه الله - قال: (أتى علي بزنادقة فـأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عبـــاس فقـــال: لو كنت أنا لم أحـــرقهم لنهي النبي **"لا تعذبوا بعذاب الله"** ولَقَتَلْتُهم لقول النــبي : **"من بدّل دينه فاقتلوه"**)[1].

قـال الحافظ في شـرحه لهـذا الحـديث: (وزعم أبو المظفر الإســفرايني في "الملل والنحـــل" أن الـــذين أحرقهم عليٌّ طائفة من الـروافض ادعَـوا فيه الألوهية وهم السبأية، وكان كبـيرهم عبدالله بن سـبأ يهوديـاً، ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكـون أصله: ما رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طـاهر المخلص من طريق عبدالله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي : إن هنا قوم على باب المسجد يدّعون أنك ربهم فـدعاهم فقـال لهم ويلكم ما تقولون؟ قـالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعـــام كما تـــأكلون، وأشـــرب كما تشـــربون، إن أطعت الله أثـــابني إن شـــاء، وإن عصـــيته خشـــيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبَوا إلا ذلك، فقال: ياقنبر ائتني بفَعَلَـةٍ[2] معهم مَـرورهم[3]، فخُـدَّ لهم أخـدوداً بين بـاب المسـجد والقصـر، وقـال: احفـروا فأبعِـدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخـدود وقـال

---

1 (?) البخاري مع الفتح (12/267).

2 (?) الفَعَلَة: جمعُ فاعلٍ، أي عامل. والمرور: جمعُ مَـرٍّ وهو " المسحاة " القاموس المحيط ص (610).

3

إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا فلما كـان الغد غـدَوا عليـه، فجـاء قنـبر فقـال: قد والله رجعـوا يقولـون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم، فقـالوا كـذلك، فلما كـان الثـالث قـال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بـأخبث قتلة فـأبوا إلا ذلك أن يرجعوا فقذف بهم فيها حتى احترقوا وقال:

إني إذا رأيت الأمر أمراً منكراً أو قدت ناري ودعوت قنبراً

وهذا سند حسن)[1].

وقد اعـترف الرافضة أنفسـهم بهـذه الحادثـة، فقد أورد الدكتور عبد الرسول الغفار في كتابه "شـبهة الغلو عند الشيعة " عـدد من الروايـات عن أئمة الشـيعة تؤيد ما ذكره الحافظ[2].

وهذا شرك لا ريب فيه وعبادة للشـيطان على جميع وجوه التفسير لذلك الحـديث، فـإن قـال قائـل: إن هـذا ليس في جزيـرة العـرب، قلت: هل الشـرك ممتنع في خصوص الجزيرة أم في عموم الأمـة؟ الـذي أعرفه من كلام القـــوم هو أن الشـــرك ممتنع في عمـــوم الأمة0 وعلى ذلك فهذه الحادثة ردٌّ صريح عليهم.

النمـــوذج الثـــالث القرامطة الـــذين أعلنـــوا عن كفـــرهم بـــأقوالهم وأفعـــالهم، وأجمع العلمـــاء والمؤرخـــون على كفرهم وقد خرجوا في هـذه الأمة وفي جزيـرة العـرب، وكـــان مقر ملكهم البحـــرين، ووصل من كفـــرهم أنهم أغاروا على مكة فقتلوا الحجيج، وانتهكـوا حرمة الـبيت، واقتلعوا الحجر الأسود من موضعه واحتملـوه معهم إلى

1 (?) الفتح (12/270).

2 (?) انظـــر: شـــبهة الغلو عند الشـــيعة (56-60) للـــدكتور عبدالرسول الغفار، الطبعة الأولى (1415هـــ- 1995 م) دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان.

مقر ملكهم، ومكث عنــدهم بضــعاً وعشــرين ســنة ثم أعادوه، وعندما فعل قائـدهم الخـبيث فعلته رفع عقيرته متبجحاً بما فعل معلناً كفره وإلحاده قائلاً:

فلو كـان هـذا الـبيت لله ربنا لصـبَّ علينا النـار من فوقنا صبا

لأنا حججنا حجة جاهلية مجللة لم تبقِ شـرقًا ولا غربا[1]

وهــذا النمــوذج رد آخر صــريح على من يــزعم أن الشرك لن يعود إلى جزيرة العرب، إلا إن كان يفهم من الحديث أن عبادة الشيطان لا تكـون إلا بعبـادة الأصـنام خاصة فإن صاحب هذا الفهم ربما سلم له ذلك ولكن ما الدليل على تخصيص عبادة الشـيطان بـذلك دون سـواه من أنواع الكفر والإلحاد؟

الواقع أنه لا دليل على ذلك، وأن جميع أنواع الكفـر- من شــرك وإلحــاد وغيرها من أنــواع الكفر - هي من عبــــادة الشــــيطان، بل جميع المعاصي من عبــــادة الشيطان.

قال الإمام الرازي - رحمه الله -: " المسـألة الرابعة " قوله: ﴿**لا تعبدوا الشيطان**﴾ معناه لا تطيعوه بدليل أن المنهي عنه ليس هو السجود له فحسب، بل الانقيـاد لأمره والطاعة له فالطاعة عبادة)[2]، وهذا يشمل جميع أنواع المعاصي.

وقد عــدَّ الشــنقيطي -رحمه الله - الحكم بغــير ما

---

1 (?) مــرآة الجنــان وعــبرة اليقظــان (2/272) لأبي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي، الطبعة الثانية (1413 هــ- 1993 م) دار الكتاب الإسلامي القاهرة.

2 (?) تفسير الرازي (26/96).

أنزل الله من عبادة الشيطان فقال: (واتباع الشرائع المخالفة لما شرعه الله تعالى هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى: **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان**[1] وقوله تعالى على لسان إبراهيم: **يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً**[2][3].

النموذج الرابع - علي بن الفضل الجدني الذي ظهر في اليمن عام (278هـ) وقتل بعاصمة مملكته المذيخرة عام (304 هـ) هذا الرجل أجمع -كذلك- على كفره وإلحاده العلماء والمؤرخون ونقلوا عنه الإلحاد الصريح والكفر البواح، فهل يقول القبوريون أنه ليس بكافر؛لأن جزيرة العرب لن يعود إليها الشرك إلى قيام الساعة أم بماذا يجيبون عنه؟

النموذج الخامس: رؤساء وقادة الحزب الاشتراكي اليمني الذين أعلنوا الإلحاد وحاربوا الله ورسوله والمؤمنين، وأحلوا المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة، واستهزأوا بالله ورسوله، اتفقت كلمة العلماء المعتبرين- المعاصرين لهم- على كفرهم وإلحادهم في الجملة، وهو دليل قاطع على أن الشرك قابل أن يعود إلى جزيرة العرب وإلى سواها من بلاد العالم الإسلامي، ولا يمكن للقبوريين أن يردوا هذا الدليل بأي حجة مقنعة، فلم يبق بعد هذه النماذج شبهة للقبوريين إلا: الهوى والإصرار على التمسك بالقول وإن

---

1 (?) يس (60).
2 (?) مريم (44).
3 (?) أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن (4/83) محمد الأمين الشنقيطي طبع عالم الكتب بيروت بدون تاريخ.

ظهر خطؤه.

ومما يدل على إمكان وقـوع الشـرك في هـذه الأمة تواطؤ جميع المـؤلفين في الفقـه، وكـذا كتب أحـاديث الأحكام على تخصـيص بـاب أو كتـاب في كل مؤلفـاتهم الشاملة باسم باب الـردة، ولو كـان الأمر مسـتحيلاً لما أضـاعوا الجهد والـوقت في الكلام على أمر مسـتحيل الوقـوع، إنهم ما فعلـوا ذلك إلا وهم يعلمـون يقينـاً أن ذلك ممكن، وأن ما يسـتدل به القبوريـون لايـدل على شيء من ذلك.

المبحث الثالث: خلو الثلاثة القرون المفضلة من مظاهر القبورية وآثارها

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تصريح العلماء بخلوّ القرون المفضلة عن وجود المشاهد والمساجد على القبور:

سبق في الباب التمهيدي الأحاديث الناهية عن اتخاذ القبور مساجد والأمر بتسوية القبور، وعرفنا كيف طبّق الصحابة والتابعون تلك الأحاديث، وكيف فعلوا بقبر النبي ﷺ عند موته، ثم كيف فعلوا عندما اضطروا إلى إدخال موضع قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر، وكيف تصرف الصحابة إزاء قبر دانيال حين وجدوه أيام الفتوح، وعرفنا مما سبق حذرهم الشديد من ظهور تعظيم القبور وتقديسها خشية الافتتان بها، وعلى ذلك فلا غروَ أن يسير التابعون لهم بإحسان على طريقهم، وكذلك تابعوهم رضي الله عن الجميع ورحمهم رحمة واسعة، وهذا ما صرح به العلماء رحمهم الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في مجموع الفتاوى وهو يتكلَّم عن مشهد رأس الحسين ﷺ: (... دَعْ خلافة بني العباس في أوائلها وفي حال استقامتها فإنهم حينئذ لم يكونوا يعظمون المشاهد سواء منها ما كان صدقاً أو كذباً كما حدث فيما بعد؛ لأن الإسلام كان حينئذ في قوته وعنفوانه ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام لا في الحجاز ولا اليمن ولا الشام ولا العراق ولا

مصر ولا خراسان ولا المغرب ولم يكن قد أحْدِث مشهد لا على قبر نبي ولا صاحب ولا من أهل الـبيت ولا صـالح أصـلاً، بل عامة هـذه المشـاهد محدثه بعد ذلـك، وكـان ظهورها وانتشــارها حين ضــعفت خلافة بــني العبــاس وتفــرقت الأمة وكــثر فيهم الزنادقة والملبســون على المســـلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البـــدع وذلك من دولة المقتـــــدر في أواخر المائة الثالثـــــة، فإنه إذ ذاك ظهـرت القرامطة العبيدية القداحية بـأرض المغـرب ثم جاءوا بعد ذلك إلى أرض مصر وقريبــاً من ذلك ظهر بنو بويه وكان في كثير منهم زندقة وبدع قوية، وفي دولتهم قويَ بنو القداح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسـوب إلى علي بناحية النجـف، وإلاّ فقبل ذلك لم يكن أحد يقــول إن قــبر علي هنــاك وإنما دفن علي بقصر الإمارة بالكوفة. وإنما ذكروا أن بعضهم حكى عن الرشـــيد أنه جـــاء إلى بقعة هنـــاك وجعل يعتـــذر إلى المدفون فيها، فقالوا إنه علي، وإنه اعتذر إليه مما فعل بولـده، فقـالوا هـذا قـبر علي، وقد قـال قـوم إنه قـبر المغـيرة بن شـعبة والكلام عليه مبسـوط في غـير هـذا الموضع)[1].

ويؤيد ماقرره شيخ الإسلام ما قاله الإمامان الـذهبي وابن كثـير، يقـول الـذهبي في آخر ترجمة عضد الدولة البويهي الـذي قـال عنه قبل ذلـك: (وكـان شـيعياً جلـداً أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمـام علي وبـنى عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتَم عاشوراء والاعتزال) ثم قـــال: وبه ختم ترجمة عضد الدولـــة: (قلت: فنحمد الله على العافية فلقد جـــرى على الإســـلام في المائة

1 (?) مجموع الفتاوى (27/465- 467).

الرابعة بلاء شـــديد بالدولة العبيدية بـــالمغرب، وبالدولة البويهية بالمشـــرق وبـــالأعراب القرامطة فـــالأمر لله تعالى)[1].

وقـال ابن كثـير في حـوادث سـنة (347هــ): (وقد امتلأت البلاد رفضاً وسـباً للصـحابة من بـني بوية وبـني حمـدان والفـاطميين، وكل ملـوك البلاد مصـراً وشـاماً وعراقـاً وخـرا سان وغــير ذلك من البلاد كـانوا رفضـاً وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب، وكـثر السب والتكفير منهم للصحابة)[2].

ويؤيده كـذلك ما ذكـره السـمهودي -رحمه الله -في كتابه (وفاء الوفـاء بأخبـار دار المصـطفى) وهو يتحـدث عن قبر فاطمة رضي الله عنها قال: (وإنما أوجب عــدم العلم بعين قـــــــبر فاطمة رضي الله عنها وغيرها من الســلف ما كــانوا عليه من عــدم البنــاء على القبــور وتجصيصها)[3].

ثم قــال تحت عنــوان: " بيــان المشــاهد المعروفة اليوم بـالبقيع وغـيره من المدينة المشـرفة ": (اعلم أن أكثر الصحابة -كما قال المطري ممن تـوفي في حيـاة النـبي وبعد وفاتـه- مـدفونون بـالبقيع وكـذلك سـادات أهل بيت النبي وسادات التابعين .

وفي مدارك عيـاض عن مالك أنه مـات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف وباقيهم تفرقوا في البلدان.

وقــال المجــد: " لاشك أن مقــبرة البقيع محشــوة

---

1 (?) السير (16/250-252).

2 (?) البداية والنهاية (11/233).

3 (?) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى (3/906) لنـور الـدين محمد السمهودي توفي (911هـ).

بالجماء الغفير من سادات الأمة غير أن اجتناب السلف الصالح المبالغة في تعظيم القبور و تجصيصها أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم فلذلك لا يعرف قبر معين منهم إلاّ أفراداً معدودة ")[1].

ويؤيده أيضاً ما ذكره الشافعي- رحمه الله تعالى - في كتابه الأم قال: (ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة)، قال الراوي عن طاووس: (إن رسول نهى أن تبنى القبور أو تجصص - قال الشافعي -: (وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أرَ الفقهاء يعيبون ذلك)[2].

وحتى قبورية اليمن يعترفون بذلك، فهذا الشلي[3] يقول وهو يتحدث عن مقابر تريم: (إن كثيرا منهم لايعرف عين قبره، بل ولا جهته لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور وإنما استحسنه

---

1 (?) المصدر السابق (3/916).

2 (?) الأم (11/277)للإمام محمد بن إدريس الشافعي.

3 (?) محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي من كبار صوفية حضرموت عاش بمكة وله عدد من المؤلفات أشهرها "المشرع الروي" يعد من أكثر كتب التراجم سخافة وخرافة شحنه بما لا يقبله عقل ولا يقره نقل ومع ذلك فهو عمدة من عمد تاريخ حضرموت قال علوي ابن طاهر الحداد في جني الشماريخ ص (31): (ولا يحتاج الآخذ من المشرع أن يتطلب حجة في كل شي ء رآه فيه. فإن صاحب المشرع من العلم والاطلاع والاستقراء بالمحل العالي وقد شهد له الحبيب الإمام القطب الحداد بالثقة والصدق كما جاء في مجموع كلامه ولا يحضرني الآن نقله بالحرف وناهيك بذلك ناهيك) توفي سنة(1093هـ) انظر ترجمته: في المشرع وقد ترجم لنفسه (2/17).

المتأخرون)[4].

المطلب الثاني: ما يستدل به القبورية على وجود مشاهد ومبان على القبور في تلك القرون:

القبورية فرقة مبتدعة كســــائر الفـــــرق المبتدعة الضـــالة، يجمعها جميعـــاً تتبع المتشـــابه من القـــول والإعـراض عن المحكم الصـريح، فـبرغم الأدلة القطعية على النهي عن البنــاء على القبــور وتجصيصــها واتخاذها مساجد والكتابة عليها وغير ذلك من الأدلة المحكمــة، إلا أنهم تركوا ذلك كله و احتجوا بأمور لا يجوز الاحتجاج بها، إما لعدم ثبوتها أو لعدم دلالتها على المطلـوب، وسـأذكر هنا ما اســتدلوا به من وجــود مبـــان على القبـــور في القرون المفضلة وهي:

(1) أن الصحابة بنوا مسجداً على القـبر في حياته فأقرهم على ذلك، ولم يأمرهم بهدمه.

(2) أن عمر بن الخطــاب ضـرب خيمة على قــبر زينب بنت جحش رضي الله عنها.

(3) أن عثمــان بن عفــان ضـرب الفسـطاط على قبر الحكم بن أبي العاص.

(4) أن محمد بن الحنفية ضرب فسطاطاً على قـبر عبدالله بن العباس .

(5) أن فاطمة بنت الحســـين امـــــرأة الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ضـربت على قـبره القبة سنة ثم رُفعت.

(6) أن عائشة رضي الله عنها أمــــرت بفســـطاط فضــرب على قــبر أخيها عبــدالرحمن حين مــات بــذي طوى.

---

4 (?) المشرع (1/147).

(7) أن خارجة بن زيد قال: (رأيتني ونحن شبان في زمان عثمان بن عفان وإن أشدَّنا وثبة الـذي يثب قـبر عثمان بن مضعون حتى يجاوزه).

قلت: هـذه سـبعة آثـار اسـتدل بها القبوريـون على وجود أصـلٍ لما دَرَجـوا عليه من البنـاء على القبـور في عهد السلف الصالح [1]، وسأرد - بحول اللـه- على ذلك مبيناً أنه لا أسـاس لما تمسـكوا به إلا ما يفعله من قـال الله فيهم: **فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشـابه منه ابتغـاء الفتنة وابتغـاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله**[2].

المطلب الثالث: الرد على ما استدلوا به من الشبهات على وجود مبان على القبور في تلك القرون:

الشبهة الأولى - قولهم بأن الصحابة بنوا مسـجداً على القبر في حياته فأقرهم على ذلـك، وهم يريـدون بـذلك ما ذكـره ابن عبد الـبر في الاسـتيعاب في ترجمة أبي بصير ، حيث ذكر قصة مجيئه إلى النبي بعد صلح الحديبيـة، وإرسـال المشـركين يطلبـون إرجاعه إليهم

---

1 (?) تجد هذه الشبهات في رسالة(الجواب المشـكور)، وهي عبارة عن فتوى أجاب فيها المفتي عن أسئلة تتعلق بـالقبور والبناء عليها ووقع عليها عـدد من علمـاء الهند وأرسـلت إلى الملك سعود بن عبد العزيز آل سـعود فقـام هو بإحالتها إلى دار الإفتاء التي أجابت عليها بكتاب شـفاء الصـدور في الـرد على الجواب المشكور انظر مقدمة شفاء الصـدور (ص5-6) وقد طبع في دار العصــمة بالريــاض (1409هــ)تحقيق عبد السـلام آل عبد الكـريم. ورسـالة (إحيـاء المقبـور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور) لأحمد عبد الله الصديق الغماري الطبعة الثانية، نشر مكتبة القاهرة بمصر.

2 (?) آل عمران (7).

وكيف سلَّمه إليهم، ثم قتل أبو بصير أحد الرسولين ثم خرج إلى سيف البحر ومكث هنـاك، ولحق به أبو جنـدل بن سـهيل بن عمـرو وجماعة من المسـلمين، وأنهم شكَّلوا عصابة لقطع الطريق على المشركين والاستيلاء على قوافلهم، حـتى أرسل المشـركون للنـبي يرجونه قبـولهم لديه فأرسل النـبي إليهم كتابـاً بـذلك، فجـاء الكتـاب وأبو بصـير في حـال المـوت، فمـات وكتـاب رسول على صدره فصلى عليه أبو جندل.

والقصة إلى هنا- في البخاري وغيره-مُسنَدة، غير أن فيما سـاقه ابن عبد الـبر زيـادة **$وبـنى على قـبره مسـجداً#**[1]، وهـذا موضع الشـاهد الـذي احتجَّ به القبوريون كما فعل الغماري في رسالته إحيـاء المقبـور حيث قـال: **(**الـدليل الثـامن**:** أن الصـحابة بنـوا مسـجداً على القبر في حياته **)**[2] ثم ساق القصة عن الاستيعاب وفيها تلك الزيادة.

قلت: نعم ذكر ذلك ابن عبد الـبر في الاسـتيعاب ولكنه سـاق القصة من طريق عبد الـرزاق عن معمر - قال الزهري في حديثه -: غـير أن عبد الـرزاق لم يـذكر موضع الشاهد وإنما وقف عند قوله: (فأرسـلت قـريش إلى النـبي تناشـده الله والـرحم، إلاّ أرسل إليهم فمن أتـاه فهو آمن فأرسل النـبي إليهم)[3]، وإلى هنا سـاق

---

1 (?) الاسـتيعاب في أسـماء الأصـحاب (4/21-23)، للحافظ ابن عبد الـبر، بهـامش الإصـابة لابن حجر طبع (دار الكتـاب العربي)، بدون تاريخ.

2 (?) إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور (38).

3 (?) عبد الرزاق في مصنفه (5/337- 342).

القصة ابن عبد البر ثم قال: (وذكر موسى بن عقبة هذا الخبر في أبي بصير بأتم ألفاظٍ وأكمل سياقه)، ثم ذكر القصة وفيها موضع الشاهد (فقدم كتاب رسول الله على أبي جندل وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله بيده يقرأه فدفنه أبو جندل مكانه وصلى عليه وبنى على قبره مسجداً)[1].

فأنت ترى أن ابن عبد البر فرَّق بين رواية عبد الرزاق الموصولة الصحيحة وبين هذه الرواية التي نقلها عن موسى بن عقبة، وقد **دمجها** الغماري تدليساً على القارئ ليتوهم أن القصة كلها بذلك الطريق الصحيح المسند والواقع خلاف ذلك.

وبعد أن عرفنا أن قصة المسجد إنما هي من رواية موسى بن عقبة نعود لنقول: هناك اعتراض على الاستشهاد والاستدلال بالقصة من ناحيتين:

الناحية الأولى من جهة السند: فموسى بن عقبة رواها عن الزهري مرسلة، وقد رواها من طريق موسى بن عقبة البيهقي في دلائل النبوة من طريقين عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب مرسلة[2]، كما رواها ابن عساكر في تاريخه، ذكره الشيخ الألباني وقال: (رواية موسى بن عقبة في تاريخ ابن عساكر(8/334/1) رواه بإسنادين عنه عن ابن شهاب مرسلاً أو معضلاً بلفظ: (وجعل عند قبره مسجدا)[3].

وبناء على ما تقدم فإن هذا المرسل لا يحتج به كما

---

1 (?) الاستيعاب (4/22-23).

2 (?) دلائل النبوة (4/172-175)، للإمام البيهقي، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، طبع دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة (1405هـ- 1985 م)

3 (?) تحذير الساجد ص (118)

هو مقـرر عند علمـاء الحـديث، هـذا لوكـان سـالماً من المعارضة، فكيف وهو مخالف لما في البخاري، حيث لم يــذكر تلك الزيــادة هو ولا أحد ممن خــرَّج تلك القصة سـوى موسى بن عقبـة، ثم هو مخـالف للأحـاديث الـتي تبلغ مبلغ التـواتر المعنـوي في المنع من بنـاء المسـاجد على القبور ولعنِ فاعلِ ذلك، مع تـأخّر تلك الأحـاديث أو بعضـها عن هـذه الحادثـة؛إذ كـان لعن أولئك في مـرض موت الرسول .

الناحية الثانية من جهة المتن: في اللفظ الذي ذكره ابن عبد البر (وبنى على قبره مسجداً)، هذا اللفظ قد خالفه ثلاثة من الحفــاظ، روَوه بلفــظ: (وجعل عند قــبره مســجداً)، وهم: الـبيهقي في دلائل النبــوة، وابن عساكر في تاريخه وتقدم العزْو إليهما، والثـالث الحافظ ابن حجر في الفتح حيث قـال في شـرح الحـديث الـذي ساقه البخـاري في كتـاب الشـروط من صـحيحه: (وفي رواية موسى بن عقبة عن الزهري فكتب رســول الله إلى أبي بصــير فقــدم كتابه وأبو بصــير يمــوت فمــات وكتــاب رســول الله في يــده فدفنه أبو جنــدل مكانه وجعل عند قبره مسجداً)[1].

وظــاهر أن (عند قــبره) يختلف قطعــاً عن (على قبره)، فبنـاء المسـجد على القـبر هو الـذي فيه الـنزاع، والــذي قد وردت الأحــاديث بتحريمه ولعن فاعلــه، وأما البناء عند القبر فيختلف باختلاف قصد البـاني وليس فيه نهي لذاته فلو فرضنا أن هـذا اللفظ صـحيح فإنه لا دليل فيه على مطلوب القبورية.

---

1 (?) فتح الباري (5/351)

وهناك ناحية ثالثة وهي على افتراض أن السند صحيح وأن اللفظ هو كما أورده الغماري: (على قبره مسجداً)، فإن التعــارض قــائم لا شك ولا إمكــان للجمــع، والتــاريخ معروف، فقصة أبي بصير قبل السنةِ الثامنة سنةِ الفتح، والأحـاديث الناهية عن اتخـاذ المسـاجد على القبـور في آخر أيــام النــبي ، بعضــها قبل موته بخمسة أيــام[1] وبعضها وهو محتضر[2] فهي ناسخة لتلك القصة وبهـذا لا يبقى للقبورية أي استدلال بهذه القصة.

الشبهة الثانية من شبهات القوم: أن عمر بن الخطاب ضـرب خيمة على قـبر زينب بنت جحش رضي الله عنها.

قلت: قصة ضرب عمر الخيمة على قبر زينب بنت جحش رضي الله عنها رواها ابن سعد من طريق محمد بن المنكـــدر، وعن موسى بن محمد بن إبـــراهيم بن الحـارث عن أبيــه، فلفظ محمد بن المنكـدر عن عمــر: (أنه مرَّ على حفارين يحفرون قبر زينب في يوم صـائف فقــال: (لو أني ضــربت عليهم فســطاطاً، فكــان أول فسطاط ضـرب على قـبر)، ولفظ موسى بن محمد بن إبــراهيم بن الحــارث عن أبيه (أمر بفســطاط فضــرب على قبرها لشدة الحر يومئذ فكان أول فسطاط ضرب على قـبر بـالبقيع)[3]، وهنـاك لفظ ثـالث عن عبدالله بن

[1] (?) هو حديث جندب بن عبدالله تقدم تخريجه ص (47).

[2] (?) هو حـــديث عائشة وأم ســـلمة رضي الله عنهما وكلا الحديثين تقدم تخريجهما (45).

[3] 1والثلاثة الآثـــار رواها ابن ســـعد في الطبقـــات الكـــبرى (113-8/112)، طبع دار صــادر بــيروت، وطريق موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحـارث وهو التميمي رواه الحـاكم في المستدرك (4/24)، كتـاب معرفة الصـحابة (ذكر زينب بنت جحش)

ربيعة قـال: (رأيت عمر بن الخطـاب صـلى على قـبر زينب بنت جحش سنة عشـرين في يـوم صـائف ورأيت ثوباً مد على قبرها وعمر جالس على شفير القبر).

وهـذه الألفـاظ جميعها مبينة أن الفسـطاط الـذي ضرب أو الثوب الذي مد كما في الرواية الثالثة؛ إنما مُدَّ لإظلال الحفـارين ووقـايتهم من حر الشـمس في ذلك اليـوم الصـائف، فـأي دليل فيه على بنـاء المسـاجد والمشاهد على القبور؟!، هذا إن صح، ولم أكلِّف نفسي البحث في أسـانيدها لأنها حـتى لو صـحت لم تـدل على قصد المسـتدل، وهـذا واضح فبطل الاسـتدلال بهـذه القصة.

الشـبهة الثالثة من شـبهات القـوم: قصة عثمـان بن عفـان حين ضـرب الفسـطاط على قـبر الحكم بن أبي العاص، ولفظها عند ابن سـعد من طريق الواقدي سنده إلى ثعلبة بن أبي مالك قـال: (رأيت يـوم مات الحكم بن أبي العـاص في خلافة عثمـان بن عفـان ضـرب على قـبره فسـطاطاً في يـوم صـائف، فتكلم الناس فأكثروا في الفسطاط فقـال عثمـان: (ما أسـرع الناس إلى الشر وأشبه بعضهم إلى بعض، أنشـدكم الله من حضر نشـدتي: هل علمتم عمر بن الخطـاب ضـرب على قبر زينب بنت جحش فسطاطاً؟ قالوا: نعم، قـال: فهل سـمعتم عائبـاً؟ قـالوا: لا)[1]، قلت: الحـديث في سـنده الواقـدي ومع ذلك فهو من حيث الدلالة كالـذي قبله لادليل فيه على ما يريدون.

الشـبهة الرابعة من شـبهاتهم: أن محمـداً بن

---

[1] (?) رواه ابن سعد في الطبقـات (8/113) من طريق محمد بن عمر الواقدي وهو متهم بالكذب.

الحنفية ضرب فسطاطاً على قبر عبدالله بن عباس ، قلت: الأثر رواه ابن أبي شيبة من طريق هشيم عن عمران بن أبي عطاء قال: (شهدت وفاة ابن عباس فوليه ابن الحنفية فبنى عليه بناءً ثلاثة أيام)[1] وكذلك أخرجه الحاكم من طريق هشيم إلا أنه قال: (حدثنا أبو حمزة، ثنا عمران بن أبي عطاء، فجعلها اثنين أبا حمزة وعمران مع أن الصحيح أن أبا حمزة هو عمران نفسه فلا أدري أهي غلطة مطبعية أم أنه وهم من الحاكم - رحمه الله-؟ ولم يعلق الذهبي على ذلك، ولا محقق الكتاب في طبعته الجديدة[2]، وكذلك رواه الخطيب في "مُوضِح أوهام الجمع والتفريق" من طريقين: أحدهما عن سفيان عن عمران بن أبي عطاء، وأخرى عن هشيم عن أبي حمزة الأسدي يريد بذلك إثبات أن عمران ابن أبي عطاء هو أبو حمزة الأسدي)[3]، وعمران الذي يدور عليه الأثر من رجال مسلم وقال عنه الحافظ في التقريب: (صدوق له أوهام)[4]، فالأثر ثابت رغم ذلك؛ لأنه يحكي مشاهدة ورؤية فلا يضر ما قيل عنه من أوهام، غير أن الأثر لا يفيد القوم شيئاً إذ أنه لا يخرج عما سبق من الآثار، إذ بقاء الفسطاط - الذي جاء مصرحاً به في رواية الجميع كان لمدة ثلاثة

---

1 (?) ابن أبي شيبة في المصنف كتاب الجنائز (في الفسطاط يضرب على قبر) (3/335-336).

2 (?) الحاكم في المستدرك(4/702)، كتاب معرفة الصحابة (ذكر وفاة عبدالله بن عباس).

3 (?) موضع أوهام الجمع والتفريق (2/332)، للخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، طبعة دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى سنة (1407هـ- 1987م).

4 (?) تقريب التهذيب(751)، للحافظ ابن حجر.

أيام فقط- دالّ أنه كـان لغـرض آخر غـير ما تَـرمِي إليه القبوريــة؛ فإما أن يكــون بُنِي على الحفــارين ثم ظــلَّ كـذلك وهـذا الأقـرب وإما لأمر آخــر، ولكن أن يحتج به على بناء المشاهد والمساجد على القبـور فهـذا لا يقوله عاقل منصف.

الشــبهة الخامســة: قصة فاطمة بنت الحســين وضـــربها القبة على قـــبر زوجها الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

قلت: هـذا الأثر قد علَّقه البخـاري في صـحيحه، في كتـاب الجنـائز، في بـاب "ما يكـره من اتخـاذ المسـاجد على القبــور" قــال: (ولما مــات الحسن بن الحسن بن علي ضــربت امرأته القبة على قــبره ســنة ثم رُفعت فسمعوا صائحاً يقول: (ألا هل وجدوا ما فقــدوا؟ فأجابه الآخر: بل يئسوا فانقلبوا)[1].

وهذا الأثر قد حمَلَ نقدَه وتفنيدَه معَه؛ لأمور:

الأمر الأول - إيراد البخاري له في هـذا البـاب دال على استنكاره له، قال الحافظ -رحمه اللـه-: (ومناسـبة هذا الأثر لحديث الباب أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة هنـاك فيلـزم اتخـاذ المسـجد عند القـبر وقد يكون في جهة القبلة فتزداد الكراهة)[2].

والأمر الثــاني ذكــرُ الهــاتف فإنه مُشْـعِر بقبح ما صنعت تلك المرأة.

قـــــال ابن المنــــير - كما نقل عنه الحافظ -: (إنما ضـربت الخيمة هنـاك للاسـتمتاع بـالميت بـالقرب منه تعليلاً للنفس، وتخيلاً باستصــحاب المــألوف من الأنس

1 (?) البخاري مع الفتح (3/200).
2 (?) المصدر السابق (3/200)

ومكـــابرة للحس، كما يتعلل بــــالوقوف على الأطلال البالية ومخاطبة المنــازل الخاليــة، فجــاءتهم الموعظة على لســان الهــاتفين بتقــبيح ما صــنعوا، وكأنهما من الملائكة أومن مؤمـــني الجن، وإنما ذكــــره البخـــاري لموافقته للأدلة الشــــرعية لا لأنه دليل برأســـه)[1]، إذاً فعلى رأي ابن المنير إنما أورد البخاري ذلك للاسـتئناس به لما ذهب إليه من كراهة اتخاذ المسـاجد على القبـور وليس لتأييد ذلك.

قـــال القســـطلاني -رحمه الله - في شـــرحه على البخـــــاري: (ومطابقة الحـــــديث للترجمة من جهة أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصـلاة فيه فيسـلتزم اتخـاذ المسـجد عند القــبر، وقد يكــون القــبر في جهة القبلة فـتزداد الكراهية وإذا أنكر الصـائح بنـاءً زائلاً وهو الخيمة فالبنـــاء الثـــابت أجـــدر، ولكن لا يُؤخَذ من كلام الصـــائح حكم لأن مســـالك الأحكـــام الكتـــاب والســـنة والقياس والإجماع ولا وحي بعده عليه الصلاة والســلام، وإنما هـذا وأمثاله تنبيه على انـتزاع الأدلة من مواضـعها واستنباطها من مظانها)[2]. وبهذا يظهر أن الدليل هو لنا وليس للقبورية.

الشــبهة السادسة من شــبهات القــوم: أن عائشة رضي الله عنها أدركت أخاها عبد الـــــرحمن بعد موته -حين رفعوا أيديهم عن دفنه بـذي طـوى -فـأمرت بفسطاط فضرب على قبره.

---

1 (?) المصدر السابق (3/200).

2 (?) إرشاد الساري لشـرح صـحيح البخـاري (2/430)، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسـطلاني، دار إحيـاء التراث بيروت بدون تاريخ.

قلت: هـذا الأثر علقه البخـاري - رحمه الله تعـالى- قـال: (رأى ابن عمر فسـطاطاً على قـبر عبـدالرحمن فقال: انزعه يا غلام فإنما يظلّه عمله)[1].

وقــال الحافظ في شــرحه: (وعبد الــرحمن هو ابن أبي بكر الصـديق بَيَّنَه ابن سـعد في روايته له موصـولاً من طريق أيوب بن عبدالله بن يسار قال: (مــرَّ عبدالله بن عمر على قــبر عبـدالرحمن بن أبي بكر أخي عائشة وعليه فســطاط مضــروب فقــال: يا غلام انزعه فإنما يظله عملــه، قــال الغلام تضــربني مــولاتي. قــال: كلا فنزعه)، ومن طريق ابن عـون عن رجل قـال: (قـدمت عائشة ذا طوى حين رفعـوا أيـديهم عن عبـدالرحمن بن أبي بكر فأمرت بفسطاط فضرب على قـبره ووكلت به إنسـاناً وارتحلت فقـدم ابن عمـر...) فـذكر نحـوه، وقد تقدَّم توجيه إدخـال هـذا الأثر في هـذه الترجمـة)، قلت: يعني ما ذكره في الأثر السابق أثر فاطمة بنت الحسين وهو أن البخــاري قــاس الفســطاط على المســجد في الكراهة.

وهــذا الأثر كــذلك يجب أن يســتدل به على محاربة الصحابة لتلك المظاهر لا على إثباتها وتأصــيلها، فعائشة رضي الله عنها نصــبت تلك الخيمة ولم يتــبين لنا ما هو السـبب في ذلـك، ولا لأي غـرض كـان نصـبها، ثم ذهبت فلما جــاء ابن عمر اســتنكر ذلك وعبّر عن اســتنكاره بالأمر بنزع ذلك الفسطاط، رغم إخبار الغلام له بأن من أمر به هو عائشة رضي الله عنهــــــــــا، ورغم ما يكنّه الصــحابة جميعــاً لعائشة رضي الله عنها من التقــدير

---

[1] (?) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب (الجريدة على القبر) (2/457).

والاحـــترام، إلا أن ذلك لم يمنع ابن عمر من تغيـــير ما رأى أنها أخطأت فيه.

ولم يــذكر بعد ذلك لنا محــدث ولامــؤرخ أن عائشة اعترضت على ما فعله ابن عمــر، وهــذا دليل على أنها رجعت إلى ما رآه ابن عمر، خصوصاً و أن عائشة رضي الله عنها ليست ممن يسكت على ما يـرى خلافـه، ومن أجل ذلك كثرت استدراكاتها على الصـحابة حـتى جمعها الزركشي - رحمه الله - في كتـــاب مســـتقل ســـماه (الإجابة لما اســــــــتدركته عائشة رضي الله عنها على الصـحابة) ولم يــذكر هو ولا غـيره أن عائشة رضي الله عنها اســتدركت على ابن عمر ما فعــل، فســقط هــذا الدليل و الحمد لله.

الشبهة الســابعة: أثر خارجة بن زيد -رحمه اللـه- أحد الفقهاء السـبعة أنه قـال: (رأيتـني ونحن شـبان في زمن عثمان وإن أشدنا وثبة الذي يثب قـبر عثمـان بن مظعون حتى يجاوزه).

قلت: الأثر علقه البخـــاري[1] بنفس اللفـــظ، وقد تعـــرض له العلامة عبـــدالرحمن المعلمي اليمـــاني[2] -

---

1 (?) في الصـحيح كتـاب الجنـائز (الجريـدة على القـبر) (2/465).

2 (?) هو العلامة المحــدث المحقق عبد الــرحمن بن يحــيى المعلمي اليمــاني، رحل في طلب العلم والمعــاش، فمكث مــــدة في الهند ثم اســــتقر في مكة المكرمة أمينا لمكتبة الحرم المكي، حقق عدداً كثيراً من كتب الحـديث والرجـال، وألف في الــرد على أهل البــدع والباطل من أشــهر كتبه " التنكيل بما في تــأنيب الكــوثري من الأباطيل "وله كتـــاب بعنوان " البناء على القبور " لم يكمله، وفي الموجود منه = = ما يدل على تحقيق بــــــــالغ وعلم غزير كما أن له كتابا

رحمه اللـه- في كتـاب البنـاء على القبـور وردّه من أحد عشر وجهاً، وأكتفي بـوجهين اثـنين فقط أراهما مـزيلين للإشكال، قال رحمه الله: (ثانياً في تهذيب التهـذيب في ترجمة خارجة: " قـال ابن نمـير وعمـرو بن علي: مـات سنة (99هـ) وقال ابن المديني وغـير واحـد: مـات سـنة مائة "، فظـاهر هـذا أن الأكـثر على أن موته كـان سـنة مائة والجمع أولى بأنه مـات أواخر سـنة (99هــ)، وفي تاريخ ابن عساكر أنه توفي وعمره سـبعون سـنة، وذكر لذلك قصة أن خارجة قـال: " رأيت كـأني بـنيت سـبعين درجة، فلما فرغت منها هويت وهـذا السـنة لي سـبعون سنة وقد أكملتها، قال فمات فيها ".

ونقل مثله ابن خلكـان عن طبقـات ابن سـعد، فـإذا أنقصنا سـني عمـره من سـني الهجـرة لموته بقي تسع وعشــرون، فيكــون مولــده آخر ســنة تسع وعشــرين، وعثمـــان قتل ســـابع ذي الحجة ســـنة خمس وثلاثين، فيكون سن خارجة يوم قتل عثمـان ست سـنين تقريبـاً، فكيف يكون شاباً في زمن عثمان؟.

وقد راجعت طبقـــات ابن ســـعد، "طبع أورُبَّا" فظهر أنه روى هـذه القصة عن الواقـدي) - قلت: والمعلمي - رحمه اللـه- يشـير بـذلك إلى ضـعف القصة حيث ظهر

بعنوان " القائد إلى تصـحيح العقائد " تـوفي رحمه الله بمكة سنة(1386هـ) انظر ترجمته بقلم عبد الله ابن عبد الـرحمن بن عبد الـــــــرحيم المعلمي في مقدمة التنكيل ص(9)طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحـــوث العلمية والإفتـــاء والــدعوة والإرشــاد بالريــاض (1403 هــ -1983 م) وهجر العلم (3/1266) طبع دار الفكر المعاصر بيروت، ودار الفكر سورية الطبعة الأولى (1416هـ- 1996 م).

تناقضها- ثم قال (**ثالثاً:** إذا سلم إسناده ولم نعتبر هـذه علة قادحة فيـه، فإنه ينبغي الجمع بـأن يتـأول الأثر بـأن قوله: (شبّان) مجاز، أراد أننا غلمان أقويـاء أصـحاء كأننا شبان، ويؤيد هـذا كلمة (غلمـان) الثابتة في التـاريخ وإن حذفت في التعليق، ويؤيده أيضاً أنه لو كـانوا أبنـاء تسع سـنين ونحوها لما ذهبـوا يتواثبـون على قـبر رجل من أفاضل السابقين، ولاسيما وبجواره قبر ابن رسـول الله ، وهذا ممنوع في الشرع اتفاقاً لأن من روى عنه إباحة الجلـوس على القـبر لا يـبيح التـوثب عليـه. وقولـه: (إن أشـدنا وثبـة... إلخ). يـدل أن أكـثرهم يقصر فيقع على القبر والـذي يجـاوزه يقع على القبـور المجـاورة، وأبنـاء الصـحابة لم يكونـوا يبلغـون التميـيز إلاّ وهم عـارفون آداب الدين ملتزمون لها مثل خارجة بن زيد، وعلى هـذا فلا دلالة في الأثر لأن الغلام الـذي عمـرُه ست سـنين - وإن كــان قويــاً - يشق عليه أن يثب أكــثر من ذراعين ونصف على وجه الأرض وهـذا هو عـرض القـبر عـادة تقريباً.

ويشبه أن يكون قبر عثمان بن مظعون أعرض قليلاً من القبـور المعتـادة، ويكـون خارجة أراد بـذلك القـول: الإخبـار عن عـرض القـبر ليخـبرهم أن السـنة توسـعة القبر)[1].

---

1 (?) البناء على القبور ص (33-34)، للعلامة عبـدالرحمن بن يحيى المعلمي، تحقيق حاكم بن عبيسـان المطـيري، الطبعة الأولى (1417هـ-1996 م)، دار أطلس الرياض، وقد رد في هذا الكتاب وبأسلوب قوي وحجج رصينة ساطعة شبهة اتخاذ المسجد على أصـحاب الكهف فلـيرجع إليها من أراد معرفة الحقيقة.

وبهذا تنقطع حجة القبوريين في جميع ما استدلوا به من وجــود مظــاهر القبورية في عهد الســلف الصــالح وسأثبت - إن شـاء الله - إضـافة لما سـبق خلاف ذلـك: وهو إنكار السلف لكل ما هو من هذا القبيل والتنصــيص على منع إقامة الفســــــــاطيط وما هو أعلى منها في المطلب الرابع.

المطلب الرابــع: التصــريح بتســوية الصــحابة لما ارتفع من القبور وإزالة ما استجد في المقابر من فساطيط ونحوها:

تقدم في الباب التمهيدي في الأسـلوب السـابع: أمر النبي بتسـوية القبـور المشـرفة، وذلك عن فضـالة بن عبيـد، وعلي بن أبي طـالب ، وكـذلك تطبيقهما لـذلك، فأمر فضالة بتسوية قبر[1] صاحبهم الذي مات بــرودس، كما بعث علي أبا الهيــاج الأســدي لــذلك الغــرض[2]، وكذلك عثمان بن عفان كـان يـأمر بتسـوية القبـور بما في ذلك قــبر ابنته أم عمــرو بنت عثمــان[3]، ومن ذلك تعامل أبي موسى وأصــحابه مع قــبر دانيــال وقد مر[4] وأما قضــية الفســاطيط فقد مــرَّ معنا قصة عائشة في وضع فسطاط على قـبر أخيها عبد الـرحمن وكيف أزاله ابن عمر ولم تعــترض على ذلك[5]، وكــذلك ما فعلتــه فاطمة بنت الحســــــــين ومانبه به على خطئها من الهــاتفين، وكيف أدخل البخــاري ذلك في بــاب كراهية

1 (?) انظر: ص (51).
2 (?) انظر: ص (51).
3 (?) الباب التمهيدي ص (51).
4 (?) انظر: ص (69-70)
5 (?) انظر: ص (124)

اتخاذ المساجد على القبور[1].

وقد أوصى بعض الصحابة والتابعين بالمنع من إقامة الفسطاط على قبورهم أو رفعها، فأوصى أبو هريرة (ألا يضربوا على قبره فسطاطاً)[2]، وأوصى بمثل ذلك أبو سعيد الخدري [3]، وكذلك أوصى بمثل ذلك سعيد بن المسيب[4]، و قال محمد بن كعب القرظي (هذه الفساطيط التي على القبور محدثة)[5]، وقال عمر بن

---

1 (?) انظر: ص (119).

2 (?) رواه عبد الرزاق (3/418) كتاب الجنائز باب لا يتبع بالجمرة، وابن أبي شيبة في كتاب الجنائز: في الفسطاط يضرب على القبر (2/335)، وزاد الشيخ الألباني -رحمه الله -عزوه إلى الربعي في وصايا العلماء (2/141)، وابن سعد (4/338) قال: وإسناده صحيح تحذير الساجد ص (143).

3 (?) ابن أبي شيبة في نفس الباب السابق (2/335 - 336)، وعمر بن شبَّه في أخبار المدينة الطبعة التي علّق عليها الشيخ عبدالله الدويش (ص96 - 97) دار العليان بريدة الطبعة الأولى(1411هـ-1990م)، وعزاه الشيخ الألباني إلى ابن عساكر (7/96) وقال: إسناده ضعيف، لكن له طرق أخرى عند ابن عساكر فهو بها صحيح. انظر: تحذير الساجد ص (143) وقال الشيخ الدويّش معلقاً على سند ابن شبَّه: رجاله رجال الصحيح إلا عبد الرحمن بن الرجال قال في التقريب: (صدوق ربما أخطأ). قلت: ومن كان هذا حاله فحديثه حسن عند ابن حجر -رحمه الله -.

4 (?) رواه ابن سعد في الطبقات (5/142).

5 (?) ابن أبي شيبة في مصنفه (3/336)، قال الشيخ الألباني في تحذير الساجد ص (143): ورجاله ثقات غير ثعلبة وهو ابن الفرات، قال أبو حاتم وأبو زرعة: (لا أعرفه) كما في " الجرح والتعديل " (2/464 - 465) طبع دار الفكر طبعة مصورة من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الهند سنة (1371هـ-1952م).

شـرحبيل: (لا ترفعـوا جـدثي[1] فـإني رأيت المهـاجرين يكرهون ذلك)[2].

فهذه الآثار كافية لإثبات منهج الصحابة والتـابعين في وضع القبور وتسـويتها والمنع من عمل أي شـيء يـؤدي إلى تعظيمها والغلو في أصحابها.

المطلب الخامس: محاولات الشـيعة المبكـرة لإنشـاء المشـاهد وتصدي الخلفاء لذلك:

لقد نشأت الشيعة -يوم نشأت- غالية في حبها غالية في بغضها، وكانت الرافضة من أكثر فرق الشيعة غلـواً، ولا عجب فإن مُنْشِئها ومؤسسها الأول كان يهودياً غالياً، يحمل أسـوأ ما عند اليهـود من عقائـد، وينطـوي على أبشع ما لديهم من حقد على الإسـلام والمسـلمين، ذلك هو أحد أهم رؤوس أهل الـــرفض عبدالله بن ســـبأ اليهـــودي[3]، فلا غرابة أن تحمل تلك الفرقة بـــذور

---

1 (?) الجدث: القبر، انظر: القاموس المحيط ص (213).

2 (?) رواه ابن سعد (6/108) وصحح إسناده الشـيخ الألبـاني في تحذير الساجد (ص 134).

3 (?) هو عبدالله بن سـبأ الهمـداني وقيل الحمـيري، اليمـاني النسب والدار، اليهـودي الديانـة، أسـلم زمن عثمـان وهـاجر إلى الحجاز ثم إلى الشام ومصر، وهناك تحـرك في تحـريض الثوار على عثمان حتى قتلوه، ثم عاد فاندس في أصـحاب علي وغرس فيهم العقيدة الضالة عقيدة ألوهية علي، فما كـــان من علي إلا أن زجـــرهم عن ذلك فلما لم يـــنزجروا أحرقهم بالنار0وهل أُحـرق معهم؟ ربما الأصح أنه هـرب ولم يحرق، ثم كـوَّن فرقة هي من أخبث فـرق الشـيعة وتسـمى السبئية، أخرجها جمهور السنة والشيعة من فرق المسلمين، وقد أثبت وجـــود هـــذه الشخصـــية الخبيثة مؤرخو الســـنة والشـيعة على السـواء، غـير أن بعض المعاصـرين من آيـات الشـيعة وجد أن ترقيع ذلك الثـوب المهلهل لا يجـدي، فقـرر

القبورية والوثنية في طياتها منذ نشـــأتها الأولى، ففي الـوقت الـذي كـانت الأمة -كل الأمـة- تحـارب القبورية وتطمس آثارهـا، كـان هـؤلاء الغلاة يحـاولون إنشـاء المشاهد والقباب على قبر الحسين في كـربلاء، ولكن يقظة الخلفاء والأمـراء وما يجـري في عـروق الأمة من مقاومة لتلك القبورية كان يقف حائلاً قوياً وسداً منيعـاً دون تمكين الرافضة من تلك الغاية.

وبنظرة عابرة إلى تاريخ كربلاء يتبين ذلك، فقد زعم مؤرخو الرافضة أن أول بنـاء أقيم على قـبر الحسـين كان بعد دفنه مباشرة[1]، ولم أرَ في تواريخ أهل السـنة ما يؤيد ذلك، وقد اختلفوا فيمن أقام تلك المباني فقيل: بنوأسد الـذين تولَّوا دفنـه، وقيل المختـار بن أبي عبيد الثقفي، وكلا الاحتمـالين لم يقيمـوا عليه دليلاً معتـبراً، وعنـدي أنه إن كـان ذلك ثابتـاً فالمختـار أحـرى بـه؛ لأنه

عدم وجود شـخص اسـمه عبدالله بن سـبأ، واتهم سـيف بن عمر الضبي الإخباري المشهور باختراع هذه الشخصـية، غـير أن بـاحثي أهل السـنة فنـدوا تلك الـدعوى، ورد على ذلك المؤلف الشـيعي عـدد من بـاحثي أهل السـنة في مواضع مختلفة ومناسبات مختلفـة، وأجمَـعُ ذلك -حسب علمي- هي رسالة الشيخ سـليمان ابن حمد العـودة الـتي تقـدم بها لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم التاريخ بكلية العلـوم الاجتماعية بالريـاض عـام (1402 هــ) بعنـوان (عبدالله بن سـبأ وأثـره في أحـداث الفتنة في صدر الإسـلام)، ونشـرتها دار طيبة للنشر والتوزيع بالريـاض، فليرجِع إليها من أراد الوقوف على حقيقة هذا الرجل.

1 (?) تـاريخ كـربلاء (حـائر الحسـين)، للـدكتور عبد الجـواد الكليـدار، طبع مـدبولي الصـغير بالقـاهرة بـدون تـاريخ ص (151).

كان شيعياً متعصباً نذر نفسه للقضاء على قتلة الحسين مع ما عنـده من انحرافـات وكـذب على الله حـتى زعم أنه يُوحى إليه[1].

ولكن كيف تم له ذلـك؟ وإن تم فكيف يُقـرّ ويُـترك في ظل دولة ابن الزبـير، ثم في ظل دولة بـني أميـة؟، وهم كما يقـــول مـــؤرخ كـــربلاء: (أقـــاموا المخـــافر والمسـالح[2] المدججة بالعتـاد والسـلاح والرجـال على أطـراف كـربلاء لمطـاردة الـزوار ومعـاقبتهم بأقسى العقوبات من القتل والصلب والتمثيل بهم)[3].

---

1 (?) هو كذاب ثقيف المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، أظهر التشـيع أيـام معاوية فنفي إلى الطـائف، فلما قـام عبدالله بن الزبير وفد إليه فأرسله إلى العراق، وهناك اتصل بالشيعة وزين لهم أمر إمامة محمد بن الحنفية بـدون أمـره، وأظهر المخـاريق وزعم أن جبريل يأتيه بـالوحي، وتتبع قتلة الحسين ثم قامت الحرب بينه وبين مصـعب بن الزبـير أمـير العـراق من قبل أخيه عبدالله وبعد جـولات هزمه مصـعب وقتله وقتل جمعـاً من أصـحابه، وفيه تقـول أسـماء بنت أبي بكر رضي الله عنها للحجاج: سمعت رسول الله يقول: (إن في ثقيف كذاباً ومبيراً) أما الكذاب فرأيناه - تعني المختـار - وأما المبير فما أخالك إلا إياه) رواه مسلم.

وفيه يقول سراقة البارقي:

كفرت بوحيكم وجعلت نذراً عليَّ جهادكم حتى الممات

أُرِي عينيَّ ما لم تَرَياه كلانا عالم بالترهات

ترجمه الـذهبي في السـير (3/538) وما بعـدها، وابن كثـير في البداية والنهاية (8/289) وما بعدها.

2 (?) المخـافر: جمع مخفر وهو مكـان الخفـارة والحراسـة، والمسالح: جمع مسلحة وهم القـوم ذوو السـلاح. القـاموس ص (287)، والمعجم الوسيط (1/246).

3 (?) تاريخ كربلاء ص (183-184).

إن أولئك الـزوار المزعـومين - الـذين وضـعت دولة بني أمية العتاد والسـلاح والرجـال لمنعهم من الزيـارة - إنما كانوا يزورون ذلك المكـان المقـدس المعلّم بالبنـاء المزعوم، فكيف يُعقل أن يترك البنـاء طيلة تلك الفـترة دون أن يتعرضــوا لــه، مع وجــود ما قيل من المنع من الزيارة والمعاقبة لمن ظُفر به من الزوار.

وقد زعم مؤرخ كـربلاء أن أول من تعـرَّض لهـدم ما على القـبر من بنـاء هو أبو جعفر المنصـور ثـاني خلفـاء العباسيين، ولم يرجع ذلك إلى مصدر معتمد، وإنما عزاه إلى منظومة بعنـوان " مجـالي اللطف " للشـيخ محمد السماوي[1].

قلت: إن صح هذا فإنه قد يكون هناك مبانٍ يسـيرة بُـنيتْ خلسة في حـال غفلة من الرقبـاء، فلما عـرف بها المنصـور بـادر إلى هدمها..

ثم زعم مـؤرخ كـربلاء أنه في عهد هـارون الرشـيد وفي آخر أيامه بالـذات: (هـدَم الحـائر وكَـرَبَ موضَـع[2] القـبر المطهر وقطع السـدرة الـتي كـانت نابتة عنـده ليمحو بعد ذلك كل أثر لـه)[3]، وهـذا إن صح فهو شـبيه بما فعله أبو جعفر المنصـــــور، وقد أورد بعد ذلك قصة تـوحي بأنه كـان للحـائر نظـام معين وله خـدم وسـدنة موظفــون للقيــام بــواجب الخدمة وأوقــاف هي تلك الأمــوال الــتي أجرتها أم موسى وهي أم المهــدي ابنة يزيد بن منصـور وقد عـزى تلك القصة إلى الطـبري في

---

1 (?) المصدر السابق ص (184).

2 (?) الحائر: موضع قبر الحسين ، وكرَبَه: أثاره للزرع. انظر: القاموس ص (166)

3 (?) المصدر السابق (ص186)

تاريخه في حوادث عام (193هـ)[4].

وعلى كل حـال فاحتمـال أن يكـون الشـيعة - في الفترة ما بين عصر المنصـور والرشـيد - قد تمكنـوا من عمل شيء ما من البـدع وأحـدثوا شـيئاً ما من المعـالم على قـبر الحسـين - غـير بعيـد، ولكن حينما فطن لها الرشـيد فعل ما يجب عليه من إزالة لما أوجب الشـرع إزالتـه، وأما كـون القـبر قد صـار له نظـام معين وإدارة وسـدنة.... إلخ فهـذه مـزاعم لادليل عليهـا، ولا تتماشى مع واقع ذلك العصر.

ثم ذكر أن القبر وما عليه من بناء وما حوله من دور قد هـدمت في أيـام الخليفة المتوكل أربع مـرات خلال خمسة عشـرة سـنة، وأطـال في ذلك جـداً وكـانت مراجعه في ذلك في الغـالب كتب الشـيعة وبعض كتب مؤرخي أهل السنة، والـذي يظهر أن بنـاءً بشـكل ما قد أقيم على القـبر، وذلك بعد عهد الرشـيد وفي أيـام الخلفـاء الـذين تبنـوا مـذهب الشـيعة وهم المـأمون والمعتصم والواثـق، إما برضى منهم أو بانصـرافهم عن مراقبة تلك البقعة وما يدور فيها، لعدم الحساسية الـتي كانت لدى أسـلافهم، من ذلـك؛ فتمكن المتربصـون من الرافضة مما يريـدون، حـتى إذا كـانت خلافة المتوكل ورجع عن التشيع والاعتزال وأحـاط به أهل السـنة قـام بما يجب عليه من طمس تلك المعالم المخالفة للشـرع تنفيـذاً لأمر الرسـول ﷺ الـذي رواه عنه على بن أبي طالب رضي الله عنه.

هـذا الـذي يمكن أن يكـون قد حصل وأما ما كثَّر به الدكتور عبد الجواد الكلام وسـوَّد به الصـفحات فهو مما

---

4 (?) المصدر السابق ص (186).

لا تطمئن إليه النفس، إذ يبعد أن يحصل ذلك أربع مرات في خلال خمس عشـرة سـنة مع إصـرار المتوكل على منع أي إحـداث في ذلك الموضـع، وقد ذكر بعد ذلك أن المنتصر بن المتوكل كـان قد أعـاد البنـاء على قـبر الحسـين ووضع عليه ميلاً عاليـاً يرشد النـاس إليـه، واعتمد في ذلك على مراجع شيعية فقط.

غـير أن مـؤرخي السـنة قد ذكـروا ميل المنتصر إلى آل أبي طالب ومحبته لهم وإرجاع بعض ما كان لهم من الأوقـاف وغيرها[1]، ومن هنا فلا يسـتبعد أن يجيبهم إلى شيء من ذلك، غير أن كل ما يمكن أن يقال: أنه فعلـه، إنما هو وضع علامة على قـبر الحسـين فقـط، ليعـرف موضع القبر، والشيعة عنـدما يسـتميتون في إثبـات ذلك إنما يريـــدون الاســـتدلال على عراقة ما هم عليه من القبورية المعاصـرة وأن جـذورها ممتـدة إلى القـرون المفضلة.

وبهـذا تعـرف أن القـرون الثلاثة المفضـلة مضت وليس هناك قبور معظمة، ولا مشاهد أو قباب ولا غيرها من مظاهر القبورية، ولا شيء من طقوس ومراسيم العبـادات القبوريـة، وما حـاول فعله الرافضة من ذلك فقد جُوبِـهَ بـردع قوي من خلفاء المسلمين وأمرائهم.

ولا يقـدح فيما قـرره العلمـاء من خلو القـرون المفضلة من مظاهر القبورية، وجود بعض قبور للخلفـاء قد أبرزت وبنيَ عليها، إذ أن ذلك لم يدخل فيما قصـدوه

---

1 (?) تـاريخ الخلفـاء (356) لجلال الـدين السـيوطي، تحقيق محمد محي الـدين عبد الحميـد، مطبعة دار السـعادة مصـر، الطبعة الأولى (1371 هـ 1952م)

بـالنفي، حيث إن الكلام هو في مشـاهد من يعتقد فيهم الصلاح ويُقْصدون للتـبرك، وذلك غـير موجـود في قبـور الأمراء والسلاطين، على أن هذه القبور التي بُـني عليها إنما كانت في القرن الثـالث بعد الجولة الـتي ظهر فيها الرفض والتجهم أيـام المـأمون والمعتصم والواثـق، وقد نص المؤرخـــون على أن أول خليفة أبـــرز قـــبره هو الخليفة محمد المنتصر بن المتوكل العباسي المتـــوفى سنة (248هـ) بطلب من أمّه الرومية الأصل[1].

ثم بـــــنيت عليه قبّة عـــــرفت فيما بعد باسم القبّة الصـليبية ودفن مع المنتصر فيها الخليفتـان المعـتز (ت 255هــ) والمهتـدي (256 هــ)، وقد قـرر المستشـرق (هرستفيلد) أنها أول قبّة في الإسـلام، وأقـره على ذلك عدد من المؤرخين المعاصـرين[2]، وهـذا تأكيد ثـان على ما سبق تقريـره من أن القـرون المفضـلة مـرت وليس

---

1 (?) ذكر ذلك الطبري في حوادث سـنة (248هــ). وعنه ابن كثـير في البداية والنهاية نفس السـنة (10/354) ونص كلام ابن كثـير في ترجمة المنتصر ابن المتوكـل: (وهو أول خليفة من بني العباس أبرز قبره بإشارة من أمّه حبشية الروميــة)، قلت: اسمها حبشية وأصلها رومية فهي نصرانية قبورية.

2 (?) مســاجد مصر وأوليائها الصــالحون (1/46)للــدكتورة سعادة ماهر محمد طبع وزارة الأوقـاف والشـئون الإسـلامية مصر بـــدون تـــاريخ، وموســـوعة العتبـــات المقدسة (12/229)لجعفر الخليلي الطبعة الثانية (1407هـ-1987م) مؤسسة الأعلمي بيروت، ومعالم الحضارة العربية الإسلامية ص (34) للـدكتور قصي الحسـين الطبعة الأولى (1414هـ-1993م) المؤسسة الجامعية للدراســـات والنشر والتوزيع بيروت، والعمارة الإسلامية ص (43) للدكتور كامل حيدر دار الفكر اللبناني بيروت.

فيها مشــاهد ولا قبــاب على قبــور الأئمة والأوليــاء ومن يُرى فيهم الصلاح.

المد خل

عرفنا في الفصل الثـــاني كيف طهَّر رســـول الله ﷺ جزيــرة العــرب من الوثنيــة، وكيف طهَّر أصـحابه البلاد التي وصلوا إليها فاتحين، وكيف خلت القـرون المفضـلة من مظاهر وآثار القبورية.

فكيف إذن نشأت القبورية في هـذه الأمـة؟ ومَن هو الــذي عمل على إنشــائها ونشــرها في الأمــة؟ وما هي بواعث ذلك؟.

هذا ما سنعرفه في هـذا الفصــل؛ وذلك بمعرفة أهم الطوائف القبورية الـــتي ســـعت إلى نشر قبوريتها في الأمة، ومعرفة دوافعها إلى ذلك.

بعد أن عرفنا من تعريف القبورية أن أهم مـــــــيزة يتمــيز بها القبوريــون **هي: الغلو في أهل القبــور**، وتقديس تلك القبـور والاعتقـاد في أصـحابها مـالا يجـوز اعتقاده إلا في الله تعـالى، وإقامة الشـعائر والطقـوس عندها؛مما جعل كثيراً من العلماء يشـبِّه أفعـال القبورية عند ضرائح أوليائهم وأئمتهم بما كـان يفعله المشــركون عند أصــنامهم، فمن المهم أن نعلم أن أشد فــرق الأمة تقديساً للأموات وقبــورهم هم الشــيعة والصــوفية، فهم أول من أقام المشاهد على القبور، ووضع الأحاديث في فضــائلها وفضــائل زيارتهــا، وســنَّ الأعمــال والطقــوس عندها، وقد دفع دجاجلـةُ التصّــوف والتشـيّع الحكَّامَ إلى القيام ببناء تلك المشــاهد والإنفـاق عليهـا؛بما زينـوَّا لهم من ذلك؛ وما أوهموهم به من الأجر والثواب إضافة إلى

ما لـــدى الحكـــام أنفســـهم من رغبة في ذلك لتعظيم أنفســهم وذويهم، وما يطمعــون فيه من كسب سياسي من وراء إقامة تلك المشاهد والقيام عليها.

فصارت هذه الطوائف الثلاث (الشـيعة - الصـوفية - الحكَّام) أبـرز الطوائف الـتي أنشـأت ونشـرت القبورية في هذه الأمة، وهذا ما سنبينه في هـذا الفصل إن شـاء الله.

المبحث الأول: الشيعة ودورهم في نشر القبورية في الأمة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف:

أ - في اللغة:

الشيعة في اللغة الأنصار والأتباع، قال الفيروزآبادي: (وشـــيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصـــاره والفرقة على حِـــدَةٍ، ويقع على الواحد والاثـــنين والجمـــع، والمـــذكر والمؤنث، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليـاً وأهل بيته حتى صار اسماً لهم خاصاً)[1].

قلت: وفي قوله: (وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيتـه) قصـور بيّن؛ لأن جميع المؤمـنين الســالمين من النصب يتولَّون عليـــاً وأهل بيتـــه، ولعل المسوِّغ لهذا القصور أن هـذا التعريف جـاء عرضـاً غـير مقصود.

ب- في الاصطلاح:

لقد عُرِّفت الشيعة بتعريفات كثيرة، سواء من علماء الشـيعة أنفسـهم أو من علمـاء السـنة، وتفـاوتت تلك التعريفات دقـةً وتعميمـاً، ولعل من أدق تلك التعريفـات وأكثرها تحديـداً تعريف الشهرسـتاني حيث قـال: (هم الـذين شـايعوا عليـاً على الخصـوص وقـالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصـية، إما جليـاً وإما خفيـاً، واعتقـدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غـيره أو بتقية من عنـده وقـالوا: ليست الإمامة قضـية

[1] (?) القاموس المحيط (ص949).

مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضـية أصـولية، وهي ركن الـدين لا يجـوز للرسل عليهم الصلاة و السلام إغفاله وإهمالـه، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

يجمعهم القول بوجـوب التعـيين والتنصـيص، وثبـوت عصـمة الأنبيـاء والأئمة وجوبـاً عن الكبـائر والصـغائر، والقول بالتولِّي و التبرِّي قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حـال التُّقْيَة، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك)[1].

تعريف شـامل لفـرق الشـيعة المختلفة خصوصـاً الفـرق الثلاث الأساسـية: الإماميـة، والإسـماعيلية، و الزيدية، وهذه الفرق هي التي سوف يدور الحديث عنها هنا في الغالب.

المطلب الثاني: النشأة:

لم يكن هناك خلاف بين أصحاب رسـول في حياته يسـتدعي أن يكـون لكل واحد منهم شـيعة وأنصـار يؤيدونه على خصومه حتى مات .

وبعد وفاته تطلّع بعض الصحابة إلى الإمارة تطلعـاً مؤقّتـاً؛حمل عليه مفاجـأة الموقف وخلـوّ هـذا المنصب العظيم بموته [2]، ثم حسم الأمر في سـقيفة بـني

---

1 (?) الملل والنحل للإمـام أبي الفتح محمد بن عبد الكـريم الشهرسـتاني (1/106)، تحقيق أبي عبد الله السـعيد المندوه، طبع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت الطبعة الثانية (1418 هـ - 1998 م).

2 (?) كما روى ذلك البخاري- رحمه اللـه- (8/142) مع الفتح، في كتاب المناقب، باب مرض النبي ووفاته من حديث ابن عبـاس أن العبـاس (أخذ بيد علي فقـال لـه: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني لأرى رسـول الله سـوف يتـوفى من وجعه هـذا، إني لأعـرف وجـوه بـني عبد المطلب عند

ســاعدة وزال كل أثر لــذلك التطلع[3]، وعــادت الألفة والمحبـة، واجتمعت الكلمة وأخلص كل الصـحابة بـدون استثناء لمن نصبوه بكامل حريتهم واختيارهم، واجتمعت الكلمة عليــه، ولم يعد في نفس أيٍّ منهم أيُّ تطلع إلى ذلك المنصب وكان من أشدهم ولاءً وإخلاصاً وصدقاً آل رســول الله وفي مقــدمتهم عليّ والعبــاس ومن

الموت. اذهب بنا إلى رسول الله فنسأله فيمن هذا الأمـر؟ إن كان فينا علمنا ذلـك. وإن كـان في غيرنا علمنـاه فأوصى بنا، فقال علي: (إنا والله لئن سألناها رســول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله).

ففي هذا الحـديث يظهر شـيء من التطلع من قبل آل رسـول الله للإمـارة، غـير أنهم كما يظهر من السـياق مسـتعدون للتسـليم لمن يجعلها له رسـول الله بـدليل قـول العبـاس: (وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا).

3 (?) في سقيفة بني ساعدة ظهر تطلع بعض الأنصار للإمـارة حـتى قـالوا للمهـاجرين: منا أمـير ومنكم أمـير، ولكن بعد مجيء أبي بكر وعمر وأبي عبيــــدة رضي الله عنهم وخطبة أبي بكر فيهم زال ما في نفوســهم وبــايعوا أبا بكــر البيعة الأولى (الخاصة) ولم يكن علي حاضراً، ثم في اليوم الثـاني اجتمعــوا في المســجد، وخطب عمر بن الخطــاب خطبة شرح فيها ما دار في سقيفة بني ساعدة، وأشاد بفضائل أبي بكر واعتـذر عما فـرط منه عند وفـاة النـبي ، ثم طلب من أبي بكر أن يصــعد المنــبر وأن يتلقى البيعــة، ففعل وبــايع الناس ولما نظروا في وجوه الناس افتقدوا علياً و الزبـير بن العـوام رضي الله عنهمـا، فـدُعِيا وعوتبا فـأظهرا أن سـبب تأخرهما هو عدم إشراكهما في الشورى التي جرت بالأمس، وأنهما لا يعترضـان على تولية أبي بكـر، وذكـرا من فضـائله وخصائصه شيئاً ثم بايعاه. انظر: أخبـار السـقيفة والبيعة في البداية والنهاية (5/245 - 250)، وعصر الخلافة الراشـدة للدكتور أكرم ضياء العمري ص (38-47) طبع مكتبة العلـوم

وراءهم من أهل الـــــبيت، وذلك هو اللائق بمقـــــامهم الطاهر البريء من النفاق والمخادعة.

ثم شـــــعر أبو بكر بـــــدنوّ الأجل فعهد إلى عمر ، واســـتتبَّ الأمر على ذلك كما اســـتتب لأبي بكـــر، ولم يظهر من علي أي شيء يدل على سخطه وتبرّمه من ذلــك، وحينما طُعِنَ عمر وشــعر بقــرب الانتقــال إلى الـــدار الآخـــرة عهد بالخلافة إلى الســـتة النفر كما هو معلوم، ومنهم علي والتزم عليٌ بنتيجة الشورى وسلّم لمن وقع عليه الاختيــار وهو عثمــان ، وحينما صــدر عن عثمــان بعض التصــرفات الــتي نقمها عليه البعض لم يخضْ علي في شـــيء من ذلـــك، بل حـــرص على

والحكم المدينة المنورة ط الأولى(1414-1994).

وقد أعاد علي البيعة بعد ستة أشهر من خلافة أبي بكر علناً في المسـجد، وذلك بعد وفـاة فاطمة رضي الله عنهـا، حيث كـانت عاتبة على أبي بكر لعـدم توريثها من أبيهـا، واسـتمر عتبها بل ومقاطعتها له حـتى مـاتت، وكـان عليٌّ لا يسـتطيع إظهار خلافها للاعتبارات العائلية، ولحفظ رسول الله فيهـا، فلما ماتت بادر بالبيعة مرة ثانية قطعـاً منه لأي تـوهّم بعـدم = =رضـاه بأصل خلافة أبي بكر وإبائه عن البيعــة. وانظــر: البداية والنهاية (5/285ـ 286)، وفتح الباري (7/495) عند شرح حـديث عائشة الطويل في مطالبة فاطمة بميراثها من رســول الله ، وقصة نفرتها من أبي بكـــر، وما حصل لعلي بعد موتها من تغير وجوه الناس عنه، ثم سعيه في المصالحة التامة مع أبي بكر ومبايعته علناً في المسجد... إلخ الحـديث الـذي أورده البخـاري في أواخر بـاب غـزوة خيـبر(7/493)، ومسـلم في كتـاب الجهـاد، بـاب قـول النـبي لا نـورث، ما تركناه فهو صدقة (3/1379-1383) قال الحافظ ابن حجــر: (وقد صحح ابن حبان وغـيره من حـديث أبي سـعيد الخـدري وغيره أن علياً بايع أبا بكر في أول الأمر)(7/495).

استتباب الأمر ودفع الفتنة، بل إنه حينما وصل الأمر إلى أشدّه، و استطاع البغاة ورؤوس الفتنة بقيادة وتحـريض عبدالله بن سـبأ اليهـودي[1] عنـدما اسـتطاعوا الوصـول إلى المدينة وحصر عثمـان في منزلـه، بـادر علي بالدفاع عنه وأرسل ابنيه الحسن والحسـين للـدفاع عنه حتى النهاية[2] ولم يكن راضياً بأي حال من الأحـوال عن تصـرف أولئك الخـوارج البغـاة وليس له بهم أي صـلة على الإطلاق[3].

وعنـدما قتل عثمـان شـغر منصب الخلافة وأصـبح دعاة الفتنة في مأزق لا يحسدون عليه، فليس منهم من يمكن أن يسـدّ تلك الثغـرة، ولا يمكن بقـاء الأمة بـدون خليفة، ولم تكن هنـاك آلية لنصب خليفة جديد يمكن أن ترضاه الأمة وتذعن له، وحينما تلفّتوا حـولهم وجـدوا أنه ليس مؤهلاً لذلك غير علي ، فذهبوا إليه وعرضوا الأمر عليه فامتنع من ذلك؛لأن هؤلاء ليسـوا أهل الحل والعقد الذين تعتبر مبـايعتهم وترشـيحهم نيابة عن الأمـة، ولكن مـاذا يـترتب على رفضـه؟ ومن ذا سـيحل في ذلك المنصب؟وبعد تمنّع طويل وهروب منه وإلحـاح شـديد من الناس قبل [4].

إلى هـذا الـوقت لم يظهر أيّ أثر للتشـيع المـذموم لعلي ولم يكن بحاجة إلى هـذا التشـيع إذ أن جميع

---

1 (?) سبق التعريف به مستوفىً (ص 131).

2 (?) انظر: البداية والنهاية (7/181).

3 3 بل لقد زجرهم ونهـاهم عن ذلك وأعلمهم أن ذلك الجيش ملعـونٌ على لسـان رسـول الله . انظـر: البداية والنهاية (7/176)

4 (?) المصدر السابق (7/226)

الصحابة والمؤمنين شيعته ومواليـه، ومن كـان معترضـاً على شيء مما جرى فإنما كان اعتراضه على ما حــدث للخليفة عثمـان من أولئك القتلة دعـاة الفتنـة، وكـانت المطالبة أن يقيم علي حـــدّ القصـــاص على من قتل الخليفــة، وهو مطلب تصــعب تلبيته في ذلك الظــرف، وتطــــوَّر الحـــــال إلى المطالبة القوية من قبل عائشة وطلحة و الزبــير حــتى وصل إلى المواجهة العســكرية في حرب الجمل، ولم يكن هنـاك شـيعة موالية وأعـداء حاقـدون، وإنما طائفتـان من المؤمـنين أدى اجتهـاد كل واحدة منهما إلى ما أدَّاها إليه، ودخل في الوسط أعـداء الطــائفتين حــتى جرُّوهما إلى الحــرب ووقعت الحــرب وانتهت، ولم تَحُـــلَّ الأحقـــادُ و الضـــغائن في قلـــوب الصــــادقين المؤمــــنين الحريصــــين على الحق من الطائفتين، بدليل ما صدر من علي تجـاه عائشة رضي الله عنها وكيف حافظ عليها وأكرمها غاية الإكرام[1] وكذلك ما حصل منه لمن بشَّره بقتل الزبير[2].

ثم جاء دور النزاع بين علي ومعاوية وحصلت معركة صــفين ثم ما تلاها من أمر التحكيم، وفي هــذه الفــترة بدأت تتكون البذرة الأولى للتشيع[3]، كما ظهر في نفس

---

1 (?) المصدر السابق (7/246).

2 (?) المصدر السابق (7/250).

3 (?) انظـر: مختصر التحفة الاثـني عشـرية ص (5) لمحمـود شــكري الألوسي تعليق محب الــدين الخطيب نشر الرئاسة العامة لإدارات البحـوث العلمية والإفتـاء والـدعوة والإرشـاد الرياض (1404).

الوقت الخوارج[1] و النواصب[2]، ولعل أول تأثير عقائدي لعبدالله بن سبأ كان في هـذه الفـترة حيث واجه أتباعه أمـير المؤمـنين علياً بـدعوى الألوهية فيه فزجـرهم، وحينما لم ينفع فيهم الزجر أحـــرقهم بالنـــار كما مر[3]، ولكن تلك العقيـدة ما زالت تسـري في عـروق الشـيعة حتى اليوم غـير أنها تظهر جليـةً في بعض الأحيـان لـدى بعض الطوائف وتختفي أحيانـــاً، وتَتَـــدثَّر بالتّقية أحيانـــاً أخـرى. وبعد ذلك قتل علي على أيـدي الخـوارج[4]، ثم تنـــازل الحسن لمعاوية عن الخلافة حقنـــاً لـــدماء المسلمين[5]، ولم يلق هـذا التصـرف رضـاً من أصـحابه وشيعة أبيه، غير أن إرادة الوحدة بين سـائر المسـلمين وداعي الجماعة وصـــوت النصح والإخلاص، وشخصـــية معاوية -كانت أقوى من معارضتهم فرضخوا واستكانوا.

---

1 (?) (هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي حين جــرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفـة، وكـانوا يومئذ في اثني عشر ألف رجل أهل صلاة وصيام أعـني يـوم النهـروان) الشهرسـتاني في الملل والنحـل(1/85)، وهـذه الطائفة الـتي ذكرهـا= =تسـمى المحكّمة وهنـاك فـرق و طوائف خارجية كثيرة يجمعها كلها الغلـوّ و التكفـير بـالكبيرة واستباحة دماء المسلمين وأموالهم و الخروج على أئمتهم.

2 (?) النواصب والناصبيّة وأهل النصب المتدينون ببغضة علي لأنهم نصـبوا له أي عـادوه. انظر القـاموس المحيط (ص 177).

3 (?) ســبق ذكر ذلك في البـاب الأول الفصل الثـاني في المطلب الثاني.

4 (?) (العبر في خبر من غبر) (1/33/34) للإمام الذهبي طبع دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى (1405هـ- 1985 م) والبداية والنهاية (7/324- 331).

5 (?) العبر (1/34- 35)، و البداية والنهاية (8/14 - 19).

وحينما تـــــــــــوفي معاوية وخلفه يزيد وجد أولئك النـاقمون الفرصة سـانحة، فكـاتبوا الحسـين بن علي بالخروج إليهم ليبايعوه وينصروه فاغترَّ بوعودهم، وحينما توجه إليهم كان بنو أمية قد علمـوا بـذلك وحزمـوا الأمر في العراق، وعاد معظم من غرَّر بالحسين ليخـــرج على يزيد عـادوا جنـداً في صـفوف جيش عبيد الله بن زيـاد، فـوقعت معركة غـير متكافئة في كـربلاء ذهب ضـحيتها الحسين ومجموعة من أهل بيته لم يثبت معه غـيرهم، وكـان قتل الحسـين بطريقة بشـعة مثـيرة للعواطف والأحزان تأسَّـف لها شـيعته الـذين وعـدوا فما وفَّوا، بل إن كثـيراً منهم كــان ضــمن الجيش الــذي قضى على الحســـين وعصـــبته، ولـــذلك فقد فعلت فاجعة مقتل الحسـين ما لم تفعله جميع الفواجع السـابقة بما فيها الفاجعة بقتل علي .

ودخلت الشـيعة بمقتل الحسـين طـوراً جديـداً أشـدّ غلـواً وأكـثر انحرافـاً وأوسع تجاوبـاً مع المندسّـين من أعداء الإسلام في ذلك الصف.

ثم خرج زيد بن علي -رحمه الله- عام (122هــ) في زمن هشام بن عبد الملك بوعد جديد من عمـوم شـيعة العراق بمناصرته، غـير أنهم خـذلوه في أحلك الظـروف وهو أحــــوج ما كـــــان إليهم، وذلك أنهم -بعد أن أعلن خروجه وبـدأ المسـير إلى خصـمه- قـالوا لـه: لن نخـرج معك حـتى تتـبرأ من أبي بكر وعمـر، فقـال: كيف أتـبرأ منهما وهما وزيـرا جـدي، فقـالوا: إن لم تفعل رفضـناك فقـال لهم: اذهبـوا فـأنتم الرافضة[1]، ومن هنا انشـقت الزيدية عن الجماعة الأم لقولهم بإمامة زيد.

---

1 (?) انظر: البداية والنهاية (9/329- 330).

الشيعة الإمامية:

أمَّا بقية الشيعة أو الرافضة فقد ساروا في طريقهم وسلســلوا الإمامة في نسل علي بن أبي طــالب من جهة الحسـين وهم يتفقـون مع الزيدية على أربعة وهم: علي والحسن والحســـــين وعلي بن الحســــين زين العابدين، ثم تنفرد الزيدية باعتقاد إمامة زيد ثم من يليه من الأئمة الخاصـين بهم، وتسـتمر الإمامية في تسلسل الإمامة إلى محمد بن علي البــــاقر، ثم جعفر بن محمد الصــــــادق، ثم من بعد جعفر الصـــــــادق تنشق عنها الإسماعيلية -باعتبـار الإمـام بعد جعفر ابنه إسـماعيل أو ابن ابنه محمد بن إســماعيل كما ســيأتي- بينما تعتــبر الإمامية الإمــام بعد جعفر ابنه موسى الكـــاظم ثم ابنه علي الرضا ثم ابنه محمد الجــواد ثم ابنه علي بن محمد الهادي ثم ابنه الحسن بن علي العسـكري ثم ابنه محمد بن الحسن المهدي- الذي يزعمون أنه غاب في سرداب سـامراء وهم إلى اليـوم ينتظـرون خروجـه- ولقد تفـرّع عن كل فرقة من فـرق الشـيعة الأساسـية الثلاث فـرق عــدة، وهم فيما بينهم يضــلّل بعضــهم بعضــاً، بل يكفّر بعضـــهم بعضـــاً في كثـــير من الأحيـــان، ولعل هـــذا الاستعراض المـوجز يكفي لبيـان نشـأة وتطـور الشـيعة الإمامية.

الشيعة الزيدية:

و الزيدية هم**:** (منسوبون إلى زيد بن علي لقـولهم جميعاً بإمامتـه، وإن لم يكونـوا على مذهبه في مسـائل الفروع، وهي تخـالف الشـافعية والحنفية في ذلك لأنهم إنما نســبوا إلى أبي حنيفة والشـافعي لمتـابعتهم إياهما

في الفروع)[1].

و الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة في بدء ظهورهــا، وكــان ظهورها حين خــرج زيد بن علي على هشام بن عبد الملك بالكوفة عام (122هــ)، وقد قتل -رحمه اللــه- في اليـوم الثـاني من شـهر صـفر من تلك السـنة[2]، ثم تابعه على الخـروج ابنه يحـيى سـنة خمس وقيل ست وعشـــرين ومائة (125 أو 126 هـــ) في جوزجــان في أيــام مــروان بن محمد آخر خلفــاء بــني أمية[3]، ثم خـــرج بعــــده محمد ابن عبد الله الملقب بـــــــــــــالنفس الزكيّة عــــــــــــام (145هـ) أيام أبي جعفر المنصـور[4] بالمدينـة، ثم خـرج بعـــدهم يحـــيى بن عبدالله أخو النفس الزكيَّة (145ه) وكــان يأخذ البيعة لأخيه فلما بلغه مقتل أخيه أخذ البيعة لنفسه واستولى على البصـرة حـتى قتل في ذي الحجة من نفس السـنة[5]، ثم لم ينتظم- للزيدية بعد استشـهاد زيد بن علي وابنه يحـــــيى ومحمد بن عبدالله النفس الزكية وأخيه إبراهيم- أمْرٌ حـتى ظهر الناصر الأطـروش

---

1 (?) المنية والأمل في شرح الملل والنحل ص (96)، تـأليف المهـدي لـدين الله أحمد بن يحـيى بن المرتضى الحسـني اليماني، تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور، نشر دار النـدى بلبنان الطبعة الثانية عام (1410 هـ).

2 (?) الحـدائق الوردية في منـاقب أئمة الزيدية لأبي الحسن حسـام الـدين حميد بن أحمد المحلي (1/145)، مخطـوط مصـور نشر دار أسـامة على نفقة السـيد يوسف بن السـيد محمد المؤيد الحسني بدون تاريخ.

3 (?) المصدر السابق (1/154).

4 (?) المصدر السابق (1/157).

5 (?) المصدر السابق (1/169).

الحسن ابن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بخراسان سنة (284 هـ) وقيل سنة (287 هـ) فطلب مكانه فاختفى واعتزل الإمارة سنة (302 هـ)، ثم صار إلى بلاد الجبل والديلم فدعا الناس دعوة إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشأوا عليه، وبَقِيَتْ الزيدية في تلك البلاد ظاهرة، ولكنها حالت بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول وطعنت في الصحابة طعن الإمامية[1]، وكان تحوّلها إلى الرفض بعد ظهور الدولة البويهية (320 - 447هـ / 932 - 1055 م) التي كانت زيدية ثم تحولت إلى شيعةٍ غلاة، وابتدعت بدعاً ليس عليها أثارة من علم، لا من كتاب ولا من سنة ومنها على سبيل المثال الاحتفال بعيد الغدير، وتجريم من تقدم من الخلفاء الراشدين جميعاً[2].

وبقيت الزيدية ظاهرة حاكمة في اليمن منذ وصول أول أئمتهم إليها يحيى بن الحسين الهادي إلى الحق[3]

---

1 (?) الملل والمحل الشهرستاني ص (112 - 114).

2 (?) انظر الزيدية نشأتها ومعتقداتها للقاضي إسماعيل بن علي الأكوع ص (28 -29)، الطبعة الثالثة عام (1418هـ) نشر دار الفكر سورية، ودار الفكر المعاصر لبنان..

3 (?) هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي مؤسس المذهب الهادوي والدولة الزيدية في اليمن المتوفى سنة (298) انظر ترجمته في السيرة المفردة المسماة (سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين) لصاحبه علي بن محمد العلوي طبع دار الفكر بيروت ط الثانية (1401-1981) تحقيق زهير زكار، وأعلام المؤلفين الزيدية (1103) تأليف عبد السلام بن عباس الوجيه طبع مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية الأردن ط

وكان وصوله سـنة 283هـ ووفاته سـنة 298هـ إلى أن أطيح بـآخر إمـام منهم محمد ابن أحمد بن يحـيى حميد الدين الملقب بالبدر سنة (1382هـ)، هـذه نهاية الدولة الزيدية، أما المذهب فما زال قائماً إلى اليوم.

الشيعة الإسماعيلية:

وأما الشـيعة الإسـماعيلية فقد سـموا بـذلك الاسم لانتسابهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وتـوليهم لـه، والقـول بإمامته بعد أبيه سـواءً مـات في حيـاة أبيه أو بعده[1]، وقيل نسبة إلى زعيمهم محمد بن إسماعيل بن جعفر الـــذي يزعمـــون أن دور الإمامة انتهى إليه[2]، وكانت نشأتهم بعد وفاة جعفر الصادق -رحمه الله- عام (148هـــ)، وهم في حقيقة الأمر أتبـاع أبي الخطــاب السدوسي الملحد الذي كان من أصحاب جعفر ثم ظهر منه الانحـــراف ومقـــالات الزنادقة فطـــرده، وصـــرح لأصـــحابه بأنه زنـــديق ملحد ونهـــاه عن مجالسة ابنه إسـماعيل خوفـاً على ابنه من الضـلال والزندقة[3]، وقد

الأولى (1420هـ-1999م).

1 (?) وهو قول الشهرستاني في الملل والنحل (1/140).

2 (?) وهو قـول الغـزالي في فضـائح الباطنية (ص 11)، طبع دار البشـــير- عمَّان الأردن الطبعة الأولى ســنة (1413هـــ-1993م)، ومثله ابن الجــوزي في تلـبيس إبليس (ص132)، من طبعة المكتب الإســـــلامي بــــيروت الطبعة الأولى (1414هـ- 1994م) حققه عصـام فـارس الحرسـتاني، خـرّج أحاديثه محمد إبراهيم الزغلي.

3 (?) انظر: أصـول الإسـماعيلية (1/209) وما بعـدها للـدكتور سـليمان عبدالله السـلومي، وهي رسـالة دكتـوراه تقـدم بها الباحث إلى قسم العقيدة بجامعة أم القرى عام (1409 هـ) طبع دار الفضيلة الرياض ط الأولى (1422-2001).

قيل بـــأن إســـماعيل مـــات في عهد أبيه فعهد جعفر بالإمامة إلى ابن ابنه محمد بن إســماعيل[1]، وقيــل: إنه لم يمت ولكن جعفر أشـاع موتـه، وكتب بـذلك محضـراً وأشــهد عليه خوفــاً على إســماعيل من القتل[2]، ثم لم يلبث إسماعيل أن مــات بعد أبيه بعد أن أوصى بالإمامة لابنه محمد بن إسماعيل[3]، وعلى كلا القولين فإن الأمر اسـتقرَّ في محمد ابن إســماعيل والتـفَّ حوله أصـحاب أبي الخطاب[4] مع زميله في الدعوة ميمون بن ديصــان القـداح[5]، وبـذلك وقع ماكـان يحـذره جعفر الصـادق إذ وقع ابن ابنه محمد بن إســماعيل في شــراك الخطابية أكفر فرق الشيعة، فحوَّلوا معتقدات المنتسبين إليه إلى باطنية ملحدة، كما وقع في شراك ميمون القداح الــذي كان سترَه وكفيلَه[6] الـذي حـوَّل الإمامة من نسل جعفر

---

1 (?) الملل والنحل (1/140)، وهـــذا ما رجحه الـــدكتور السلومي في أصول الإسماعيلية (1/257).

2 (?) المصـدر السـابق (1/140-ـ 141)، وانظر الموضـوع بتوسع في: أصول الإسماعيلية (1/255- 259).

3 (?) تـــاريخ الـــدعوة الإســـماعيلية (ص 129) للـــدكتور الإســماعيلي المعاصر مصــطفى غــالب، طبع دار الأنــدلس بيروت الطبعة الثانيةبدون تاريخ.

4 (?) الصــلة بين التصـوف والتشـيع (1/212) للـدكتور كامل مصطفى الشيبي، وأصل هذا الكتاب رسالة ماجستير تقــدم بها الباحث إلى قسم الدراسات الفلســفية والاجتماعية بكلية الآداب بجامعة الإســـكندرية في عـــام (1958 م)، الطبعة الثالثة عام (1982 م) دار الأندلس بيروت.

5 (?) انظر: أصول الإسماعيلية (1/239).

6 (?) أثبت علاقة ميمون القـداح بمحمد بن إسـماعيل، وكـون ميمـون حجته وسـتره وكفيله الـدكتور مصـطفى غـالب في تاريخ الدعوة الإسـماعيلية نقلاً عن بعض المصـادر السـورية

إلى نسله هو، وبـذلك لم يبق للفرقة الإسـماعيلية صـلة بآل البيت النبوي لا نسباً ولا اعتقاداً[1].

وقد تحوّلوا بمركز دعـــوتهم إلى سَـــلْمِيَّة من أرض سوريا، ومنها بعثوا دعاتهم إلى الأقـاليم مصر والمغـرب واليمن وغير ذلك من البلدان، غـير أنه لم تنجح دعـوتهم إلا في اليمن، حيث وصل مندوبا ميمون القـداح منصـور بن الحسن بن فـرج بن حوشب الـذي عـرف بمنصـور

الإســـماعيلية الـــتي بين يديه (ص 133)، وعن المـــؤرخ الإســماعيلي إدريس عمــاد الــدين (ص138)، بل يعــترف بمكانة ميمـــون القـــداح المرموقة في تـــاريخ الـــدعوة الإسـماعيلية فيقـول (ص39): (احتلت أسـرة القـداح مكانـاً مرموقــاً في تــاريخ الــدعوة الإســماعيلية في دورها الأول، وكان الأئمة يعتمدون على أفـراد هـذه الأسـرة الـتي قـدمت للإسـماعيلية أجـلّ الخـدمات، ويعتـبر مؤسس هـذه الأسـرة الــداعي الكبــير ميمــون القــداح أول من اتخــذه الأئمــة= المستورون حجة ونائباً، لهم وتقـول بعض المصـادر التاريخية أن الإمـام جعفر الصـادق جعله حجابـاً وسـتراً على حفيـده محمد بن إسماعيل أول الأئمة المستورين).

1 (?) أعـني أن أئمة الإسـماعيلية الـذين حكمـوا المغـرب ثم مصر وقطاعاً كبيراً من ديار المسلمين وسـموا بالفـاطميين من أبنـاء عبيد الله بن ميمـون القـداح الفارسي وليسـوا من أبنـــاء محمد بن إســـماعيل بن جعفر الصـــادق، وقد تكلم المؤرخون والنسـابون في هـذا كلامـاً طـويلاً غـير أن غالبية مؤرخي ونسابة أهل السنة والشيعة على حدٍّ سـواء ينكـرون نسـبتهم إلى محمد بن إسـماعيل ويثبتونها إلى عبيد الله بن ميمـون؛ولـذلك يسـمونهم (العبيـديين) وقد توسع في بحث ذلك إحســان إلهي ظهــير في كتابه (الإســماعيلية) توســعاً كبيراً جداً استغرق من (ص 167- 266)، وبعد ذلك جزم بما عليه الجمهور أنهم عبيديون وليسوا فاطميين، فارجع إليه إن أردت.

اليمن، وعلي بن الفضل الجدني عام (268 هـ) وأسس كل منهما دولة باطنية، وسيأتي الكلام عليهما في الفصل الرابع، وكان نجاحهما نجاحاً محدوداً، وأما النجاح الكبير فكان لمندوبهم في المغرب حيث هيّأ لقيام دولتهم هناك، وبالفعل قامت تلك الدولة باسم المهدي محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، والصحيح أنه من أبناء ميمون بن ديصان القداح المجوسي أو اليهودي الأصل[1].

وبعد فترة زحفت جيوش تلك الدولة على مصر واحتلتها واختطَّ قائدها جوهر الصقلي مدينة القاهرة المصرية وبعد إتمام بنائها انتقل إمامهم المعز لدين الله إليها[2]، وحكم مصر وأطراف الشام ومناطق واسعة من أفريقيا ثم اليمن عبر دولة الصليحيين، وامتد نفوذهم إلى الحجاز بواسطة الصليحيين كذلك، وبلغت دولتهم في مصر مبلغاً عظيماً جداً من الرُّقي والحضارة ورغد المعيشة، كما حاولت بشتى الوسائل أن تنشر مذهبها بين الناس وأن تنهي أهل السنة فلم تقدر على ذلك؛ومن أجل ذلك بنت الجامع الأزهر، وظلت كذلك حتى دبّ إليها الضعف وهاجم أراضيها الصليبيون.

ولما بدأت حركة الجهاد ضد الصليبيين جادةً على يد

---

1 (?) انظر: التعليق السابق.

2 (?) وكان ذلك عام (362 هـ) انظر: تاريخ الإسماعيلية (ص 191).

الزنكيَيْن، عماد الدين[1]، ونور الدين[2]، وعرف نور الدين مكْمن الخطر على ذلك الجهاد، وأنه من جهة العبيــديين في مصــر، فأرسل قائـده أسد الـدين شـيركوه[3] ومعه صلاح الدين[4]؛ لتعزيز جبهة مصر ضد الصليبيين ومراقبة أمر تلك الدولة المنهارة عن كثب[5]، وبقيت جنــوده فيها حتى مات آخر أئمتها المسمى بالعاضد لدين الله، وعلى

---

1 (?)هو عمــاد الــدين بن قســيم الدولة أقســنقر بن عبدالله الـتركي، أحد عظمـاء السـلاطين الـذين هيـأهم الله للتمهيد لإزالة ملك الصليبيين عن بلاد المسلمين في الشام، استولى على البلاد وعظُم أمره بعد حروب طويلة، قتل -رحمه اللــه- سـنة إحـدى وأربعين وخمســمائة انظر سـير أعلام النبلاء (20/189-191)، والبداية والنهاية (12/221).

2 (?) هو الملك العادل نور الدين بن عماد الدين زنكي ويعرف بنور الدين الشهيد تمكن من جهاد الصليبيين. حقق انتصارات عليهم ثم ســـمت همته إلى ضم مصر وإنقاذها من أيــــدي العبيديين الباطنية؛ ليأمن من المكر بجيوش المسلمين0 وكـان يوصف بالعـدل والديانة والزهد والـورع وكـثرة أعمـال الخـير، تـوفي -رحمه اللـه- سـنة (569هــ)انظر سـير أعلام النبلاء (20/531- 539)، والبداية والنهاية (18/277-286).

3 (?) الأمـير الشـهير والقائد الخطـير أسد الـدين شـيركوه بن شاذي بن مروان، أخو الأمـير نجم الـدين أيـوب، وعم صـلاح الدين، كان أحد الأبطال المـذكورين والشـجعان الموصـوفين تـرعب الفـرنج من ذكـره، طـرد الصـليبيين من (ببلـبيس) و تمكن من الانفــراد بــوزارة العاضد الفـاطمي فبقي في ذلك شـهرين ثم تـوفي -رحمه اللـه- سـنة (564 هــ) فحل محلّه صلاح الدين انظرسير أعلام النبلاء (20/587-589)، والبداية والنهاية (12/259 -260).

4 (?) هو الملك الناصر صـــلاح الـــدين يوسف بن نجم الـــدين أيوب الكردي، كان من أمراء نور الـدين الشـهيد والمقـربين إليـــه، فانتدبه مع عمه أسد الـــدين شــــيركوه لحفظ مصر

إثر ذلك انتزع الحكم صلاح الدين من أيديهم[1]، وطمس معـالم دولتهم، وأزال ما غرسـوه من عقائد ضـالة وما صنعوه من أعمال مخالفة للشرع، وبذلك طويت صفحة هي من أعجب الصـفحات؛ فرخـاء وتقـدم وحضـارة في أمر الدنيا، وكفر وإلحـاد وزندقة وقبورية وثنية لم تشـهد أمة الإسلام مثلها في أمر الدين، فرحم الله صلاح الدين الذي قضى عليهم وأعاد السنة إلى مصر وملحقاتها.

ومن عباءة الإسـماعيلية خـرجت دولة القرامطة في البحـرين؛ ألحـدُ وأكفـرُ دولـةٍ وأعنفها عرفتها جزيـرة العرب، حـتى لقد هـاجم أحد زعمائها مكة وقتل الحُجَّاج وملأ بهم بئر زمزم، ثم اقتلع الحجر الأسود ومكث عنده وعند أتباعه بالبحرين نحو عشرين سنة، كما خرجت من عباءتها دولة علي بن الفضل الجـدني الملحد أحد أكـبر السفاحين في تاريخ الإسـلام، وأحد أكـبر الملحـدين من الحكـام، وكلتا الـدولتين حينما اشـتد عودهما وقـوي نفوذهما أعلنتا الانفصـال عن دولة العبيـديين في مصر واسـتقلالهما بما تحت أيـديهما، مع البقـاء على نفس

وفتحها، وبعد موت شيركوه استقل بـالوزارة ثم أزال الدولة الفاطمية، وهذا وحده من أعظم الفتوح، ثم سعى في توحيد البلاد الإسلامية، وكانت حياته كلها جهاد، حتى هزم الصليبيين أول هزيمة مؤثرة في حطين، ثم فتح القدس بعد احتلال دام قرابة قرن من الزمان، ومازال يطـارد الإفـرنج حـتى أجلاهم عن معظم بلاد الشام، وقد اشتهر مع جهاده بالديانة والـورع وحب الخـير، وعمل الأعمـال العظيمة في مصر والشـام، ومات -رحمه الله -سنة (589هـ)

5 انظر سير أعلام النبلاء (278/21-291)، والبداية والنهاية (6/2/13)..

[1] (?)البداية والنهاية (264/12-267)

العقيــدة والمبــادئ الإســماعيلية في الجملــة، وكــذلك خرجت من تحت تلك العباءة دولة منصور اليمن قصيرة العمر، ثم دولة الصليحي الذي حكم اليمن كله باسمهم، وضـــمَّ بعض مـــدن الحجـــاز إليه خصوصـــاً مكة وما جاورها[1]. وقبل القضــاء على دولة العبيــديين كــانوا قد انقسموا إلى قسمين: نزارية، ومستعلية؛ نسبة لإمـامين تنازع القصـرُ الحـاكم في توليتهما فتبع كلاً منهما فريــقٌ وسِّمي باسـمه فكـان أهل مصر واليمن والهند (البهـرة) أتبـاع المسـتعلي ويسـمون (المسـتعلية)، وأهل إيـران والمشـرق أتبـاع نـزار ويسـمون (نزاريـة)[2]، وقد قـوي نفـوذ هـؤلاء فيما بعـد، وأسسـوا دولة مكثت مـدة وهي قوية مرهوبة هي دولة الحشاشـــين أو الفـــدائيين في منطقة (الألموت) بإيران، ومازالت هذه الفرقة متواجدة في كثــير من بلــدان العــالم الإســلامي ومنهــا، الهند وباكســتان وســوريا واليمن والمملكة العربية الســعودية وهم يســــمون في كل بلد باسم خـــــاص، ففي الهند والباكســتان يســمون بــالبهرة[3]، وفي ســوريا يســمون بالعلويين[4] , وفي السعودية واليمن يســمون بالمكارمة

---

1 (?) الصــليحيون الحركة الفاطمية في اليمن ص (88-92) تــأليف حســين بن فيض الله الهمــداني اليعــبري الحــرازي بالاشــتراك مع د. حسن ســلمان محمــود الجهــني، تنفيذ دار المختار، دمشق. بدون تاريخ.

2 (?) تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص (240).

3 (?) تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص (240).

4 (?)مقدمة كشف أسرار الباطنية وأخبــار القرامطة ص (28) لأبي عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل الحمـــــــــادي المعافري يحقيق وتعليق محمد بن علي بن الحســين الأكــوع الحــوالي طبع مركز الدراســات والبحــوث اليمــني صــنعاء

أو اليمامية[1]، وهم وإن لم يكن لهم اليـــوم ســــلطان رسـمي ظـاهر إلا أنهم يعتقـدون إمامة د. محمد برهـان الدين المقيم حالياً في بومباي بالهند، ويملكون إمكانات ضـخمة تـؤهلهم مـتى أرادوا أن يقيمـوا دولتهم، ولهم طموحـات كبـيرة لاسـتعادة السـلطة والمكـان المفضل لديهم لإقامتها هو (اليمن)[2].

المطلب الثـــالث: عقائد الشـــيعة الباعثـــة على القبورية:

الشيعة فرقة غالية باتفاق مؤرخي الملل والنحل، وجميع فرقها لديها غلو وإن كانت تتفاوت فيه، وغلوها في كافة الاتجاهات، فهي غالية في حبها وفي بغضها، كما هي غالية في ولائها وبرائها، وكذلك في حكمها على الآخرين، والذي يهمنا هنا هو إثبات غلوها في البشر، وهي في ذلك لم يضارعها أحد من فرق المسلمين، كيف وقد صرّح بعض فرقها بألوهية الأئمة تصريحاً واضحاً لا لبس فيه!! وهذا لم يجرؤ عليه أحد من فرق المسلمين، وقد مرّ بنا كيف صرَّحت السبئية بألوهية علي في حياته، بل إنها واجهته بذلك، وقد زجرها ونهاها عن ذلك فلم تنزجر، حتى أن أفراداً منها صمدوا على ذلك حتى أحرقهم بالنار ، وقد تقدم ذلك[3].

الطبعة الأولى (1415هـ-1994م).

1 (?) المصدر السابق ص (25).

2 (?) انظـر: كتـاب الفرقة الباطنية رؤية من الـداخل قـراءة جديدة وحقائق معاصـرة تـأليف علـوي طه الجمل مصـفوف بـالكمبيوتر ولم يطبع بعـد، الفصل الأول: الإسـماعيلية من منظور الولاء الوطني والديني، ص (19 - 49).

3 (?) ص (76 - 77).

وكما ادّعت الســـبئية ألوهية علي ادعتها لبعض أئمتهم.

يقول الشهرسـتاني -رحمه الله -: (هـؤلاء هم الـذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقيـة، وحكمـوا فيهم بأحكـام الإلهيـة، فربما شـبّهوا واحـداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق...)[1].

وهذا ربما قيل إنه من تقوّل أهل السنة عليهم لـذلك فهـذه نصـوص من كتبهم أنفسـهم فمنهم من ألّه محمد بن الحنفية[2]، ومنهم من ألّه جعفر الصـــــادق[3]، ومنهم من ألّه الإمام الكاظم[4]، ومنهم من قـال بألوهية الإمـام الرضا[5]، وبالجملة فهنـاك فـرق غالية كثـيرة من فـرق الشيعة قالت بألوهية الأئمة منهـا: (السـبئية، والمغيرية، والمنصـورية، والخطابيـة، والهشـامية، والإسـماعيلية، والقرامطة، والدروز، والنصيرية)[6].

وإذا أردنا أن نكـون أكـثر دقة وتحديـداً؛فينبغي أن ننتقل من التعميم إلى التخصيص، ونعرض لفرق الشيعة الكبرى والحية المـؤثرة عـبر التـاريخ وإلى اليـوم، فنبـدأ

---

1 (?) الملل والنحل (1/127).

2 (?) شـبهة الغلو عند الشـيعة (72)للـدكتور عبد الرسـول الغفار طبع دار المحجة البيضاء بـيروت ط الأولى (1415هـ-1995م).

3 (?) أصول الكافي (1/269)، والبحار (25/279).

4 (?) رجال الكشي (6/777).

5 (?) عيون الأخبار (2/183)، والهوامش من (3-5) كلها من كتاب شبهة الغلو عند الشيعة (71-88).

6 (?) الشـعوبية والزندقة وأثرهما في ظهـور العقائد والفـرق المنحرفة للـــــدكتور/محمد أحمد الخطيب، الطبعة الأولى(1414هـ-1994م)، نشر وتوزيع مكتبة الأقصى.

بالإمامية أظهر وأشـــهر فـــرق الشـــيعة[7]، بل إن اسم الشـــيعة إذا أطلق اليـــوم فإنما ينصـــرف عند أكـــثر السامعين إليهـا، وهي القائمة على أكـبر تجمع لمظـاهر القبورية في العالم في العراق وإيران، لأن الفرق الـتي أشـرنا إليها سـابقاً قد يقـول قائل: إنها لم تعد موجـودة الآن، وإنما الكلام عنها يعتبر عن أمم لا أثر لها في حيـاة النـاس اليـوم، ومع أني لا أسـلِّم بهـذا القـول لأن تلك العقائد مـازالت موجـودة ولو بشـكل متنـاثر، يظهر من حين إلى آخر في فلتات الألسن ونتـاج الأقلام، هـذا من جهة، ومن جهة أخرى فـإن خلاصة تلك العقائد موجـودة لدى الفرق المعاصرة من الإمامية والإسماعيلية.

فـأقول: إن الـواجب هو إثبـات قبورية هـذه الفـرق المعاصرة، وخصوصـاً الإمامية والإسـماعيلية، إذ الزيدية أقل منهما غلـواً و قبوريـة، وسـأتكلم عنها عند الحـديث عن نشأة القبورية في اليمن.

قبورية الإمامية:

---

7 (?) الإمامية ويقال لهم الاثنا عشـرية: (هم القـائلون بإمامة علي نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غـير تعـريض بالوصف بل إشـارة إليه بـالعين) الشهرسـتاني (1/117). ويقـول أحد بـاحثيهم المعاصـرين وهو محمد جـواد معنية في كتابـه(الإثنا عشـرية وأهل الـبيت) (95): (الإثنا عشـرية نعت يطلق على الشـــيعة الإمامية القائلة بـــإثني عشر إمامـــاً تعينهم بأسـمائهم)بواسـطة أصـول الشـيعة الإمامية الإثـني عشـرية عـــرض ونقد (1/103)ــ للـــدكتور ناصر بن عبدالله بن علي القفـــاري، وهي رســـالة مقدمة لنيل درجة الـــدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية، طبع دار الحـرمين للطباعة القاهرة ط الثانية (1415هـ- 1994م).

فأما قبورية الإمامية فمنشـــؤها غلـــوّهم في أئمتهم بحيث أعطـوهم صـفات من صـفات الربوبية والألوهيـة، وبمــوجب ذلك توجهــوا إليهم يعبــدونهم من دون اللــه، ويسألونهم مالا يقدر عليه إلاّ الله.

فهذا ابن أبي الحديد أحد كبارهم يقول في مدح أمير المؤمنين علي ؓ:

يجل عن الأعراض والأين والمتى ويكــبر عن تشبيهه بالعناصر

ويقـول: تقيلت أخلاق الربوبية الـتي عـذرت بها من شك أنك مربوب[1]

وفي مــراجعهم الأساســية ينســبون إلى علي ؓ أنه يقول: (أنا الأول وأنا الآخر وأنا الظـاهر وأنا البـاطن وأنا وارث الأرض)[2].

وينقلــون عن محمد البــاقر قولــه: (نحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ويده المبسوطة بالرحمة على عباده)[3]، وقوله: (نحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقـــه)[4]، ومن أبـــواب كتـــابهم أصـــول الكافي: (باب أن الأئمة يعلمون علم ما كـان وما يكــون

---

1 (?) مختصر التحفة الاثـني عشـرية ص (9) للسـيد محمـود شكري الألوسي في الأصل والحاشية.

2 (?) رجــال الكشي طبع الهند ص (138) بواســطة بطلان عقائد الشيعة ص (13)، للعلامة محمد عبدالستار التونسوي، رئيس منظمة أهل السـنة بباكسـتان، طبع عـام (1408هــ) ليس عليه اسم الدار ولا رقم الطبعة.

3 (?) أصول الكافي ص (83).

4 (?) المصدر السابق ص (84)، كلاهما بواسطة بطلان عقائد الشيعة ص (15).

وأنه لا يخفى عليهم شـيء صـلوات الله عليهم)[1]، ومن أبواب كتـابهم الآخر بحـار الأنـوار: (بـاب: أنهم يظهـرون بعد موتهم ويظهر منهم الغرائب)[2]، ومن أبوابـه: (بـاب أنهم يقدرون على إحياء الموتى وإبـراء الأكمه والأبـرص وجميع معجـزات الأنبيـاء عليهم السـلام)[3]، ومن أبوابه: (بـاب أن دعـاء الأنبيـاء اُسـتجيبَ بالتوسل والاستشـفاع بهم صـلوات الله عليهم أجمعين)[4]، ومن أبـواب كتـاب بصـائر الـدرجات: (بـاب في الأئمة أنهم يحيـون المـوتى ويبرئون الأكمه والأبرص بإذن الله)[5].

وإذا كان هـذا فكر متقـدميهم فهل بقي من أثر لـدى المعاصـــرين الـــذين يعيشـــون عصر الـــذرة وثـــورة المعلومـات؟ الجـواب: نعم إنهم مـازالوا بنفس العقلية وعلى نفس الاعتقـاد، فهـذا أحد شـعرائهم المعاصـرين يخاطب أمير المؤمنين علياً بقوله:

أبا حسنٍ أنت عين الإله وعنوانُ قدرته الساميةْ

وأنت المحيطُ بعلمِ الغيوب فهل عنك تعزب من خافيةْ

وأنت مديرُ رحى الكائنات وعلة إيجادها الباقيةْ

لك الأمـرُ إن شـئت تنجي غـداً وإن شـئت

---

1 (?) حتى لا ننخـدع ص (121)، للبـاحث عبدالله الموصـلي، نشر دار سلامه للنشر والتوزيع الطبعة الخامسة عشرة عام (1422هـ-2001م).

2 (?) المصدر السابق ص (122).

3 (?)المصدر السابق (ص123).

4 (?)المصدر السابق (ص124).

5 (?) المصدر السابق (ص124).

تسفع بالناصية [1]

اعتقادهم أن الأئمة واسطة بين الله وبين خلقه:

وقد رتبوا على ما مضى أن الأئمة هم الواسـطة بين الله وبين خلقــه، يقــول المجلسي عن الأئمــة: (فــإنهم حجب الرب والوسائط بينه وبين خلقــه)[2]، ونسـبوا إلى جعفر الصـادق قولـه: (نحن السـبب بينكم وبين الله عز وجل)[3]، وليسـوا واسـطة عامة النـاس بل إنهم وسـيلة وواسطة لأولي العزم من الرسل فمن دونهم فقد نقل: (عن الرضا عليه السـلام قـال: لما أشـرف نـوح على الغـرق دعا الله بحقِّنا فـدفع الله عنه الغـرق، ولما رُمِيَ إبــراهيم في النــار دعا الله بحقنا فجعل الله النــار عليه برداً وسلاماً، وإن موسى لما ضرب طريقـاً في البحر دعا الله بحقنا فجعله يبساً، وإن عيسى لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فُنجِّي من القتل فرفعه الله)[4].

تخصص الأئمة في الإمــداد والإغاثة بما يحتــاج إليه النــاس، كل منهم في مجاله:

والأئمة متخصصــون في أبــواب الإغاثة والإمــداد، ولكل منهم وظيفة خاصة يقصــده من له حاجة إلى ما تشـمله تلك الوظيفة (أما علي بن الحســـــين فلِلنَّجـــــاة من

---

1 (?) عبد الحسين العاملي في ديوانه (ديوان الحسين)، الجزء الأول من القسم الأول، بواسـطة أصـول مـذهب الشـيعة (3/1069).

2 (?) بحار الأنوار (23/97)، بواسطة أصول مذهب الشيعة (2/441).

3 (?) المصــدر الســابق (23/97) بواسـطة أصـول مـذهب الشيعة (2/441).

4 (?) المصــدر الســابق (26/325)، ووســائل الشــيعة (4/1143)، بواسطة أصول مذهب الشيعة (2/446).

السلاطين ونفث الشياطين، وأما محمد بن علي وجعفر بن محمد فللآخــرة وما تبتغيه من طاعة الله عز وجــل، وأما موسى بن جعفر فالتمس به العافية من الله وأما علي بن موسى فـــاطلب به الســـلامة في الـــبراري والبحار، وأما محمد بن علي فاستنزل به الرزق من الله تعــالى، وأما علي بن محمد فللنوافل وبر الإخــوان وما تبتغيه من طاعة الله ، وأما الحسن بن علي فللآخـرة، وأما صاحب الزمان فإذا بلغ منك السيف الذبح فاسـتعن به فإنه يعين)[1]. تقديس أضرحة الأئمة:

وعلى ذلك فقد بــــــالغوا في تعظيم مراقد الأئمة ومنحوها من القداسة والشــــرف ما لم تحظ به الكعبة المشــرفة والمدينة المنــورة، فقد نســبوا إلى علي بن الحســين أنه قــال: (اتخذ الله أرض كــربلاء حرمــاً آمنــاً مباركــاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخــذها حرمــاً بأربعة وعشـرين ألف عـام، وقدسـها وبـارك عليهـا، فما زالت - قبل خلق الله الخلق - مقدسة مباركة و لا تـزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرض الجنة وأفضل مــنزل ومسكن يسكن فيه أولياؤه في الجنة)[2]. كما نسبوا إلى جعفر الصادق - وهو بــريءٌ مما نســبوا إليه -: (أن أرض الكعبة قالت: " من مثلي وقد بُني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه، فأوحى الله إليها: أن كفّى وقرّي ما فضل ما فضــلت به فيما أعطيت أرض كــربلاء إلا بمنزلة الإبــرة غرست في البحر فحملت من مـــاء البحر، ولـــولا تربة كـــربلاء ما

---

1 (?) بحار الأنوار (94/33)، بواسطة أصول مذهب الشيعة (2/449).

2 (?) بحار الأنوار (101/107)، بواسطة أصول مذهب الشيعة (2/464).

فضــلتك، ولــولا من تضــمنه أرض كــربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري وكــوني ذنبَـاً متواضـعاً ذليلاً مهينـاً غـير مسـتنكف ولا مسـتكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بك وهـويت بك في نـار جهنم)[1].

وهذه البقعة بالطبع لم تنل ما نالت إلا بكونها مـدفن الحسـين بن علي : (وقد جـرت على ألسـنة الشـعراء وأقلام الكتـاب من بعد الواقعة وإلى يومنا هـذا المقارنة بينها وبين الكعبة، وتفننوا بمختلف أساليب النـثر والنظم في إثبات فضلها وقداستها وشرفها، و اسـتطالة أرضـها على جميع الأقطــار بالفضل والشــرف، وهــذه الأرض المباركة لم تنل هــذا الشــرف العظيم في الإســلام إلا بالحسين كما نص عليه الحديث: $وزادها في تواضعها وشكرها لله بالحسين (ع) وأصحابه#..)[2].

افتراؤهم الفضائل العظيمة في زيارة الأضرحة:

وبنــاءً على ما تقــدم من غلو واعتقــاد في الأئمة؛ ولأجل ربط النــاس بأضــرحتهم ومشــاهدهم، وضــعوا الفضائل الكبيرة والأجور الكثيرة لمن زار تلك المشاهد، ومع الكثرة الكاثرة من النصوص في هذا الجانب والـتي تتفاوت فيها الأجور والمقارنة بين زيارة كــربلاء والحج و العمـرة لـبيت الله الحـرام، فـإنني سأقتصر على نصـين فقط لاحتوائهما على معظم تلك النصوص وتصوير مدى الكذب والافتراء عند القوم واستخفافهم بعقول أتبـاعهم وجرأتهم على الله فيما نسبوه إلى أبي عبد الله جعفر

---

1 (?) كامل الزيـارات ص (270) وبحـار الأنـوار (101/109) بواسطة أصول مذهب الشيعة (2/464).

2 (?) تاريخ كربلاء ص (102).

الصادق أنه قال: (لو يعلم الناس ما في زيـارة الحسـين من الفضل لمــاتوا شــوقاً وانقطعت أنفســهم عليه حسرات قلت: وما فيه؟: قال من زاره تشوقاً إليه كتب الله له ألف حجة متقبلة وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شـهيد من شـهداء بـدر، وأجر ألف صـائم، وثـواب ألف صـدقة مقبولـة، وثـواب ألف نسـخة أريد بها وجه الله , ولم يـزل محفوظـاً سـنته من كل آفة أهونها الشـيطان، ووكل به ملك كـــــريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وفوق رأسه وتحت قدمـه، فـإن مات من سَنَتِه حضرته ملائكة الرحمن يحضـرون غسـله وأكفانه والاستغفار له ويشـيعونه إلى قـبره بالاسـتغفار، ويفسح له في قـبره مد بصـره ويؤمنه الله من ضـغطة القبر ومن منكر ونكير يروِّعانه، ويفتح له باب إلى الجنة ويعطى كتابه بيمينه، و يعطى له يـوم القيامة نـور يضئ لنوره ما بين المشرق والمغـرب، وينـادي منـاد هـذا من زوار الحسين شـوقاً إليـه، فلا يبقى أحد يـوم القيامة إلا تمنى يومئذ أنه كان من زوار الحسين)[1].

وقد سوّغ هذه المبالغات أحد أئمتهم بـذكر فضـائلهم وما أعطوا من صفات فـوق مسـتوى البشر فقـال: (إن هذا ليس بكثير على من جعله الله إماماً للمؤمـنين، وله خلق السـماوات والأرضـين، وجعله صـراطه وسـبيله، وعينه ودليله، وبابه الذي يؤتى منـه، وحبلـه المتصل بينه وبين عباده من رسل وأنبياء وحجج وأوليـاء، هـذا مع أن مقـابرهم فيها أيضـاً إنفـاق أمـوال، ورجـاء آمـال،

---

1 (?) كامل الزيارات (ص 143)، ووسائل الشـيعة (1/353)، وبحار الأنوار (101/18) بواسـطة أصـول مـذهب الشـيعة (2/456)

وأشــخاص أبــدان، وهجــران أوطــان، وتحمل مشــاق، وتجديد ميثاق، وشهود شعائر، وحضور مشاعر)[1].

مناسك زيارة القبور عند الشيعة:

ومبالغة في تقديس تلك القبور وتأكيـداً لما يعتقدونه فيها وفي المقبــورين من خصــائص الألوهية والربوبيــة، جعلوا لزيارتها -بطل الإسـلام والشـهيد ابن الشـهيد أبي الشــهداء، وزيــارة مرقــده الخالد -مناسك مثل ما لحج بيت الله الحــرام؛ لأن الزائر بحضــرته أمــام شخصــية إسـلامية عظيمة لم تَمُتْ بمنطـوق الآية الكريمـة: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلـوا في سـبيل الله أمواتـاً بل أحيـــاءٌ عند ربهم يرزقـــون**﴾[2]، وأي شـــهيد أعظم منزلة، وأعلى قـدراً ومكانة عند الله من الحسـين سـيد الشهداء)[3].

وهذه المناسك ليست خاصة بزيارة قبر الحسين فقط، بل إنها عامة لجميع مشاهد أئمتهم.

قــال شــيخ الإســلام ابن تيمية -رحمه اللــه-: (وأما المشاهد فيعظمونها أكثر من المساجد، حــتى قد يــرون أن زيارتها أولى من حج بيت الله الحـــرام، ويســـمونها الحج الأكـــبر وصَـــنَّف ابن المفيد منهم كتابـــاً ســـماه **(**مناسك حج المشاهد**)** وذكر فيه من الأكاذيب والأقـوال

---

1 (?) قائل ذلك هو الفيض الكاشــاني في المجلد الثــاني من الــوافي (م 2/ج 8/224)، والهامشــان عن أصــول مــذهب الشيعة (2/461).

2 (?) سورة آل عمران (169).

3 تاريخ كربلاء من (127)

3 4 مجموع الفتاوى (17/498).

مالا يوجد في سائر الطوائف)[1]، وما قاله شـيخ الإسـلام قد صـدقه عليه بل بأكثر مما قـال أحد شـيوخ الـرفض وهو آغا بـــزرك الطهـــراني بحيث أثبت أن ما صـــنفه شيوخهم في المزار ومناسكه قد بلغ ستين كتاباً[2].

وأمامي الآن كتاب بعنوان " دليل الزائر إلى العتبات المقدسة "من ثلاثة أجـزاء: أحـدها "العتبـات المقدسة في العـراق " والثـاني " العتبـات المقدسة في إيـران " والثالث " العتبات المقدسة في سـوريا "، يشـتمل على تسمية المشاهد، ونُبذ عنها، وصور لها، وتفصيل ما يقال ويفعل عندها، ألّفه أحد معاصريهم واسـمه (محمد أحمد خشفي الشهيد).

وإليك منســكاً من تلك المناسك الــتي يؤدونها عند المشـاهد باختصـار: (قـال الصـادق : إذا أردت المسـير إلى قــبر الحســين فصُــمْ يــوم الأربعــاء والخميس والجمعة، فإذا أردت الخـروج فـاجمع أهلك وولـدك وادع بـدعاء السـفر، واغتسل قبل خروجك، وقل حين تغتسل كـذا وكـذا، فـإذا خـرجت فقل كـذا وكـذا، ولا تـدّهن ولا تكتحل حـتى تـأتي الفـرات، وأقِـلْ من الكلام والمـزاح، وأكثر من ذكر الله تعـالى، وإيـاك والمـزاح والخصـومة، فإذا كنت راكباً أو ماشياً... فإذا خفت شيئاً فقل... فـإذا أتيت الفـرات فقل قبل أن تعـبره.... ثم أعـبر الفـرات وقـل... ثم تـأتي نينـوى فتضع رحلك بهـا، ولا تـدّهن ولا تكتحــل، ولا تأكل اللحم ما دمت مقيمــاً بهــا، ثم تــأتي

[1]

[2] (?) الذريعة إلى تصـانيف الشـيعة آغا بـزرك الطهـراني، دار الأضـواء بـيروت، الطبعة الثالثة (1403هــ) بواسـطة أصـول مذهب الشيعة (2/467).

الشط بحــذاء نخل القــبر واغتسل وعليك الوقــار وقل وأنت تغتســل... ثم البس أطهر ثيابــك، فــإذا لبســتها فقـل... ثم امشي حافيـاً وعليك السـكينة والوقـار فإنك في حرم من حـرم الله وحـرم رسـوله، وعليك بـالتكبير والتهليل لله ولرسوله ... ثم امشِ قليلاً وقصِّر خطاك، فـإذا وقفت على التل فاسـتقبل القـبر فقف وقـل... ثم امشِ عشر خطـــوات وكـــبر ثلاثين تكبـــيرة وقل وأنت تمشي... ثم امشِ قليلاً وعليك السكينة والوقار بالتكبير والتهليل والتحميد لله، والتعظيم لله ولرسوله وقصِّــر خطاك.

فإذا أتيت الباب الذي يلي المشرق فقف على الباب وقل... ثم تـدنو قليلاً وقـل.. ثم ادخل الحـائر وقل حين تدخل. السـلام على ملائكة الله الـذين هم مقيمـون في هــذا الحــائر يعملــون ولأمر الله مســلمون... ثم امشِ وقصر خطـاك حـتى تسـتقبل القـبر، واجعل القبلة بين كتفيك واســتقبل بوجهك وقـــل... ثم ضع خـــدك الأيمن على القـــبر وقـــل... ثم ضع خـــدك الأيسر على القـــبر وتقــول... ثم تـدور من عند رجليه إلى عند رأســه... ثم تحوّل عند رجليه وضع يـدك على القـبر وقـل... ثم تضع خديك عليه وتقول... ثم سر إلى قـبر علي بن الحسـين فهو عند رجل الحسـين فـإذا وقفت عليه فقـل... ثم انكب على القبر وضع يـديك عليه وقـل... ثم ضع خـدك على القبر (قبر علي بن الحسـين) وقـل... ثم تـدور من خلف الحســـين إلى عند رأسه وصـــلّ عند رأسه ركعـتين... ثم تَنْكبُّ على القـبر وتقـول... ثم تخـرج من الســقيفة وتقف بحــذاء قبــور الشــهداء وتــومئُ إليهم

أجمعين وتقول... ثم در في الحائر وأنت تقول...)[1].

وهناك تفاصيل لبعض ما يفعلونه عند المشاهد من طواف بها واستقبال لها حال الصلاة وغير ذلك آثرت تركها اختصاراً، وانظر بعضها في أصول مذهب الشيعة[2].

عقائد الإسماعيلية الباعثة على القبورية:

الشيعة في الجملة فرقة من الفرق الضالة الثلاث والسبعين التي تتكون منها أمة محمد [3]، ولكن هناك فِرَق من فرق الشيعة قد تواطأ علماء السنة والشيعة على أنها خارجة عن الثلاث والسبعين فرقة؛ من أشهرها وأكثرها عدداً وأبعدها أثراً في تاريخ الإسلام وإلى اليوم الفرقة الإسماعيلية[4]، التي حكمت أجزاء من العالم الإسلامي في فترات متعددة من التاريخ، وأشهر دولها على الإطلاق الدولة الفاطمية التي سبق الحديث عنها في هذا المطلب، ولذا نجد عبد القاهر البغدادي عندما أراد أن يستعرض تاريخ وعقائد هذه الفرقة عنْوَنَ لذلك الفصل بهذا العنوان: " الفصل السابع عشر -من فصول هذا الباب - في ذكر الباطنية وبيان خروجهم عن جميع فِرَقِ الإسلام "، ثم قال تحت ذلك الفصل: (اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى

---

1 (?) تاريخ كربلاء ص (129 -131).

2 (?) أصول مذهب الشيعة (2/467-477).

3 (?) الفرق بين الفرق ص(21)، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة دار المعرف بيروت0

4 4 المصدر السابق ص (22).

والمجوس عليهم، بل أعظم من مضـرة الدهرية وسـائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الـذي يظهر في آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا هذا أكثر من الــذين يضــلون بالــدجال في وقت ظهــوره؛ لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً وفضـائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقَطْر)[1].

وما كنتُ بحاجة إلى الانشـغال بهم وإضـاعة الـوقت في تتبع فضــائحهم لــولا الأثر الكبــير الــذي تركــوه في الأمـــة، من نشر القبورية والشـــرك والإلحـــاد والبـــدع العلمية والعمليـــة، ســـواء ما نشر عنها مباشـــرة إبَّان حكمها وتسلطها على المسلمين، أو بواسـطة الصـوفية التي اقتبست كثيراً من عقائد هــذه الفرقة ودمجتها في صــورة مناســبة لحالهــا، وأقبح عقيــدة آمنت بها الفرقة وأشـــاعتها في أتباعها وأصـــبح لها أثر كبير في نشـــأة القبورية هي عقيدة تأليه الأئمة وإسـباغ صـفات الألوهية والربوبية عليهم.

وهذه العقيدة لم تعد تُنقل عنهم بواسطة خصــومهم من أهل الســنة وبقية فــرق الشــيعة، ولكن أصــبح من الميســور نقلها من كتبهم الــتي كـانت سـِرِّيَّة بـالأمس فأصبحت اليـوم- وبحكم حرية النشر وحرية الفكر الـتي تتضمن حرية (الكفر)- أصـبحت تلك الكتب تُنشَـر وتبـاع في الأسواق، وسأقتصر على طرف يسير من النصـوص الــتي تُثبتُ ذلك، معرضــاً عن كم هائل منهــا، حــتى لا أطيل على القارئ بما لا حاجة له به، ومن تلك النصوص ما هو مباشـرة عن كتبهم ومنها ما هو بواسـطة العلمـاء

1 (?) المصدر السابق ص (281 -282).

الثقات، مع ذكر المراجع الإسماعيلية الأصلية كما ذكرها أولئك العلماء فمن تلك النصوص: ما نسـبه أحد دعـاتهم إلى علي أنه قال: (أنا الأول، وأنا الآخر، وأنا الظـاهر، وأنا بكل شـيء عليم، وأنا الـذي رفعت سـماءها، وأنا الـذي دحـوت أرضـها، وأنا أنبتُ أشـجارها، وأنا الـذي أجـريت أنهارهـا)[1]، كما نسـبوا إليه أنه قـال: (أنا نقلت لآدم ونوح وإبراهيم وعيسى وأنا نبَّأت النبـيين، وأنا أرسلت المرسلين)[2].

وليس الأمر خاصاً بعلي بن أبي طـالب وحـده ولكنه لكل أمـام من أئمتهم، فقد نسـبوا إلى محمد بن علي البـاقر أنه قـال -وكـذبوا عليه -: (ما قيل في الله فهو فينا، وما قيل فينا فهو في البلغاء من شيعتنا)[3]، ويقـول أحد مفسر يهم: (الحمد لله الـذي أجـرى جميع أمـوره الجزئية والكلية.... وصلى الله على رسوله سيدنا محمد من خـرق رتب الحجابيـة... وعلى إمـام العصر الواقع عليه في عصره اسم الآلهة)[4].

ولماذا يطلق عليه اسم الآلهة؟.

يجيب عليه الكرمـاني بقولـه: (لأن كلاً منهم في زمانه قائم مقام الله بقيامه مقام النبي الذي هو قائم

---

1 (?) المجـالس المؤيدية ص (147)ـ مؤيد الـدين الشـيرازي بواسطة الإسماعلية ص (299).

2 (?) الأنوار اللطيفة لإبراهيم بن حـاتم ص (125)، بواسـطة الإسماعيلية ص (299).

3 (?) كنز الولد للحامدي ص (195)، بواسطة الإسماعيلية ص (288).

4 (?) (مزاج التسنيم)تفسير سورة النحل الجـزء الخـامس من القسم الرابع ص (337)، للمفسر الإسماعيلي ضـياء الـدين بواسطة الإسماعيلية ص (288).

مقام الله)[1].

وقد لخص أحد البـــــاحثين في تـــــراث وتـــــاريخ الإســـماعيلية عقيـــدة القـــوم بعد استعراضـــها وتحليلها فقـــــــال: (إن ما يقوله المســـــــلمون عن الله خلعه الإســـــــــــــــماعيلية على العقل الكلي فهو الإله عند الإسـماعيلية وإذا ذكر الله عند الإسـماعيلية فالمقصـود هو العقل الكلي، والعقل الكلي في العالم العلوي يقابله الإمام ي العالم الجسماني، ومعـنى هـذا عنـدهم أن كل الأسماء والصفات الثابته لله تصرف إلى العقل الكلي ومن ثم هي للإمام، لأنه مثل للعقل الكلي فأســماء الله الحسنى التي قالوا إنها أسـماء العقل الكلي هي أسـماء الإمام فالإمام إذاً هو الواحد الأحد الفرد الصـمد المنتقم الجبار... إلخ الأسماء)[2].

وإذا كـانت دعـوى الربوبية والإلهية لا يمكن الإفصـاح عنها ومخاطبة العـــوام بهـــا، فـــإنهم قد عـــبروا عن ذلك بألفاظ تؤدِّي نفس الغرض وتـروج على العـوام فقـالوا: (أما الإمـام فهو المعصـوم، أو قطب دائـرة الوجـود، أو الألف المتحركة، أو قطب الغوث، أو مظهر عين الجمع، أو مجمـوع المظـاهر، أو النبأ العظيم، أو بـاب حطـة، أو سفينة النجاة، أو صاحب العصر، أو الصراط المسـتقيم، أو روح الوجـــود، إنه لـــذو نعـــوت وصـــفات عديـــدة قلما

---

1 (?) الإســماعيلية (ص 288) والمصــدر الإســماعيلي: راحة العقل للكرماني ص (577)، و مسـائل مجموعة ص (113) ضمن أربعة كتب إسماعيلية، تحقيق عارف تامر.

2 (?) الدكتور محمد كامل حسين في (طائفة الإسماعيلية) ص (158 - 159)، بواسطة الإسماعيلية (1/427).

يــدركها إلا الحكيم الخبــير)[1]، وعلى ذلك فهم-عنــدهم- يعلمون الغيب وأمر المبدأ والمعاد.

روى النعمان بن حيـون المغـربي: (أنه تنـاظر رجلان إبان حكمه - يعني المعز الفـاطمي - فقـال: أحـدهما إن الإمــــام يعلم الغيب، وقـــال الآخر لا يعلم الغيب فرفع حالهما إلى إمـــامهم المعز فقـــال لهم: إن الغيب على ثلاثة أوجه أو حــدود: فوجه اســتأثر الله به عن عبــاده، ووجه آخر ما يحتــاج إليه في الشـــريعة، ووجه ثـــالث مخزون لصاحب القيامة وهو الإمام القائم يعلم ما يكون ولو شاء إمامك أن يتلوا عليك ذلك لفعل)[2].

ويقــول المؤيد الشــيرازي: (الأئمة يعلمــون من أمر المبدأ والمعاد ما حجبه الله عن كافة العباد)[3].

ويقول الكرماني عن الحاكم بـأمر اللـه: (له معجـزة بل معجزات، وإخبار بالكائنات قبل كونها وإظهار للعلوم المكنونة)[4].

كل إمام من أئمتهم هو اسم الله الذي يدعى به:

يقول جعفر بن منصور اليمن: (فكل قائم في عصره فهو اسم الله الــذي يــدعى به في ذلك العصر كما قــال

---

1 (?) الفلك الـــدوار في فضـــائل الأئمة الأبـــرار، لعبد الله المرتضى ص (28)، عن الإسماعيلية ص (380)

2 (?) أصول الإسماعيلية (2/430)، عن القاضي المذكور في كتاب الرسالة المذهبية (ورقة 85 - 86).

3 (?) المجــالس المؤيدية ص (441) عن الإســماعيلية ص (376).

4 (?) المصابيح في إثبات الإمامة ص (140) عن الإسـماعيلية ص (376).

الله ﷻ: ﴿**ولله الأسماء الحسـنى فـادعوه بها**﴾[1]# [2].

وعلى ما ســـبق اهتمت الإســـماعيلية بالأضـــرحة والقبور والمشاهد مما سيأتي تفصيله فيما بعد إن شــاء الله0

المطلب الرابع: دور الشـــيعة في نشر القبورية في الأمة:

عرفنا في المطلب الثالث عقيدة الشــيعة في أئمتها وغلوها فيهم، حيث وصل الأمر بالكثير منهم إلى اعتقـاد ألوهية وربوبية الأئمة، و نَحلوهم من الصـفات مـالا يليق إلا بــرب العــالمين، وعلى ذلك فقد جعلــوا لقبــورهم قداسة دونها كل قداسة، حتى لقد فضلوا تربة الحســين على الكعبة المشـرفة، وإذا كـان الأمر كـذلك فلا غرابة أن يبـــادروا إلى تفخيم تلك التُـــرَب، وعمل كل ما من شــأنه أن يبهر قلب الزائر ويملــؤه هيبة وتقديســاً لتلك القبور، وتدرجوا في ذلك حتى وصلوا بها إلى هـذا الـذي نشـــاهده اليـــوم في النجف وكـــربلاء وقُمْ، وغيرها مما يسمونه بالعتبات المقدسة.

وكانت البداية يسيرة كشأن كل انحراف يبدأ يســيراً ثم يتسع حتى يجاوز الحدود، وقد ذكرنا فيما مضى كيف بدأت المحاولات في عهد بني أمية وبني العبـاس لإقامة أبنية متواضعة على قبر الحسـين، وكـان الخلفـاء حينئـذٍ يقاومونها ويزيلــون ما وجد منهـــا، فلما وصل الأمر إلى تمكّن الشـــيعة من مقاليد الأمــور في بلاد المســـلمين بـــدأت تلك القبورية تظهر جليــاً، وقد ســاهمت الـــدول

---

1 (?) الإسراء (110).

2 (?) كتاب الكشف ص (109) عن الإسماعيلية ص (288).

الشيعية في ذلك كلٌ بحسب إمكاناته وبحسب زمانـه، و سأسوق إليك مقتطفات من تاريخ مشاهد الأئمة الاثـني عشر فقـط، ثم لمحة مـوجزة عن مبلغ قبورية الشـيعة الإمامية ثم الإسماعيلية؛لتدرك مدى الدور الـذي قـامت به الشـــــيعة في إنشـــــاء ونشر القبورية في الأمة المحمدية.

ولا يغيب عنك أن جميع فــرق الشــيعة قد ســاهمت في ذلك من زيدية وإمامية وإســماعيلية وغيرها. فــأول من بـنى المشـاهد على قـبر الحسـين وأبيه هو الـداعي محمد بن زيد بن الحسن أمير طبرستان المتـوفى سـنة (278 هـ) وهو زيدي[1]، ثم جـاء بعـده الحمـدانيون وهم شـيعة رافضة[2] فسـاهموا في بنـاء المشـاهد خصوصـاً مشـــهد علي ، ثم تســـلم الراية الإمامية منذ عهد البويهـــــيين إلى اليـــــوم والملفت للنظر أنه من بعد البويهـيين لم تعد هنـاك مقاومة من السـلطات السـنية للقبورية الشيعية، بل إن السلاطين السُّنة تبعوا الشـيعة في ذلك كما سيأتي.

وهذه جولة على مشاهد الأئمة الاثني عشر:

1- مشهد أمير المؤمنين علي [3]:

مضت القـرون المفضـلة الـتي كـان السـلطان فيها

---

1 (?) الأعلام (6/132).

2 (?) البداية والنهاية (11/264) في ترجمة سيف الدولة.

3 (?) ومن الغريب أنه t هو الذي بعثه رسـول الله r بتسـوية القبور المشـرفة وهو الـذي بعث صـاحب شـرطته أبا الهيـاج الأسدي لتسـويتها كما في صـحيح مسـلم وقد سـبق تخريجه ص (24).

لأهل السُـنة وليس لهـذا القـبر أي أثر بل إن المـؤرخين قد اختلفـــوا في موضع قـــبره[1] ومع ذلك فقد ســـوّل للشيعة بعضُ شياطينهم أنه في ذلك الموضع فعظمـوه، وأول من بـــنى عليه مشـــهداً محمد بن زيد بن الحسن أمير طبرستان[2] ثم بناه عبدالله بن حمـدان أحد أمـراء الدولة الحمدانية سـنة (317 هـ)[3] (وعظُم شـأنها " أي النجف " في القـــرن الرابع للهجـــرة النبوية لما زارها عضد الدولة البويهي[4] في جمادى الأولى من سـنة (37 1) للهجرة (981) وبذل أمـوالاً طائلة لتشـييد العمـارة الجسيمة حول المشهد المشرف)[5].

ويقـول صـاحب نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس: (وقد عقـــدت عليه قبة عظيمة في زينة وســـيمة، وأول من عقد هـــذه القبة عبدالله بن حمـــدان في دولة بـــني العبـاس، ثم عمرها الملـوك من بعـده، وبها من الـذهب الإبريز والجـــواهر وخـــالص اللجين[6] وأنـــواع الفـــرش الفـــاخرة ما يكل عنه قلم الحاصـــر)[7] (وفي التـــاريخ النجفي أن عدد القباب الـتي شـيدت على قـبر الأمـير

---

1. (?) انظر: البداية والنهاية (8/13).
2. (?) موسوعة العتبات المقدسة (6/146-147).
3. (?) العتبـــات المقدسة (6/176) ومســـاجد مصر وأولياؤها الصالحون (1/46).
4. 7 هو عضد الدولة أبو شـجاع بن ركن الدولة البـويهي من اعظم سـلاطين الدولة البويهية الرافضـية الـتي عملت على نشر بـــدع الـــروافض في بلاد المســـلمين (ت 372) انظر السير (16/249) والبداية والنهاية (11/299).
5. (?) العتبات (6/183)
6. (?) الجين: الفضة. القاموس ص (1587).
7. (?) العتبات (6/176- 177).

بلغ ثمان أولها قبة الرشيد التي ألمعنا إليها في صدر هذا الفصل وآخرها القبة الحالية التي غشاها بالذهب نادرشاه في سنة (1156 هـ)[1]. ولتصور الأبهة والفخامة التي يزخر بها هذا المشهد أنقل إليك ما جاء في دليل المملكة العراقية لسنة (1935-1936 م) بواسطة العتبات المقدسة: (ويتوسط مدينة النجف الأشرف مشهد الإمام علي بن أبي طالب . وهو وسط صحن عظيم مستطيل تتجلى فيه العظمة بأجلى مظاهرها، كما تتجلى فيه براعة الفن، ونفاسة النقش، وجمال الريازة. ويتقوَّم من طبقتين يبلغ ارتفاعهما زهاء 35 متراً. ويبلغ طول هذا الصحن 82 متراً وعرضه 77 متراً. وفي كل ضلع من هذه الأضلاع 14 إيواناً، وفي كل إيوان غرفة هي مقبرة أحد المشاهير.

وفي الطبقة الثانية عدد من الأواوين والغرف بعدد الأواوين والغرف الموجودة في الطبقة السفلى.

والصحن على رحبة مفروش بالرخام الأبيض. وله خمسة أبواب. وجدرانه مغشّاة بالآجر القاشاني الملون البديع. وعلى حواشي الجدران العليا تجد الآيات القرآنية مسطورة بأحرف عربية جميلة متداخلة تسر الناظرين إليها، ويحيط بالصحن بهو واسع يظلله من جهة الغرب فقط ساباط[2] مرتفع تتوسطه سماية[3] مستديرة.

ويلي هذا الصحن من جهة الشرق إيوان واسع كبير، يبلغ ارتفاعه قرب أربعين متراً، كما يبلغ طوله 45 متراً،

---

1 (?) العتبات (6/189).

2 (?) الساباط: سقيفة بين دارين تحتها طريق، القاموس ص (864).

3 (?) السماية: السقف. انظر المعجم الوسيط (1/453).

وهو مســـقف، ســـقفه مع جدرانه كلها مغشـــاة بقطع الذهب، وفي ركنيه مئذنتان مرتفعتان مغشَّاتان بالـذهب الإبريز - أيضاً- تؤثران في النفوس أثراً بليغـاً، وقد أنفق على هذه التغشية السـلطان نادرشـاه وذلك في عـام (1156ه - 1743 م) ومن هذا الرواق الجزئي يدخل إلى الـرواق الكلي المسـقف، وجـدران هـذا الـرواق الأخـير مغشــاة بقطع المرايا ذات الأشــكال الهندســية البديعة والتحاريب المزوقة المختلفة.

ولهذا الرواق أربعة أبواب متقابلة، بابان منها فضيان يدعى أحدهما الباب الكبير، ويسمى الثـاني بـاب المـراد وبابان من خشب السـاج، أحـدهما مغلق والآخر مفتـوح يسميان باب الرحمة.

ويلي كل ماتقـــدم الحضـــرة المقدســـة، ذات الهيبة والجلال، والروعة الكريمة، واللآلىء الثمينـة. كما علقت فيها الثريات التي توقد فيها الشموع طول الليل.

وجدران هذه الحضرة مغشَّاة بالفسيفسـاء المطينة، والرخام الإيتالي البديع وقطع المرايا المختلفة الأشـكال والحجوم، والمصابيح الكهربائية العديـدة، كما أن أرضـها مفروشة بالرخـام الأزرق اللطيـف، وفيها أربعة أبـواب من الفضة، وخامس من البرنز.

ويتوسط هذه الحضرة المرقد الغروي المطهر يحيط به مشـبكان، أحـدهما من الفضة الناصـعة البيـاض، وهو الخارجي، والآخر من الحديد الفولاذي، وهو الداخلي.

وتعلو المشـبك الأول كتابـات من القـرآن مع أبيـات من الشــعر لابن أبي الحديـد. وفي كل ركن من أركانه الأربعة رمانة من الذهب، يبلغ قطرها زهاء النصف متر.

ويتوسط المشـبك الحديـدي الـداخلي مصـطبة من

الخشب المرصع بالعــاج والمنقــوش عليه بعض الآيــات القرآنية، وتحتها المرقد الشريف.

وفــوق الضــريح قنــديل معلق بسلســلة من الــذهب الخــالص، مرصع بــأثمن الأحجــار اليتيمة ومن جملتهــا، ماسة يبالغ في ثمنها كثيراً.

وتعلو الحضرة قبة جسيمة مغشـاة بالـذهب الإبريـز، ومرتفعه إلى علو شــاهق، والظــاهر أنها أرفع قبــاب آل البيت جميعــاً. وقد غشـيت هـذه القبة بالـذهب في عـام 1156ه وأنفق على تغشيتها السلطان نادر شاه)[1].

2- **قبر الحسن بن علي رضي الله عنهما:**

لم يلق قــبر الحسن اهتماما كبـيراً من قبل الشـيعة سواء منهم الحكام أو المحكومين وذلك بدرجة أساســية يرجع إلى قلة الاعتنــــاء وقلة التقــــديس للحسن نفسه مقارنة بأبيه و أخيه الحســــين، ثم لأنه بعيـــــدٌ عن مقر سـلطان الشـيعة وتواجـدها القـوي، ومع ذلك فقد بـنيت عليه وعلى من معه من أهل الـــــبيت قبة فخمة عالية البناء وصفها ابن بطوطة بقولـه: (ويليها روضة فيها قــبر العبــاس بن عبد المطلب عم رســول الله ، وقــبر الحسن بن علي بن أبي طــالب (ع) وهي قبة ذاهبة في الهـواء بديعة الإحكـام عن يمين الخـارج من بـاب البقيع ورأس الحسن إلى رجلي العباس وقبراهما مرتفعـان من الأرض متســعان مغشَّــيان بــألواح بديعة الإلصــاق مرصَّعة بصفائح الصـفر البديعة العمل)[2] وقد ذكـروا أن

---

1 (?) العتبات المقدسة (186/6-188).

2 (?) ابن بطوطة ص (119)في رحلته طبع دار التراث بيروت

الذي عمر هذه القبة " الخليفة الناصر أبو العبـاس أحمد بن المستضيء "[1].

3- قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما:

لم يلق قبرٌ في الدنيا كلها ما لقي قبر الحسين من التعظيم والتقـــديس والمظـــاهر والطقـــوس القبورية الوثنية، فلم يكن لقبر النبي ولا لقبر علي ما يقـرب مما لقـبر الحسـين من ذلـك، ولـذلك فقد كـانت العناية بعمارته وتفخيمه أعظم من أي قبر آخر، وجعلـوا له من المواسم والطقوس مالا يوجد لقبر آخـر، وإليك بعض ما ذكر من عمارته:

سـبق أن ذكرنا المحـاولات الكثـيرة لبنـاء مشـهد أو مسجد على قـبر الحسـين ولكنها لم تنجح. [2] ويحـدثنا الدكتور الكليدار أن المنتصر بن المتوكل قد أعـاد البنـاء الـذي هدمه أبـوه، ولم يـذكر نوعية البنـاء، وهل هو قبة كالقباب المعتـادة الـتي توضع لإضـفاء القداسة والجلالة على الضــريح، أو أنه مجــرد بنــاء متواضــع؟ ويفهم من كلامه أن المنتصر وضع عليه ميلاً عاليـــاً يرشد النـــاس إليه وشجع الناس على زيارته وذكر في الصفحة التالية: (أن البنـــاء الـــذي أقيم على القـــبر المطهر في عهد المنتصر في عـام (247- 248ه) كـان قد سـقط مـرة واحـــدة في ذي الحجة ســنة (273 هـــ) وقد ســقطت سـقيفة الروضة المطهـرة حسب الظـاهر دفعة واحـدة وبلا سابق إنذار على الزائـرين في شـهر ذي الحجة من

سنة (1388هـ- 1968 م).

1 (?) وفـاء الوفا (3/916)وانظر ترجمته في السـير للـذهبي(21/86) والبداية والنهاية (13/106).

2 3 (ص 130)

هذه السنة)[1]. هذه بعض البـدايات أما العمـارة الحقيقية المقصود بها التعظيم والجلالة فـأول من قـام بها محمد بن زيد بن الحسن الحسني المعـروف بالـداعي الصـغير ملك طبرســـتان في ســـنة (283هـ)[2]، ثم عمَّرهُ عضد الدولة البـويهي سـنة (369هـ) قـال الكليـدار: (فقد بـالغ في تشـييد الأبنية حـول المشـهد الشـريف في الحـائر فجدد تعمير القبـة، وشـيد الأروقة من حولـه، وبـالغ في تزيينها وتزيين الضـريح بالسـاج والـديباج، وعمّر الـبيوت والأسواق من حول الحائر، وعصم مدينة كربلاء بالأسوار العالية فجعلها كحصن منيع)[3]، ثم احترق المشـهد سـنة (407هـ)[4]، فعمره الوزير ابن سهلان الرامهرمـزي وزير سلطان الدولة البويهي في نفس السـنة[5]، ثم عُمّر في عـــــام (620هـ) على يد الخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله[6]، وكان يتشـيع ويميل إلى مـذهب الإمامية[7]، وعمَّرهسنة (767هـ) السلطان أويس الجلائري وخلفـاؤه من بعــده[8]، وكــانت أعظم الأبنية وأفخمها من إنشـــاء الدولة الصـفوية وسـلطانها إسـماعيل الصـفوي[9]، ولا

1 (?) تاريخ كربلاء ص (156 - 157).
2 (?) المصدر السابق ص (157).
3 (?) المصدر السابق ص (162 - 163).
4 (?) المصدر السابق ص (171)
5 (?) المصدر السابق ص (171 - 175)
6 (?) المصدر السابق ص (174).
7 (?) المصدرالسابق ص (175). وتاريخ الخلفاء ص (451).
8 (?) تاريخ كربلاء ص (177).
9 (?) هو أعظم ملوك الدولة الصفوية الـذي حـول إيـران من بلاد سـنية إلى بلاد شـيعية، انظر ترجمتـه وتـاريخ دولته في تـاريخ الشـيعة ص (217 -ـ 220) للشـيخ محمد حسـين

غرابة في ذلك فقد نقل صـــاحب تـــاريخ كـــربلاء عن المستشرق كوتكريك في كتابه " أربعة قرون من الأدب "ص 20 قولـه: (فـإن مثل الدولة الصـفوية من هـذه الناحية وقيامها في إيـــــــران مثل الدولة الفاطمية في مصر طابق النعل بالنعل "كذا ")، وقد ذكر صاحب تاريخ كربلاء زيارة الشاه إسماعيل الصفوي لكربلاء وما جـرى فيها من مراسيم إلى أن قال: (ومـرَّغَ خدَّيه على تـراب تلك العتبة السـامية، مناجيـاً روح سـيد الشـهداء عليه آلاف التحية والثنــاء، ومســتمداً النصر من الله تعــالى فـأنعم على مجـاوري الروضة المنـورة بـأنواع الهـدايا، وكسا صـندوق القـبر الشـريف بـأثواب من أفخر أنـواع الحرير المـزركش والموشّـى بالفضة والـذهب، ونصب فـــوق القـــبر المطهر اثـــني عشر قنـــديلاً من الـــذهب الخـــالص، تتلألأ كل واحـــدة منها كالشـــمس في رابعة النهار، وفرش الروضة الشريفة بـأنواع البسط الحريرية البديعة والدقيقة الصنع، وأقام الولائم الملوكية الفـاخرة لسدنة الحـرم المقـدس وخدامه، وقد قضى ذلك الملك العلوي العظيم ليلة كاملة من أولها إلى طلوع الشمس، وهو معتكف في الحائر منكَبٌّ على قبر جده الحسين)[1]، (وعند العودة إلى بغداد انصرف الشاه مـرة أخـرى إلى تعظيم العتبات المقدسة وتجليلهـا، فقـرر أن يكـون لكل واحدة منها (نقارة خانة) تقوم بـأداء التحية الملكية لتلك المشاهد المشرفة صباحاً ومسـاء، على نمط بلاط الملوك وقصورهم، كما هو جـارٍ لحد الآن بمشـهد الرضا .

المظفر طبع دار الزهراء بيروت.

1 (?) تاريخ كربلاء ص (245-246).

ثم أمر بجمع نخبة ممتازة من البارعين في صناعة الفسيفساء (الخاتم) بالتنبيت والتطعيم في الخشب من أطراف البلاد فأمر بصنع ستة صناديق خاتم من الفسيفساء مزينة بالنقوش الإسليمية والختائية (كذا) لمراقد الأئمة في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء بدلاً عن صناديقها القديمة)[1]، وقد تبعه في ذلك خلفاؤه[2] لكن الذهب الذي زِيِّنتْ به المآذن والقباب كان من عمل الدولة القاراجية[3]، وقد جدد بعضها وزاد عليها السلطان ظاهر سيف الدين سلطان البهرة وذلك بعد عام (1355هـ)[4].

وهذا وصف لمشهد الحسين وملحقاته من دليل المملكة العراقية بواسطة العتبات المقدسة:

(ولما كانت حضرة الحسين ع وما يحيط بها لا تختلف عن حضرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ع إلاّ من حيث المساحة وعدد الغرف في الصحن، ولما كنا وصفنا حضرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع وصحنه وقبته، وما شاكل ذلك، فقد اقتصرنا في هذا البحث على وصف ضريح الحسين ع فقط.

ضريح الحسين، عبارة عن مصطبة من الخشب المرصع بالعاج يعلوها مشبكان أحدهما من الفولاذ الثمين- وهو الداخلي - والآخر من الفضة الناصعة البياض - وهو الخارجي _ وتعلو الضريح الأواني الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة. وفي كل ركن من أركانه

---

1 (?) المصدر السابق ص (246 -247)
2 (?) المصدر السابق ص (251)
3 (?) المصدر السابق ص (255-259).
4 (?) المصدر السابق ص (259-261).

رمانة من الـذهب الخـالص، يبلغ قطرها قـراب النصف متر.

ويتصل بهذا المشبك الخارجي مشـبك آخر لا يختلف عنه بمزية من مزايـاه، ولا يوجد أي حـاجز بينهما إلاّ أنه يقصر بمتر واحد من كلٍّ من جانبيه.

وقد رقد تحته علي بن الحسـين، الـذي استشـهد مع أبيه في يـــوم واحد فـــدفن إلى جنبه (ع) وأمـــام هـــذا المشـــبك ســـاحة مقدسة تضم مراقد الشـــهداء الـــذين استشهدوا مع الإمام.

وفي زاوية من هذه الساحة مشبك من الفضة يتصل بالحائط. ويعـــرف - أيضـــاً - بمراقد الشـــهداء، الـــذين استبســـلوا في حومة الـــوغى معه (ع). وفي صـــحن الحسـين مئذنة منفـردة، يقـال لها (منـارة العبـد) وهي مغشاة بالقاشاني الملون ويروى عن سبب إنشـائها في هـذا المحل المنعـزل، أن زنجيـاً كـان يسـكن الصـحن، ويكتسب كسـباً ضـعيفاً، فاقتصد على نفسه حـتى جمع ثروة مكّنته من تشييد هذا الأثر الخالد له.

وعلى مسـافة قصـيرة من صـحن الحسـين، يشـاهد ضـريح العبـاس بن علي بن أبي طـالب المقتـول مع أخيه الحسين في يـوم واحد وهو - أيضـاً - وسط صـحن كبـــير، لا يقل عن بقية صـــحون الأئمة من حيث هندسة البناء وضخامته، وكـثرة المجـوهرات والمرصـعات الـتي اعتاد المسلمون أن يزينوا بها المراقد المقدسة.

وعلى بعد ثلاثة أميـال من غـربي كـربلاء، مرقد الحر بن يزيد الريـــاحي الـــزعيم العـــراقي، الـــذي جاهد مع الحسين ضد جيش يزيد بن معاوية. وقـبره بـديع، تعلـوه قبة من القاشاني الملون. ويزوره أكـثر الـذين يـزورون

كــربلاء. كما يقصــده أكــثر الآهلين للنزهة والرفاهة لما يحيط به من البساتين والجنات.

وعلى بــاب قبة القــبر كتابة نصــها: (قد عمِّر هــذا المكــان بهمة آقاحســين خــان شــجاع الســلطان في 14محرم سنة 1325هجرية).

وكان أول من أظهر وشاد هذا القبر الشاه إسماعيل الصفوي، يوم دخل بغداد، وحكمها. وعلى مسافة سـبعة أميال من شرقي كربلاء - بينها وبين المسـيب - تشـاهد قبة مزينة بالقاشــاني - أيضــاً - تلك هي قبة عــون بن عبدالله بن جعفر الطيـــار، وأمه زينب بنت علي، وقيل الحوصـاء يقصـده الزائـرون لكـربلاء في أكـثر الأوقـات للزيارة)[1]، ولم يكتف الشيعة بتعظيم قـبر الحسـين في كـربلاء فقط، ولكنهم نسـبوا إليه عـدة مشـاهد، فهنـاك مشهد في دمشق يسمى الرأس[2]، وكـان هنـاك مشـهد بعسـقلان بُنِي أيـام الدولة الفاطمية[3]، ثم نُقِـل الـرأس بزعمهم إلى القاهرة، حيث يقوم اليوم عليه مسـجد من أضـخم وأشـهر مسـاجد القـاهرة، وداخله ضـريح ضـخم كـذلك[4]، وقد قيل كـذلك أن الـرأس أُرْجِـع إلى المدينة

---

1 (?) العتبات المقدسة (8/155-157).

2 (?) البداية والنهاية (8/204)

3 (?) البداية والنهاية (12/189)، والخطط المقريزية المسماة بالمواعظ و الاعتبار بذكر الخطط والآثـار للإمـام تقي الـدين أحمد ابن علي المقريــزي طبع مكتبة مــدبولي بالقـــاهرة الطبعة الأولى عــام (1997م) تحقيق الــدكتور محمد زينهم ومديحة الشرقاوي (2/204)

4 (?) قـال ابن كثـير في البداية والنهاية (8/204): (وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لـذلك)، وانظر لطريقة إحضـاره ودفنه الخطط المقريزية (2/204)، وانظر

ودُفِن إلى جوار أمه وأخيه الحسن[1]، وقيل غير ذلك.

6-5-4- الإمـام علي بن الحسـين زين العابـدين، وابنه محمد بن علي البـاقر، وابنه جعفر بن محمد الصـادق: هـؤلاء الثلاثة دفنـوا بـالبقيع بجـوار الحسن t والقـول فيهم كـالقول فيه رحمهم الله جميعاً.

7، 9 - الإمـــام موسى بن جعفر الملقب بالكـــاظم، وابن ابنه الإمام محمد بن علي الجواد: ومشهدهما يعرف بالكـاظمين من بـــــاب التغليب، ويقع في بغـــــداد، ولم يكن عليهما مشهد، أو يحدث لهما مراسـيم ظـاهرة أيـام العباسـيين الأولين؛ لِما مرّ من أن الخلفـــــاء في أول دولة بـــــني العبــاس لم يســمحوا بظهــور القبورية الشــيعية، وقد أشارت الموسـوعة إلى أنه كـان يحـدث شـيء من ذلك بشكل خفي[2]، ثم (بنيت على قبرهما بنية)[3].

وفي سـنة (336 هــ) أمر معز الدولة السـلطان أبو الحسن أحمد ابن بويه بقلع العمـــــــــــارة المبنية على القبرين، ورفع الضريحين المذكورين، وبنى عمارة جليلة في مكانهــا، ووضع على القــبرين الشــريفين ضــريحاً خشبياً من الساج، جميل الشـكل حسن الطـراز0 وتعلو العمارة قبتان بديعتان، إحداهما لمولانا الكاظم والثانية لمولانا الجواد. وأمام العمارة القائمة صحن واسع، رفيع الجدران، محكم البنيان، وزيّن داخل العمارة بالتزيينات، وعلق فيها المعلقات والأضوية وغــير ذلك، مما يزيد في

لتــاريخ الــرأس، وتنقلاتــه، ووصف المســجد المقــام عليــه: موسوعة مساجد مصر وأولياؤها الصـالحون للـدكتورة سـعاد ماهر محمد، (1/378-390).

1 (?) انظر من ذكر ذلك من المـــؤرخين والمحـــدثين: في مساجد مصر (1/363-364)

2 (?) العتبات (9/162)

3 (?) المصدر السابق (9/163).

حسنها وروعتها)[1]. (ومـازالت الدولة البويهية تتعهد هـذا المشهد بالعمارة والتزيين والترميم حـتى كـان آخر ذلك على عهد الملك الرحيم آخر ملوك آل بويـه. سـنة 445 هـ)[2]، ثم عُمِّر في أيام الدولة السـلجوقية سـنة (490)[3] وفي زمن الخليفة الناصر لـدين الله وكـان رافضـياً (عمَّر المشهد فصار ملاذاً حتى لأصحاب الجرائم)[4]، ثم عُمّر أيام السلطان أويس الجلايري عمـارة فخمة وعمَّر القبتين والمنارتين، [5]، وفي عهد إسماعيل الصفوي قلع جميع البنـاء السـابق، وعمـره من جديد عمـارة بديعـة، ووضع صندوقين من النوع المعروف بالخاتم (المطعّم)، وعلّق عليهما القناديل والمعلقات، وفرش أرض الروضة ورواقها بالفرش الثمينة.

وكـان إكمـال هـذه الخـدمات سـنة (935ه) على يد أخيه السـلطان محمد خـدا بنـده[6]، كما شـاركت الدولة العثمانية في عهد السـلطان سـليمان القـانوني وابنه سـليم الثـاني في عمـارة ذلك المشـهد، وإدخـال الإصلاحات عليه[7]، وأما العمارة الحالية الفخمة المذهبة فإنها من عمارة الدولة القاراجية التي ابتدأت فيها سـنة (1293ه)[8]، وما تزال هذه العمارة كما هي تشـهد على المبلغ الـذي بلغه الشـيعة في القبورية والوثنية حكامـاً

---

1 (?) المصدر السابق (9/163).

2 (?) المصدر السابق (9/165).

3 (?) المصدر السابق (9/165).

4 (?) المصدر السابق (9/166-167).

5 (?) المصدر السابق (9/169 - 170).

6 (?) انظر: الموسوعة (9/170 - 171)

7 (?) المصدر السابق (9/171).

8 (?) المصدر السابق (9/175).

وعلماء وعامة.

8 - الإمام الرضا علي بن موسى وهو الإمام التاسع من أئمتهم:

ومشهده بخراسان بقرية سناباذ التي اشــتهرت فيما بعد بالمشهد، وتعتبر ثاني مدن إيران اليوم[1]، وقد مـات ذلك الإمـام عـام (203هـ) ودفن إلى جـوار قـبر هـارون الرشـــيد، وقيل: إن الدولة البويهية تقـــدموا بعمـــارة المشهد ثم أخربه الأمير سبكتكين.

وبالجملة بقي المشـهد خرابـاً لا يجرؤ الشـيعة على عمارته خوفـاً من غـيرهم، إلى أن تقـدم بها السـلطان محمـود بن السـلطان ناصر الـدين سـبكتكين، ثم عمَّره شـــرف الـــدين القُمّي على عهد الســـلطان ســـنجر السلجوقي، ولم تزل عمارته قائمة إلى أن خربها التتار، ثم تقـــدم بتجديـــدها الســـلطان محمد خدابنـــده حفيد هولاكو، ثم قـام بعد ذلك غـير واحد من الملـوك بتعمـير المشهد والإنفاق على زينته، وكـان من أبـرز من عمَّرها وذهَّبها الصـفويون شـاه عبـاس وشـاه سـليمان، وفي عهـدهما غشـيت القبة بالـذهب وآخر من ذهَّبها الشـاه سليمان الصـفوي بعد أن خربها زلـزال سـنة (1084هـ)، وفرغ من تذهيبها سنة (1086هـ)[2]، وآخر إصلاح وتجديد للضريح كان على يد محمد رضا شاه بهلوي[3]، ولا أدري إذا كانت دولة الآيات قد جددت شيئاً فيها أم لا.

10 - 11 - مشهد العسكريين بسامرّاء، وفيه الإمام الهادي علي العسكري، وابنه الحسن ابن علي العسكري:

---

1 (?) المصدر السابق(11/191).
2 (?) المصدر السابق (11/199).
3 (?) المصدر السابق (11/225).

وقد لخص عمارته هـذا التعليق على الموسـوعة وأنا أكتفي به:

(أصل الحضرة في سـامراء دار ابتاعها علي الهـادي الإمـام العاشر من دليل ابن يعقـوب النصـراني (**أ**) فلما تــوفي الإمــام ســنة (254ه - 868 م -) دفن في داره ولما توفي ولده الحسن العسكري الإمـام الحـادي عشر سنة (260 هـ - 873 م-) دفن إلى جوار أبيه فكان قــبر الإمامين عليهما السلام نواة حضـرتهما (**ب**) فلما كـانت أيـام ناصر الدولة الحمـداني سـنة (333 هــ - 944 م) بـنى قبة على الضـريحين وسـورهما بسـور مـتين، فلما كانت أيام الدولة البويهية أنفق معز الدولة ثالث ملوكهم أموالاً جزيلة لمواصلة تعمير قبة العسكريين ولسـرداب الغيبة وجعل لضـــريحيهما صـــندوقاً من الخشب ورتب لهما الحجاب وأجرى لهم الأرزاق).

(ج) فلما انتقل الملك إلى ابن أخيــــه، عضد الدولة البـويهي أمر بعمـارة الروضة والأروقـة، ووسَّـع الصـحن وشـيد سـوراً للبلد الـذي أخذ بالاتسـاع، وكـان ذلك في عــام (368ه - 978م)، وفي ســنة (444ه - 1052 م) أمر البساسيري بعمـارة عالية على قـبر الإمـامين، وفي سـنة (640ه- 1242م) وقع حريق في مشـهد "سرّ مَن رأى" فــأتى على ضـــريحَي علي الهـــادي والحسن العســكري عليهما الســلام، فتقــدم الخليفة المستنصر بالله بعمـارة المشـهد المقـدس والضـريحين الشـريفين وإعادتهما إلى أجلّ حالاتهما، وكــان الضــريحان مما أمر بعملهمــا أرسـلان البساسـيري)، (د) أما العمـارة الـتي تشـاهد للعسـكريين في سـامرّاء اليـوم فقد شـرع في تشـييدها أحمد خـان الـدنبلي من حكـام أذربيجـان في

حدود سـنة (1200 هــ - 1785م)، وأتمها ولـده حسـين قلي خان الـدنبلي سـنة (1225ه-1810 م)، وكـان ذلك برعاية محمد السلماسي، فقد أنفق الوالد وولـده مبـالغ طائلة على توسـيع الصـحن والأروقــة، أبــدلا الأخشــاب والأحجار وكتبا آياً من الـذكر الحكيم في أعلى الجـدران كما هو ثابت للعيان، وفي سنة (1285ه - 1868م) أمر ناصر الدين شاه إيران بتجديد شباك الضريحين وغشــى القبة بالذهب الإبريز، والمآذن بالقاشـاني البـديع كما هو مسطور على جوانب القبة الأربعة)[1]، هذه هي أضــرحة ومشاهد أئمة الشيعة الذين يقرون بموتهم.

وأما الإمام الثاني عشر منهم فـإنهم لا يقـرون بموته ولكنهم يقولــون بغيبته وأنه ســيظهر آخر الزمــان، ومع ذلك فإن له مقاماً يسمى سـرداب الغيبة ضـمن مشـهد ســــامراء، وهم يزورونه ولهم فيه اعتقــــادات ضــــالة كثيرة[2]، وما يفعلونه عند زيارة السرداب يـدل عن أنهم يعتقدون وجوده فيه، وإن كانوا نظرياً ينفون ذلك، وخير مثال على هذا التناقض ما يقوله صاحب دليل الزائر إلى العتبــات المقدسة في العــراق فــإن مــا يُلقَّن للعــوام، ويطلب منهم عمله يفهم منه وجــــود الغــــائب في ذلك السرداب، ومع ذلك يحـاول أن يزيل عن طائفته وصـمة العار الذي يلحقها بذلك الاعتقاد فيقول: (إذا فــرغت من زيارة العسـكريين فـامضِ إلى السـرداب لأجل زيـارة المهــدي ، وهي مســتحبة في كل موضع ســيما في السرداب الذي هو محل غيبته ، وهو سرداب الدار التي كــان يســكنها العســكريان والمهــدي عليهم الســلام،

---

1 (?) الموسوعة (12/169-170).

2 (?) انظرها: في أصول مذهب الشيعة (2/859- 861).

وظهــرت له فيه معجــزة مــذكورة في محلها، فشـَرَفُه باعتبــار ســكنى الأئمة الثلاثة عليهم الســلام وصــلاتهم وعبــادتهم فيــه، وحصــول الغيبة منه وليس معنــاه أن صــاحب الزمــان موجــود فيه كما يتــوهم، فــامض إلى الســرداب المقــدس وقفْ على بابه وقــل: اللهم إني وقفتُ على بــابٍ من أبــواب بيــوت نبيك صــلواتك عليه وآله، وقد منعت النـاس من الـدخول إلى بيوته إلا بإذنه؛ فقلت: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلاّ أن يـــؤذن لكم**﴾ [1] اللهم وإني أعتقد حرمة نبيك في غيبته كما أعتقــدها في حضــرته، وأعلمُ أن رســلك وخلفاءَك أحياءٌ عندك يرزقون فــرحين، يــرون مقـامي " مكاني " ويسـمعون كلامي ويـردُّون عليَّ سـلامي، وأنك حجبتَ عن ســمعي كلامهم، وفتحت بـــاب فهمي بلذيذ مناجاتهم، فـإني أسـتأذنك يـارب أولاً وأسـتأذنُ رسـولك صلوات الله عليه في الدخول في ساعتي هذه إلى بيته، وأســتأذنُ ملائكتك المــوكّلين بهــذه البقعة المباركة المطيعة لك الســامعة، الســـلام عليكم أيها الملائكة الموكلـون بهـذا المشـهد الشـريف المبـارك ورحمة الله وبركاتــه، بــإذن رســوله وإذن خلفائه وإذن هــذا الإمــام وإذنكم صــلوات الله عليكم أجمعين أدخل هــذا الــبيت، متقرباً إلى الله ورسوله محمد وآله الطـاهرين، فكونــوا ملائكةَ الله أعواني وكونوا أنصاري حتى أدخل هذا البيت وأدعو بفنــون الــدعوات، وأعــترف لله بالعبودية ولهــذا الإمــام وآبائه صــلوات الله عليهم بالطاعــة. ثم تــنزل السرداب مقدماً رجلك اليمنى وتقــول: بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، أشهد أن لا إله

---

[1] (?) الأحزاب (53).

إلاّ الله وحــده لاشــريك له وأشــهد أن محمــداً عبــده ورسوله. وكبِّر الله واحمده وسبّحه وهلِّلْه.

فــإذا نــزلت إلى الســاحة الأولى من الســرداب المحترم؛ فقف على الباب المحـاذي للحـرم الشـريف[1] وقل:

الســلام عليك يا خليفــةَ الله وخليفة آبائه المهـديِّين، السلام عليك يا وصيَّ الأنبياء الماضـين، السـلام عليك يا حافظ أسـرار رب العـالمين، السـلام عليك يا بقيـةَ الله من الصـــفوة المنتجَبين، الســـلام عليك ياابن الأنـــوارِ الزاهــرة، السـلام عليك ياابن الأعلام البـاهرة، السـلام عليك يا ابن العِــترة الطــاهرة، الســلام عليك يامَعــدن العلوم النبوية، السلام عليك ياباب الله الـذي لايـؤتى إلاّ منه، السـلام عليك يا سـبيل الله الـذي من سـلك غـيره هلــك، الســلام عليك يانــاظر شــجرة طــوبى وســدرة المنتهى، السلام عليك يانور الله الـذي لا يُطفـأ، السـلام عليك يا حجة الله الــتي لا تخفى، الســلام عليك ياحجة الله على من في الأرض والسـماء، السـلام عليك سـلام من عرفك بما عرفك به الله ونعتك ببعض نعوتك الـــتي أنت أهلها وفوقهـــا، أشــــهد أنك الحجة على من مضى ومن بقي، وأن حزبك هم الغـــــــــالبون، وأولياءَك هم الفــائزون، وأعــداءَك هم الخاســرون، وأنك خــازن كلِّ علم، وفـــــــاتقُ كل رتق، ومحقق كل حق، ومبطل كل باطل، رضيتك يامولاي إمامــاً وهاديــاً ووليــاً ومرشـداً، لا أبتغي بك بـدلا ولا أتخذ من دونك وليـا، أشـهد أنك الحق الثابت الذي لاعيب فيه، وأن وعد الله فيك حق لا أرتاب لطـول الغيبة وبعد الأمد، ولا أتحـير مع مَن جهلك وجهل

---

[1] (?) يعنون به حرم السرداب الذي فيه منتظرهم.

بك، منتظر متوقع لأيامك، وأنت الشـافع الـذي لا تنـازَع، والوالي الذي لا تدافَع، ذخَرَك الله لنصرة الـدين وإعـزاز المؤمنين والانتقام من الجاحدين والمارقين، وأشــهد أن بولايتك تُقبَــل الأعمــال وتُــزكّى الأفعــال وتضــاعف الحسنات وتمحى السـيئات، فمن جـاء بولايتك واعـترف بإمامتك قُبِلتْ أعماله وصدِّقت أقواله وتضـــــــــاعفت حســناته ومحِيت ســيئاته، ومن عدَل عن ولايتك وجهل معرفتك واســتبدل بك غـيرك كبَّه الله على منخــره في النـــار، ولم يقبل الله له عملاً ولم يقِم له يـــوم القيامة وزناً، أُشهد الله وملائكته وأشهدك يامولاي بهذا، ظـاهره كله كباطنه وســـره كعلانيته، وأنت الشـــاهد على ذلك، وهو عهـدي إليك وميثـاقي لـديك، إذ أنت نظـام الـدين ويعسـوب المتقين وعزّ الموحـدين، وبـذلك أمـرني رب العالمين، فلو تطاولتْ الدهور وتمـادت الأعمـار لم أزدد فيك إلاّ يقينـاً، ولك إلاّ حبـاً، وعليك إلاّ متكلاً ومعتمـداً، أو لظهـورك إلاّ متوقعـاً ومنتظـراً، ولجهـادي بين يـديك مترقبـــاً؛ فأبـــذل نفسي ومـــالي وولـــدي وأهلي وجميع ماخوَّلني ربي بين يديك، والتصرف بين أمـرك ونهيـك، -مولاي- فإن أدركتُ أيامك الزاهرة وأعلامك الباهرة: فها أنذا عبدك المتصرف بين أمرك ونهيك، أرجو به الشهادة بين يديك والفوز لـديك، - مـولاي- فـإن أدركـني المـوت قبل ظهــورك فــإني أتوسل بك وبآبائك الطــاهرين إلى الله تعالى وأسأله أن يصلي على محمد وآل محمد، وأن يجعل لي كرة في ظهـورك، ورجعة في أيامك؛ لأبلغ من طاعتك مـرادي وأشـفي من أعـدائك فـؤادي، -مـولاي- وقفت في زيارتك موقف الخاطئين النـادمين، الخـائفين من عقــاب رب العــالمين، وقد اتَّكلتُ على شــفاعتك،

ورجوت بموالاتك وشـفاعتك محوَ ذنـوبي وسـتر عيـوبي ومغفـــرة زللي، فكن لوليك يا مــولاي عند تحقيق أمله، واســـألْ الله غفـــران زلله، فقد تعلَّق بحبلك وتمسك بولايتك وتـبرأ من أعـدائك، اللهم صلِّ على محمد وآلـه، وأنجزْ لوليِّك ما وعدته، اللهم أظهر كلمته وأعلِ دعوته، وانصره على عدوه وعـدوك يـارب العـالمين، اللهم صل على محمد وآل محمد، وأظهرْ كلمتك التامة ومغيَّبك في أرضك الخائف المترقب، اللهم انصره نصراً عزيـزاً، وافتح له فتحاً يسيراً، اللهم وأعزَّ به الدين بعد الخمـول، وأطلع به الحق بعد الأفـــول، وأجلْ به الظلمة، واكشف به الغمـــة، وآمن به البلاد، واهد به العبـــاد، اللهم املأ به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، إنك سميع مجيب الســـــلام عليك يا ولي الله، ائـــــذن لوليك في الــــدخول إلى حرمك صـــلوات الله عليك وعلى آبائك الطاهرين ورحمة الله وبركاته.)[1].

أوليس هذا السـلام بهـذه الصـيغة يـدلُّ على اعتقـاد وجود المهدي في هذا المكـان؟ فهـذه الجولة على هـذه المشـاهد تـدل دلالة واضـحة على مبلغ قبورية الشـيعة وغلوها في أئمتها، وقد اقتدى بهم الشيعة في كل مكان فعملـوا ما يقـدرون عليه من تعظيم وتقـديس لأوليـائهم ولمن ينسب لأهل البيت.

قبورية الإسماعيلية الفاطمية:

لقد شـــاع واشـــتهر - عن هـــذه الدولة القائمة على العقيـــدة الإســـماعيلية الباطنية الغالية - أنها من أكـــثر

---

1 (?) انظر: دليل الزائر إلى العتبات المقدسة في العراق ص (185 ـ 188) لمحمد الشهيد مؤسسة سيد الشهداء الطبعة الأولى بيروت سنة (1419 هـ).

الدول عناية بالقبور، وإنشاءٍ للمشاهد والقباب والترب الفخمة، وسنَّ العوايد والرسوم لزيارتها، وقد وصف المقريزي التربة المعزية- التي أنشأها المعز لدين الله لدفن آبائه وجعلها من ضمن مرافق قصره - فقال: (كان من جملة القصر الكبير التربة المعزية، وفيها دفَن المعزّ لدين الله آباءه الذين أحضرهم في توابيت معه من بلاد المغرب، وهم الإمام المهدي عبيد الله، وابنه القائم بأمر الله محمد، وابنه الإمام المنصور بنصر الله إسماعيل، واستقرت مدفناً يدفن فيه الخلفاء وأولادهم ونساءَهم، وكانت تعرف بتربة الزعفران، وهو مكان كبير من جملته الموضع الذي يعرف اليوم بخط الزراكشة العتيق ومن هناك بابها، ولما أنشأ الأمير جهاركس الخليلي خانه المعروف به في الخط المذكور أخرج ما شاء الله من عظامه، فألقيت في المزابل على كيمان البرقية)[1]، ثم ذكر أنهم كانوا يسرجونها وبعض المشاهد الأخرى بقناديل الذهب[2].

وقد خصصت الدكتورة سعاد ماهر معظم الجزء الأول من موسوعتها " مساجد مصر وأولياؤها الصالحون " للمشاهد التي أنشأتها الدولة الفاطمية، وذلك من كثرتها فانظره[3]، وكما بنوا المشاهد على القبور المعروفة، فقد اخترعوا قبوراً لا حقيقة لها ونسبوها للأئمة من أهل البيت[4].

---

1 (?) الخطط المقريزية ص (2/161).

2 (?) المصدر السابق ص (2/162).

3 (?) ص (92-544).

4 (?) ص(167).

المبحث الثاني: الصوفية ربيبة الشيعة ناشرة القبورية في الأمة المحمدية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التعريف:

في اللغة:

الصــوفية مشــتقة من الصــوف على أرجح الأقــوال، وذلك لأن لباس الصوف هو الغـالب على أصـحاب هـذه الفرقة لمبـــالغتهم في الزهد والتقشف كما يقولـــون[1]؛ ولذلك تراهم يقدسونه ويجلونه، قال أحمد زيني دحلان: (وحُكي عن الشيخ عبدالرحيم القناوي [2] رأى مرة في عنق كلب خرقة من صــــوف فقــــام له إجلالاً للخرقة الصوف المنسوبة للصوفية)[3].

---

1 (?)وممن قال بذلك السراج الطوسي في اللمع، وأبو طـالب في قــوت القلــوب و الســهروردي في عــوارف المعــارف، وغـــيرهم من المتـــأخرين: د. زكي مبـــارك، و د. عبد الحليم محمـود، ومن المستشـرقين عـدد كبـير أمثـال مرجليـوث و نيكلسون، وماسنيون، ونولدكـه، وغـيرهم. وهو ما رجحه ابن تيمية وابن خلـــدون. انظر: تقـــديس الأشـــخاص في الفكر الصوفي للشيخ محمد أحمد لـوح (1/37)، طبع دار الهجـرة الريــاض ط الأولى (1416هــ- 1996 م) وهي رســالة لنيل درجة الماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية.

2 (?) أبو محمد عبد الـرحيم المغـربي القنـاوي تـوفي سـنة (592هــ) انظر ترجمته في الطبقــات الكــبرى للشــعراني (1/135) طبع دار الفكر العربي القاهرة بدون تـاريخ والأعلام (3/243).

3 (?) أحمد زيـني دحلان " تقـريب الأصـول لتسـهيل الوصـول

في الاصطلاح:

لقد كثرت عبارات أهل التصوف كـثرةً لا يمكن معها للباحث أن يصل إلى حقيقة ثابتة مقنعة، حتى أن الشيخ زروق[1] في قواعد التصـوف قـال: (وقد حُـدَّ التصـوف ورُسِم وفُسِّر بوجوه تبلغ نحو الألفين مرجع، كلها لصدق التوجه إلى الله تعـالى، وإنما هي وجـوه فيـه)[2]، وقد لخّص الدكتور إبراهيم هلال تلك التعريفات فقـال: (رغم كثرة التعريفات التي عُـرّف بها التصـوف الإسـلامي في كتب التصـــوف وغيرها فإننا نســـتطيع أن نقـــول: إن التصوف -كما يراه الصوفية في عمومه - هو السـير في طريق الزهد والتجـرد عن زينة الحيـاة وشـكلياتها، وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة والأوراد والجـوع، والسـهر في صـلاة أو تلاوة ورد، حـتى يضـعف في الإنسـان الجـانب الجسـدي، ويقـوى فيه الجـانب النفسي أو الـروحي، فهو إخضـاع الجسد للنفس بهـذا الطريق المتقدم، سعياً إلى تحقيق الكمال النفسي كما يقولـون، وإلى معرفة الـذات الإلهية وكمالاتها، وهو ما

لمعرفة الله والرسول " (ص220)، طبع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، الطبعة الأولى سنة (1420ه _ 1990م).

1 (?) أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي المغـربي المعـروف بزروق، له مؤلفات في التصوف منها شروح للحكم العطائية مما يـدل على أنه كما قـال السـخاوي: (والغـالب عليه التصوف والميل كما يقال إلى ابن عربي ونحوه)توفي سنة (899 هـ) انظر: الضوء اللامع (1/222)، و الإعلام للزركلي (1/91).

2 (?) عبد القادر عيسى في حقائق عن التصوف ص (15)طبع مكتبة دار العرفـان حلب الطبعة الخامسة سـنة (1414هـ-1993م).

يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة)[1]، وهذا تلخيص لتعريفـات أئمة التصوف.

وأما المخـالفون فيقولـون: (التصـوف طريقة زهدية في التربية النفسية يعتمد على جملة من العقائد الغيبية " الميتافيزيكية " مما لم يقم على صــــحتها دليل لا في الشــرع ولا في العقل)[2]، ويــرى الباحثــان محمد أحمد لــــوح و إدريس محمــــود إدريس: أن تلك التعريفــــات الكثيرة والمختلفة التي أطلقها أئمة المتصوفة إنما تعبر عن جملة من الأصـــول والعقائد الـــتي لم يســـتطيعوا التصريح بها[3].

المطلب الثاني: نشأة التصوف:

لقد كانت حياة الرسول وحياة أصحابه أروع مثـال للعبودية لله تعـالى والسـلوك السـويّ الـذي يحبه الله تعـالى، فحيــاتهم وســلوكهم هي المثــال الــذي يجب احتـذاؤه والتأسي بـه، إذ مهما اجتهد مجتهد من أجل أن يســاويهم في ذلك فلن يســتطيع فضــلاً عن أن يــأتي بأفضل منهم، ولــــذلك أرشـــدنا الحق إلى التأسي

---

1 (?) الدكتور إبراهيم هلال في كتاب (التصوف الإسـلامي بين الدين والفلسفة) بواسطة (مظـاهر الانحرافـات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية)(1/31)، للشيخ إدريس محمــود إدريس، طبع مكتبة الرشدالرياض، وشــركة الريــاض للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ســنة (1419 هــ - 1998م).

2 (?) التصــوف بين الحق والخلق ص (7) للشــيخ محمد فهر شقفة، طبع الدار السلفية بالكويت، الطبعة الثالثة(1403هـ-1983م).

3 (?) انظر: تقـديس الأشـخاص في الفكر الصـوفي (1/43)، ومظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (1/30).

بالرسول فقـال: **لقد كان لكم في رسـول الله أسوة حسـنة لمن كـان يرجو الله واليـوم الآخر وذكر الله كثيراً**[1]، كما أخبرنا أن أكمل الإيمان هو إيمانه وإيمان من معه وأحسن الهدي هو هـديهم فقـال: **فـإن آمنـوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتـدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق**[2]، وحذر من مخالفة سبيلهم فقـال: **ومن يشاقق الرسـول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمـنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**[3].

ولقد كـان أصـحاب الرسـول أكـثر النـاس زهـداً، وأشدَّهم خوفاً من الله تعالى، وأعدَلهم عبادة، وأبعـدهم عن الشـهوات، وأسـلمهم من فتن الـدنيا، ولقد كـان رسـول الله يحث المقصِّـر منهم ويـرد المشـدِّد على نفسه، كما أرشد عبدَالله بن عمر بن الخطاب إلى قيام الليل حين لم يكن فيه مسابقاً[4]، وردَّ عبدالله بن عمرو بن العـاص عن ذلك وعن مواصـلة الصـيام حينما كلَّف نفسه من ذلك فوق حدّ الاعتدال[5].

وغضب غضـباً شـديداً على من حـرَّم على نفسه ما

---

1 (?) الأحزاب (21).

2 (?) البقرة (137).

3 (?) النساء (115).

4 (?) انظر: البخاري مع الفتح(3/6) كتاب التهجـد، بـاب فضل قيام الليل، ومسلم مع النووي (16/39) كتاب الفضائل، باب فضائل عبدالله ين عمر رضي الله تعالى عنهما.

5 (?) انظر: البخـاري مع الفتح (3/38)كتـاب التهجد، بـاب ما يكـره من تـرك قيـام الليل لمن كـان يقومه، ومسـلم مع النووي (8/42-43)كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الـدهر وتفضيل صوم يوم وإفطار يوم.

أباح الله[1]، وكان قد ربَّى أصحابه على الزهد في الدنيا، وصوَّر لهم حقارتها وهوانها على اللــه، حينما مثّل هوانها على الله بهوان الجـدي الأسـكّ على صـاحبه[2]، وأنها لو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كـافراً شربة ماء[3].

فكان ذلك الجيل الفريد الذي لم تـرَ الـدنيا أكمل ولا أفضل منه على الإطلاق، ولم يتمــيز أحد منهم بمــذهب خـــاص، لا في الزهد ولا في العبـــادة ولا في التصـــور والنظر للحياة الدنيا، بل كانوا متقاربين في ذلـك، وعلى ذلك كان كبار التـابعين، ولم يكن للتصـوف الحـادث ذكر فيهم ولا وجود بينهم، حتى لقد أنكر الإمـام ابن الجـوزي على أبي نعيم عدَّ عددٍ من الصـحابة والتـابعين وتـابعيهم في الصوفية، فقال: (وجـاء أبو نعيم الأصـبهاني فصـنف لهم كتـاب" الحلية " وذكر في حــدود التصــوف أشــياء منكرة قبيحة، ولم يسـتحِ أن يـذكر في الصـوفية أبا بكر وعمر وعثمـان وعلياًّ وسـادات الصـحابة ، فـذكر عنهم فيه العجب، وذكر منهم شـــــــــريحاً القاضي والحسن البصري وسـفيان الثـوري وأحمد بن حنبـل، وكـذلك ذكر

---

1 (?) انظـر: البخـاري مع الفتح(9/104) كتـاب النكـاح، بـاب الـترغيب في النكــاح، ومســلم (9/175) مع النــووي كتــاب النكـاح، بـاب اسـتحباب النكـاح لمن تـاقت إليه نفسه ووجد مؤنة واشتغال مَن عجز عن المُؤَن بالصوم.

2 (?) انظر: مسلم في صحيحه (18/93) مع شرح النووي في كتاب الزهد.

3 (?) رواه الترمذي في سنه (4/560) كتـاب الزهـد، بـاب ما جـاء في هـوان الـدنيا على اللهU، وقـال الترمـذي: حـديث صـحيح غـريب من هـذا الوجـه، و الحـديث صـححه الشـيخ الألباني في صحيحه (2/269).

السُّلمي في " طبقات الصوفية ": الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخي[1] وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد)[2]، وبهذا يتضح أن ابن الجوزي يرى أن هؤلاء جميعا ليسوا من الصوفية الذين شملهم حد التصوف المبتدع.

ويرى أكثر المؤرخين للتصوف: أن بدء ظهور اسم التصوف كان في القرن الثاني الهجري[3]، ولكن هذه التسمية لم تكن مشهورة في القرون الثلاثة المشهود لها بالخير[4]، وقد اشتهر في القرن الثاني والقرن الثالث عدد من الزهاد والعباد الذين انتسب إليهم الصوفية واعتبروهم من أئمتهم وفاخروا بهم، رغم أنهم لم يبدُ منهم شيء من انحرافات الصوفية الخطيرة، أوفلسفتهم المنقولة عن الأمم الكافرة الأخرى، منهم

---

1 (?) هو معروف بن فيروز الكرخي أحد الزهاد الصالحين الذين لم يبتلوا بفلسفة الصوفية، أثنى عليه علماء أهل السنة، انظر ترجمته في: السير (9/339)، وطبقات الصوفية ص (83) لأبي عبد الرحمن السلمي بتحقيق نور الدين شريبه، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة ط الثالثة (1418هـ-1997م).

2 (?) تلبيس إبليس ص (216) للإمام أبي الفرج بن الجوزي، تحقيق عصام الحرستاني، تخريج محمد الزغلي، طبع المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى سنة (1414هـ-1994 م).

3 (?) انظر: مقدمة ابن خلدون ص (467)، طبع مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي بدون تاريخ. وتاريخ التصوف الإسلامي ص (7)ـ للدكتور عبدالرحمن بدوي طبع وكالة المطبوعات بالكويت سنة (1993م).

4 (?) مجموع فتاوى ابن تيمية (11/5)

إبــراهيم بن أدهم (ت 162ه)[1] وأبو سـليمان الـداراني (ت215 هـ)[2]، وبشر الحــــافي (ت227 هـ)[3]، والجنيد بن محمد البغــدادي (ت 297ه)[4]، وســهل بن عبدالله التستري (ت 283ه)[5] وغيرهم.

كما ظهر في نفس الفــترة تقريبـــاً من أظهر بعض الانحـراف وحـذر معاصـروه -من الأئمة- منه أو من ذلك الـذي ظهر منـه. منهم الحـارث بن أسد المحاسـبي (ت 243ه)[6].

قال الذهبي: (قلت: المحاسبي كبير القـدر وقد دخل في شـيء يسـير من كلام القـوم فنُقم عليـه، وورد أن الإمام أحمد أثنى على حال الحارث من وجه وحذر منه.

قـــال ســعيد بن عمر الــبرذعي: شــهدت أبا زرعة الرازي وسئل عن المحاسـبي وكتبه فقـال: إيـاك وهـذه الكتب، هذه كتب بـدع وضـلالات عليك بـالأثر تجد غنيـة، هل بلغكم أن مالكــاً والثــوري و الأوزاعي صــنفوا في الخطرات والوساوس؟ ما أسرع الناس إلى البدع)[7].

قلت: نفهم من كلام الذهبي أمرين:

الأمر الأول: **أن السلف الصالح كـانوا ينكـرون تلك المسالك** التي عبَّر عنها الـذهبي باليسـيرة، ويسـمونها

---

1 (?) تقريب التهذيب (ص104) وطبقات الصوفية ص (27)
2 (?) سـير أعلام النبلاء (10/182) وطبقـات الصـوفية ص (75).
3 (?) سـير أعلام النبلاء (10/469) وطبقـات الصـوفية ص (39).
4 (?) السير (14/66)، وطبقات الصوفية ص (155).
5 (?) السير (13/330).
6 (?) السير (12/110-112).
7 (?) السير (12/111 - 112).

بدعاً وضلالات ويهجـرون أصـحابها ويحـذرون منهم، كما رأيتَ من كلام أبي زرعـــة، بل يتعـــدى الأمر إلى الزجر والعقوبة كما فعل الإمــام أحمد حين هجر الحــارث لما بلغه عنه ذلك[1].

الأمر الثــاني: **أن الانحــراف يبــدأ دقيقــاً ثم يتسع وهذا ما سنعرفه في آخر هذا المطلب.**

أما الشخصية الثانية من أئمة الصـوفية الـتي عاشت في هــذه الفــترة فهو أبو يزيد البســطامي طيفــور ابن عيسى (ت 261ه) قـال ابن كثـير عنـه: (وقد حُكي عنه شطحات ناقصات، وقد تأولها كثيرمن الفقهاء والصوفية وحملوها على محامل بعيدة، وقد قال بعضـهم: إنه قـال ذلك في حـــال الاصـــطلام[2] والغيبة، ومن العلمـــاء من بدّعه وخطأه وجعل ذلك من أكبر البدع، وأنها تــدل على اعتقــــاد فاسد كــــامن في القلب ظهر في أوقاته والله أعلم)[3].

ولقد كان لأبي يزيد أثرٌ قويٌ في الانحراف بالتصوف نحو الفلســفة والعقائد الــتي لم تكن ظــاهرة عند من

---

1 (?) السير(12/112).

2 (?) الاصطلام وهو (نوعُ وَلَـهٍ يَـردُ على القلب فيسـكن تحت سـلطانه)، انظــر: اصــطلاحات الصــوفية ص (15) إعــداد الــدكتور عبد الحميد صــالح حمــدان، طبع مطبعة مــدبولي الطبعة الأولى سنة (1999م).

3 (?) البداية والنهاية (11/35) وانظـر: السـير (13/86-89)، وميزان الاعتدال (2/366)، وطبقات الصوفية ص (67).

سلف من الصوفية، مثل (الفناء)[1] و (وحدة الوجـود[2]# .[3]

ثم جـاء من بعـده شخصـية هي أخطر وأشد تـأثيراً وأكثر ظهوراً وتميزاً، أعلن مبادئه وصـرّح بمعتقـده ومع أنه قد وُسم بعقائد ضـالة وأعمـال منكـرة وجـرأة غـير مسـبوقة، ذلكم هو الحسـين بن منصـور الحلاج[4] الـذي حكم علماء عصـره عليه بالزندقة الموجبة لقتله بل قُتل فعلاً وصلب بعد أن أحرقت جثته[5]، وبرغم أن قتله كان عن فتوى و اتفاق من عدد كبـير من الفقهـاء والصـوفية المعاصـرين له[6]، وبـرغم أقواله الصـريحة في الحلـول والتي منها:

(سبحان من أظهر ناسوته سرّ سنا لاهوته الثاقب

1 (?) هو(الفناء وعدم الإحساس بعـالم الملك والملكـوت وهو بالاسـتغراق في عظمة البـاري) التعريفـات للجرجـاني، طبع دار الكتب العلمية -بـــــيروت، الطبعة الأولى (1408هـــــ-1998م) ص (169).

2 (?) وحدة الوجود تعني- في العقيدة الصوفية- أنه ليس هناك موجــود إلا اللــه، فليس غــيره في هــذا الكــون، وما هــذه الظـواهر الـتي نراها إلا مظـاهر لحقيقة واحـدة هي الحقيقة الإلهية0تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا0انظر: اصطلاحات الصوفية ص (169).

3 (?) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (1/44).

4 (?) الحسـين بن منصـور الحلاج أبو مغيث فيلسـوف، تـوفي سـنة (309هــ)، انظر ترجمته في: تـاريخ بغـداد (8/112) للحافظ الخطيب البغــدادي طبع المكتبة الســلفية، المدينة المنورة، بدون تاريخ، والبداية والنهاية (11/132).

5 (?) انظر: السير (14/341)

6 (?) المصـدر السـابق(14/340)، وانظر: البداية والنهاية (11/139)

ثم بــدا في خلقه ظــاهراً في صــورة الآكل والشارب
حـــــتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحـــــاجب بالحاجب)[1]

و(ما في الجبة إلا الله)[2] إلى غير ذلـك، ومع ما نقل عنه من استخدام السحر والجـان و الشـعوذة[3]، أقـول: مع كل ما قيل ونقل عنه نجد أن غلاة الصـــــــوفية قد سلكوا سبيله وساروا على منهاجه ووسّعوا ما بـدأه من الانحراف، حـتى ظهر ابن عـربي وأشـاع من ذلك ما لم يجـــرؤ على إشـــاعته أحد من قبلـــه، ومع ما حصل من الصـوفية المعاصـرين له من اختلاف في أمــره؛ إلاّ أن من جاء بعدهم مــال إلى ولايته وركَن إلى تقرير منهاجه وعقيدتـه، وأوَّلَ- بتكلّـف- ما جـاء عنه من طـوام وبلايـا، يشـــهد أن الكل يصـــدر عن منهل واحد ويحـــوم حـــول حقيقة واحدة يتفق أصلها وتتلون فروعها.

فهذا السُّـلمي يـترجم له في طبقاته[4]، و القشـيري يــورد عقيدته بين عقائد أئمة التصــوف وأســاطينه[5]، و

1 (?) المصدر السابق(ص 14/325)

2 (?) (الصـوارم الحـداد القاطعة لعلائق أربـاب الاتحـاد) ص (33) للإمـام الشـوكاني تحقيق محمد صـبحي حلاق الطبعة الأولى (1411هـ- 1990م) دار الهجرة بصنعاء.

3 (?) الشعوذة خفة في اليد وأخذ كالسحر يُري الشـيء بغـير ما عليه أصــله في رأي العين، القــاموس ص (427) انظــر: ترجمتيه الواســــعتين في الســــير، والبداية والنهاية في الموضعين السابقين في التعليق رقم (6).

4 (?) الطبقات ص (307)

5 (?) الرســالة القشــيرية في علم التصــوف ص (18) لأبي

اليـــافعي في مـــرآة جنانه قد أطـــال في ترجمته وذكر اعتذار الصوفية له، وصرَّح أنه نقل عن ابن خلكـان، لأنه أقرب إلى الصـوفية، وشـنّع على الـذهبي بما أورده في ترجمة الحلاج ونَبَزَهُ، مما يدل على تمكّن الاقتنـاع بولاية الحلاج، وبُعدٍ عن منهج السـلف وأهل الحـديث -الـذين تكلم الـذهبي بلسـانهم وسـار على طـريقهم - وقد أورد فيه الثناء والتزكية لكبار مشايخهم وهم: أبو العبـاس بن عطـاء وأبو القاسم النصر آبـاذي وأبو عبدالله بن خفيف وعبد القادر الجيلاني وشهاب الـدين السـهروردي وحجة الإسـلام الغـزالي[1]، وعلى ذلك فـإن معظم الصـوفية المعاصرين له والآتين بعده يقولون بتزكيته واعتماده.

وحـتى صـوفية حضـرموت الـذين يـدّعون الاعتـدال وينهون أتباعهم عن قـراءة كتب الحلاج وابن عـربي، هم في الواقع أو بعضـــهم على الأقل لا ينكــــرون ما عند القوم، بل يعتقدون صوابه مهما خـالف ظـاهر الشـريعة وأن له تـأويلاً سـائغاً، وإنما ينهى عنه القاصـرون خوفـاً عليهم من أن يفهمـوا منه خلاف المـراد، أو أن يبـادروا بالتصريح بموافقة تلك الأقوال الـتي تعمـدوا أن يوهمـوا العامة بُعْدَهم عنها، وإلاّ فهـذا أحد كبـارهم و معتمـديهم ومن تؤخذ أقواله حجة لـدى القـوم -لأنه يتكلم بلسـان الحقيقة -وهو الشـيخ عبـدالرحمن السـقاف يقـول في معــــرض كشـــــوفاته: (اطَّلعْنا على الحلاج وظننا أن

القاسم عبد الكريم بن هـوازن القشـيري، دار إحيـاء الـتراث العـربي، مؤسسة التـاريخ العـربي ببـيروت، الطبعة الأولى (1419هـ-1998م).

[1] (?) مرآه الجنان وعبرة اليقظان (2/253) لليافعي.

بزجاجته كسراً فوجدناها ترشح وليس بها كسر)[2].

وبهذا ترى أن البذرة الباطنية التي بذرها أبو يزيد وسقاها ونمَّاها الحلاج وشارك في نشرها وتعميقها أطراف عديدة -قد سرت في عروق المتصوفة وسيطرت على عقولهم ودانت بها أنفسهم لا فرق بين جيل وجيل ولا بلد و بلد إلاّ ما شاء الله.

ثم جاء القرن الرابع الذي تمكن فيه غلاة الشيعة من مقاليد الحكم في أنحاء البلاد الإسلامية، حيث حكم شمالَ العراق والشام الحمدانيون من الشيعة الغلاة من (317 -ـ 394ه)، و البويهيون العراقَ وإيران ومعظم أماكن نفوذ العباسيين من (334ـ 447 هـ)، والقرامطة في الجزيرة العربية في البحرين واليمن وغيرهما من (270-303ه)، والفاطميون احتلوا مصر وامتد نفوذهم إلى الحجاز واليمن والشام (358- 569ه).

في القرن الرابع وجزء كبير من القرن الخامس كانت الشيعة الغالية بل الباطنية منهم يحكمون معظم أجزاء البلاد الإسلامية، وقد تمكنوا من غرس مبادئهم ونشر عقائدهم وتوطين شعائرهم الضالة في بلاد المسلمين، فكان من الطبيعي أن يأخذ عنهم صوفية تلك الفترة تلك العقائد، ويتشربوا تلك المبادئ ويركنوا إلى تلك الشعائر.

وهذا ما قرّره العلامة ابن خلدون حيث قال: (ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم

---

2 (?) المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي (2/143)، تأليف محمد بن أبي بكر الشلي العلوي طبع بالمطبعة العامرة الشرفية ط الأولى (1319هـ).

إلى الحلول و الوحـدة كما أشـرنا إليه، و ملأوا الصـحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغــيره، وتبعهم ابن العــربي وابن ســبعين وتلميــذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتـأخرين من الرافضة الـدائنين أيضــاً بــالحلول وإلهية الأئمة مــذهباً لم يعــرف لأولهم، فأُشرب كل واحد من الفــريقين مــذهبَ الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم)[1].

وبانتهاء سيطرة الشيعة الغلاة ورجــوع السـلطة إلى أهل السـنة كـانت السـلطة الروحية للصـوفية قد بلغت شـأواً بعيـداً، وقد أصـبح لها هيمنة على الأمة مما جعل الســلاطين الســنيين يتســابقون في طلب ودّهم، بل يتقربــون إليهم بــأغلى ما يقــدرون عليه من الــدعم ليكســبوا ولاءهم ومن ثَمَّ يكســبون ولاء الأمة المتعلقة بهم، فهذه الدولة السلجوقية تتقرب من الصوفية تقربــاً كبـيراً، وتكـرم كبـارهم إكرامـاً لا مزيد عليه، وهي الـتي تظهر في زمانها الخانقـــاوات[2] الصــــوفية والأربطة والمشــاهد، فــالوزير نظــام المُلْك قد قــرّب الصــوفية وأحبهم وخضع لهم[3]، وبتــأثيرهم عُمِّرَ على عهـده عــدد من المشاهد من أهمها بناء القبة على قبر أبي حنيفة[4]،

---

1 (?) مقدمة ابن خلــدون، طبع دار الفكــر، بــيروت، الطبعة الأولى، (1401هـ- 1981م) وسيأتي كلامه كاملاً مخرجاً في المطلب الثالث.

2 (?) خانقــاوات: جمع خانقــاه وهي ربــاط الصــوفية. المعجم الوسيط (1/260).

3 (?) السير (19/95)، البداية والنهاية (12/140).

4 (?) السير (19/188)، والبداية والنهاية (12/161)، ومرآة الجنان (3/83).

كما حاول نقل رفات الإمام الشافعي من مصر ليدفنه لديه ويقيم عليه قبة هناك[1].

وعلى العموم فإن المشاهد في العراق خارج نطاق مشاهد الشيعة قد انتشرت في هذه الفترة من القرن الخامس الهجري[2]، وفي نفس الفترة وقبلها بقليل كتبت أهم الكتب التي تعتبر دستور الصوفية ومنبع أفكارهم وعقائد سلوكهم، ففي أواخر القرن الرابع ألّف أبو عبد الرحمن السُّلمي[3] طبقات الصوفية[4]، وفي سنة (437ه) ألّف القشيري الرسالة القشيرية[5]، وفي حوالي سنة (488ه) ألّف حجة الإسلام الغزالي إحياء علوم الدين[6]، ثم جاءت الدولة الزنكية في الشام من (5 21-631ه) فزادت رقعة الصوفية وعلا ذكرها ومُكّن لها تمكيناً كبيراً بسبب محبة آل زنكي عماد الدين (ت541 هـ) وابنه نور الدين الشهيد (ت569 هـ) حتى عدَّه الصوفية من جملة أوليائهم إذ قال عنه اليافعي: (كان في الأولياء معدوداً من الأربعين)[7]، وفي عهده بُنِيت

---

1 (?) الخطط للمقريزي (3/692-693).

2 (?) العمارة العربية الإسلامية لنشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي ص (43) تأليف د. كامل حيدر طبع دار الفكر اللبناني بيروت ط الأولى..

3 (?) أبو عبد الرحمن السلمي محمد بن حسين بن محمد السلمي الأزدي توفي سنة (412 هـ) وانظر: ترجمته تاريخ بغداد (2/248)، والسير (17/152)، والبداية والنهاية (12/12).

4 (?) مقدمة محقق الطبقات ص (50).

5 (?) مقدمة الرسالة ص (12).

6 (?) مرآة الجنان (3/146).

7 (?) المصدر السابق (3/387).

الخوانق والأربطة وأُسِّست الــــترب للأمـــــراء وذويهم ولمشـايخ الطـرق ومن يلـوذ بهم، وأصـبح بنـاء الخوانق والأربطة والـترب سـنة محمـودة لـديهم يتنـافس فيها السـلاطين والأمـراء و الخـواتين[1] والتجـار ومشـايخ الطرق وحـتى بعض الفقهـاء والمحسـوبين علىالعلم[2]، وعلى تلك الســنة مضت الدولة الأيوبية في جميع البلاد التي حكمتها[3].

وعلى نفس النهج ســـارت دولة المماليك بل زادت عليه وذلك لطول مدتها واستقرار الأوضاع فيها أكثر من دولة الزنكيين والأيوبيين ولازدياد نفوذ الصوفية وتمكنهم من نفـوس المجتمع[4]، وكـذلك الدولة العثمانية سـارت بنفس الطريقة بل زادت عليها خصوصـاً أن ابن عـربي قد بشَّـر بفتح القسـطنطينية على يد العثمـانيين ووصف فاتحها فكـــــان الأمر كما وصف، وذلك قبل فتحها بنحو

---

1 (?) جمع خاتون وهي المرأة الشـريفة، والمقصـود هنا نسـاء الأمراء وهي كلمة أعجمية. القاموس ص (1540).

2 (?) انظر: (الـدارس في تـاريخ المـدارس) (2/109-231) تـــأليف عبد القـــادر بن محمد النعيمي الدمشـــقي، طبع دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى (1410هـ).

3 (?) المصـدر السـابق وخطط المقريـزي (3/648)، وانظـر: كـذلك موسـوعة مسـاجد مصر وأولياؤها الصـالحون (ج 2) الخاص بالعصر الأيوبي.

4 (?) انظر: الخطط المقريزية (ج3)، وخانقاوات الصوفية في مصر في عصر دولة المماليك البرجية بجزئيـه الأول والثـاني تأليف د. عاصم محمد رزق الناشر مكتبة مدبولي القاهرة ط الأولى(1417هـــــ- 1997 م). ومســـــاجد مصر وأولياؤها الصـــالحون الجـــزءان الثـــالث والرابع الخاصـــان بالدولة المملوكية.

مـائتي سـنة، وإن صح ذلك فهو من بـاب الكهانة الـتي اشـتهر بها ابن عـربي، فقد وُصف بالسـحر واسـتخدام الجن وغـــير ذلك من الأمـــور المتعلقة بالمغيبـــات[1]؛ فانتشر ذكـــره في بلاد الأتـــراك وانتشـــرت كتبه بينهم وحينما فتحـوا الشـام أقـام السـلطان سـليم الأول على قبره (قبة عظيمة وتكية شريفة فيها طعام وخيرات)[2].

وهــذه اللمحة تعطينا تصــوراً عن تــرقِّي الصــوفية وانتشـــارها في بلاد الســـنة وعلى أيـــدي الحكـــام والسلاطين الذين كان لهم هـدف بل أهـداف كثـيرة من مســـــاندة الصـــــوفية، منها السياسة وغيرها كما أن الصــوفية نفســها لها أهــداف كبــيرة من القــرب من السلاطين وذلك لتوطيد سلطتهم الروحية بحيث تشـمل الطبقة الحاكمة فمن دونها ويصــبحون بحق كما يقــول شاعر هم:

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم من الملك إلاّ اسمه وعقابه

وهـذا هو الهـدف الظـاهر، وهنـاك هـدف أشـار إليه بعض البـاحثين غـير ظـاهر وسـأتحدث عنه إن شـاء الله في مطلب (الصلة بين التشيع والتصوف).

التطور التنظيمي:

---

1 (?) سيأتي ذلك في الباب الثاني، الفصل الرابع.

2 (?) طبقـات الشـعراني (1/163) وانظـر: أيضـاً لمعرفة ما صنعه الأتـراك للصـوفية تـاريخ الجـبرتي المسـمى" عجـائب الآثـار في الـتراجم والأخبـار " عبد الـرحمن الجـبرتي تحقيق جمــال الــدين عبد العزيز الناشر مكتبة مــدبولي، ومســاجد مصر وأولياؤها الصـــالحون الجـــزء الخـــامس الخـــاص بالعثمانيين.

منذ أواخر القـرن الثـالث وبداية القـرن الرابع بـدأت تتشكل الطرق الصوفية، حيث يجتمع عدد من المريدين إلى شيخ من شيوخهم فيتسمون باسمه، وعندما يمـوت تنتقل مشـيخة الطريقة إلى أحد أتباعــه، وفي الغــالب يكون الخليفة من ذريته وهكذا، وقد عدَّ الهويجري[1] في (كشف المحجوب) اثنتي عشــرة طريقة كل منها ينسب إلى شيخ من شيوخ القرن الثالث أو الرابع[2].

ثم توالت الطرق الصوفية حتى اكتملت ونضجت في القرنين السادس والسابع بظهور الطـرق الكـبرى الـتي تعود إليها معظم الطرق اللاحقة، ومن أهم هذه الطرق: القادرية نســـبة إلى الشـــيخ عبد القـــادر الجيلاني[3]، الرفاعية نســبة لأحمد بن الرفــاعي[4]، المدينية نســبة

---

1 (?) هو علي بن عثمـــان بن أبي علي الجلابي الغزنـــوي الصوفي من قرية (الهويجر) من مضافات عزتبين توفي سنة (465 هـ) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنـون ص (691) لحاجي خليفة، طبع دار الفكر، بـيروت (1402هـ-1982 م).

2 (?) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (1/45).

3 (?) عبد القـــــــــادر بن موسى الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية تـوفي سـنة (561هــ) انظر ترجمته في: طبقــات الشــعراني (1/108) والأعلام (4/47)، ومـــرآة الجنـــان (3/347) والدراسة المسـتقلة عنه باسم (الشـيخ عبد القـادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصـوفية) للشـيخ د. سـعيد بن مسـفر القحطـاني، رسـالة دكتـوراه من جامعة أم القربط الأولى (1418هـ).

4 (?) أحمد بن علي الرفـاعي الحسـيني أبو العبـاس مؤسس الطريقة الرفاعية تـوفي سـنة (578هــ) انظر ترجمته في: طبقــات الشــعراني (1/121)، ومــرآة الجنــان(1/147)، والأعلام (3/409).

للشيخ شعيب أبي مدين المغربي[1]، السهروردية نسبة إلى الشيخ أبي حفص عمر بن محمد السهروردي[2]، الشاذلية نسبة إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبدالله الشاذلي[3]، ثم تشعبت عن كل طريقة من هذه الطرق طرق عدة لا يأتي الحصر عليها، ومازالت تتوالد إلى يومنا هذا، وكل طامع في الشرف والجاه وطامع في المنصب والمال من الصوفية يؤسس له طريقة ويورِّثها من بعده لأولاده. بل إن بعض الطرق تتطور لتصبح دولة سياسية تحكم قطاعاً كبيراً من الأرض وتمتد لآونة طويلة من التاريخ[4].

التطور العقدي:

لقد بدأ الانحراف في التصوف حينما أوجد أوائل

1 (?) شعيب بن الحسن الأندلسي الشهير بأبي مدين صوفي كبير متهم بالرفض والعمل على نشره وقد تولى نشر طريقة الصوفية في أطراف البلاد الإسلامية ومنها حضرموت فهو الذي أدخل التصوف إليه بواسطة رسول أرسله إلى هناك توفي وهو في طريقه إلى السلطان بتهمة أوجبت استدعائه سنة (593هـ) انظر: السير (21/219)، والطبقات للشعراني (1/133).

2 (?) أبو حفص عمر بن محمد السهروردي توفي سنة(632هـ) انظر ترجمته في السير(22/373) والبداية والنهاية(13/138).

3 (?) أبو الحسن الشاذلي توفي سنة (658هـ) انظر ترجمته في طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ص (233) لأبي العباس أحمد بن أحمد الشرجي الزبيدي طبع الدار اليمنية للنشر والتوزيع ط الأولى (1406-1986).

4 (?) كالدولة السنوسية في ليبيا والإدريسية في اليمن ودولة المهدي في السودان والدولة الصفوية في إيران فكل هذه الدول أصلها طرق صوفية.

المتصوفة طرقـاً خاصة بهم في الزهـد، ثم تطـور أكـثر عنـدما بـدأ التـأليف في الخـواطر والهـواجس الصـوفية على يد الحارث المحاسبي والحكيم الترمذي، ثم أخذت دفعة أقـوى بظهـور أبي يزيد البسـطامي- الـذي أضـاف مفـــاهيم الفنـــاء وجنح إلى الحلـــول وأُثر عنه الشـــطح والكلمـات القبيحة-، وبعـده كُشف النقـاب عن الأسس الصـوفية والوسـائل الموصـلة إليها على يد الحلاج حـتى صرح بالحلول واسـتخدم السـحر والجن والشـعوذة كما سـبق بما لم يتفق لأحد ممن قبلـه، وسـوغ له ذلك مَن جاء بعدَه من كبار المتصوفة، وبـذلك نعتـبر أن ضـلالات الحلاج وشـطحاته قد أصـبحت جـزءاً مهمـاً من عقيـدة المتصوفة، بعد أن زكّاه كبـارهم وأوّلـوا تلك الشـطحات وقبلوا تلك العقائد، ولو بالشكل المؤول الذي أقروه، ثم اسـتفاد الصـوفية من درس إعـدام الحلاج فعـادوا إلى التخفي والتسـتر زمنـاً طـويلاً، وإنما كـانت تبـدر منهم الفلتات ويقلِّبون الأمور ويسمونها بغير مسـمياتها، وذلك في مؤلفـــات القشـــيري والســـلمي والســـهروردي ثم الغزالي -خصوصاً في الفصل الخاص بحكايات المريدين وأحوالهم من إحياء علوم الدين-، ثم عـادت تلك العقائد إلى الظهور في القرن السابع على يد محـيي الـدين بن عـــربي (ت638 هـ)، وعمر بن الفـــارض (ت632 هـ)، وابن سـبعين (ت 669 هــ) وأمثـالهم، ثم انتشـرت في أنحـاء الأرض وتظـاهرت بها طوائف وحماها سـلاطين المماليك وآل عثمان، وهي لا تـزال موجـودة إلى اليـوم غـير أنها تظهر حينـاً وتسـْتَتِر حينـاً آخر حسب المنـاخ والظروف التي تمر بها0

المطلب الثالث: العلاقة بين التصوف والتشيع:

هناك تداخل كبير بين الشيعة والصوفية في كثير من العقائد والأصول، وهنـاك فِـرق صـوفية شـيعية صـريحة كثـــــيرة تتمركز في تركيا وإيـــــران وغيرها من البلاد الإسلامية[1]، كما أن هناك فرقـاً صـوفية محسـوبة على أهل السنة ولكنها تلتقي في أصولها مع الفرق الشـيعية وتسـتقي من معين الإمامية والإسـماعيلية، بل وتنسب شـيوخها الى الـبيت الهاشـمي من طريق الحسـين بن علي كثـيراً ومن طريق الحسن أحيانـاً، منها ما هو مسلّم لها بذلك ومنها ما هو معترَض عليها فيه بـدرجات متفاوتة من الإنكار[2].

ولا تكتفي بالنســبة العرقية إليهم بل كــذلك تنسب نفسها إليهم روحياً، من خلال سلاسل الأسانيد والإلباس الـذي تكـاد كل الطـرق الصـوفية أن تنتهي به إلى علي [3]، كما أن هنـاك أخـذاً صـريحاً لكثـير من المبـادئ

1 (?) مثل (1) النوربخشـية المنسـوبة إلى محمد نوربخشي (2)والصفوية المنسـوبة إلى الشـيخ صـفي الـدين الموسـوي الاردبيلي(3) النعمة اللهية والمنسوبة إلى السـيد نـور الـدين نعمة الله الـولي (4) البكتاشـية المنسـوبة إلى السـيد محمد الرضوي المشهور بالحاج بكتاش الولي.

2 (?) من أولئك الشـيوخ الـذين نسـبوا إلى علي t وفاطمة الزهـراء: عبـدالقادر الجيلاني، وأحمد الرفـاعي، وأبو الحسن الشاذلي، وأحمد البدوي، وصـفي الـدين إسـحاق بن جبرائيل الذي تنسب إليه الصفوية التي كانت فرقة صـوفية سـنية ثم تحولت إلى شيعية وملكت إيران وجنوب العراق مدة طويلة، بل إنها هي الـتي حـوَّلت معظم سـكان إيـران من سـنة إلى شيعة، ومحمد بن عبدالله الملقب (نوربخش) شـيخ الطريقة النوربخشـــية، وأحمد بن إدريس المغـــربي شــــيخ الطريقة الإدريسية.

3 (?) وذلك أنهم وضـعوا في لبس الخرقة حـديثاً وصـنعوا له

والأصـول والمصـطلحات الشـيعية لـدى الصـوفية عن الشـيعة وعن الإسـماعيلية بشـكل أخص، وقد سـبقت الإشـــارة إلى ذلك عن ابن خلـــدون و إليك نص كلامه كـــاملاً: (... ثم إن هـــؤلاء المتـــأخرين من المتصـــوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلـــــوا في ذلك، فـــذهب الكثـــير منهم إلى الحلـــول والوحـــدة كما

إسناداً إلى علي قال: قال رسول الله (لما عرج بي إلى السـماء وأمسك حبيـبي جبريل بيـدي فـأدخلني الجنة بعد المخاطبة فرأيت فيها قصراً من ياقوتة حمـراء فيها صـندوق من نور عليه قفل من نور فقلت: يا حبيبي جبريل ما في هذا الصندوق؟ قال: فيه فخـرك وفخر أمتك من بعـدك إلى يـوم القيامة هـذا فيه خرقة الفقر ثم فتح الصـندوق وأخـرج منه خرقة الفقر و ألبسـنيها وقـال: يا محمد أمـرني الحق أن ألبسها لك فلا تودعها إلا عند مستحقها، قال: أمير المؤمـنين علي بن أبي طالب وجال بها في الجنة وقال: الفقر فخري وفخر أمتي من بعدي إلى يوم القيامة).

قالوا: وانتقلت نسـبة الخرقة الشـريفة من النـبي إلى أمـير المؤمـنين علي بن أبي طـالب وانتقلت من علي إلى الحسن البصري وانتقلت من الحسن البصري إلى حبيب العجمي وانتقلت من حـبيب العجمي إلى داود الطـائي إلى معـروف الكـرخي إلى سـرى السـقطي إلى الشـيخ الجنيد البغدادي ومن الجنيد البغدادي تفـرقت إلى المشـايخ . ومن طريق أخـرى انتقلت من النـبي إلى الحسـين بن علي بن أبي طـالب إلى علي زين العابـدين إلى محمد البـاقر إلى جعفر الصـادق إلى موسى الكـاظم إلى داود الطـائي إلى معروف الكرخي إلى سـرى السـقطي إلى الجنيد البغـدادي. انظر: (المجموعة العيدروسية " الجـزء اللطيف في التحكيم الشريف" لأبي بكر بن عبدالله العيدروس) ص (209 -210) الناشر طاهر بن محمد العيدروس (1409هـ)، والحـديث كما هو ظـاهر من سـياقه موضـوع وقد حكم عليه بـذلك الحافظ

أشرنا إليه، وملأوا الصحف منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره، وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر، واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه: رأس العارفين- يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان- وقد أشار إلى ذلك ابن سينا[1] في كتاب الإشارات في فصول التصوف منها

ابن حجر حيث قال الإمام السخاوي "في المقاصد الحسنة" ص (300): (قال شيخنا هو باطل موضوع)طبعة دار الهجرة بيروت (1406 هـ - 1986م). ثم كيف يكون الفقر فخر النبي وهو قداستعاذ منه؟ فكان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أَظلم أو أُظلم) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (1287).

ولكن الغرض حاصل وهو إرجاع لباس خرقة التصوف إلى علي والحسين y ويؤكد إسناد الخرقة الصوفية إلى علي t وإلى ذريته على سبيل الحتم والإلزام أحد متصوفة الشيعة فيقول: (لابد لكل سلسلة من سلاسل التصوف من الأزل إلى الأبد ومن آدم إلى انقراض الدنيا أن تكون متصلة بسيد العالمين وأمير المؤمنين أو بواحد من أئمة الأنام عليهم السلام)، الصلة بين التصوف والتشيع (1/87) نقلاً عن الحاج معصوم من كتابه طرائق الحقائق (1/251).

[1] (?) هو الرئيس أبوعلي الحسين بن عبدالله بن سينا، أحد

فقال: جَـلَّ جنـاب الحق أن يكـون شـرعةً لكل وارد، أو يطّلع عليه إلا الواحد بعد الواحد، وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شـــــرعي، وإنما هو من أنـــــواع الخطابـــة، وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانـــوا به، ثم قـالوا بـترتيب وجـود الأبـدال بعد هـذا القطب كما قاله الشيعة في النقبـاء، حـتى أنهم لما أسـندوا لبـاس خرقة التصوف ليجعلوه أصـلاً لطـريقتهم وتخليهم؛رفعـوه إلى علي وهو من هذا المعنى أيضاً، وإلاّ فعلي لم يختص من بين الصـحابة بتخلية ولا طريقة في لبـاس ولاحـال، بل كـان أبو بكر وعمر أزهد النـاس بعد رسـول الله وأكثرهم عبادة، ولم يختص أحد منهم في الـدين بشـيء يؤثر عنه في الخصـوص، بل كـان الصـحابة كلهم أسـوة في الـــدين والزهد والمجاهـــدة، يشـــهد لـــذلك من كلام المتصوفة في أمر الفاطمي، وما شحنوا كتبهم في ذلك مما ليس لســلف المتصـــوفة فيه كلام بنفي ولا إثبـــات وإنما هو مـأخوذ من كلام الشـيعة والرافضة ومـذاهبهم في كتبهم والله يهدي إلى الحق...)[1].

القطبية:

ومن القضايا المشتركة بين الشيعة والصوفية قضـية القطب الـــذي يعرفه الجرجـــاني بقولـــه: (القطب: وقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الـذي هو موضع نظر الله في كل زمـان، أعطـاه

أشـــهر فلاســـفة الإســـلام وأطبـــاء المســـلمين، إســـماعيلي المذهب، كفّـره عـدد من العلمـاء ونسـبوا إليه القـول بقـدم العلم، تـــوفي (428 هـــ). انظر ترجمتـــه: لســـان المـــيزان (2/357)، والأعلام (2/241).

[1] (?) المقدمة لابن خلدون ص (619 -621).

الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يســـري في الكـــون وأعيانه الباطنة والظــاهرة ســريان الــروح في الجسد، بيــده قســطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيـــات الغـــير المجهولــة، فهو يفيض روح الحيــاة على الكــون الأعلى والأســفل، وهو على قلب إســرافيل من حيث حصــته الملكية الحاملة مــادة الحيــاة والإحســاس، لا من حيث إنســانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشــأة الإنســانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القـــوة الجاذبة فيها، وحكم عزرائيل فيه كحكم القـــوة الدافعة فيها)[1]

القطب الــذي هــذه صــفته قد أخــذه الصــوفية عن الإســماعيلية الباطنية خصوصــاً إذا نظرنا إليه مع بقية معاونيه من الأبدال والأوتاد وغيرهم من الأولياء0

يقــول الــدكتور كامل الشــيبي في كتابه الصــلة بين التصـــوف والتشـــيع: (وجـــاء تيـــار شـــيعي آخر من الإسماعيلية خدم الولاية الصــوفية وجرّأها على الظهــور وزادها ثقة بنفسها. وذلك أن المذهب الإسماعيلي يجعل الأئمة سباعات أزلية حكمُها حكم النبـوة. ويجعل النقبـاء أو الحجج - وهم أنصار الأئمة المتبحــرون في العقيــدة - قوماً مقدسين أيضاً، لهم عــدد ثــابت محــدود هو العــدد: 12 يرتبط بعــدد الــبروج والأشــهر كما ارتبط العــدد (7)

---

1 (?) التعريفات للجرجــاني ص (177-178) وبعض العبــارات التي فيها غموض أعتذرُ الآن عن شرحها لأن المقــام إنما هو مقام المعرفة الإجمالية للقطب والذي يعتــبر المــدبر الفعلي للعـــالم عند الصـــوفية ويقابله الإمـــام عند الإســـماعيلية و الإمامية.

بـــالكواكب. وبـــذلك أســـبغت الإســـماعيلية الولاية على نقبائها، وارتقت بهم من الإنســــــــــــانية المادية إلى الروحانيـــة، فاســـتغل الصـــوفية هـــذه الســـانحة أيضـــاً وطبقوها في مجتمعهم وصـــبوا في قالبها مثلهم، حـــتى رأينا التصوف بعد قرون يتخذ طابع الإســـماعيلية الكامل بقوله بالمنازل وتدرج المعرفة والسلوك.

وكان كيسان - قبل الإسماعيلية - مساوياً للإمام أبي هاشم بن محمد بن الحنفية في علمه وفي أخـــــذه عن ابن الحنفية وفي اجتهـــاده الـــديني بحيث شـــرع على أساس اتصاله بإمامه - مذهباً جديداً وجمع حوله أنصاراً وأعواناً. وكان أبو هاشم هو أول من قـال بالنقبـاء - كما مر - وحـدد عـددهم بـاثني عشر ووصـلهم بنقبـاء بـني إسرائيل وبأعوان النبي من الأنصـار، فجعل لهم المقـام السامي والتوفيق الإلهي، وهذا أصل فكرة الإســماعيلية -في رأينا - وهو الذي أدى في النهاية إلى أن تخـرج إلى التصوف وتستقر فيه)[1].

وتأكيداً لكلام الدكتور الشـيبي؛أنقل إليك نصـاً مهمـاً لأحد صوفية حضرموت الذين عرفوا بالصراحة والجـرأة في إبداء ما يعتقد والدفاع عنه وهو العلامة عبـدالرحمن بن عبيدالله الســـــقاف[2] يقـــــول -رحمه الله -: (إن

1 (?) الصلة بين التصوف والتشيع (1/379-380).

2 (?) عبد الـرحمن بن عبيد الله بن محسن السـقاف مفـتي حضرموت في عصره، من أعلم علمـاء وقته وأشـهر شـعراء زمانـه، عـرف بحرية في الـرأي وجـرأة في الحق ينكر على مدعي الولاية الكاذبة في كل مناسـبة، وله صـولات وجـولات مع علماء حضرموت المعاصرين له، توفي سـنة (1375هــ). انظر ترجمته في: لوامع النـــور (2/127) تـــأليف أبي بكر العـــــدني بن علي بن أبي بكر المشـــــهور طبع مكتبة دار

العلويين الحضرميين ومن لـفَّ لفَّهم إلى هـذا الحين إن لم يكونـوا على مـذهب الإمامية فـإنهم على أخيـه، إذ طالما سـمعنا ممن لا يحصر عدّاً ولا يضـبط كـثرةً منهم من يقول: إنها لما زُويتْ عنهم الخلافة الظاهرة عُوِّضـوا بالخلافة الباطنة، فصارت إلى علي ثم إلى ابنه الحسين ثم إلى زين العابـدين ثم إلى البـاقر ثم إلى الصـادق، وهكذا في الأفضل ثم الأفضل من ذرياتهم، ألا ترى أنهم يقولـون بقطبانية هـؤلاء وما القطبانية إلا الإمامة بنفسها...)[1]

التصرف في الكون وعلاقته بالتشيع:

من مهام القطب الذي سبق الحـديث عنه التصـرف في الكون إذ جعلوه المفوض بذلك من قبل الله تعـالى، يقـول التيجـاني: (اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمىعن الحق مطلقـاً في جميع الوجـود جملة وتفصـيلاً، حيثما كـان الـرب إلهـا كـان هو خليفته في تصـريف الحكم وتنفيـذه في كل مَنْ عليه ألوهية الله تعـالى، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق، فلا يصل إلى الخلق شـيء كائنـاً ما كـان من الحق إلا بحكم القطب و تولي النيابة عن الحق في ذلك وتوصيله كل قسمة إلىمحلها، ثم قيامه في الوجـود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصـيلاً فـترى الكـون كله أشـباحاً لا حركة لها، وإنما هو الـروح القـائم فيها

المهاجر صنعاء ط الأولى (1411)، و الأعلام (3/315).

[1] (?) نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهـاجر ص (8) للعلامة عبـدالرحمن بن عبيدالله السـقاف، طبع في مطبعة النهضة اليمانية بعدن، (1368هـ-1948م).

جملة وتفصيلاً)[1].

وهــذه العقيــدة مــأخوذة عن الشــيعة الغلاة كــذلك فهناك فرقة من الشـيعة تسـمي المفوِّضة أو المخمِّسة تقول: (إن الباري خلق روح عليٍّ وأولاده وفوّض العـالم إليهم فخلقوا هم الأرضين والسماوات - قالوا - ومن هنا قلنا في الركــوع ســبحان ربي العظيم، وفي الســجود ســبحان ربي الأعلى لأن الإله الأعلى عليٌّ وأولاده، وأما الإله الأعظم فهو الذي فوَّض إليهم العالم)[2].

وقـــال عبـــدالقاهر البغـــدادي: (وأما المفوِّضة من الرافضة فقــوم زعمــوا أن الله تعــالى خلق محمــداً ثم فـوّض إليه خلق العـالم وتـدبيره فهو الـذي خلق العـالم دون الله تعـالى ثم فـوّض محمد تـدبير العـالم إلى علي بن أبي طالب فهو المدبر الثاني.

وهذه الفرقة شرّ من المجوس الذين زعموا أن الإله خلَقَ الشيطانَ ثم إن الشيطان خلق الشــرور، وشر من النصـارى الـذي سـموا عيسى مـدبراً ثانيـاً فمن عـدَّ المفوضة الرافضة من فرق الإسلام فهو بمنزلة من عـدّ المجوس والنصارى من فرق الإسلام)[3].

العلم اللدني وعلاقته بالتشيع:

العلم اللدني من الأصول المشـهورة الـتي يتمـيز بها الصـوفية عن غـيرهم من الفـرق خصوصـاً أهل السـنة، وهذا أمر واضح مبثوث في كتبهم وهو من أبرز الممادح

---

1 (?) جواهر المعاني (2/89-90) بواسطة تقديس الأشـخاص في الفكر الصوفي (1/94).

2 (?) الرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص (75) بواسطة الصلة بين التصوف والتشيع (1/15).

3 (?) الفرق بين الفرق ص (251).

الــتي يثنــون بها على أوليــائهم ومن أكــثر ما يتبجح به مدعو الولاية منهم.

وقد عـــرَّف الرَّنـــدي هـــذا العلم فقـــال: (والعلم المخزون هو العلم اللدني الـذي اختزنه الله عنـده، فلم يؤته إلا المخصوصين من الأولياء) ثم أورد حديثاً مكذوباً على رسول الله ﷺ فقـال: (إن رسـول الله ﷺ قـال: (إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله تعـالى فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغـرة باللـه)، وقد شـرح أحد المتصوفة هذا النص فقال: (هي أسـرار الله تعـالى يبـديها الله إلى أنبيائه وأوليائه وسـادات النبلاء من غـير سماع ولا درايـة، وهي من الأسـرار الـتي لم يطّلع عليها أحد إلا الخواص)[1].

ومن أشهر مقالاتهم في ذلك ما ينسب إلى أبي يزيد البسطامي من قوله: (مساكين[2] أخذوا علمهم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت)[3].

وكمثــال على العلم اللــدني لــدى الصــوفية وأنه لا يحتـــاج إلى تعلم وإنما يقذفه الله تعـــالى في قلـــوب أوليائـه: ما رواه الجنيد مصـدقاً لـرأي التسـتري بقولـه: (كان عندنا ببغداد عبد أسود أعجمي اللسان، نسأله عن القـــرآن آية آية فيجيبنا عن ذلك بأحسن جـــواب وهو لا

---

1 (?) مظـاهر الانحرافـات العقدية عند الصـوفية (1/93) نقلاً عن غيث المواهب للرندي.

2 (?) يعني علماء الشريعة.

3 (?) الكــواكب الدرية للمناوي (1/346) بواســطة مظــاهر الانحرافـــات العقدية (1/101). وأورد معنـــاه الـــذهبي في ترجمة أبي يزيد من السير (13/88).

يحفظ القرآن، وتلك دلالة ولايته)[1].

وهذا الذي يدعيه الصـوفية من علم البـاطن أو العلم اللدني مأخوذ عن أئمة الشيعة، فقد نسب غلاة الشــيعة إلى أبي جعفر الصـــادق أنه قــال: (ليس هــذا العلم إن العلم الذي يحدث يوماً بعد يـوم وسـاعة بعد سـاعة)[2]، وذلك ما جعل نيكلســون يقـول: (إن التصـوف ليس في الحقيقة إلا العلم الباطن الذي ورثه علي بن أبي طـالب عن النبي)[3]، ومجالات التواصل بين التصوف والتشيع كثيرة جداً وكثير من أئمة الطرفين معترف بــذلك، ومن أراد المزيد من الحقائق فلـيرجع إلى كتـاب (الصـلة بين التصوف والتشيع) للدكتور: كامل مصطفى الشيبي.

وقبل الخـــروج من هــذا المطلب أجــدني مضــطراً لعــرض تهمة خطــيرة يتهم بها المتصــوفة منذ القــرن السادس حين قضى صـلاح الـدين الأيـوبي- رحمه الله - على الدولة الفاطمية.

وقد تبـــنى هــذه التهمة وأذاعها الشـــيخ مصــطفى عبدالرازق الذي كان شـيخاً للأزهر من عـام (1945 م) إلى سنة موته (46 أو 1947 م) والذي وصف بأنه كــان هـادئ الطبع يتمهل في تفكـيره قبل أن يتكلم أو يكتب، وأنه يحاسب لســـانه على الكلمـــة)[4]، فقد نشر ثلاث

---

1 (?) الصلة بين التصوف والتشـيع (1/410) نقلاً عن تفسـير التستري ص (7)، وكلامه هذا يرده قول النبي : (إنما العلم بالتعلم). وسيأتي ص (407).

2 (?) المصدر السابق (1/410). نقلاً عن أصول الكافي ص (25).

3 (?) المصدر السابق (1/410) عن التصوف الإسـلامي ص (76).

4 (?) الأعلام (7/231).

مقالات في إحـدى الصـحف الأسـبوعية القاهرية عـام (1927م) تحت عنوان (المولدان الأحمدي و الدســوقي) قــال في أحـــدها: (أنه رجع إلى مخطوطة مغربية ينكر صاحبها أن يكون (أحمد البدوي) صـوفياً، ويثبت أنه كـان علويـــاً شـــيعياً يهـــدف إلى إرجـــاع الملك العبيـــدي (الفاطمي) الشيعي المغـالي وأن " علي البـدوي - والد أحمد البدوي- " كان أحد العلـويين الشـيعة الإسـماعيلية وأنه نــزح من المغــرب إلى مكة المكرمة وكــان أحمد البدوي وقتها لم يتجاوز السبع سنوات وكان ذلك عــام (603ه) حيث عقد الشـيعة مـؤتمراً في مكة بحثـوا فيه كيف يعملـون على إعـادة الدولة الإسـلاميةِ علويةً - أي شيعية باطنية-).

وقد أيد الشيخ محمد فهمي عبداللطيف تلك القضية وأضاف نقطة مهمة جداً وهي: تحديد الـذي كـان يتـولى ذلك، حيث قال: (فكـان أبو مـدين الغـوث في المغـرب يبثّ هـذه التعـاليم تحت سـتار التصـوف ويـربي عليها المريدين فيرسلهم بها إلى الآفاق والأمصار)[1].

قلت: أما أن أبا مدين كان يرسل رسـله إلى الآفـاق فهـذا ثـابت، فقد اتفقت كلمة مـؤرخي حضـرموت أن الــذي أدخل التصــوف إلى حضــرموت هو شــعيب أبو مدين، حينما بعث رسوله عبدالرحمن المقعد وأمـره أن يـذهب إلى حضـرموت، ويحَكِّم أربعة من أهلها اختـارهم وسـماهم له، وهم (محمد بن علي بـاعلوي) المعـروف

---

1 (?) السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر ص (28)تأليف محمد فهمي عبـداللطيف منشـورات سـمير أبو داود المركز العربي للصحافة، القاهرة الطبعة الثانية بدون تاريخ.

بالفقيه المقـــــدم[1] في تـــــريم و (ســـعيد بن عيسى العمــودي)[2] في قيــدون و(الشــيخ بــاعمر) في عُــورة بـدوعن و (عبدالله بـاحمران) بميفعة محافظة شـبوة[3]، فمات المقعد في الطريق ووكّل تلميذه عبدالله الصـالح المغــربي فقــام بالمهمــة، وبعد أن حكم الجماعة مــات بميفعة وقــبره معــروف هنــاك عليه قبة قائمة إلى الآن بالقرب من جول الريدة عاصمة مديرية ميفعة.

ويمكن أن يعتبر هـذا الحـدث شـاهداً قويـاً على تلك القضية وأن أبا مـدين كـان من دعـاة التشـيع البـاطن و

---

1 (?) الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي أول من حمل فكر الصــوفية المنحرفة في حضــرموت وتقــدمت قصة ذلك وهو أبو أكثر العلويين في حضرموت وقد قدس عند ذريته وأتباعه بما لايكـاد يلحقه في ذلك أحد حـتى لقد انتقل التقـديس إلى كل شــيء له به صـلة فأتانه يقولـون أنها تعـرج إلى السـماء بكــرة وعشــية والحجر الــذي يضع نعله عليه إذا دخل مقــابر تــريم إلى اليــوم مثبت في جــدار مســجد يســمى مســجد الحصـــاة وما زال أهل تـــريم يتمســحون به إلى اليـــوم وقد شــــاهدته بنفسي وهو أول من أظهر الشـــــطح الصـــــوفي بحضرموت حتى لقد قال عن نفسه (أنه هو الله) إلى آخر ما نقل عنه من شــطح يعــدّ لــديهم من كراماته تــوفي ســنة (653هــ). انظر ترجمته في: الغــرر ص (145) (غــرر البهــاء الضوي ودرر الجمال البهي) تـأليف محمد بن علي بن علـوي خرد باعلوي الطبعة الأولى (1405هـ)، والمشرع (2/2).

2 (?) سعيد بن عيسى العمودي جد المشايخ آل العمودي وأحد الأربعة الشيوخ الذين جاءهم رسـول أبي مـدين لضـمهم إلى حظيرة التصـوف بحضـرموت وبـذلك اشـتهر رغم أنه عـامي كما يقولون توفي سـنة (671هــ). انظــر: طبقـات الخـواص ص(145)، وإدام القوت ص (143).

3 (?) المشرع الروي (2/5).

من النشطاء في إبلاغه إلى الأقطار الإسـلامية المختلفة تحت ستار التصوف.

وربما يحتج على إثبات تلك التهمة أيضاً بـأن صـوفية حضرموت لهم صلات قوية بالتشيع، كما صرّح بذلك ابن عبيدالله فيما مضى[1]، و يشهد بـذلك واقع الحـال إذ قد وصل الحال بكثير منهم إلى التصريح بالتشيع والوصـول إلى درجة الازدراء ببعض الصحابة وسلف الأمة من أهل السنة ومن أشهر أولئك:

1-محمد بن عقيل بن يحيى صـاحب كتـاب (النصـائح الكافية لمن يتولى معاوية).

2- أبو بكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين صـاحب كتاب (الحمية من مضار الرقية) وهو رد على كتـاب أحد أقاربه والمسمى ب (الرقية الشافية من مضار النصـائح الكافيـــة) والرقية رد على محمد بن عقيل صــــديق بن شهاب وصاحبه في التشيع.

3- محمد بن أحمد الشاطري صاحب (أدوار التـاريخ الحضـــرمي) والـــذي أظهر فيه -عنـــدما تعـــرض لهـــذا الموضـــوع- تعاطفا مع ابن شـــهاب وابن عقيل وتحـــاملاً على معاوية [2].

4- العلامة عبـدالرحمن بن عبيدالله السـقاف الـذي تعـرض في بعض قصـائده الموسـومة ب (الإماميـات) للعن من وصـفهم بأعـداء علي وأهل بيتـه، حيث قـال من قصـيدة بعثها إلى الإمـام يحـيى حميد الـدين من

---

1 (?) ص (194).

2 (?) انظر أدوار التاريخ الحضرمي ص (450ـ 452) تـأليف محمد بن أحمد الشاطري طبع عالم المعرفة جـدة ط الثانية (1403 هـ - 1983 م).

سـنغافورة مع رسـالة من محمد بن عقيل المـذكور آنفا وآخرين:

إنا ندين بحبكم ونذوب من طرب إذا عرضاً حديثكم جرى

وإذا ذكرنا ما مضى في حقكم كدنا من الحسرات ان نتسعرا

علناً نسبُّ عداكم فعليهم لعن الإله على الدوام مكرراً

لاينطوي قلب على بغضائكم الا وقد شنىء النبيَّ الأطهرا

كيف النجاة لخصمكم إن جئتم يوم الحساب مع البتول المحشرا؟

إن جادل السفهاء عنهم هاهنا فمن المجادل يوم تنفصم العرى

فلي الهناء بنسبتي لنجاركم نسباً يبذّ ظهوره نار القرى[1]

---

[1] (?) ديـوان السـيد عبـدالرحمن بن عبيدالله السـقاف، طبع مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة بـدون تـاريخ ص (446 - 447).

فيقــال: إن الإمــام يحــيى ردَّ عليه قولَــه هــذا في القصيدة التي أجابه بها على قصـيدته على نفس الــوزن والقافية يقول له:

رجل له في نصر شرعة أحمد | **همم تطير به إلى أعلى الذرى**
يدعو إلى نهج الصواب ونص آ | **يات الكتاب بلا جدال أو مرى**
والسنة الغراء يقفو إثرها | **أكرم بسنة خير من وطىء الثرى**
لايرتضي نحل الروافض مذهباً | **وكذاك لم يك مثل جهم مجبرا**[1]

ومن أبرز الشـواهد الـتي يمكن الاستشـهاد بها على صــحة ما ادعــاه الشــيخ مصــطفى عبــدالرازق، الدولة الصــفوية- الــتي حكمت إيــران وما جاورها وأجــزاء من العراق مدة طويلة، وهي التي حـولت إيـران من السـنة إلى الشـيعة- أقــول تلك الدولة كـانت في بـدايتها فرقة صوفية سنية ظهرت سنة (647ه) على يد صفي الدين- الـــذي نسب نفسه إلى علي بن أبي طـــالب بواســـطة موسى الكــاظم ثم خلفه أبنــاؤه في مشــيخة الطريقة- حتى إذا كـان عـام (907ه) وفي عهد حفيـده إسـماعيل

---

1 (?) المصــدر الســابق ص (447)، وانظــر: الزيدية للقاضي الأكوع ص (74).

الصفوي أعلن قيـام الدولة على مـذهب الإمامية الاثـني عشـــرية يقـــول سبنسر ترمنجهـــام: (وفي الحقيقة هو الدين الوحيد المقبـول في منـاطق سـيطرته وقد كسب الصفويون في النهاية تأييد الجمـاهير سـلالة النوربخشي والمشيش)[1]، وهما من الفرق الصوفية.

أقول: إذا نظرنا إلى تاريخ نشـأة هـذه الطريقة وأنها كـانت سـنية، وجـدنا أنها أنشـئت في ذلك العصر الـذي أشـار إليه الشـيخ عبـدالرازق، وتـدرجت إلى أن حققت الهدف، وهو إعلان دولة شيعية حكمتْ قطاعاً كبيراً من بلاد المسلمين بل وحولته إلى التشيع فربما كانت أخطر من الدولة العبيدية، إذ إن الدولة العبيدية لم تسـتطع أن تزيل مـذهب أهل السـنة من منـاطق نفوذها تمامـاً، بل بقي في نفوس أصحابه حتى إذا رحلت عـاد النـاس إلى السنة، أما الدولة الصفوية فآثارها إلى اليـوم بل إنها قد ازدادت عمقاً ورسوخاً بقيام الثورة الخمينيـة، فهل هـذا الاستنباط صحيح؟ لا أستطيع الجـزم ولكنـني أضـعه بين يـــدي القـــراء، **وربما أدى المزيد من البحث في هـــذه القضـــية الخطـــيرة إلى نتيجة حاســـمة بالإثبات أو بـالنفي، والمهم هو إثبـات الحقيقة وليس التجني على أحد.**

(1) **المطلب الرابع: عقائد الصـوفية الباعثة على القبورية:**

غلو الصـــوفية في الأوليـــاء و انحـــرافهم فيهم هو

---

[1] (?) انظر: الفـرق الصـوفية في الإسـلام ص (159 -160) لسبنسر ترمنجهام ترجمة الدكتور عبدالقادر البحـراوي، طبع دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بـيروت الطبعة الأولى (1997م).

الباعث على تقديسهم وتقديس قبورهم وأن يُعْتَقَدَ فيهم ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى.

وقد سبق البيان بأن الصوفية متأثرة بالغلاة من الشيعة ومعتقدة الكثير من عقائدهم ودائنة بالكثير من دياناتهم، كما قرره ابن خلدون، وعلى ذلك فلو اقتصرنا على ما مر لكفى؛ ولكن الصوفية لم يظهروا بمظهر الشيعة ذاته وإنما طوَّعوا مبادئ الشيعة لبيئتهم، وألبسوها لبوسهم الخاصة، فمن هنا وجب كشف تلك المصطلحات وإبداء تلك المبادئ كما يراها الصوفية ومن كلامهم هم لا من كلام خصومهم.

الولي عند أهل السنة:

وقبل أن نبين عقيدة الصوفية في الولاية والولي؛ يحسن بنا أن نبيِّن المعنى الصحيح للولي كما جاء في القرآن الكريم والسنة، ومعتقد أهل السنة والجماعة:

يقول الله تعالى: **﴿ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم و لا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾**[1]**،** ففي هذه الآية يعرِّف الله تعالى الولي هذا التعريف السهل الذي لا تعقيد فيه؛ وهو أن الولي هو: **(المؤمن التقي)** وبهذين الوصفين يستحق تلك الضمانة بأنه سالم من الخوف والحزن.

وقد وردت أحاديث صحيحة تصف أولياء الله وتشرح أحوالهم، منها حديث أبي هريرة الشهير بحديث الولي، قال: قال رسول الله ﷺ: **$إن الله قال: من عادى لي ولياًّ فقد آذنته بالحرب، وماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه،**

---

1 (?) يونس(62، 63).

فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصــره الـذي يبصر به، ويـده الـتي يبطش بهـا، ورجله الـتي يمشي بهـا، وإن سـألني لأعطينه، ولئن اسـتعاذني لأعيذنه، وما تـرددت في شـيء أنا فاعله تـرددي عن قبض نفس المـؤمن؛ يكـره الموت وأنا أكره مسـاءته)[1] قـال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث: (المراد بـولي اللـه: العـالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته)[2].

وقد شـرح الإمـام الشـوكاني - رحمه اللـه- هـذا الحديث بكتاب كامل هو" قطر الولي على حديث الولي " وخلاصة قوله في الـولي -كما لخصه محقق الكتـاب في دراسـته - (أن يكـون متمسـكا بكتـاب الله وسـنة رسوله ﷺ، مقتديا به في أقواله وأفعاله، وازنا لكل عمل يأتي به بميزان الكتـاب والسـنة) ويسـتدل -رحمه اللـه- لذلك بعمر ﷺ فإنه - مع كونه من كبار الأولياء، ومع كـون الرسـول ﷺ شـهد له بأنه من المحـدثين- فلم يكن يعتمد على ذلك بل كان دليله الكتاب والسنة في كل ما يعمل وما يـدع، (فكـان يشـاور الصـحابة رضي الله عنهم ويشـاورونه، ويـراجعهم ويراجعونـه، ويحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ويرجعـون إليهمـا) (ومن خالف هذا ممن يطلق عليه اسم الولي فليس من أولياء الله عز وجـل)[3] ولقد أحسن الإمـام الشـوكاني- رحمه

---

1 (?) البخاري كتاب الرقائق باب التواضع(11/340-341).

2 (?) الفتح (11/342).

3 (?) قطر الـولي على حـديث الـولي أو ولاية الله والطريق إليها للإمـام الشـوكاني-رحمه اللـه- تحقيق الـدكتور إبـراهيم إبـراهيم هلال طبع دار إحيـاء الـتراث العـربي بـيروت بـدون

الله- أيما إحسان عندما استشهد بحـال عمر ، فهو حقا من كبـار الأولـيـاء المقطـوع بـولايتهم بخـبر الصـادق وإجماع أهل السنة، وهو كـذلك مشـهود له بأنه محـدث، فإن كان هنـاك تحـديث أو كشف أوعلم لـدني يمكن أن يحصل عليه ولي من الأوليـــاء فعمر أولاهم بـــه، ومع ذلك ما خرج عن ظاهر الشريعة ولا احتج على قضية-أي قضية- بالإلهام أو التحديث أو الكشـف، وإنما كـان يحتج بالكتـاب والسـنة (بظـاهر الشـريعة) لـذلك فـإن النتيجة الحتمية هي أن (من خــالف هــذا ممن يطلق عليه اسم الولي فليس من أوليـاء الله عز وجـل) هكـذا يقـرر هـذا الإمــام الجليل الشــوكاني -رحمه الله - ويــبرز معــالم الولي عند أهل السنة رحمهم الله تعالى0

وهناك حديث ثان جـاء في صـفة الأوليـاء عن عمر قال: قال رسول الله : **$إن من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولاشهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله**) قالوا يارسول اللــه: فخبرنا من هم؟ قال: **$هم قـوم تحـابوا بـروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أمـوال يتعاطونوهـا، فوالله إن وجـــوههم لنـــور وإنهم لعلى نـــور، ولايخــافون إذا خــاف النــاس، ولا يحزنــون إذا حزن النـاس، وقرأهـذه الآية ألا إن أولـيـاء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون#**[1]

الولي عند الصوفية:

أما الولاية عند الصوفية فهي (قيام العبد بـالحق عند

تاريخ قسم الدراسة ص(75).

1 (?) رواه أبو داود وقــال شــيخنا: حسن لغــيره0 صــحيح الترغيب والترهيب (3/164) رقم (3026).

الفنـــاء عن نفسه)[1] أو هي: (عبـــارة عن تـــولي الحق سبحانه وتعالى عبدَه بظهور أسمائه وصفاته عليه علمــاً وعيناً وحالاً وأثرَ لذةٍ وتعرفـاً)[2]، والـولي هـو: كما قـال صاحب جواهر المعـاني: (وحقيقة الـولي أنه يُسـْلَب من جميع الصفات البشرية ويتحلَّى بـالأخلاق الإلهية ظـاهراً وباطناً)[3].

وحسبك بهذه التعريفات وضوحاً في الغلو في الولي عند الصوفية وإعطائه صفات الألوهية، ومادام كذلك فلا غرابة أن يُعْتَقَـــد فيهم تلك العقائد الباطلـــة، وســـيأتي تفصيل ذلك في الباب الثاني[4].

قيام الأولياء بأمر الكون:

وسبقت الإشارة إلى أن الصوفية قد أخذت عن غلاة الشيعة عقيدة التفـويض، أي أن الله فوَّض تصـريف أمر الكــــون إلى بعض أوليائـــــه، فهم القــــائمون بإدارته والتصــرف فيه وإعطـــاءٍ من شـــاءوا ومنعُ من شـــاءوا وإكرام من شاءوا وإهانة من شاءوا، وهم يتفــاوتون في ذلك كل بحسب مرتبته.

يقول التيجـاني في تعريف القطب: (اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقـــــاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً، حينما كان الـرب إلهـاً كـان هو خليفة في تصـريف الحكم وتنفيـذه في كل من عليه

---

1 (?) التعريفات للجرجاني ص (254).

2 (?) جمهرة الأولياء (1/98)، و(معجم مصطلحات الصوفية) لعبد المنعم حنفي ص (269)ـ بواسطة (تقـديس الأشـخاص في الفكر الصوفي (1/58).

3 (?) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي(1/58).

4 (?) الباب الثاني الفصل الأول ص (302).

ألوهية الله - تعـــالى - ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق، فلا يصل إلى الخلق شـيء كائنـاً ما كـان من الحق إلا بحكم القطب وتوليه ونيابته عن الحق في ذلك وتوصــــيله كل قسمة إلى محلهــــا، ثم قيامه في الوجــود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجــود جملة وتفصيلاً فترى الكون كله أشباحاً لا حركة لهـا، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً)[1].

وهــذا التعريف قد اشــتمل على تعريف الجرجــاني للقطب مما يـدل على تـواطئهم عليه، ويلخص ذلك كله أبو الحسن الشاذلي فيقــول: (لو كشف عن حقيقة ولي لَعُبِدَ لأن أوصافه من أوصـافه ونعوته من نعوتـه)[2] - أي نعوت الله تعالىوصفاته- وإنما حالَ دون عبادته كونُــه لم يكشف عن حقيقته، وبعدَ معرفةِ القطب لديهم يجدر بنا أن نتعرف على بقية مراتبهم، وكيفية رجوع الناس إليهم ورجوعهم إلى بعضهم البعض.

يقول الشيخ عمر القوتي: (فأعظم الأولياء " الغـوث " والثلاثة المختارون والسبعة، ثم العشرة ثم الأربعــون، ثم الســبعون، ثم الثلاثمائـــة، وهم البـــدلاء والأوتـــاد، والسبعون النقباء، والأربعون الخلفاء، والعشرة العلمـاء، والســبعة العرفــاء، والثلاثة أهل المكاشــفة، والغــوث- وأعني القطب _ عليهم مثل جبل قـاف، والأوتـاد مفـزع العامة، والنقبـاء مفـزع الأوتـاد والخلفـاء مفـزع النقبـاء، والعلماء مفزع الخلفاء و العرفـاء مفـزع العلمـاء، وأهل

---

1 (?) جواهر المعاني (2/89-90) بواسطة تقديس الأشـخاص (1/94).

2 (?) الطبقات الكبرى للشعراني (2/12).

المكاشفة مفزع العرفاء، والقطب مفزع الكل)[1].

بهـذا التعريف (للقطب) أو(الغـوث) وماله من مكانة وإمكانـات في الكـون يتضح لمـاذا توجه الصـوفية إليه، وسألوه ما يريدون، وتقربوا إليه بسائر أنواع القرب.

كما يتضح من النقل الثاني رُتَب الأولياء وتسلسـلهم، وأن كلاً منهم " مَفْــــزَع " -أي ملجأ ومعـــــاذ يلجأ إليه المحتاج ويعوذ به الخــائف ممن دونه-، وأما القطب فهو ملجأ الجميع ومعــاذهم، والــولي -كما يقــول المرسي- يستحق العبادة لأن صفاته مِن صفاته ونعوته مِن نعوته- أيّ من صــفات الله تعالىونعوته -وإنما حــالَ دون عبادته كونُه لم يُكشَف على حقيقته.

وبعد هـــذا التعريف الإجمـــالي للقطب ومعاونيه من الأوليـاء وتسلسـلهم حسب درجـاتهم؛ ينبغي أن نتعـرف على جملة من العقائد التفصـــــيلية في الأوليـــــاء وما يعتقدون فيهم من خصائص تؤهلهم لأن يُقَدَّسوا ويُتَقَرَّب منهم ويلتَجَــأ إليهم، ويطلب منهم كل ما يحتاجه عـــوام المسلمين من حاجاتهم الدنيوية والأخروية0

الاعتقـــاد الأول البـــاعث على القبورية: التصـــرف في الكـــون وامتلاك كلمة (كن):

أول تلك العقائد -الحاملة على تقـــــديس الأوليـــــاء والتوجه إليهم بطلب قضـــاء الحـــوائج- اعتقـــادهم أن الأوليــاء يتصــرفون في الكــون ويقولــون للشــيء كن فيكون، وقد سبق في تعريف القطب ما يدل على ذلك، ولكن أريد أن أضــيف إلى ذلك نقــولاً أخــرى تؤكد ذلك

---

1 (?) من كتاب الرماح (1/21) مع جـواهر المعـاني بواسـطة تقديس الأشخاص (1/98).

وتفصــله- فقد ادعى ذلك جماعة- فالشــعراني[1] يصف الشــيخ شــمس الــدين الحنفي بقولــه: (وهو أحد من أظهــره الله تعــالى إلى الوجــود، وصــرّفه في الكــون، ومكّنه في الأحوال، وأنطقه بالمغيبات، وخرَق له العوائد وقلب له الأعيان، وأظهر على يديه العجائب)[2].

وقالوا في وصف أحد شـيوخهم وهو الشـيخ عوضـه: (وقد أعطــاه الله الدرجة الكونية وهي لغة كن فيكــون)[3]، وبعضـهم يـدَّعيها لنفسه فيقـول: (إنَّ تصـريفي يصل حـتى إلى الجنـان وإن الحـور ما يفعلن شـيئاً إلا بـأمر مــني) ويقــول لمريــده: (إن كنت تعتقد أنّ البِس في جميع أقطــار الأرض يأكل الفــأر بغــير إذن مــني فما أحسنت الأدب معي)[4].

وليس الأمر مقصوراً على أحيائهم بل حتى أمــواتهم يتصــرفون في الكــون كــذلك: فقد حكــوا أن أربعة من الأولياء يتصرفون بعد موتهم كتصرفهم في حياتهم وهم:

1- معروف الكرخي. 2- عبدالقادر الجيلاني.

---

1 (?) عبد الوهاب بن أحمد الشعراني عالم مصري غلب عليه التصوف واسـتحوذ على تفكـيره فمَحَا أثـرَ العلم وزجَّ به في بحر الأوهــام والخرافــة، له الطبقــات الكــبرى في تــراجم الصـوفية من أكـبر المصـادر للتعـرف على هَـوَس الصـوفية وقبح مسالكهم توفي سـنة (973هــ) انظر ترجمته في هدية العارفين (5/641).

2 (?) طبقات الشعراني(2/81).

3 (?) (جواهر المعاني) للتيجـاني بواسـطة تقـديس الأشـخاص في الفكر الصوفي (1/135).

4 (?) (كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية) ص (179)ـ جمع وتـرتيب الحـبيب محسن بن عبدالله السـقاف، والقائل هو عبدالعزيز الدباغ.

3- عقيل المنبجي. 4- حيوة بن قيس الحراني. [1]

ولم يكتفـوا بحكاية ذلك عن أوليـائهم ولكنهم جعلـوا يؤصـلون ذلك ويسـتدلون له ويقنعـون به أتبـاعهم، فقد سئل أحمد التيجاني عن قول الشيخ عبدالقادر الجيلاني: (وأمري بـأمر الله إن قلت: كن يكن) ونحـوه من أقـوال القـــوم، فقـــال: (ذلك أن الله ملّكهم الخلافة العظمى، واسـتخلفهم على مملكته تفويضـاً عامـاً أن يفعلـوا في المملكة كل ما يريـــدون، ويملكهم الله كلمة التكـــوين متى قالوا للشيء كن كان من حينه فلا يستعصي عليهم شـيء في الوجـود) و اسـتدل على ذلك بقـول علي بن أبي طالب: (أنا مـبرق الـبروق ومرعد الرعـود ومحـرك الأفلاك ومـــدبرها. يريد بـــذلك أنه خليفة الله في جميع مملكته)[2].

ويقول إدريس بن الأربـاب[3]: (درجـات الأوليـاء على ثلاثة أقسام: عُليا ووسطى وصغرى: فالصغرى أن يطير في الهواء ويمشي على ظهر المـاء، وينطق بالمغيبـات، والوســـطى أن يعطيه الله الدرجة الكونية إذا قـــال للشيء كن فيكون، وهذا مقام دفع الله ولدي، والكـبرى وهـو درجة القطبانيـة)[4] وفي هـذا النص جعل القطب أعلى درجة ممن يقول للشيء كن فيكون.

الاعتقاد الثاني: الباعث على القبورية اعتقاد أن الولي يغيث من

---

1 (?) مرآة الجنان (3/420).

2 (?) جواهر المعاني (2/76-77) بواسطة تقديس الأشـخاص (1/135).

3 (?) مـترجم في طبقـات ابن ضـيف الله ص (49) كما في تقديس الأشخاص (1/71).

4 (?) المصدر السابق (1/71 - 72).

استغاث به ويعطي من دعاه:

وهـذه العقيـدة جـزء من العقيـدة الفاسـدة عقيـدة التصرف في الكون، ولكن الصوفية أعطوها حيزاً كبـيراً واعتنوا بها وأسبغوها وصفاً منفـرداً عما قبله على بعض أوليائهم.

يقـول عبـدالعزيز الـدباغ[1]: (رأيت وليـاً بلغ مقامـاً عظيمـاً وهو أنه يشـاهد المخلوقـات الناطقة والصـامتة والوحـــوش، والحشـــرات، والســـماوات، ونجومهـــا، و الأرضـين وكـرة العـالم بأسـرها تسـتمد منه، ويسـمع أصـــواتها وكلامها في لحظة واحـــدة، ويمد كل واحد بما يحتاجه، ويعطيه ما يصلحه من غـير أن يشـغله هـذا عن ذاك)[2].

وهذا الوصف لا يكاد يُبْقِي لله صـفة إلاّ أسـبغها على هـــذا الـــولي، خصوصـــاً المتعلقة بـــالإدراك و القيومية واستجابة الدعاء، فلا يسـتغرب بعد ذلك ممن سـمع من العـوام هـذا الكلام وصـدّقه أن يهـرع إلى هـذا الـولي للاستغاثة به وإنزال حاجته به.

وبنـــاءً على تمكن تلك العقيـــدة من نفوســـهم أو الإصـرار على غرسـها في نفـوس الأتبـاع والمريـدين، نجدهم يدعون النـاس إلى دعـائهم ويَعِـدُونهم باسـتجابة ذلك الدعاء.

يقـــول محمد الحنفي- وهو من أوليـــاء طبقـــات الشعراني: (من كانت له حاجة فليأت إلى قبري ويطلب

---

[1] (?) عبد العزيز بن مسعود من متصوفة المغرب توفي سـنة (1132هـ) انظر ترجمته في الأعلام (4/28).

[2] (?) الإبريز من كلام سـيدي عبد العزيــز، تــأليف أحمد بن المبارك، طبع المكتبة التوفيقية بدون تاريخ(ص442).

حاجته أقضيها، فإن ما بيني وبينكم غير ذراع من تـراب، وكل رجل يحجبه عن أصـــحابه ذراع من تـــراب فليس برجل)[1].

ويقول أحمد الفرغل -وهو كذلك من أوليـاء طبقـات الشعراني -: (أنا من المتصرفين في قبورهم من كـانت له حاجة فليأت إلى قبالة وجهي ويذكرها أقضيها لـه)[2]، وهم بـــذلك يبنـــون تلك العقائد على ما اكتســـبوه من الفلســـفة اليونانية الوثنية فهـــذا عبد المجيد الخـــاني النقشـبندي يقـول: (اعلم أيها الأخ المـؤمن أن الرابطة عبـارة عن ربط القلب بالشـيخ الكامـل، وحفظ صـورته بالخيال ولو عند غيبته أو بعد وفاته، ولها صور أهونها أن يتصور المريد صورة شيخه الكامل بين عينيـه، ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصـــورة، ولا يـــزال متوجهـــاً إليه بكليته حـــتى يحصل له الغيبة أو أثر الجـــذب... وهكـــذا يـــداوم على الرابطة حـــتى يفـــنى عن ذاته وصـــفاته في صورة الشيخ... فتربِّيه روحانيـــة الشـــيخ بعد ذلك إلى أن توصـــله إلى الله تعـــالى و لوكـــان أحـــدهم في المشـــرق والآخر في المغـــرب فبالرابطة يســـتفيض الأحيـــاء من الأمـــوات المتصـــرفين)[3]، وبعبـــارة أدق و أرصن وأكـــثر تقعيـــداً يقـــول الغـــزالي: (أما التقـــرب لمشـــاهد الأنبيـــاء والأئمة عليهم الصلاة والسلام فإن المقصود منه الزيارة والاســـتمداد من ســـؤال المغفـــرة وقضـــاء الحـــوائج من أرواح الأنبيـــاء والأئمة عليهم الصـــلاة والســـلام، والعبـــارة عن هـــذا الإمـــداد الشـــفاعة، وهـــذا يحصل من جهـــتين:

---

1 (?) الطبقات الكبرى (2/88).

2 (?) المصدر السابق (2/96).

3 (?) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (2/731).

الاستمداد من هذا الجـانب والإمـداد من الجـانب الآخـر، ولزيـــارة المشـــاهد أثر عظيم في هـــذين الركـــنين أما الاسـتمداد فهو بانصـراف همة صـاحب الحاجة باسـتيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كليةُ هِمَّتِه مستغرقةً في ذلـك، ويقبل بكليته على ذكـره و خُطُـوره بباله، وهــذه الحالة ســبب منبــه لــروح ذلك الشــفيع أو المزور حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منه)[1].

وهذا القول قد عزاه شـيخ الإسـلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- إلى الفلاسـفة ومن أخذ عنهم من متفلسـفة المسلمين وذكر منهم ابن سينا[2] وأبا حامد الغــزالي ثم قـال: (وهـذه الأحـوال هي من أصـول الشـرك وعبـادة الأصـنام وهي من المقـاييس الفاسـدة الـتي قـال بعض السـلف: " ما عُبِـدتِ الشـمس والقمر إلاّ بالمقـاييس " وهي من أقوال من يقول: "إن الدعاء إ نما تأثيره بكون النفس تتصرف في العالم لا بكــون الله يجيب الــداعي)[3].

الاعتقـــاد الثـــالث الحامل على القبورية: أن الله وكّل بقبـــور الأولياء ملائكة يقضون حوائج المستغيثين:

بعد رسوخ تلك العقائد الباطلة التي أشرنا إليها آنفاً، تــدرّج الأمر بــالقوم إلى ربط النــاس بقبــور أوليــائهم

---

1 (?) المظنـون به على غـير أهله ص (356) ضـمن رسـائل الإمــام الغــزالي، طبع دار الفكر للطباعة والنشر بــيروت، الطبعة الأولى (1419 هـــ - 1998 م) وينبغي الإطلاع على فصـلي الشـفاعة ص (349) وزيـارة القبـور ص (356) من هذا الكتاب كاملين0

2 (?) انظر ترجمته في الأعلام(2/241).

3 (?) الاستغاثة في الرد على البكري (2/413)

فاخترعوا لهم عقيـدة باطلة أخـرى هي: (أن الله تعـالى يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج وتارة يخرج الولي من قبره فيقضيها بنفسه)[1].

ومن الغـرائب حقـاً أن مثل هـذه الخرافـات تسـجّل في كتب العقائد، ولكن الغرابة تـزول عنـدما نعـرف أن عقيدة الأشـاعرة في الكرامـات غـير مسـتقيمة[2]، ولقد اسـتغلت الشـياطين هـذه العقيـدة المنحرفة فـوكَّلتْ ببعض أضـرحة المـوتى من يخـدمها من الجن، ويقضي بعض الحاجـات للزائـرين والمسـتغيثين بهم، إيهامـاً أن الذي فعل هو الولي أو الملك الموكل بقبره.

وقد سـجل شـيخ الإسـلام ابن تيمية هـذه الحقيقة حينما قال: (ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، سـواء كـان ذلك المخلـوق مسـلماً أو نصـرانياً أو مشركا، فيتصـور الشـيطان بصـورة ذلك المسـتغاث به، ويقضي حاجة ذلك المستغيث فيظن أنه ذلك الشـخص، أو هو ملك تصور على صـورته، وإنما هو شـيطان أضـله لما أشرك بالله، كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم المشـركين)[3]. ويؤكد ما قـرره شـيخ الإسـلام ما

---

1 (?) ذكر ذلك إبراهيم بن محمد الباجوري في شـرح جـوهرة التوحيد المســمى تحفة المريد ص (153)ــ طبع دار الكتب العلمية بـــيروت ط الأولى(1403 هـ-1983 م)وعزاها إلى الشعراني.

2 (?) انظر: للرد على ذلك كتاب النبوات لابن تيمية.

3 (?) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص (429) لشـــيخ الإســـلام ابن تيميـــة، تحقيق د. عبـــدالرحمن بن عبدالكريم اليحيى، طبع دار الفضـيلة ودار ابن حـزم، الطبعة الأولى (1420هـ-1999 م).

ذكـــره أحمد بن حسن العطـــاس[1] في قصة طويلة أن جنيـاً تلبس بـامرأة، ثم قـال: فحين بـدا وجه الحـبيب طـالبٍ من البـاب؛ نطق الجنّي إلى أن قـال: (وأنا من التسعة النفر الذين حضروا المَكْسَر في جَرْبِـكَ الفلاني، لما اهْتَــرَيْتَ وقلتَ ياســالم بن عمر يــاذخري، وَرَبَــدْنَا المكسر حَقَّكَ)[2]. فهـذا يثبت أن الجن يتمثلـون بـالولي والمستغاث به ويؤدون عنه ماطلب منه.

تلك هي أصـول العقائد الـتي بسـببها تعلَّق النــاس بالقبور وقدَّسوا أهلها، وهرعوا إليهم بأنواع من العبادات كالـذبح والنـذر، وعملـوا حولها ما لا يجـوز عمله إلا لله تعـــالى، كـــالطواف وحثو الـــتراب الـــذي حولها على الـرؤوس، وربما خلطـوه بشـرابهم وطعـامهم، وجعلـوا

---

1 (?)أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس من مشاهير السادة العلــــويين في القــــرن الثـــالث عشر وبداية الرابع عشر الهجريين، اشتهر بالعلم والولاية وتولى منصـبة آل العطـاس بحريضة. وهنـاك تضـارب كبـير بين مايُـذكَر من علمه وفقهه وبين مايجــده القــارىء في مجــاميع كلامه كتــذكير النــاس ومجمـوع محمد بن عـوض بافضل وبلخـير وغـيره، ففي تلك المجـاميع كلام لايعقل ولايليق أن ينسب لإنســان فيه صــلاح وليس بعـــالم فكيف بمن وصف بالاجتهـــاد والقطبية0 انظر ترجمته في: تاج الأعراس في مناقب الحـبيب القطب صـالح ابن عبدالله العطـــاس(1/713)، تـــأليف علي بن حســـين العطـــاس مكتبة ومطبعة منـــارة قـــدس، إندونيســـيا ط الأولىطبـع== سـنة (1368هـ-1949م) وترجمته المسـتقلة المسـماة " عقـود الألمـاس بمنـاقب شـيخ الطريقة وإمـام الحقيقة أحمد بن حسن العطاس " لعلوي بن طاهر الحداد0

2 (?) تذكير الناس تـأليف أبي بكر بن عبدالله العطـاس ص (153).ـ وقوله " اهـتريت " أي دعـوت، وقولـه" ربـدنا "أي سددنا الثقب الذي أحدثه الماء في الجرب.

الحلف بها آكد من الحلف بالله كما قرَّره غـــير واحـــد، منهم الإمـام الشـوكاني رحمه الله وغـيره، وأنزلـوا بها حاجـاتهم وقدَّموا الاسـتغاثة بها على الاسـتغاثة بالله في الشـدائد، وقد أعطـوا كلاً منها تخصصـاً في جـانب من الجـوانب، فمنها الـذي يـنزل الغيث، ومنها الـذي يعطي الولد، ومنها الـــذي يشـــفي المـــريض، إلى آخر تلك التخصصات.

وقد وقع بــذلك الشــرك الأكــبر، وفُعل عند القبور كثـير مما يفعل عند الأصـنام والأوثـان، كما صـرح بـذلك عـدد من العلمـاء فلا حـول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(2) **المطلب الخــامس: دور الصــوفية في نشر القبورية في الأمة:**

وبناءً على ما مر من عوامل وعلـل؛ظهـرت القبورية في العالم الإسـلامي، وعمّته من شـرقه إلى غربه ومن شـــماله إلى جنوبه، لا يســـتثنى من ذلك إلا المملكة العربية السـعودية منذ قيـام الدولة السـعودية بمناصـرة الإمـام المجـدد محمد بن عبـدالوهاب، فمنذ ذلك الحين وهي كلَّما حكمت جزءًا من الجزيرة العربية كان أول ما يعمله جنودها هو هدم معاقل الشرك ومظاهر القبورية، ثم توعية النـاس بفسـادها، ولقد امتدَّ نفوذها في فـترة مضت إلى الحرمين الشـريفين، فـأزالوا ما في مقابرها من مشـاهد وقبـاب وما في أحيائها من مـآثر وأنصـاب، ولكن لم يسـتمر ذلك بسـبب الحـرب الشرسة الـتي شنَّتْها عليها الدولة العثمانية بواسطة القوات المصـرية، وبمجـرد ما دخلت القـوات المصـرية أرض الحـرمين وعـادت تحت السـيطرة العثمانية شـرعت الحكومة

العثمانية بتعمــير تلك المشــاهد، وإعــادة تلك القبــاب والمواطن المقدسة لدى القبوريين إلى ما كـانت عليـه، وبقيت كـذلك حـتى جـاء دور الملك عبـدالعزيز بن عبد الـرحمن آل سـعود، فقـام المجاهـدون من جيوشه بعد فتح الحرمين للمـرة الأخـيرة بإزالة تلك الآثـار، فأراضي المملكة السـعودية في الـوقت الحاضر هي الوحيـدة السـالمة من آثـار ومظـاهر القبوريـة، وإلا فقد كـانت جميعها كسـائر بلاد المسـلمين الأخـرى سـواء في ذلك نجد وغيرها.

ولأجل أن يطلع القـارئ الكـريم على حجم القبورية في العالم الإسـلامي أنقل إليه ما كتبه الأخ الشـيخ علي بن بخيت الزهـراني في رسـالته " الانحرافـات العقدية والعلمية في القـــــرنين الثـــــالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة " وذلك أن ما سجّله -حفظه اللـه- هو المحصـلة الأخـيرة أو ما يقـرب من الأخـيرة لما وصـلت إليه الأمة من تـردٍّ في مهـاوي القبوريـة، و أعتـذر مقـدَّماً عن طـول هـذا النقل ولكن العـذر هو أنـني اعتبرته تلخيصـاً مفيـداً لمراجع متعـددة وتنسيقاً لما حوته تلك المصادر، لو أعرضت عنه وذهبت أبحث بحثاً جديـداً ربما لا أسـتطيع تقـديم ما أعـثر عليه بهذه الصيغة.

قال -حفظه الله- بعد ما ذكر عدداً كبيراً من القبـور المنسوبة للصحابة في أمـاكن مختلفـة: (وإذا تجاوزنا ما نسب إلى الصحابة من قبور، وغالبها مكذوب كما رأينـا، نجد أن ما نسب إلى من جاء بعدهم لا يكاد يحصـر، فقد بـني على كل قـبر يعتقد أنه لـولي، ولكن على طريقة الصـوفية في تحديد الأوليـاء الـتي يوضَـع فيها كثـيرٌ من

الــدجالين والمــارقين والمجــانين بجــانب أوليــاء الله الصالحين.

لقد كـانت عمـارة الأضـرحة والقبـاب على القبـور ظاهرة بارزة لتلك الفـترة الـتي ندرسـها ولم يكن يُعمر مسـجد أو جـامع إلا على ضـريح، وقلَّ أن يعمر مسـجد لغير ذلك[1]، ويذكر صــاحب الخطط التوفيقية علي باشا مبارك أن الموجود في زمنه في القاهرة وحـدها مائتـان وأربعة وتسعون ضريحاً.

ومن أشــهرها ضــريح الحســين، وضــريح الســيدة سكينة، وضريح السـيدة نفيسة، وضـريح السـيدة زينب، وضريح الإمام الشـافعي، وضـريح الليث بن سـعد، وكل هذه الأضرحة قد بني عليها جوامع ومساجد.

وتذكر الدكتورة سعاد ماهر أن الأضـرحة المشـهورة يزيد عددها في مصر على الألف0

ومن أشهر الأضرحة خارج القاهرة ما يسمى بضريح الســيد البــدوي في طنطــا، ولم تكن الأقطــار الأخــرى أحسن حـــالاً من القطر المصـــري، ففي الشـــام مثلاً عشرات من الأضـرحة والمـزارات المشـهورة، وقد ذكر القايـاتي الأضــرحة الـتي زارها فبلغت أكـثر من أربعين ضريحاً، وقد ذكرنا بعضاً منها.

وقد ذكر عبدالرحمن بك سامي الذي قام بزيارة إلى الشـام عـام 1890م الـترب والأضـرحة والمـزارات في دمشق وضواحيها فبلغت مائة وأربعة وتسـعين موضـعاً، أما نعمان قسطالي فقد عد فيها أكثر من أربعة وأربعين ضــريحاً، وهــذه هي المشــهورة منها وذكر أن للصــحابة

---

[1] (?) أقــول يظهر أن الشــيخ قد بــالغ في هــذا الحكم بعض المبالغة.

أكثر من سبعة وعشرين قبراً، لكل واحد منها قبة ويـزار ويَتَبَرَّك به.

وفي الآســتانة عاصــمة الســلطنة العثمانية يوجد أربعمائة وواحد وثمانون جامعـاً لا يكـاد يخلو جـامع فيها من ضريح.

وفي الهند يوجد أكـثر من مائة وخمسـين ضـريحاً ما تــزال موجــودة إلى يومنا هــذا- كما ذكر أحد البــاحثين- وهذه هي الأضرحة الكبيرة المشهورة التي يؤمها الآلاف من الناس.

وفي بغداد كان يوجد أكثر من مائة وخمسين جامعــاً في أوائل القـــرن الرابع عشر الهجـــري، وقل أن يخلو جامع منها من ضريح.

وفي الموصل يوجد أكثر من سـتة وسـبعين ضـريحاً مشهوراً كلها داخل جوامع.

وهــذا كله بالنســبة إلى الجوامع أما المســاجد. وهي الـــــتي لا تقـــــام فيها الجمعة- فهي تزيد على الجوامع أضعافاً مضـاعفة ولم يكن يخلو مسـجد منها من ضـريح إلا في النادر القليل وهنـاك أيضـاً الأضـرحة الـتي تكـون في الزوايا والتكايا، وهنـاك أيضـاً الأضـرحة المكشـوفة التي لم يبنَ عليها جوامع أو مساجد، وتلك كثيرة أيضاً.

ولا تخلو مدينة من المــدن في تلك الفــترة من تلك الأضرحة على مستوى العالم الإسلامي كلــه، بل لم يعد البنــاء على القبــور قربة عند هــؤلاء فحســب، بل صــار ميــداناً فســيحاً للتنــافس بين البلــدان، والتفــاخر بتلك الأضــرحة، وبمقــدار ما يحــوز البلد من أضــرحة الأوليــاء تكون أفضليته عند الناس ويرغب في سكناه والمجاورة فيه، وإذا افتُرِض أن هناك بلداً لم يتشرف بحيازة شيء

من هــذه الأضــرحة، فإنه لا يعــدم من أهله من يختلق أكذوبة وإشـــاعة يـــدعي فيها أنه رأى رؤيا أن المكـــان الفلاني من البلد يوجد به قبر لولي من الأولياء، فيسارع النـاس إلى البنـاء على ذلك الموضع المزعـوم، وإذا به يغدو بعد أيام قلائل مزاراً يهرع إليه أهل البلد)[1].

فهذه الجولة التي قام بها الشيخ الزهراني جزاه الله خـيراً تعطينا صـورة واضـحة عما وصـلت إليه الأمة من تردٍّ في أوحال القبوريـة، وعما قـذفها به دعـاة القبورية من سموم ناقعة، نشرت في جسدها هذا الداء إلى هذه الدرجة، وهو وإن لم يَحصُر بلاد العالم الإسـلامي، إلا أن ما لم يُذكر ينبغي أن يقاس على ما ذُكِـر، فالـدعوة إلى القبورية في كل مكان بنفس القـوة. وقبـول النـاس لها بنفس الدرجة. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(2) النتائج المترتبة على تلك المظـاهر انتشـار الشـرك بالله تعالى بأنواعه المختلفة:

إن المشاهد والقباب والمسـاجد المبنية على القبـور ليست شركاً في ذاتها ولكنها وسائل للشـرك، وقد أدت إلى الأهداف التي أنشئت من أجلها، وآتت ثمارها وظهر الشرك بالله تعالى بشـكل لافت للنظر، منـذر بـالخطر، مفــزع لكل غيــور على نقــاء العقيــدة وصــفاء التوحيد، ومفـرح لكل شـامت ومـتربص بالإسـلام وأهلـه، وهـذه نمــاذج أخــرى مما ذكــره علمــاء المســلمين من بلاد

---

[1] (?) الانحرافـات العقدية والعلمية في القـرنين الثـالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حيـاة الأمة (1/295-298)ـــ تـــأليف علي بن بخيت الزهـــراني طبع دار طيبة مكة المكرمة ودار آل عمـار الشـارقة ط الثانية سـنة (1418هـ-1998م).

متفرقة من بلاد الإسلام تُصَوِّر لنا مدى الانحـراف الـذي وصـلت إليه الأمة في عقيـدتها وفي توحيـدها بشـكل خاص.

يقول العلامة أبو الحسن الندوي -رحمه الله تعـالى - في ترجمتة لشـيخ الإسـلام ابن تيمية -رحمه الله - من كتابه (رجال الفكر والدعوة): (كانت العقائد الشركية قد نـالت رواجـاً بين عامة المسـلمين بسـبب اختلاطهم مع أصناف من المشركين، ونفـوذ الدولة الفاطمية الباطنية الإسـماعيلية وانتشـار الصـوفية، فكـانوا يحملـون من العقائد الشـركية في الأوليـاء والصـالحين والمشـايخ ماكـان يعتقـده اليهـود والنصـارى والمشـركون، من الطواف حـول القبـور والاستغاثة بأصحابها والحج إليها وبنـاء المسـاجد الفخمة عليها وعقد المهرجانـات عليها عامـاً مقاماً[1] والنـذور للقبـور، وقد عمَّتْ وطمَّتْ هـذه العقائد إلى أن جعلـــوا الميت كالإله والشـــيخ الحي كالنبي، وكانوا قد عزلوا الله تعالى عن أن يتخـذوه إلهـاً وعزلوا النبي ﷺ عن أن يكون رسـولاً، وارتكبـوا ما كـان محضَ دينِ المشركين والنصارى، وقد وصلوا في عبـادة القبور والسجود لها ودعـاء أصحابها وجعل القبـور قبلة وكعبة إلى حدٍّ كان هؤلاء القبوريون المشـركون بـالقبور يجدون عند عبـادة القبـور من الرقة والخشـوع والـدعاء وحضور القلب ما لم يجده أحدهم في مساجد الله. إلى أن كـان الفسـقة الفجـرة أصحاب الكبـائر من هـؤلاء القبورية لا يتحاشـون الكبـائر. ولكن إذا رأوا الميت أو الهلال فـوق رأس قبة القـبر المعبـود خشـوا من فعل الفواحش، فيخشـون المـدفون تحت الهلال ولا يخشـون

1 (?) كذا في الأصل.

خالق الأكوان، وكانوا يحلفون بالله بالكـذب ولا يحلفـون بالميت كذباً، فكانوا في الشرك كما كـان قـوم إبـراهيم حيث قـــال لهم: **﴿وكيف أخـــاف ما أشـــركتم ولا تخـــافون أنكم أشـــركتم بالله ما لم يـــنزل به عليكم سلطاناً﴾** (الأنعام) (81).

وكان بعضهم يفضل شيخه على الأنبيـاء والمرسـلين ويعتقد فيه الإلهية كالنصارى إلى غير ذلك من الكفريات والشركيات التي تدل على أن القبورية الوثنية قد عمت العباد وطمت البلاد إلا من شاء الله)[1].

وهـذا وصف شـامل لما وصل إليه حـال الأمة لَخَّصه العلامة عبـداللطيف بن عبـدالرحمن آل الشـيخ -رحمه اللـه- في كتابه " منهـاج التأسـيس في كشف شـبهات داود بن جـرجيس " فقـال: (ونـذكر لك هنا طرفـاً من معتقد عباد القبـور والصـالحين، وحقيقة ما هم عليه من الدين ليعلم الواقف عليه أي الفـريقين أحق بـالأمن، إن كـــان الواقف ممن اختصه الله تعـــالى بالفضل والمن، ولئلا يلتبس الأمر بتسـميتهم لكفـرهم ومحـالهم تشـفعاً وتوســـلاً واســـتظهاراً، مع ما في التســـمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق.

ومن ذلك محبتهم مع الله محبة تأله وخضوع ورجاء، ودعــاؤهم مع الله في المهمـات والملمـات والحـوادث الـتي لا يكشـفها ولا يجيب الـدعاء فيها إلا فـاطر الأرض والسماوات، والعكوف حـول أجـداثهم، وتقبيل أعتـابهم، والتمسح بآثـارهم؛ طلبـاً للغـوث، واسـتجابة الـدعوات وإظهـاراً للفاقـة، وإبـداءاً للفقر والضـراعة، واسـتنزالاً للغـــوث والأمطـــار، وطلب الســـلامة من شـــدائد الـــبرّ

---

1 (?) جهود الحنفية (1/477-478).

والبحار. وسؤالهم تزويجهم الأرامل و الأيـامى. واللطف بالضـعفاء واليتـامى. والاعتمـاد عليهم في المطـالب العالية، وتأهيلهم المغفرة للـذنوب والنجـاة من الهاويـة، وإعطاء تلك المـراتب السـامية. وجمـاهيرهم -لَمَّا ألفت ذلك طباعهم وفسدت به فطـرهم. وعز عنه امتنـاعهم - لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى والإنابة إليه، بل ليس لـذلك عنـدهم إلا الـولي الفلاني ومشـهد الشـيخ فلان. حـتى جعلـوا الـذهاب إلى المشـاهد عوضـاً عن الخـروج للاستسـقاء والإنابة إلى الله في كشف الشـدائد والبلـوى. كل هـذا رأيناه وسمعناه عنهم.

وقد حدَّث الشيخ مصطفى البولاقي أن بعض رؤساء الجـامع الأزهر عـادَهُ لَمَّا اشـتكى عينيه، وقـال له: هلا ذهبت إلى مولد الشـيخ أحمد البـدوي؟ فقد حُكِي أن إنساناً شـكا إليه ذهـاب بصـره، فسـمع قـائلاً يقـول من الضريح: أعطوه عين كذا وكذا، فانظر إلى ما خطر ببال هـذا المتكلم من تعظيم هـذا الميت وتأهيله لتلك المطـالب الـتي لا يقـدر عليها إلا الله القـاهر الغـالب، وقصد الوسـاطة هنا على ما فيها ما أظنها تخطر بباله أصـلاً0 فهل سـمعت عن جاهلية العـرب مثل هـذه الغـرائب الـتي ينتهي عنـدها العجب؟ والكلام مع ذكي القلب يقظ الذهن قوي الهمة العارف بالحقـائق ومن لا ترضى نفسه بحضـيض التقليد في أصـول الـديانات والتوحيـد، وأما ميت القلب بليد الـذهن وضِـيع النفس جامد القريحة ومن لا تفـارق همته التشـبث بأذيـال التقليد، والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان من معتقد أهل المقابر والتنديد، فـذاك فاسد الفطـرة معتل

المزاج. وخطابه محض عناء و لجاج.

ومما بلغنا عن بعض علمـاء زبيـد: أن رجلين قصـدا الطائف، فقال أحدهما لصـاحبه- المسـئول ممن يترشح للعلم -: أهل الطائف لا يعرفون اللـه، إنما يعرفـون ابن عبـاس. فأجابه: بـأن معـرفتهم لابن عبـاس كافية لأنه يعرف الله. فـأي ملة -صـان الله ملة الإسـلام- لا تمـانع هـذه الكفريـات ولا تـدافعها؟! وذكر الزبيـدي أيضـاً أن رجلاً كـان بمكة عند بعض المشـاهد، قـال لمن عنـده، أريد الـذهاب إلى الطـواف، فقـال بعض غلاتهم: مقامك هاهنا أكرم.

ومن وقف على كتـــاب منـــاقب الأربعة المعبـــودين بمصر - وهم البــدوي و الرفـاعي و الدســوقي ورابعهم فيما أظن أبو العلاء - فقد وقف على ســاحل كفـــرهم، وعرف صفة إفكهم.

وبلغنا عن بعض الثقـــات أن جماعة من المـــدعين للعلم بزبيد كـانوا يقرأون صـحيح البخـاري، فـإذا فرغـوا منه - إما أحياناً وإما مطلقاً - ذهبوا إلى قـبر البحـيرة أو غـــيره، فوقفـــوا عـــاكفين - ما شـــاء الله - وعليهم من السكينة والوقار وضروب الخضوع لنـازل الحفـرة. قـال من نقلـــه: فالله أعلم أهو شي ء وجـــدوه في صـــحيح البخاري أو غيره أو ما هو؟

قال: رأيت في حاشية الشيخ إبراهيم الباجوري على السنوسـية نقلاً عن الـدردير فيما أظن عن الشـعراني: أن الله وكل بقبر كل ولي ملكـاً يقضي حاجة من سـأل ذلك الولي.

فقف هنا وانظر ما آل إليه شـــركهم وإفكهم، فـــأين هذا من قوله تعالى: ﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني**

قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان﴾[1]، وقوله: ﴿**ادعوا ربكم تضرعاً وخفيةً**﴾[2]، وقوله: ﴿**فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب** ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**أمّن يجيب المضطر إذا دعاه**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**﴾[5]، وأي حجة في هذا الذي قال الشعراني لو كانوا يعلمون؟ ولكن القوم أصابهم داء الأمم قبلهم، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين 0

ومن هذا الجنس ما ذكره الشعراني في ترجمة الملقب شمس الدين الحنفي أنه قال: (في مرض موته: من كانت له حاجة فليأت قبري ويطلب مني أن أقضيها له فإنما بيني وبينه ذراع من تراب. وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل) انتهى.

وقد اجتمع جماعة من الموحدين من أهل الإسلام في بيت رجل من أهل مصر وبقربه رجل يدعي العلم فأرسل إليه صاحب البيت فسأله بمسمع من الحاضرين فقال له: (كم يتصرف في الكون؟ فقال يا سيدي سبعة، قال: من هم؟ قال: فلان وفلان وعدّ أربعة من المعبودين بمصر. فقال صاحب الدار لمن بحضرته من الموحدين: إنما بعثت لهذا الرجل وسألته لأعرفكم قدر ماأنتم فيه من نعمة الإسلام). أو كلاماً نحو هذا.

---

1 (?) البقرة (186).
2 (?) الأعراف (55).
3 (?) الشرح (7-8).
4 (?) النمل(62).
5 (?) غافر (60).

وبـاب تصـرف المشـايخ في الكـون قد اتسع خرقه حتى سلكه جمهور من يدعي الإسلام من أهل البسـيطة 0وقد هلك في بحـاره أكـثر من سـكن الغـبراء وأظلته المحيطة حـــــتى نسي القصد الأول من التشـــــفع والوسـاطة. فلا يعـرج عليه عنـدهم إلا من نسي عهـود الحمى. وقد ذكر هذا شيخ الإسـلام في منهاجه عن غلاة الرافضة في علي. فعـــاد الأمر إلى الشـــرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير، ولم يبلغ شرك الجاهلية الأولى إلى هذه الغاية بل ذكر الله جل ذكـره أنهم يعـترفون له بتوحيد الربوبية ويقرون به، ولـذلك احتج عليهم في غـير موضع من كتابه بما أقـروا به من الربوبية والتـدبير على ما أنكروه من الإلهية.

ومن ذلك - وهو من عجيب أمرهم - ما ذكره حسين بن محمد النعمي اليمـني في بعض رسـائله: أن امـرأة كُفَّ بصرها فنادت وليها: أمَّا الله فقد صنع ما تـرى، ولم يبق إلا حسبك0 انتهى.

وحدثني سعد بن عبدالله بن سرور الهاشمي -رحمه اللـــه- أن بعض المغاربة قـــدموا مصر يريـــدون الحج، فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسـين بالقـاهرة فاسـتقبلوا القـبر وأحرمـوا ووقفـوا وركعـوا وسـجدوا لصـاحب القـبر حـتى أنكر عليهم سـدنة المشـهد وبعض الحاضـرين، فقـالوا: (هـذا محبة في سـيدنا الحسـين) وذكر بعض المـؤلفين من أهل اليمن أن مثل هـذا واقع عندهم.

وقد حدثني الشيخ خليل الرشيدي بالجامع الأزهر أن بعض أعيـــان المدرســـين هنـــاك قـــال: لا يدَق وتد في القاهرة إلا بـإذن السـيد أحمد البـدوي، قـال: فقلت لـه:

هذا لا يكـون إلاّ لله أو كلامـاً نحو هـذا فقـال: حـبي في سيدي البدوي اقتضى هذا.

وحكي أن رجلاً سـأل الآخــر: كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني؟ فقال: لم أرَ أكـثر منه إلا في جبل عرفــات، إلا إني لم أرهم ســجدوا لله ســجدة قط ولا صلوا مدة ثلاثة الأيام فقال السـائل: قد تحمَّلَها الشـيخ، قال بعض الأفاضل: وباب تحمُّلِ الشيخ مصراعاه ما بين بصرى وعدن، قد اتسع خرقه، وتتابع فتقه، ونال رشاش زقّومه الزائر المعتقد، وساكن البلد. انتهى.

وقد اشــــتهر ما يقع من الســــجود على أعتـــــاب المشــــاهد- وقصد التــــبرك مع ما فيه -لا يمنع حقيقة العبـادة الصـورية، ومن المعـروف عنهم شـراء الولـدان من الـولي بشـيء معين، يبقى رسـماً جاريـاً يـؤدّى كل عـــام، وإن كـــانت امـــرأة فمهرها أو نصف مهرها لأنها مشتراة منه. ولا يماري في هذا إلاّ مكابر. لأنه استفاض واشـتهر. فلا ينكـره إلا مكـابر في الحسـيات. وإن فقد بعض أنواعه في بعض البلاد فكم له من نظـــائر، وهـــذا أشد وأشنع مما ذكر جل ذكره عن جاهلية العرب بقوله: ﴿**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصــيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهـذا لشـركائنا**﴾ الآية[1]. وكـذلك جعل السـوائب باسم الـولي لا يحمَـل عليها ولا تـذبَح، وسـوق الهـدايا والقـرابين إلى مشـاهد الأوليـاء وذبحها حباً للشيخ وتقرباً إليـه. وهـذا وإن ذكر اسم الله عليه فهو أشدّ تحريمــــــاً مما ذَبَحَ للحمِ وذكر عليه اسم غير الله كعيسى مثلاً 0فإن الشرك في العبادة أكـبر من الشرك بالاستعانة.

---

1 (?) الأنعام (136).

ومن ذلك تــركُ الأشــجار والكلأ والعشب إذا كــان بقرب المشهد وجعله حرماً له ومنها الحج إلى المشاهد في أوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله فيطوفون حول الضريح ويستغيثون ويهـدون لصـاحب القـبر ويـذبحون، وبعض مشايخهم يــأمر الزائر بحلق رأسه إذا فــرغ من الزيارة.

وقد صـنف بعض غلاتهم كتابـاً سـماه حج المشـاهد وهو متــــــداول. ومنها التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من أهل القبــور فيصــلون عشــية عرفة عند القــبر خاضـعين سـائلين. والعــراق فيه من ذلك الحظ الأكبر والنصيب الأوفر. بل فيه البحر الـذي لا سـاحل له و المَهَامَـة الـتي لا ينجو سـالكها - ولا يكاد- ومِنْ نَحْـوِه درَجَ الكفر وظهر الشـرك والفسـاد كما يعـرف ذلك من له إلمام بالتاريخ ومبدأ الحوادث في الـدين، ومن شـاهد ما يقع منهم - عند مشـــــهد الحســـين ومشـــــهد علي والكاظم عند رافضتهم وعبـدالقادر والحسن البصـري و الزبـــير وأمثـــالهم عند ســـنييهم من العبـــادات وطلب العطايا و المواهب والتصرفات وأنـواع الموبقـات - علم أنهم من أجهل الخلق وأضـــــــلهم، وأنهم في غاية من الكفر والشــــرك، ما وصل إليها من قبلهم ممن ينتسب إلى الإســـلام. والله المســـؤول أن ينصر دينـــه، ويعلي كلمته بمحو هــذه الأوثــان، حــتى يعبد وحــده، فتســلم الوجوه له، وتعود البيضاء كما كانت ليلها كنهارها.

ومن ذلك - وإن كـــان يعلم مما تقـــــدم -: اتخاذها أعياداً ومواسـم، مضـاهاة لما شـرعه الله ورسـوله من الأعياد المكانية والزمانية.

ومنها: ما يقع ويجـــري في هـــذه الاجتماعـــات من

الفجـور والفـواحش، وتـرك الصـلوات وفعل الخلاعـات الـــتي هي في الحقيقة خلع لربقة الـــدين والتكليف؛ ومشابهة لما يقع في أعياد النصارى والصـابئة والإفـرنج ببلاد فرنسا وغيرها من الفجـــور والطبـــول والزمـــور والخمور.

وبالجملة فما أحدثه عبـــاد القبـــور يعز حصـــره واستيفاؤه) انتهى[1]

قلت: لقد أطلْتُ النقـل، وكـان عن عبد اللطيف آل الشـيخ من أحفـاد محمد بن عبد الوهـاب وقد لا يرضـاه البعض ويقـول إنه متحامل على عمـوم المسـلمين، وأنا قد نقلت قبله عن العلامة النـدوي وهو داعية مشـهور لا تتطـــرق إليه شـــبهة الوهابية بل إن لبعض علمـــاء نجد مؤاخـذات عليه -رحمه اللـه- وكـذلك أحيل القـارئ على الشيخ شمس الدين السلفي الأفغـاني -رحمه اللـه- في كتابه الكبــير "جهــود علمــاء الحنفية في إبطــال عقائد القبورية "(1/ 447 ـ 480) حيث نقل شهادات العلماء من شــرق الأرض و غربهــا، وســهولها وجبالهــا، وقراها ومـــدنها، وبلادها وعبادهـــا، و هنـــدها و أفغانهـــا، وتُركها ورومها وما وراء نهرها، ومصرها و شامها ونحوهــا: برّها وبحرها، نقل عن هذه البلاد جميعها ما قاله العلمـاء عما فيها من آثار القبورية من انحـراف في العقائـد، وشـرك بالله بصـــور مختلفـــة، وختم ذلك كله بشـــهادة داعٍ من دعاة القبورية شهد على نفسه وقومه بما شهد به دعاة

---

[1] (?) منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس ص (50-55)للعلامة عبـــداللطيف بن عبـــدالرحمن بن حسن آل الشـــيخ، طبع دار الهداية للطبع والنشر والترجمـــة، الطبعة الثانية (1407هـ-1987م).

التوحيد والسنة، ذلك هو أحمد الصديق الغماري صـاحب كتاب (إحياء المقبـور من أدلة اسـتحباب بنـاء المسـاجد والقبـاب على القبـور) حيث قـال في كتابه ذلـك: (إن كثيراً من العوام بالمغرب ينطقـون بما هو كفر في حق الشـيخ عبـدالقادر الجيلاني (ت561هـ) وكـذلك نـرى بعضهم يفعل ذلك مع من يعتقده من الأحياء، فيسجد له ويقبل الأرض بين يديه في حال سجوده ويطلب منه في تلك الحـال الشـفاء والغـنى والذرية ونحو ذلك مما لا يطلب إلا من الله تعالى.

وإن عندنا بـالمغرب من يقـول في ابن مشـيش (ت 662 هـ): إنه الـذي خلقَ الابنَ والـدنيا ومنهم من قـال- والمطر نـازل بشـدة -: يا مولانا عبدالسـلام! ألطف بعبادك. فهذا كفر)[1]، فهـذه هي آثـار القبورية في الأمة فهل آن الأوان لأن يقوم الغيـورون على دين الله قومـةً واحدةً لتصحيح هذا الانحراف وإزالة هذه الآثار المـدمرة أرجو ذلك والله المستعان.

---

1 (?) جهـود علمـاء الحنفية (1/479-480) نقلاً عن إحيـاء المقبور للغماري ص (21 -22).

المبحث الثالث: مساهمة السلاطين في نشر القبورية في الأمة المحمدية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: لمحة سـريعة عن قبورية السلاطين عبر التاريخ:

لقد كان تعظيم القبور والمباهاة بتشـييدها وتفخيمها ملازمـا للسـلاطين من فجر التـاريخ، ولو نظرنا إلى الأهرامـات وهي من أقـدم الآثـار الباقية في العـالم لوجـدناها إنما كـانت مقـابر للفراعنة أشـادوها لـدفن ملـوكهم وأفـراد أسـرهم المالكة بنـاءاً على اعتقـادات خاصة بهم، وكـانوا يـدفنون الميت مع كامل مقتنياته الشخصـية في تلك المقـابر، ولم تقتصر مقـابرهم على الأهـرام ولكنها وجـدت في أمـاكن متعـددة من أرض مصـر، ومن دخل المتحف المصـري عـرف بحق كيف كانت مقابرهم وما هي عليه من العظمة والفخامة.

ولقد حدثنا القرآن الكـريم عن نزعة السـلاطين نحو القبورية في قصة أهل الكهف بعد أن عُـثر عليهم وعـرفت حقيقة حـالهم، عند ذلك قـرر السـلاطين بنـاء مسجد على موضع رقودهم ومحل قبورهم قـال تعـالى: **﴿قال الذين غلبـوا على أمـرهم لنتخـذن عليهم مسجداً﴾**[1].

ثم نطـوي الأيـام إلى أن نصل إلى القـرن الثـالث أو الرابع الميلادي، حين حـرّف دين النصـارى وتـدخل السـلطان في ذلك ونصر طائفة منهم على الآخـرين،

---

1 (?) الكهف (21).

عند ذلك قــام الملك قســطنطين ببنــاء بيت لحم على محل مولد المســيح، وبنت أمه هيلانة القمامة[1] يعــني على قبر المصلوب، وهم يسـلمون لليهـود أنه المسـيح، وصوروا الكنائس ولم تكن مصـورة من قبـل)[2]، وهكـذا في كل عصر نجد النمــاذج على ذلك حــتى إذا انقضت القــرون المفضــلة من حيــاة الأمة الإســلامية عــادت السلاطين إلى سنة مَن قبلهم، فأخذوا بها وزادوا عليهـا، فأول قبر أقيم عليه بناء مستقل هو من قبور السلاطين حيث كـان ذلك القـبر قـبر الخليفة العباسي المنتصر بن المتوكل الذي توفي سـنة (248هـ)، وكـان إبـراز قـبره والبنــــاء عليه بطلب من أمه الرومية الأصل، وبموافقة خليفة العصر[3]، وبــنيت عليه قبة يكــاد مؤرخو الآثــار يعتبرونها أقدم قبة باقية إلى الآن في التاريخ الإسلامي، ودُفن فيها إلى جــانب المنتصر الخليفتــان المعــتز (ت 255ه) والمهتدي (ت256ه)[4]،

وكـان الخلفـاء قبل ذلك تُـدفن في قصـورها خوفـاً عليهم من تقلبات الزمن، ويلي تلك القبة ضـريح الأمـير إسـماعيل السـاماني أحد أمـراء الدولة السـامانية الـتي حكمت سـمرقند من (261-389ه) وكـان بنـاء الضـريح سنة (296 هـ)[5].

---

1 (?) كنيسة معروفة في فلسطين منسوبة إلى بانيتها. انظر: القاموس ص (1486).

2 (?) ابن كثير البداية والنهاية (2/101).

3 (?) الطبري في تاريخ الأمم والملوك، طبعة جديـدة ومنقحة ومفهرسة طبع دار الفكر (1399 هـ-1979م) حوادث سنة (148).

4 (?) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون(1/46).

5 (?) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (1/46).

وحينما آلت السلطة إلى غلاة الرافضة والباطنية زاد الأمر تفاقمـا، ذلك أنه جُمع بين العقائد المنحرفة الغالية وعظمة السلطان وحب تقديس الذات والأهل، فكان ما سـبقت الإشـارة إليه من أعمـال البويهـيين، وخصوصـاً عضد الدولة الـذي لم يسـبقه أحد إلى إنشـاء العمـائر الفخمة على مراقد الأئمـة، ومنها قـبر أمـير المؤمـنين علي الذي أنشأ لنفسه تربة بجواره وأوصى أن يـدفن فيها وبالفعل دفن هناك[1]، وأما الفاطميون فلهم القـدح المعلى من ذلـك، سـواءً فيما يتعلق بأنفسـهم أو بأئمة أهل البيت أو حتى بالقبور الوهمية التي كـانوا يظهرونها للناس ويقدسونها ويطلبون من الناس تقديسـها وقد مر ذلك[2]، وحينما عـادت السـلطة إلى أهل السـنة لم يعُـدْ السـلاطين علمـاء متبعين لمنهج السـلف الصـالح النقي النظيف كما كـان الحـال عليه في القـرون المفضـلة، وإنما عاد السلاطين جهلة بالشرع في الأغلب أو تـابعين لمنـاهج منحرفة أخـذوها عمن حـولهم من المتصـدرين للعلم والتوجيه الديني من متصـوفة ونحـوهم، بالإضـافة إلى الجو العـــام الـــذي قد طبعه الرافضة والباطنية بطابعهم وتركـوا آثـار قبـوريتهم معـالم يقتـدي بهم فيها سـلاطين أهل السـنة، وبالفعل كـان الأمر كـذلك، وكلما كان السلطان أقـرب إلى الصـلاح كـان أكـثر إيغـالاً في القبورية في كثـير من الأحيـان، احتسـاباً للأجر والثـواب كما يوهمه من حوله من شيوخ الطـرق الصـوفية، فهـذا الوزير (نظام المُلك) من أفضل الـوزراء، أثـنى عليه كل المـؤرخين الـذين ترجمـوا له ولكنه حينما كـان رفقـاؤه

1 (?) موسوعة العتبات (قسم النجف) (6/195).
2 (?) في هذا الفصل المبحث الأول (176).

والغـالبون على مجلسه من المتصـوفة كـان من أكـثر الـوزراء تأسيسـاً للقبورية في ديـار أهل السـنة، ففي عهـده أُنشـئت القبة على قـبر أبي حنيفة -رحمه الله - وهو الذي خاطب الخليفة الفاطمي المعاصر له أن ينقل إليه جثمـان الإمـام الشـافعي- رحمه الله -ليبـني عليه مشهداً في بغداد ولكن لم يتم ذلك.

ثم جـــاءت الدولة الزنكية والأيوبية فوسَّـــعت الأمر توســيعاً مــذهلاً كما تــراه في (الــدارس في تــاريخ المـدارس) للنعيمي (والخطـط) للمقريـزي و(مسـاجد مصر وأولياؤها الصالحون) للـدكتورة سـعاد مـاهر. وهم قد عملوا في ذلك على خطين متـوازيين فهنـاك الـترب الخاصة بهم وبمن يلوذ بهم من الأتباع وأعيـان القصـور، وتبعهم في ذلك ولاتهم وقـــادتهم ووزراؤهم. وهنـــاك مشاهد الأئمة ومشايخ الطـرق الـذين أحيـوهم فقدسـوا قبورهم، ولم يكتفوا بالترب المفضـلة، فهنـاك قبـور في الأربطة و الخوانق، وهنـاك قبـور في المـدارس، وهنـاك في المســاجد أو بجوارها وكل ذلك تجــده في المراجع المشار إليها.

وجـــاء المماليك بقســـميهم الشراكسة و البرجية فـأتموا ما بـدأ سـلفهم وزادوا عليه ووسـعوه توسـيعاً زائداً[1] حتى وصل أثرهم إلى الحجاز واليمن وغيرها من البلاد التي شملها حكمهم.

وعلى نفس النمط ســار العثمـــانيون فأشـــادوا

[1] (?) انظر: الخطط المقريزية في عـدة مواضـع، ومسـاجد مصر وأولياؤها الصالحون في الجزئين الخاصين بالمماليك، و خانقاوات الصـــوفية في مصر في العصـــريين الأيـــوبي والمملوكي.

لأنفسهم المشاهد والأضرحة الضخمة ولأسـرهم كـذلك، كما أشـادوا المشـاهد في جهـات كثـيرة شـملها حكمهم الطويل العـــريض من أوروبا وأفريقيـــا، حـــتى شـــملت مشـاهد أئمة الشـيعة وهكـذا الـدول المعاصـرة لهم في كل بلاد المسلمين من الهند إلى المغرب العربي.

ومع قيـام الـدعوة النجدية- بقيـادة الشـيخ محمد بن عبدالوهاب ومساندة الإمام محمد بن سعود ومحـاربتهم للقبورية وهدم ما قدروا عليه منها في كل مكان وصـلوا إليه -بدأ الأمر ينحسر وكلما تعمقت الصـحوة الإسـلامية في أي بلد من بلدان العالم الإسلامي زاد انحسارها كما سـاعد على ذلك موجـة الإلحـاد والعلمانيـة الـتي عمت معظم أرجاء العالم الإسلامي، حيث تخلى سلاطين هذه الحقبة عن نشر القبورية القديمة في كثير من الأحيـان، وإن كان بعضـهم قد قـام بشـيء من ذلك ولو لأنفسـهم وسلفهم من قادة الثورات ورؤساء الدول.

إلا أن ســلاطين هـــذه الفـــترة قد نقلـــوا إلى بلاد المسـلمين نمطـاً آخر من القبوريـة، نقلـوه عن أوروبا الملحـــدة أو النصـــرانية، وتلك القبورية تتمثل في إقامة التماثيل للزعمـاء في كثـير من بلاد العـرب والمسـلمين والــتي لا يختلف على تحريمها ســلفي و لا صــوفي ولا سـني ولا شـيعي، كما أقـاموا الأنصـاب، فنصب الجنـدي المجهـول ونصب الشـهيد والمقـابر الجماعية لشـهداء الثـــورات وكبـــار المســـؤولين، وقد عمت تلك التماثيل والأنصاب وتلك المقـابر أشـهر الميـادين في أكـبر مـدن وعواصم تلك الدول.

كما ابتكـروا نوعـاً جديـداً من القـرابين يتقربـون بها إلى تلك الأنصـاب والمقـابر، وهي باقـات الزهـور الـتي

اعتادوا وضعها عليها في شتى المناسبات، وهذه الزهور قرابين مبنية على عقائد لدى مؤسسي تقديمها للقبــور، وإن كـان في الغـالب أن الكثـير ممن يقومـون بها من زعمـاء المسـلمين لا يـدركون تلك العقائد ولا يلتفتـون إليهـا، كما أضـافوا إلى ذلك شـعائر قبورية جديـدة وهي قــراءة الفاتحة عند تقــديم تلك الباقــات، وهــذه بدعة قديمة من بــدع الشــيعة والصــوفية ولكنها جديــدة في شــكلها الحاضــر، ومن الشــعائر الجديــدة المحرمة في المقابر وغيرها الموسيقى الجنائزية التي تصاحب تقديم الزهــور، فهــذه قبورية جديـــدة يخشى أن يـــأتي من شـــياطين الإنس والجن من يحوِّلها إلى شـــعائر تعبدية فتــدخل في نطــاق البــدع العملية أو أن يوصــلها إلى الاعتقادات التي تكون بها من الشرك بالله تعالى.

المطلب الثـــاني: البـــاعث الـــذاتي لقبورية السلاطين:

إن حب الرفعة والتعـالي غريـزة من غرائز الإنسـان تظهر وتتجلى كلما وجد لها المجـــال وتـــوفرت لها الأســباب، ولاشك أن الإنســان إذا وصل إلى الســلطة والملك فــإن تلك الغريــزة تظهر بأوضح صــورها، وذلك التعالي لا يقتصر على الحياة بل يحب المغرور المتعالي أن تبقى مكانته وآثار عظمته بعد موتـه، ومن جملة ذلك تفخيم تربته وما يقام على قبره من أبنية ومرافق.

كما قال الشاعر يحيى بن الحكم الجياني المغربي:

أرى أهل الثراء إذا توفوا بنوا تلك المقابر بالصخورِ

أبوا إلاّ مباهاةً وتيهاً على الفقراء حـتى في

القبورِ[1]

وقد يرافق ذلك اعتقاد في إمام أو صالح فيحب ذلك السلطان أن يـذكر معه أو أن يجـاوره لنيل بركاتـه، كما أنه قد يحمل على ذلك عاطفة متأججة لمـوت حـبيب أو قـريب، فلا يملك ذلك السـلطان نفسه أمامها فيفعل ما لا معنى له ولا مسوغ له من عقل أو مصلحة أو اعتقـاد، وهاك بعض الأمثلة على كل واحد من تلك الأسباب:

فمن النوع الأول القبة المنصـورية الـتي بنتها أسـرة (قلاوون) إحدى الأسر الحاكمة من المماليك ورأس هذه الأســـرة الملك المنصــــور قلاوون (ت 689ه) يقـــول المقريــزي في وصف هــذه القبــة: (هــذه القبة تجــاه المدرسة المنصـــورية، وهما جميعــــاً من داخل بــــاب المارستان المنصوري، وهي من أعظم المباني الملوكية وأجلها قدراً وبها قبرٌ تضمن الملك المنصور سيف الدين قلاوون، وابنه الملك الناصر محمد بن قلاوون والملك الصالح عماد الـدين إسـماعيل بن محمد بن قلاوون وبها قاعة جليلة في وسـطها فسـقية[2] يصل إليها المـاء من فوارة بديعة الزي، وسائر هذه القاعة مفروش بالرخــام الملــون. وهــذه القاعة معــدة لإقامة الخدام الملوكيــة، الــذين يعرفـون اليـوم في الدولة التركية بالطواشـية... وكــان يسـتقر في وظــائف هــذه الخدمة أكــابر خــدام السلطان، ويقيمون عنهم نواباً يواظبون الإقامة بالقبــة، ويرون - مع سـعة أحـوالهم وكـثرة أمـوالهم - من تمـام فخــــرهم وكمـــال ســـيادتهم انتماءهم إلى خدمة القبة

---

1 (?) الخطط المقريزية (3/481).

2 (?) الفسـقية هي حـوض من الرخـام. المعجم الوسـيط (1/689).

المنصورية.

وقصد الملوك بإقامة الخدام في هـذه القاعة- الـتي يتوصل إلى القبة منها - إقامة نـــــــاموس الملك بعد الموت، كما كان في مـدة الحيـاة[1]. ومن النـوع الثـاني قبة الإمـــام الشـــافعي- رحمه الله- الـــتي بناها الملك الكامل الأيوبي ودَفن فيها ابنه إلى جـوار الإمـام[2]. ومن النوع الثالث مسجد تاج محل الذي بنـاه شاه جهـان أحد أعظم ملوك الهند[3]، وذلك عندما فجع بموت زوجته تاج محل فجزع عليها جزعاً عظيماً كـاد يهلك منه ثم تحامل على نفسه وبـــنى ذلك البنـــاء العظيم الـــذي لا يوجد له مثيل في العـالم، ثم عمل له مـرآة في قصـره موجهـة إلى ذلك المشـهد بحيث لا يـزال يـراه وهو في قصـره، وذلك المسجد إحدى روائع الدنيا الـتي يقصـدها السـيّاح من كل مكــــان، حمل على بنائه تلك العاطفة الجياشة والمحبة الزائدة وصَولة المُلك وقلة العلم.

المطلب الثـــــالث: البـــــاعث السياسي لقبورية السلاطين:

السياسة إذا لم تنضـــبط بالشـــرع ويتحلى صـــاحبها بـــالتقوى المبنية على العلم، فإنها تتحـــول إلى وســـيلة قـــذرة لتحقيق مـــآرب وأهـــواء، وتتلـــون تلك السياسة بعشرات الألـوان الـتي يجد فيها الحـاكم تحقيقـاً لمآربه

---

[1] (?) انظر: الخطط المقريزية (3/480 - 481).

[2] (?) مساجد مصر و أولياؤها الصالحون (2/151).

[3] (?) انظر: ترجمته في(الإعلام بمن في تــــاريخ الهند من الأعلام) (5/536) لعبد الحي بن فخر الــدين الحســني، طبع دار ابن حزم بـيروت الطبعة الأولى سـنة (1420هــ- 1959 م).

وأهوائـــه، ثم قد يظهرها بمظهر التـــدين، وقد يظهرها بمظهر العطف على الرعية، وقد يظهرها بمظهر الحزم وحفظ النظـــام وهي في حقيقتها ظلم وعـــدوان على الأمة.

وهكذا دخلت السياسة من أوسع الأبــــواب وتبنت القبورية بشــتى الــذرائع؛ فحينــاً لإلهــاء الأمة وشــغلها بــالطقوس الفارغة والشــعائر الكاذبة عما يكــون عليه النظـام من الظلم والجـور والتعسف بالرعية والضـعف والانحطـاط الـذي يهـدد كيانـه، وحينـاً لاسترضـاء الأمة وإظهــار موافقتها على ما تحب ومشــاركتها في ميولها ورغباتهــا، وحينــاً للاســتحواذ على الفئـات المـؤثرة في الأمة وكسب ولائها ليكسب من وراء ذلك ولاء الأمـــة، إلى غـير ذلك من المكاسب السياسـية الـتي رمى إليها الحكام بتبنيهم القبوريةونشرها في الأمة، وقد سبق إلى هذا الذي قلته باحثون أفاضل.

يقول الدكتور علي بن بخيت الزهراني: (وكـان كثـيرٌ من الملوك والحكام في ذلك الزمن يلجأون إلى عمـارة تلك الأضرحة والإنفاق عليها ليس إيماناً بها بقدر ماكـان إرضـاءً لمشـاعر النـاس ومحاولة لكسب ولائهم والعمل على إلهـائهم بتلك الأضـرحة الـتي تعبد من دون الله واطمئنانـاً على الأقل من ثـوراتهم وتمـرداتهم نتيجة لما كان يمارسه هؤلاء الحكام من ظلم وطغيان)[1].

ويقول الباحث عمّار علي حسن: (واستعراض تـاريخ مصر منذ الفراعنة وحتى الـوقت الـراهن يشـير إلى أن كل مرحلة خلقت لنفسها الوسائل التي تجذب الجماهير

---

1 (?) الانحرافـات العقدية والعلمية في القـرنين الثـالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة(1/284).

من طقـوس دينية وفُلكلُـور شـعبي... إلخ؛ وذلك لـدعم النظـــام السياسي القـــائم والتمكين لوحـــدة المجتمع واستقراره، وقد التقى الحكام مع أصحاب النفوذ الديني وغيرهم على هذه القاعدة، وكان المتصوفة من أصحاب السـبق في هـذا المضـمار خاصة بعد الفتح الإسـلامي لمصر؛ فالإسـلام كـدين لم يكن طيِّعـاً في يد الحكـام ليسـتخدموه في الأغـراض السياسـية؛ لـذا بحثـوا عن الرجـال الـذين يطوعـون لهم النصـوص لتتوافق مع مسلكهم في الحكم...)[1].

ويقـــول الـــدكتور عاصم محمد رزق: (والواقع أن المنـاخ السياسي والـديني الـذي سـاد الدولة الإسـلامية منذ القـــرنين(6-7ه/12-13م) كـــان واحـــداً من أهم العناصر الأساسية التي سـاعدت على انتشـار الصـوفية بعد ما ابتلي العالم الإسـلامي كله في الشـرق والغـرب خلال القـــرنين المشـــار إليهما بنكبـــات متوالية يرجع السـبب في معظمها إلى تـــدهور نظم الحكم وضـياع هيبتها ويأس الناس منها، فنزلت بهذا العالم نكبات التتار من ناحية الشرق ونكبات المسيحيين الغربيين من ناحية الأنـدلس وظل الصـليبيون قـابعين في منطقة الشـرق الأدنى يمثلـون خطـراً مباشـراً على البلاد الإسـلامية، وتحـول عـدوانهم في الشـام وبلاد الأنـدلس من غـارات إلى غـزو واحتلال، ومن ثم إلى تكـوين ممالك نصـرانية على أرض إسـلامية، ووقفت دول الإسـلام في المغـرب عاجزة لا تستطيع القيام بشيء يصون أنفس المسلمين

---

1 (?) الصـوفية السياسـية في مصر ص (85-86) بواسـطة كتـاب دمعة على التوحيد إصـدار المنتـدى الإسـلامي الطبعة الأولى سنة(1420هـ-1999م) ص (177).

ويحمي أموالهم، أما في المشرق فقد ضاع الحـزم كلية ووقف السلاجقة أمام العدوان الصـليبي موقف العـاجز، و اتضع أمر الخلافة حـــــتى لم يعد لها في العـــــالم السياسي وزن يـــذكر، حـــتى الفـــاطميين في مصر لم يدركوا حقيقة هذا الغزو إلا في وقت متأخر وخرجوا من ميــدان الصــراع كلية بعد اسـتيلاء الصــليبيين على آخر معـــــاقلهم في عســـــقلان ودخلت دولتهم في طــــور الاحتضار.

يضــــاف إلى ذلك كله كـــثرة الفتن والاضـــطرابات واختلال الأمن والمجاعــات والأوبئة مما دفع الكثـير من عامة النـاس إلى الـدخول في دائـرة التصـوف، وشـجع على ذلك ســـلاطين المماليك الـــذين شـــاركوا عامة الشـعب في الصـوفية والعطف عليهم، وليس أدل على ذلك من كل هذه الخوانق التي أنشـؤوها وأوقفـوا عليها الأوقاف الكثيرة وأغدقوا منها الـرواتب والجرايـات على صوفيتها، مما كـان له - فيما يبـدو - أكـبر الأثر في صـبغ الحيـــاة المصـــرية بصـــبغة الزهد في الـــدنيا و الاتجـــاه للآخرة، وتـرتب على هـذا الشـعور في النهاية نشر روح الاستكانة والقناعة والتذلل بين عامة الناس مما لا تزال بقايـاه في نفـوس الكثـيرين حـتى اليـوم، وإن دل ذلك على شـــيء فإنما يـــدل على أن الصـــوفية وغيرها من الأنشطة الدينية الـتي اتخـذت الصـبغة الدينية في عصر المماليك مظهـــراً لها؛ كـــانت في الواقع الســـتر الذي أخفى وراءه حكـــام هـــذه الدولة ما كـــان قد عظم من أمورهم السيئة في شتى المجالات، من السلب والنهب والمصـــادرة والرشـــوة والســـخرة والعقوبـــات والزنا واللواط وغيرها من الجوانب التي لم تحظ بعد بكتابــات

هادفة جادة توفيها حقها من البحث والدراسة.

فمن المناخ العام لدولة الإسلام شعر المسلمون أنهم يقفون في عجز كامل أمام أعداء لا يرحمون، فاتجهت قلوبهم ونفوسهم إلى الله يسألون الغوث للإسلام و أهله، والتفّت قلوبهم حول طوائف الصوفية ونحوهم من الزهاد والعباد والأولياء، فازدادت أهمية هؤلاء الناس وتنوعت أشياعهم و أشكالهم، وكان لهم في ذلك ترتيب محكم أوله الأبدال - وهم اثنا عشر ولياً - كلما توفي أحدها استبدل الله به غيره، وثانيه الأقطاب - وهم رؤوس المعرفة ومفاتيحها -، وثالثه الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ونشأ من هذا العصر الذهبي للتصوف)[1].

وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: وهو من أقدم الأمثلة وأكثرها دهاءً وخبثاً وهو ما فعلته الدولة الفاطمية بمصر بعد استيلائها عليها، فقد عمدت إلى الاستكثار من تلك المشاهد، وأكثرها مكذوب لا حقيقة له، وزعمت نسبتها إلى أهل البيت وأظهرت تعظيمها وسنتْ الشعائر الوثنية لها لإلهاء الأمة وترويضها على قبول مبادئها المارقة ومذهبها الخبيث، و الانشغال بذلك عن التفكر في حقيقة ذلك النظام وما يقوم عليه من كفر وضلال، هذا بالإضافة إلى الغلو الذي يشتهر به زعماء وقادة تلك الدولة في أهل البيت: تقول الدكتورة سعاد ماهر: (ومن المعروف أن خلفاء ووزراء الدولة الفاطمية كانوا قد أقاموا المشاهد والأضرحة لأهل البيت وخاصة أبناء

---

1 (?) انظر: خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين المملوكي والأيوبي (1/46-48) للدكتور عاصم رزق.

الإمامين الحسن والحسين)[1]، ثم ذكـرت عـدداً من تلك المشـــاهد فمنها (مشـــهد علي زين العابـــدين)[2]، و (السـيدة زينب)[3]، و (السـيدة نفيسـة)[4]، و (السـيدة سـكينة)[5]، و (السـيدة عائشـة)[6]، زاد المقريـزي[7] السـيدتين (سـناء وثنـاء)[8]، من أولاد جعفر الصـادق وكـــذلك(أم كلثـــوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصـادق)[9]، ومعلـوم أن كل أو معظم هـذه المشـاهد لا أصل له.

وقد كـانوا حـاولوا جلب جسد رسـول الله ﷺ من المدينة النبوية إلى القـاهرة لنفس الغـرض ولكنهم لم يفلحـوا[10] وفي آخر أيـامهم جـاءوا بتلك الكذبة الكـبرى وهي أن رأس الحسـين كـان في مكـان بعسـقلان، وقد بنوا عليه مشهداً ثم في عهد الفـائز أحد أواخر ملـوكهم نقلـوا ذلك الـرأس المزعـوم إلى القـاهرة وبنـوا عليه المشهد الشـهير الـذي لا يـزال يعد من أشـهر المشـاهد

1 (?) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (2/67).

2 (?) المصدر السابق (1/105).

3 (?) المصدرالسابق (1/92).

4 (?) المصدرالسابق (1/122).

5 (?) المصدرالسابق (1/102 - 103).

6 (?) المصدرالسابق (1/108).

7 (?) أحمد بن علي المقريـزي من المـؤرخين المشـهورين والعلماء الأثبات له كتاب "تجريد التوحيد المفيد" توفي سـنة (845هـ) انظر ترجمته في الضـوء اللامع (2/21) والبـدر الطالع (1/79).

8 (?) الخطط المقريزية (3/642).

9 (?) السابق (3/642).

10 (?) انظر: القبة الخضراء ومحاولات سرقة الجسد الشريف(58 و 61)، تـأليف محمد علي قطب نشر الـدار الثقافية للنشر بالقاهرة الطبعة الأولى (1419 هـ -1999 م).

في مصر بل في العالم الإسلامي)[11].

فانظر: إلى هذا الحرص الشديد الذي بلغ بهم إلى ذلك الحد الخطير من انتهاك حرمة النبي ومحاولة سرقة جسده الشريف والكذب المكشوف في قضية بقية المشاهد وعلى الأخص مشهد الحسين وإن كانوا معتقدين صحة وجوده في عسقلان فإنهم انتهكوا حرمته بنقله إلى القاهرة وكل ذلك في سبيل أغراضهم السياسية قاتلهم الله أنى يؤفكون.

المثال الثاني: ما فعلته الدولة العثمانية في العراق مع الشيعة ومع السنة في نفس الوقت. أما ما فعلوه مع مشاهد الشيعة فيحدثنا عنه الدكتور عبد الجواد الكليدار في تاريخ كربلاء بما ملخصه: (إن نفوذ العتبات الشيعية المقدسة كان قوياً جداً ومؤثراً في الأحداث الجارية، ولذلك فإنه لما وقع النزاع بين السلطان سليمان القانوني وهو سني و الصفويين وهم شيعة، حاول السلطان سليمان أن يسترضي جمهور الشيعة المتعلقة بتلك العتبات وكان عليه أن يفعل أكثر مما فعله الصفويون فزار بإجلال حقيقي قبة موسى الكاظم ومحمد التقي الجواد. وأمر بإكمال بناء الجامع الكبير الذي بدأ به الشاه إسماعيل في الكاظمية. ولم تتوقف سياسته الاسترضائية عند هذا الحد في العراق وكانت عنايته الثانية أن يزور العتبات المقدسة في الفرات الأوسط، وأن يفعل هناك أكثر مما فعله الزائر الصفوي في العهد الأخير، ثم ذكر زيارته لمشهدي كربلاء

---

[11] (?) انظر: البداية والنهاية (8/204)، والخطط المقريزية (2/204-206)، ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون (1/361-377).

والنجف وما فعله عنــدهما من خضــوع واســتمداد من أرواحهمــا ثم ختم الفصل بقولـه: (فـإن ما قـام به من خــدمات جليلة للأعتــاب المقدســة، ثم اســتمداده من أرواح الأئمــــة، فترجله عن الفــــرس عند رؤيته للقبة المنــورة عن بعد، ومســيره مشــياً على الأقــدام إلى النجف، وقطعه لســان من كــذب قصة مــرة بن قيس، وقتله من فضــّله على أمــير المؤمــنين لكونه الخليفة الموجــود، فلم يكن ذلك كله إلا لجلب الــرأي العــام الشيعي وكسب ود العتبات المقدسة إلى جانبه توطيـداً لــدعائم حكمه في العــراق...)[1]، وأما استرضــاء أهل الســنة فقد ذكر مثــالاً منها النبهــاني في كتابه (التحفة النبهانية في تـاريخ الجزيـرة العربيـة) فقـال: (إن الدولة العثمانية قد أعفت أهــــالي البصــــرة من الرســــوم والتكـاليف احتراماً لصـاحب الحضـرة الشـريفة يعـني الزبـير بن العـوام وأن العثمـانيين بنـوا على ضـريحه مسـجداً وقـامت والـدة السـلطان عبـدالعزيز بـترميم القبب وتكبير المسجد فصار جامعاً حسناً)[2].

---

1 (?) تاريخ كربلاء ص (248 -251).

2 (?) الانحرافات العقدية الزهراني (1/294).

المبحث الأول: حال اليمن قبل نشوء القبورية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إسلام أهل اليمن:

من مناقب اليمنيين التي سجلها لهم التاريخ بـأحرف من نـــور مبـــادرتهم إلى اعتنـــاق الإســـلام بشـــكل لم يشـــابههم فيه أحد من قبائل وأقطـــار الجزيـــرة العربية الأخـرى، وقد تعـددت التـأويلات لسـبب تلك المسـارعة لاعتناق الإسلام من قبل اليمنـيين، وأقـوى تأويل - والله أعلم - هو ما جعل الله في نفوسـهم من الإيمـان، وفي قلـــوبهم من الرقة ومحبة الخـــير، وما ادَّخـــره الله لهم بمحض فضله من إنعام وفضل.

ودليل ذلك الأحـــاديث المستفيضة في فضـــائل أهل اليمن[1]، كما كـــان لقـــرب اليمن من مكة مهبط الـــوحي على النبي ﷺ وموضع بعثته علاقة بذلك، وإن كان هـذا لم ينفع بعض القبائل التي كانت أقرب إلى مكة من اليمن،

---

[1] (?)منها حديث عقبة بن عمرو أبي مسعود الأنصـاري ﷺ قـال: (أشـار رسـول الله ﷺ بيـده نحو اليمن فقـال: (الإيمـان يمـان هاهنا، ألا إن القسوة وغلو القلوب في الفـدادين عند أصـول أذنــاب الإبل حيث يطلع قــرن الشـيطان في ربيعة ومضــر) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، بـاب خـير مـال المسـلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومسـلم في كتـاب الإيمـان، بـاب تفاضل أهل الإيمـان فيه ورجحـان أهل اليمن فيـه. وحـديث أبي هريــرة ﷺ عن النـبي ﷺ قـال: (أتــاكم أهل اليمن أضـعف قلوباً وأرق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية) رواه البخــاري في كتــاب المغــازي، بــاب قــدوم الأشــعريين وأهل اليمن. ومسلم في كتـاب الإيمـان، بـاب فضـائل أهل اليمن، وغيرها كثير.

وبحسب طبيعة البشر في الاختلاط و التعايش والتفاعل كـان وصـول أخبـار الرسـول إلى اليمن وتـأثر أهلها به في وقت مبكر من حيـاة الـدعوة الإسـلامية، وقد كـان الوافـدون من اليمنـيين إلى مكة لأغـراض مختلفة هم الـرواد الـذين رجعـوا إلى قـومهم مبشـرين بهـذا الـدين ودعاة إليه، بعد أن أسـلموا و عرفـوا شـيئاً من الإسـلام على يد الرسول ، ومن أشهر أولئك:

1) ضماد بن ثعلبة الأزدي [1]
2) الطفيل بن عمرو الدوسي [2].
3) عمرو بن أمية الدوسي [3].
4) قيس بن نمط بن قيس بن مالك الهمـــداني [4].
5) عبد الله بن قيس بن أم غزال الأرحبي [5].
6) ذباب بن الحارث بن عمرو السعدي [6].

وكـان في إسـلام هـؤلاء ورجـوعهم أثر في انتشـار الإسلام في قومهم، وتهيئتهم لقبوله.

وممن وفد عليه وتوطَّن المدينة مهاجراً أبو موسى الأشعري ورفقته الأشعريون[7] وأبو هريرة [8] وغيرهم.

وفي عام الوفود بشَّر النبي أصـحابه بقـدوم وفـود

1 (?) الحـــديث والمحـــدثون في اليمن في عصر الصـــحابة (3/1751) تـــأليف الـــدكتور عبدالله الحمـــيري، طبع مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى (1421 هـ - 2000 م)
2 (?) المصدر السابق (3/1752)
3 (?) المصدر السابق (3/1753)
4 (?) المصدر السابق (3/1754)
5 (?) المصدر السابق (3/1754)
6 (?) المصدر السابق (3/1756)
7 (?) المصدر السابق (3/1768-1771).
8 (?) المصدر السابق (3/1763).

اليمن، وبالفعل تــوالت تلك الوفــود وكــانت من أفضل الوفود العربية، فسُرَّ بها رسول الله ، ودعا لها، وعادت مؤمنة صــادقة، فنشــرت الإيمــان والإســلام في ربــوع اليمن.

المطلب الثاني رسل النبي إلى اليمن:

ولما ظهر لرســول الله ما يتمتع به اليمــنيون من نفـوس طيبة قابلة للإيمـان والإسـلام، وتأكد لديه صـدق توجه اليمنــيين نحو دين اللــه، وأن الإســلام قد أصــبح منتشــراً فيهم، أحب أن يعمق مفــاهيم الإســلام في نفوســــهم، وينشر تعاليمه بينهم، ويضع لهم من يعلمهم ويرشـدهم ويحكم بينهم بشـرع الله ويسوسـهم بنظامه الخالد، فأرسل رسـله معلمين ودعـاة وحكاما ً، فأحسن اليمـنيون وفـادتهم، وأكرمـوا نـزلهم، وأخـذوا عنهم دين الله، وعملوا به، وتحاكموا إليه.

وكان من أشهر من أرسلهم رسول الله إلى اليمن معــاذ بن جبل، اليمن الأعلى بما في ذلك الجند(1)، وأبو موسى الأشعري وكان عاملاً على زبيد وعدن وســاحل اليمن كله(2).

ومهَّد النبي لمعاذ طريقـه، وكشف له حقيقة الجهة الــتي وجهه إليهــا، وزوّده بــأروع التوجيهــات والوصــايا فقـال: **$إنَّك تقـدم على قـوم من أهل الكتـاب، فليكن أول ما تــــدعوهم إلى أن يوحــــدوا الله تعالى، فإذ عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فــرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فـإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في**

---

1 (?) فتح الباري (8/61).

2 (?) الحديث والمحدثون (1/385-386).

أموالهم تؤخذ من غـنيهم فـترد على فقـيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوقَّ كرائم أموال الناس#[1].

ولعل النبي خص معاذاً بهـذا دون أبي موسـى؛ لأن أبا موسى من أهل البلد، ويعرف طبيعتها وطبيعة أهلهـا، ثم وصى النبي معاذاً وأبا موسى معاً فقال: **$بشِّـرا، ولا تنفـــرا، ويســـرا ولا تعســـرا، وتطاوعا ولا تختلفا#**[2]، فخرجا مستلهمَين هـذه الوصـايا، ناصـحين مخلصين لمن أُرسِـلا إليهم، واتجه كل منهما إلى عملـه، وكانا يتزاوران ويتعهد أحدهما الآخر.

فـــدخل في الإســـلام على أيـــديهما من لم يكن قد أســـلم من قبـــل، وتعلم العلم منهما من كـــان مســـلماً مؤمناً، وعمَّ الإيمان والعلم أرض الفقه والإيمان.

كما أرسل رسلاً آخرين لأغراض مختلفة منهم: علي بن أبي طـــالب[3]، وخالد بن الوليد[4]، وجرير بن عبدالله البجلي[5]، وخالد بن سعيد بن العـاص[6]، وطـاهر بن أبي

---

1 (?) البخـاري (6/96 - 97) كتـاب التوحيد بـاب ما جـاء في دعوة النبي أمته إلى توحيد الله، ومسـلم (1/196-ـ 197) مع شرح النووي باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

2 (?) البخـاري (3/1104) كتـاب الجهـاد بـاب ما يكـره من التنـــازع والاختلاف في الحـــرب وعقوبة من عصى إمامـــه، ومسلم (3/1359) كتاب الجهاد والسير بـاب الأمر بالتيسـير وترك التنفير.

3 (?) الحديث والمحدثون (3/1724).

4 (?) المصدر السابق (3/1722).

5 (?) ا المصدر السابق (3/1729).

6 (?) المصدر السابق(3/1729)(?)

هالة[1]، ويعلى بن أمية[2]، وعمـرو بن حـزم[3]، وزيـاد بن لبيد البياضي[4]، وعكاشة بن ثور[5] أجمعين، وكـان لهم أعظم الأثر على اليمنـــــيين، وقد لقـــــوا منهم المحبة والوفاء والتعاون الذي يعزّ مثاله.

المطلب الثالث: مذاهب اليمنيين منذ فجر الإسلام حتى قيام الدولة الصليحية:

وصل الإسـلام إلى اليمن نقيـاً صـافياً لم تشُـبْه أي شــــائبة، فلم يــــدخل على يد مــــذهب فقهي أو فرقة عقائدية أو طريقة صــــــوفية كما حصل في بعض البلاد الإسلامية، وإنما دخل على أيـدي أصـحاب رسـول الله سادات أهل السـنة وقـدوتهم الـذين أمرنا رسـول الله بــــالرجوع إلى ما كــــانوا عليه عند الاختلاف[6]، وبقي منهجهم وســبيلهم محفوظــاً بحفظ الله في هــذا البلد المبــارك إلى اليــوم، وإن زاحمه غــيره من المــذاهب والمنــاهج في بعض الفــترات، وإن حــاولت الســلطات المتنفـذة في كثـير من الأحيـان طمسه وإحلال مـذاهبها

---

1 (?) المصدر السابق(3/1729)
2 (?) المصدر السابق (3/1735)
3 (?) المصدر السابق (3/1733)
4 (?)تاريخ حضرموت للحامد (1/135)
5 (?) الحديث والمحدثون (3/1732)
6 (?) وذلك في قوله : $وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشـدين المهـديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجـذ، وإيـاكم ومحـدثات الأمــور فــإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضــلالة# رواه أبو داود (2/611)، و الترمذي (5/44)، وابن ماجه (1/15) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصـححه الشـيخ الألبـاني في صحيح الترمذي (2/241).

محله إلا أنها لم تفلح في ذلك.

التشيع:

ومن المذاهب التي وصلت إلى اليمن في وقت مبكر التشيع؛ وذلك أن أهل اليمن قد كان موقفهم مع أمير المؤمنين علي واضحاً ومعروفاً، فهم أقوى القبائل التي كانت معه وأكثرها عدداً[1]، ولاشك أن ذلك سوف يعكس نفسه على قبائلهم وأهاليهم الباقين في اليمن ولذلك تحدثت مصادر التاريخ اليمنية عن تعسف بسر بن أرطأة[2] والي معاوية على اليمن، وشدته في معاملة بعض القبائل اليمنية، وبالخصوص قبيلة همدان التي كانت من أكثر القبائل مناصرة لأمير المؤمنين علي حتى نسبوا إليه ذلك البيت الذائع:

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام[3]

فالتشيع في اليمن لا يستطيع أحد إنكاره، ولكن أي فرق الشيعة كانت في اليمن في ذلك الوقت؟ يتضح مما مرّ في بحث نشأة الشيعة أن الفرق الشيعية لم تتميز عن بعضها إلا في وقت متأخر، ولذا فإنني أرجح أن التشيع الذي كان موجوداً في اليمن قبل وفود الزيدية والإسماعيلية إنما كان التشيع السالم من الغلو كما سبق وصفه.

نعم هناك إشارة إلى وجود شيعة اثني عشرية في اليمن في حوالي النصف الثاني من القرن الثالث،

---

1 7 الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص (17).

2 (?) بسر بن أرطأة (ت 86)، انظر ترجمته: تاريخ بغداد (1/210)، والسير (3/409).

3 (?) الصليحيون في اليمن ص (18).

وذلك عنـدما ذكر المؤرخـون علي بن الفضل الجـدني، والذي أصـبح زعيم القرامطة في اليمن، فقد ذكـروا أنه كان شيعياً اثـني عشـرياً، وأنه حجّ ثم زار قـبر الحسـين بعد الحج، وهناك التقى بميمون القـداح[1]، كما قيـل: إن ابن الفضل أخذ ذلك المـذهب في عـدن من قـوم من الاثني عشرية، لقيهم هناك[2].

قلت: إن صح هذا فالاحتمال بوجـود فئة صـغيرة في عدن وارد ولم تشتهر، أو لم يعطها المؤرخـون اهتمامـاً، كما أن هناك احتمالاً آخرَ، وهو أن أولئك القوم كانوا من التجار الذين ينزلون عـدن لفـترة ثم يغادرونهـا، وماعـدا ذلك فإنه لم يـرد تفصـيل عن أي فرقة شـيعية واضـحة في اليمن في تلك الفترة.

الدعوة الإسماعيلية:

أ- القرامطة:

كـان المـذهب الإسـماعيلي هو أول مـذهب واضح متميز من مذاهب الشـيعة وصل إلى اليمن، حيث وصل الداعيان: علي بن الفضل الجدني، والحسن بن فرج بن حوشب[3] إلى ميناء غلافقة سنة (268 هـ) مبعـوثَين من

---

1 1 كشف أسرار الباطنية وأخبـار القرامطة ص (81)، وقـرة العيـون في أخبـار اليمن الميمـون، لابن الـديبع الشـيباني تحقيق القاضي الأكوع الطبعة الثانية (1409 هـ).

2 (?)انظـر: لترجمة علي بن الفضل وتفصـيل فتنتـه: كشف أسـرار الباطنية (81-82و94-ـ 114)، وقـرة العيـون ص (131-151) وقد تحـدث عن هـذه الفتنة كل مـؤرخي اليمن الذين أرّخوا لهذه الفترة.

3 (?) أبو القاسم الحسن بن حوشب، المشهور بمنصـور اليمن توفي سنة(302هـ)انظر أخباره: افتتاح الدعوة ص (16-37) للقاضي النعمـان بن محمد بن حيـون المغـربي دار الأضـواء

قبل داعية الإسـماعيلية ميمـون القـداح، غـير أنهما لم يعلنا الدعوة إلاّ سنة (270ه)، وكـانت دعوتهما في غاية السـرية والحيطة والحـذر، ثم أعلن الثـورة علي بن الفضل وكشف عن وجهه الحقيقي، وفعل ما هو مشهور في تاريخ اليمن مما ليس هنا محل تفصيله إذ لا يتعلق بموضـوعنا، غـير أن المهم أن علي بن الفضل قد سـلك طريق القرامطة أصـحاب البحـرين، وكشف عما يعتقـده وفعل ما أمْلته عليه نزواته وأحبه هـواه، وبـذلك كان أمَدُ دعوته قصيراً، وإن كـان شـرها مستطيراً، ولم يقم أحد بدعوته بعد موته والقضاء على دولته[1].

ب _ العبيديون (الفاطميون):

أما الحسن بن حوشب المشهور ب " بمنصور اليمن " فقد بقي محافظـاً على تعليمـات ميمـون القـداح، ملتزمـاً بالانتمـاء إليه وإلى ذريته الـتي ملكت المغـرب العـربي، وأنشـأت هنـاك الدولة الإسـماعيلية الباطنيـة، وكان على اتصال مسـتمر معهم[2]، إلا أن دولته لم تـدم طويلاً إذ قُضي عليها ككيـان سياسي في حيـاة علي بن الفضـل، واضـطر منصـور إلى التخفِّي والبعد عن المعـترك السياسي حـتى مـات سـنة (302 هـ)[3]، ثم عادت الدعوة الإسـماعيلية إلى دور السِّـتر والسـرية، و

بـيروت الطبعة الأولى (1416هـ-1996 م)، العسـجد المسـبوك فيمن ولي اليمن من الملـوك ص (37) تـأليف شمس الدين علي بن الحسين الخزرجي الأنصاري دار الفكر دمشق ط الثانية مصورة (1401هـ-1981م).

1 (?) الصليحيون في اليمن ص (48).

2 (?) الصليحيون ص (43).

3 (?) المصدر السابق ص (47).

قد رتب لها الدعاة الذين يقومون بها، ويبثـون تعاليمهـا، ويحـافظون على أتباعهـا، ويواصـلون العلاقة مع أصـلهم في المغـــرب ثم في مصر بطــــرقهم الذكية المعروفة وذلك من سنة (303-439هـ)، حـتى عـادوا إلى الظهـور حين أمكنتهم الظـروف، وتهيـأت لهم الأسـباب على يد علي بن محمد الصليحي كما سيأتي[1].

هذه هي الفـترة الأولى للـدعوة الإسـماعيلية العلنية في اليمن، وهي لم يكن لها تـــأثير ظـــاهر في مســـألة القبورية حيث لم تتمكن من التفـرغ لـذلك، ولم يكن لها من النفوذ والقبول ما يمكِّنها من ذلـك، بل عـاش قادتها محارَبين ودعاتها مضطهدين، فلم يستطيعوا عمل شيء مما يتعلق القبوريـــة، كما أن هـــذه الفرقة لم يكن لها مــذهب ظـــاهر وشـــائع بين النـــاس كـــأي مــذهب من المذاهب الأخرى، إلا أنها كانت أخطر من تلك المـذاهب من حيث تماسك أصـحابها والحفـاظ على كيـانهم رغم المحاربة الشاملة لهم من كافة فئات الشـعب والحكـام على حد سواء، مما كـان له الأثر البـالغ في تمكنهم من إعلان دولتهم مرة أخرى في أيام الصـليحي، ثم العـودة مرة أخرى إلى الستر منذ زوال دولة الصليحي إلى يـوم الناس هذا.

الزيدية:

الفرقة الشـيعية الثانية الـتي دخلت اليمن في هـذه الفترة هي الزيديـة، وقد سـبق التعريف بها في المبحث الأول من الفصل الثـــالث[2]، وكـــان وصـــول الزيدية واســـتقرارها في اليمن ســـنة أربع وثمـــانين ومـــائتين

---

1 (?) المصدر السابق ص (49- 58).

2 (?) انظر ص (176).

هجرية[1]، وذلك بوصول الإمـام الهـادي إلى الحق يحـيى بن الحسين إلى صعدة للمرة الثانية وإقامة دولته هناك، ثم العمل لى نشــرها ومواصــلة أبنائه وأحفــاده وبعض الأئمة من أهل البيت المعتنقين للمـذهب الزيـدي، حيث اســتقرت دولة الأئمة الزيدية من ذلك التــاريخ إلى أن أطيح بآخر إمام من أئمتها محمد البدر سـنة (1382هــ-1962م) وذلك بقيـــام الثـــورة وتأســـيس الجمهورية العربية اليمنية.

وهــذه الفرقة قد ســخَّرت دولتها وســلطانها لــدعم عقائـدها ومـذاهبها، كما أنها قد طـوَّعت فِقهها وأصـولها لمآربها السياسية[2]، و لكنها بـرغم قِـدَم دخولها وامتـداد فترة حكمها بما لم تبلغه أي دولة أو فرقة أخـرى، ظلَّت منزوية في مــــــــواطن نفوذها السياسي يمتد وجودها بامتداد سلطانها ظاهراً ورسـمياً، وأما في البـاطن فـإن الناس يكرهون ما تفرضه عليهم، ويهللون فرحـاً عنـدما ينزاح عنهم كابوس حكمهم؛ ليعلنوا ما في نفوســهم من عقائد ومبـادئ، ويزيلـون ما فـرض من شـعارات خاصة بالزيدية، فرضتها السلطة[3].

---

1 (?) ســيرة الهـادي إلى الحق يحـيى بن الحسـين ، وقيـام الدولة الزيدية في اليمن ص (58) د. حسن خضـيري أحمـد، طبع مكتبة مدبولي بالقاهرة الطبعة الأولى (1996 م).

2 (?) انظـر: الإمامة وخطرها على وحـدة اليمن (16 - 23)، للأستاذ. محمد محمود الزبيري -رحمه الله - طبع دار الكلمة صــنعاء بــدون تــاريخ، وتيــارات معتزلة اليمن في القــرن السـادس الهجـري (168-172)، للـدكتور علي محمد زيـد، طبع المركز الفرنسي للدراســـات اليمنية صــــنعاء، الطبعة الأولى (1997م).

3 (?)والأمثلة في ذلك كثــيرة وفي نــواحي متعــددة وانظــر:

يقــول القاضي محمد بن علي الأكــوع[1] -رحمه الله تعــالى -: (وكــان مــذهب الهــادي قابعــاً في صــعدة، ومنكمشاً عليها وعلى بلادها وبعض ظـاهر همـدان، ولم يغـزُ سـنام نجد اليمن وبلاد حجة ومغـارب حمـير إلا في القــرن الحــادي عشر الهجــري، عنــدما تمت ســيطرة القواسم على اليمن، وتغلبت الأســـــــــرة الزيدية على ناصية الأمور، وخلت البلاد من التيارات السياسـية الـتي تجابههـا، كما قحط اليمن من قادته ورؤسـائه، وأصـبحوا قانعين بالتبعية؛ إذ فقدوا كل مقوِّمات الطموح والشعور بأنهم سادة البلاد)[2].

قلت: وذلك في عهد الإمـــــــــام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم الذي وحَّد اليمن الطبيعي، وفـرض

مؤلفات الإمام عبدالله حمـزة ستجد منها ما يؤكد ما نقـول، وانظر: كذلك هجر العلم للأكوع (2/1075-1078).

1 (?) أشــهر مــؤرخي اليمن في العصر الحاضــر، ألف وحقق الكثـير من كتب التـاريخ وغيرها من نفـائس علـوم اليمنـيين، كان من جملة الثوار الـذي زَجّ بهم الإمـام في سـجن قـاهرة حجــة، وبعد الثــورة تقلب في عــدد من الوظــائف الوزارية وغيرها، وقد عرفته و استفدت منه و أجازني إجازة أعتز بها، حثَّ فيها على التمسك بالسـنة قـولاً وعملاً، والاعتمـاد على الـــدليل ونبذ التقليد مما يــبين اســتقامة منهجه رحمه الله رحمة واسعة وقد توفي عام(1419 هـ) انظـر: ترجمتـه: في موســـوعة (هجر العلم) لأخيه القاضي إســـماعيل (2/870-83)و كتاب " القاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي" مؤرخ اليمن الـــذي صـــدر بعد وفاته مباشـــرة وطبع في مؤسسة الثورة للطباعة والنشر عام (2000).

2 (?) اليمن الخضراء مهد الحضـارة ص (106) للقاضي محمد بن علي الأكـــوع، طبع مطبعة الســـعادة بالقـــاهرة الطبعة الأولى (1391 هـ 1971 م)

المذهب الزيدي على كل من دخل تحت حكمه حتى في حضـرموت الـتي تعد من أشد البلاد منـافرة لمذهبـه؛ وذلك لسيطرة العلويين الذين يتبعون المذهب الشافعي والعقيـدة الأشـعرية والمشـرب الصـوفي، والـذين يتعصـبون لـذلك غاية التعصـب، ولست بحاجة إلى مزيد بسط وتفصيل عن الزيدية؛ لما سـبق من شـرح لها في الفصل الثالث من هذا الباب.

وأما قبورية الزيدية فـالحق أن زيدية اليمن لم تكن لديهم قبورية ظاهرة في هـذه الفـترة، ولـذلك فسـوف أرجئ الحـديث عن قبـور يتهم إلى المطلب التـالي إن شاء الله.

الخوارج:

سبق تعريف الخوارج وهم فرق كثيرة، والفرقة التي اشتهرت في اليمن من فرق الخوارج هي فرقة الإباضية أصـحاب عبدالله بن إباض[1]، وهم أخف فـرق الخـوارج انحرافاً وأقربها إلى السنة[2].

ومعلـوم أن نشـأة الخـوارج كـانت على أثر حادثة التحكيم، وأن علياً قاتلهم في النهروان عام (37) أو (38 هـ)، وقتل معظمهم، ولكن الفئة الباقية انتشـرت في البلاد بشـكل خفي، ثم أصـبح كل من حل بـأرض يـدعو أبناءها إلى رأيه، ولـذلك كـثرت الخـوارج مـرة

---

1 (?)هو عبدالله بن إبـاض المقاعسي التميمي، عاصر معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى خلافة عبـدالملك بن مـروان، وهو رأس الفرقة الإباضـية من الخـوارج. انظـر: الملل والنحل (1/98)، و الأعلام (4/61-62)

2 (?) انظر: لتفاصيل أقـوالهم: الملل والنحل للشهرسـتاني (1/98-99)، والفرق بين الفِرق ص) 103 -109).

أخـرى، وأصـبحت قـوة لا يسـتهان بها، وشـكلت مصـدر قلق كبـــــــير للدولة الأموية إلى نهايتها، ومطلع الدولة العباســـية. فهل وصل إلى اليمن أحـــدٌ منهم في بداية أمـرهم؟ وهل انتشـرت الـدعوة الخارجية بين اليمنـيين بشكل أو بآخر قبل العقد الثالث من القرن الثاني؟.

هذا مالا يمكن الجـزم بـه، ولكن هنـاك إشـارات إلى شيء من ذلك، منه ما حكاه الخـزرجي من أن الخـوارج هاجموا صنعاء فحاول وهب بن منبه قتالهم بأهل صنعاء، فلم يستطع، فصالحهم أهل صنعاء على مائة ألف دينار، فأخذوها، ورجعوا، واسـتعان أهل صـنعاء لسـدادها بأهل المخاليف، فأعانوهم[1].

ومنها أن عبدالله بن يحيى الكنـدي[2] زعيم الخـوارج الأول عنـدما أقـام دولته في حضـرموت، كـاتب إخوانه الإباضية في صـنعاء، فانضـموا إليه[3]، هاتـان الإشـارتان توحيان بوجود ما للخـوارج قبل إعلان دولتهم في شـبام حضـرموت سـنة (128ه)، وأما البداية الحقيقية المتفق عليها فهي في هذه السنة.

وملخص قصة الخـــــوارج في اليمن أن عبدالله بن يحيى الكنـدي - وكـان رجلاً من أعيـان حضـرموت - حج سنة (127 هــ)، وفي مكـة التقى ببعض دعـاة الخـوارج

1 (?) العسجد المسبوك ص (22).

2 (?) عبدالله بن يحـيى بن عمر الكنــدي الحضـرمي، الملقب بطالب الحق، مؤسس الدولة الإباضية في حضرموت، تـوفي سنة (130 هــ) انظر ترجمتـه: في تـاريخ حضـرموت للحامد ص (262)، وصفحات من التاريخ الحضـرمي لسـعيد عـوض باوزير، طبع مكتبة الثقافة عدن بدون تاريخ.

3 (?) تاريخ حضرموت للحامد ص (207)

الذين كانوا يحضرون المواسم لبث دعوتهم، فكلموه في الأمر، وذكروا له مظالم بني أمية وانحرافهم، وأن الواجب هو الخروج عليهم وإزالة دولتهم وإقامة دولة الحق التي تحكم بالعدل وتعيد الأمور إلى نصابها إلى آخر ما ذكر، فقال له عبدالله بن يحيى: (إنني رجل مطاع في قومي، ولو دعوتهم إلى ذلك أجابوني إليه). فعاهده أبو حمزة على ذلك، فعاد عبدالله بن يحيى ومعه أبو حمزة الأزدي إلى حضرموت، و كتب إلى إخوانه أباضية البصرة يشاورهم في الخروج على الخليفة الأموي، فكتبوا إليه: (إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل ولست تدري متى يأتي عليك أجلك...)، فأعلن عبدالله نفسه أميراً وبايعه أبو حمزة وتبعه الناس في حضرموت من سائر القبائل، وقبَضَ على والي بني أمية، وحبسه ثم أطلق سراحه، وما إن استقرت له الأمور في حضرموت حتى اتجه صوب مكة، فقدم ومعه زهاء تسعمائة وقيل ألف ومائة من أصحابه يوم عرفة إلى صعيد عرفة، والناس بها يوم الوقوف فما شعروا إلا بخيل الخوارج وعليها الرجال معممين رافعين ألويتهم، فما كان من أمير مكة إلا أن سلّم لهم الأمر دون قتال، وفي يوم النحر دخلوا مكة كذلك، وبذلك صفت لهم مكة دون أي مقاومة، ولكن أخبارهم انتشرت، واستعد لهم أهل المدينة، وبعد استقرار الوضع في مكة خلَّفوا عليها والياً من قبلهم، ثم توجهوا إلى المدينة، وكان أهل المدينة قد جهزوا جيشاً لمقاومتهم، وكان أكثر الجيش من عامة الناس وليسوا من الجنود المدربين أو ذوي الخبرة بالحرب، والتقى

الجيشان في منطقة قديـد، وهُـزم جيش المدينة هزيمة منكرة وقتل منه ألفان و مئتان وثلاثون رجلاً[1].

وعلى إثر ذلك دخل جيش الخوارج المدينة، واحتلوها ورتبـوا الأمر فيها، وطـارت الأخبـار إلى دمشق، فجهز الخليفة جيشاً كبيراً وحشد فيه مقاتلين أقوياء مـدربين، فسـار الجيش الأمـوي صـوب المدينـة، وتقـدم جيش الخـوارج باتجـاه الشـام، فـالتقى الجيشـان في وادي القرى، فانهزم جيش الخوارج وقتل قائده أبو حمزة، ثم واصل الجيش الأمـوي طريقه إلى المدينة ثم إلى مكـة، ولم يقم له واليهـا، ثم إلى صـنعاء وقد خـرج عبدالله بن يحـيى ومن معه لملاقـاة الجيش الأمـوي في الطريـق، وفعلاً التقيا، وهُـزم الجيش الخـارجي، وقُتل عبدالله بن يحيى، وهكذا واصل الجيش الأموي الطريق إلى عاصمة دولة الخـوارج (شـبام)، والتقى بأميرها ومن معه وهـزم الخـوارج، وقتل واليهم وفتك قائد الجيش بالحضـارم فتكاً ذريعاً، وقتل الرجال والنساء وفعل الأفاعيل، وبهـذا انتهى كيـان دولة الخـوارج ولم يبق لهم نفـوذ، غـير أن فكـرهم وعقائـدهم ظلت موجـودة ويـدين بها كثـير من أبناء حضرموت حتى نهاية القرن السادس تقريبـاً، ونشأ لهم كيـان غـير محـدد المعـالم أواخر القـرن الخـامس، قضى عليه الصـليحي عنـدما مد نفـوذه إلى حضـرموت، ولم يكن للخوارج أي دور في انتشار القبورية في اليمن حسب علمي[2].

---

[1] (?) تـاريخ حضـرموت ص(209)، وصـفحات من التـاريخ الحضرمي ص (50).

[2] (?) انظر: لأخبـار الخـوارج وقيـام دولتهم وانتهائها كلاً من: تاريخ حضـرموت (1/206 -ـ 213) لصـالح بن علي الحامد،

التصوُّف:

حــتى لا تختلط علينا المفــاهيم، يجب أن نفــرِّق بين الزهد الــذي دعا إليه الإســلام، وحث عليه الرســول ، وحمده أئمة المسلمين، ولم يذمه أحد ممن يعتد بقوله، وبين التصــوف المُحــدَث المجلــوب من خــارج حــدود الإســلام، والمضــبوط بضــوابطه المعروفــة، والمحــدّد بحـدوده الواضـحة، والمبـني على فلسـفة خاصـة، فهـذا لون والزهد الذي جـاءت به شـريعة الإسـلام لـون آخـر، وإن الخلط بين الأمرين قد أوقع لبساً كبـيراً على عـوام الناس، واستغلّه دعاة التصـوف وتزينـوا بـه، بل اتخـذوه درعاً واقيـاً من سـهام الطـاعنين عليهم وعلى فلسـفته الضـالة وبـدعهم المحدثة الخارجة عما جـاء به الإسـلام، فـإذا تكلَّم متكلم عن مخـازي التصـوف ومثالبه، عارضه المتصوفة بإبراز الشخصيات النظيفة الطـاهرة على أنها أئمته ومؤسسوه، فيذكرون أباذر وأبا الدرداء ، ومن التابعين أويس القرني، والحسن البصري ومن شابههما، ثم يـذكرون مالك بن دينـار، والفضـيل بن عيـاض، ومن أهل اليمن: عمــرو بن ميمــون الأودي، وطــاووس بن كيســان اليمــاني، ووهب بن منبــه، ونحــوهم، وهــؤلاء لا علاقة لهم ألبتـــة بما أحـــدث بعد من تصـــوف مبتدَع فلسـفي محتـوٍ على إلحـاد أصـحاب الحلـول و الاتحـاد، ومكائد المتاجرين بالولاية والكرامات.

وصــفحات من التــاريخ الحضــرمي ص (47-55)، و تــاريخ حضرموت السياسي (1/64/72) لصلاح عبد القادر البكري، طبع دار الآفاق العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى (1421 هــ - 2001 م)، و أدوار التاريخ الحضرمي ص (127-140) وانظر خبر دولتهم الأخيرة في: صفحات من التاريخ الحضــرمي ص (66-79).

فـإذا بينا هـذه الحقيقـة، وعرفنا الفـرق الواسع بين الزهد بمفهومه الصـــحيح، وبين التصـــوف المنحـــرف، اسـتطعنا أن نجـزم بلا أي تـردد أن هـذه الفـترة الـتي نتحـــدث عنها لم يكن فيها بـــاليمن شـــيء مما يصح أن يطلق عليه تصوف بـالمعنى الصـحيح الـدقيق، وبالتـالي فليس للتصـــوف في هـــذه الفـــترة أي دور في نشر القبورية.

المذاهب الفقهية:

(كـان المـذهب السـائد في اليمن إلى انتهـاء القـرن الثالث الهجري هو العمل بالكتاب العزيز والسنة النبوية، ولم يتقيد أهل اليمن حينئذ بكلام واحد من الأعلام، واعتمـــدوا في دراسة الفقه النبـــوي على مثل مســـند الإمام الحافظ عبدالرزاق بن همـام الصـنعاني المتـوفى سنة (210ه)، وعلى مسـند أبي قـرة موسى بن طـارق الجنـدي، ومسـند عبـدالملك بن عبـدالرحمن الـذماري، ومسـند الحافظ محمد ابن يحـيى بن أبي عمر العـدني، ثم غزت المذاهب العقائدية والفقهية)[1].

ويؤكد ذلك الإمام المؤرخ ابن سـمرة الجعـدي[(2)] في "طبقـات فقهـاء اليمن حيث يقـول: (وكـان الغـالب في اليمن مـذهب مالك وأبي حنيفـة، ولم يكن علم السـنة مـأخوذاً في هـذا المخلاف إلا من جـامع معمر بن راشد البصـري، وهو مصـنف في صـنعاء، وجـامع سـفيان بن

---

1 (?) اليمن الخضراء ص (106).

2 (?) عمر بن علي بن سـمرة الجعـدي، رائد مـؤرخي علمـاء الشافعية باليمن، صاحب طبقات فقهـاء اليمن الـذي خصصه لعلماء الشافعية، ثم صار من بعده من المؤرخين يبنون على ما أسس ويفرعون على ما أصل، لم تذكر سنة وفاته. انظر: ترجمته لنفسه في مطلع الطبقات ص (13) وما بعدها.

عيينـــة، وجـــامع أبي قـــرة موسى بن طـــارق اللحجي الجنــدي، ومن المرويــات عن مالك في الموطأ وغــيره مثل كتاب أبي مصعب، أو عما يُروى عن طـاووس وابنه وقدماء فقهاء اليمن الـذين ذكـرت أطرافـاً من فضـلهم وشيوخاً من جلهم)[1].

ومن هـذين النصـين يتـبين أن الأصل في أهل اليمن اتباع الكتاب والسنة على مذهب المحدثين، وبعد انتشار المــذاهب الإســلامية وصــلت تلك المــذاهب المالكية والحنفية والشافعية، وأما المـذهب الحنبلي في الفـروع فلم يســجّل له وجــود في اليمن تلك الفـــترة، وكـــان المــذهب المــالكي هو أول تلك المــذاهب انتشــاراً ثم الحنفي ثم الشافعي، وليس للمذهب المالكي وجود في اليمن الآن، وبقي المـــذهب الحنفي في زبيد بشـــكل محدود، بينما انتشر المذهب الشافعي في عمـوم اليمن بما في ذلك صــنعاء وذمـــار وما والاهما حـــتى القـــرن الحادي عشر، حينما فرض المذهب الهادوي الذي يتبنـاه الأئمة الزيدية على تلك النـواحي، وانقسـمت اليمن بعد ذلك انقسـاماً ظـاهراً، حيث سـاد المـذهب الشـافعي اليمن الأســـفل وتهامة وما والاها من البلاد الجبليــــة، والجند ومــــاحو لها بما في ذلك معظم مخا ليــــف، إب والحجرية كاملة، والبيضـــــاء وما يلتحق بها، ومــــأرب والجوف، هذا فيما كان يعرف باليمن الشــمالي، وأما ما كــان يعــرف بــاليمن الجنــوبي فكله شــافعي ولاوجــود للمذهب الهادوي فيه، وماعدا ذلك فالسائد فيه المذهب

---

[1] (?) طبقات فقهـاء اليمن ص (34)ـ تـأليف عمر بن علي بن سمرة الجعدي تحقيق فؤاد سيد نشر دار القلم بيروت بدون تاريخ.

الهــادوي، وهو يمتد من صــعدة شــمالاً إلى يــريم وما جاورها جنوبـــــاً مقتصـــــراً على المنطقة الجبلية إلى مشارف تهامة غرباً.

هذه صورة مختصرة للمـذاهب الفقهية الـتي سـادت اليمن، ولكن يجب ألا نغفل حقيقة مهمــة، هي أن اتبــاع الكتاب والسنة والتجرد لهما، ونبذ التعصب المـذهبي بل نبذ التمـذهب بشـكل تـام بقي مسـتمراً في اليمن، ولم يلغه وجــود المــذاهب الفقهية وانتشــارها، بل ظل حيــاً حاضـراً وإن ضـعف في بعض الأحيـان وخفَتَ صـوته إلا أنه مازال موجـوداً خصوصـاً في المنـاطق الزيدية، وقد اشتهر جماعة من المجتهدين النابذين للتقليد الذين كان لهم الأثر الطيب على العلم والعلمــاء، وكــانوا نبراســاً مضـــيئاً في حوالك الظلم الـــتي لبَّدت ســـماء الأمة الإسـلامية قرونـاً عديـدة، وأصـبحوا أسـاتذة الاجتهـاد، والتجديد، وحرية الرأي، ورمز الاقتداء بالسـلف الصـالح ليس في اليمن فقط ولكن في العالم كله، حيث تتداول كتبهم بل وتصـبح من المقـررات الأساسـية في أشـهر الجامعــــات الشـــرعية والمعاهد الدينية في العـــــالم الإسلامي، من أشهر أولئك:

1) محمد بن إبراهيم الوزير[1].

---

1 (?) هو إمـام أهل السـنة في زمانـه، بل مجـدد الإسـلام في اليمن في القرن الثامن محمد بن إبراهيم الوزير مولده سنة (775 هــ) وقد نشأ على طريقة قومه الزيدية المعتزلــة، ثم رغب عنها وتحـول إلى الطريقة السـلفية، فـبرع في علـوم الكتاب والسنة، واسـتكمل أدوات الاجتهـاد، واضـطهد لـذلك، فصبر، وصابر، وألف، وناظر، ولو لم يكن له إلا كتابه العظيم العواصم و القواصم لكفى، كيف وله مؤلفــات فائقة كثــيرة سواه، وهو رأس المدرسة السـلفية الـتي مـازالت - والحمد

2) صالح بن مهدي المقبلي[1].

3) الحسن بن أحمد الجلال[2].

4) محمد بن إسماعيل الصنعاني.

5) محمد بن علي الشوكاني.

لله - قائمة إلى اليوم، لا يكاد مؤرخ من مؤرخي اليمن إلا وهو يشيد بفضله، وقد ترجم له من يصعب حصرهم، وأثنى عليه حتى من يخالفه من الزيدية وغيرهم، وألفت رسالة علمية بعنوان " ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية وجهوده في الدفاع عن السنة النبوية "، قدمت لجامعة أم القرى بمكة للشيخ علي بن علي جابر الحربي توزيع عالم الكتب ط الأولى (1417). وانظر ترجمته كذلك: البدر الطالع (1/81-93)، وهجر العلم للقاضي إسماعيل الأكوع (3/1367-1376)، والبحث الضافي الذي بعنوان الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم و القواصم في مقدمة العواصم والقواصم (1/7-100)، طبع مؤسسة الرسالة بيروت (1418هـ-1992م) للقاضي إسماعيل الأكوع.

[1] (?) صالح بن مهدي بن علي المقبلي، أحد أعلام علماء اليمن والمجتهدين فيه، تجرد عن التقليد والتزم الأخذ بالكتاب والسنة، وله مواقف عظيمة مع مقلدي وقته، اشتد عليه بسببها الأذى فهاجر إلى مكة، وهناك ألف بعض مؤلفاته ومنها العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء و المشايخ، وذيله الأرواح النوافح توفي سنة (1108هـ). انظر: البدر الطالع (1/288)، ومقدمة العلم الشامخ للقاضي عبدالرحمن الإرياني (ص أ - د) طبع مكتبة دار البيان دمشق بدون تاريخ.

[2] (?) الحسن بن أحمد الجلال من الأئمة المجتهدين في اليمن، كبير القدر كثير الإنتاج العلمي، أثنى عليه الشوكاني - رحمه الله - ثناءً كثيراً وهو في الفقه من الأئمة، وإن كان لم

وغيرهم الكثير، وإن كانوا أقل شـهرة منهم؛تضـمنهم " البــدر الطــالع " لشــيخ الإســلام الشــوكاني، "ونشر العــــرف لنبلاء اليمن بعد الألف "، وغيرهمــــا من كتب التـواريخ والـتراجم، وما تـزال هـذه المدرسة قائمة إلى اليوم، وعميدها وأشـهر علمائها في هـذا العصر القاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني -حفظه الله - وهو في اليمن أشهر من نار على علم.

هـذا وأما الاجتهـاد الفقهي في المنـاطق الشـافعية فقليل إن لم يكن معــدوماً، ولعــلّ الســبب في كــثرة المجتهدين في الجهات الزيدية طبيعة المذهب الهـادوي الـذي أبقى بـاب الاجتهـاد مفتوحـاً، بل حـرَّم التقليد في بعض المواضع من أصله، بعكس أتباع المذاهب الأخـرى الذين أغلقوا باب الاجتهاد من بعد القرن الرابع، وصاحوا بكل من ادعاه بأنه جاهل متعالم، أو مارق منحرف.

هذا وقد أطلتُ في هذا الموضع لأنني رأيت جمع كل ما يتعلق بالمذاهب الفقهية فيه ولن أعود إلى شيء من ذلك فيما بعد لعدم اقتضاء الموضوع له.

الفرق العقائدية غير ما تقدم:

لقد ذكرنا فيما تقـدم فـرق الشـيعة الإسـماعيلية و الزيدية وفرقة الخوارج الإباضـية، وإكمـالاً للبحث ينبغي أن نلمَّ ببقية الفرق التي طـرأت على اليمن وعلى أهله الـذين مـازالوا متمسـكين بمنهج السـلف الصـالح في عقيدتهم إلى اليوم، نعم إن منهج السـلف الصـالح منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هو الأصل في اليمن،

يتخلص مما كــان عليه مجتمعه في الجــوانب الأخــرى من منهجـه، تـوفي سـنة (1084 هــ). انظـر: البـدر الطـالع. (1/191)، وهجر العلم (1/342).

والمناهج الأخرى إنما هي طارئة عليه، وكان هـذا المنهج هو منهج الأمة بكاملها حينما كــانت الأمة هي الصــحابة الكرام وتابعوهم بإحسان، ثم بدأت الفرق الضالة تخـرج عن هذا السبيل، وتفارق ذلك المنهج فخـرجت الخـوارج ثم الروافض ثم القدرية في عهد الصـحابة أنفسـهم، ثم توالت تلك الفرق في الانحراف ومفارقة المنهج القـويم والصراط المستقيم، وقد تفرقت تلك الفرق نفسها إلى فرق فرعية كثيرة جـداً، وظهـرت فـرق جديـدة ذات أثر في الســـاحة الإســـلامية؛ منها الجهمية ثم المعتزلة ثم الكلّابية و الماتريدية و الأشـاعرة، وهـذه الثلاث الفـرق الأخـيرة في الواقع قد تـبيّن لها ضـلال الفـرق السـابقة عليها وخصوصاً الجهمية والمعتزلة اللتين تشــتركان في الانتساب إلى علم الكلام.

وقد حـاول أئمة تلك الفـرق الثلاث العـودة إلى النبع الصافي والمنهل العذب، ولكن آثار علم الكلام لم تمكن الإمــامين ابن كلاب[1]، والماتريــدي [2] من ذلك، فتخلصا من كثــير من بــدع وعقائد الجهمية والمعتزلــة، وبقي

---

1 (?) هو عبدالله بن سـعيد بن كُلّاب القطـان البصـري رأس المتكلمين بالبصــــرة في زمانه وإمــــام الطائفة المعروفة بالكلابيــة، تـوفي سـنة (245). انظـر: السـير (11/174)، وطبقات الشافعية (2/245)، ولسان المـيزان (3/360)لابن حجر طبع دار الفكر بيروت ط الأولى (1407هـ- 1987م).

2 هو أبو منصـور محمد بن محمد بن محمـود السـمرقندي، يلقب بإمام الهدى وإمام المتكلمين، تـوفي سـنة (333 هــ)، وهو مؤسس المدرسة المشهورة بالماتريدية نسبة إليـه، وله عند أتباعه منزلة عظيمة. انظر: مقدمة كتـاب الماتريدية ص (93 - 99) للشـيخ أحمد بن عـوض الله بن داخل اللهيـبي الحربي، طبع دار العاصمة بالرياض، والأعلام (7/19).

لديهما بعضها وأخـذا ببعض أصـول السـلف أهل السـنة، وقصّرا في بعضـها، والله تعـالى يتولاهمـا، وهو أعلم بما في نفوسهما سبحانه، أما نحن فندعوه سبحانه أن يغفر لهما وللمخلصـين من أتباعهمـا، وأن يتجـاوز عمَّا أخطـآ فيه، ما دام الحامل لهما عليه حب التنزيه والخشـية من التشبيه، ولكن حبنا لهما ورغبتنا الصادقة في أن يتجـاوز الله عنهما لا يجعلنا نصـــحح مـــذهبهما ونســكت عن خطئهما.

وأما أبو الحسن الأشـــــعري -رحمه الله - فله ثلاثة أطوار:

الطـــور الأول: الاعـــتزال المحض على طريقة أبي علي الجبّائي الذي كان متزوجاً بأمه وكافلاً له

الطـــــور الثــــاني: تقرير ما كــــان عليه ابن كُلّاب وأصحابه.

الطـــور الثـــالث: رجوعه الكامل إلى ما كـــان عليه السـلف الصـالح وذلك في كتبــه: " الإبانة عن أصــول الديانة "، " ومقالات الإسلاميين "، " ورسـالتي إلى أهل الثغر "، وهنـــاك من يخـــالف في تـــرتيب الطــوْرَين الأخيرين، أو يجعلهما طوراً واحداً [3].

لكن عامة من ينتســـبون إليه إنما ينتســـبون إلى ما كـان عليه في الطـور الوسـط، فهم في حقيقتهم كُلّابية أو قريباً منهـا، وليسـوا على السـنة المحضة الـتي كـان عليها السـلف الصـالح والـتي عـرفت فيما بعد خصوصـاً

---

3 انظر لتحقيق تلك الأقوال والترجيح فيها: كتـاب موقف ابن تيميه من الأشـــاعرة، للـــدكتور عبـــدالرحمن بن صـــالح بن المحمـــــود، طبع مكتبة الرشد بالريـــــاض، الطبعة الأولى (1415هـ-1995هـ)

بعد محنة القول بخلق القرآن عرفت (بمذهب أحمد ابن حنبل) أو (بالحنابلة)، ولم يكن الإمام أحمد -رحمه اللـه- متفــرداً بهــا، بل هي عقيــدة ســائر أئمة أهل الســنة وأصـــحاب الحـــديث، وعلى رأســـهم الإمامـــان مالك والشافعي وكذلك الإمام أبو حنيفة، إلا ما يــذكر عنه في مسألة الإيمان، هذا وإن كثيراً من علماء الحــديث وأئمة الفقه والمفســـرين وغـــيرهم هم في الأصل من أهل السنة وأتبـاع السـلف الصـالح، ولكنهم قد تـأثروا ببعض أقوال الأشـاعرة أو الماتريدية خصوصـاً في تأويل بعض الصــفات، وهــذا لا يجعلهم أشــاعرة ولا ماتريدية، لأنهم من أهل الحــديث والآخــذين به والمقــدمين له على كل الأصول، بخلاف الأشـاعرة المتكلمين وكـذلك الماتريدية المتكلمين فإنهم يقدِّمون العقل، ويتحـاكمون إلى قواعد المنطق وعلم الكلام مقدمين ذلك على الكتاب والسنة، وهـــذا فـــارق كبـــير بينهم وبين المتمســـكين بالآثـــار، والمقـدمين للأخبـار، والتـابعين للسـلف الأخيـار، الـذين وقعوا في تقليد أولئك في بعض المسائل[1].

بعد هـذه المقدمة المهمة في نظـري أعـود فـأقول: إنه لم يثبت بشــكل جلي وجــود للماتريدية أو الأشـعرية في اليمن في هذه الفترة.

وأما المعتزلة فالصـحيح أن الـذي أتى بها إلى اليمن هو الهادي إلى الحق يحـيى بن الحسـين سـنة (285ه)، فالزيدية في العقيدة معتزلـة، وإن خـالفوا المعتزلة في المنزلة بين المنزلـتين، فجعلـوا مكانها الإمامة، ويقــول

---

1 (?) انظـــر: منهج الأشـــاعرة في العقيـــدة ص (15 -17)، للدكتورســفر بن عبد الــرحمن الحــوالي، طبع مكتبة العلم بالقاهرة (1415هـ-1995م).

بعض الباحثين: إن اعتزال زيدية اليمن في بداية أمـرهم كـان على طـريقتهم الخاصة بهم، وليس هو الاعـتزال المعروف المنسوب إلى واصل بن عطاء وأتباعه.

وقد ظلت الزيدية على ذلك إلى أن ظهـــــــــرت المطرفيَّة[1]، وانتشـرت، وفشت بين النـاس، وأصـبحت تشـكل قـوة علمية وبشـرية يحسب لها ألف حسـاب، وخصوصـاً أنهم قد خـالفوا السـائد من عقائد الاعـتزال وعقائد الزيدية في أمـور أهمها: مسـألة الإمامة وأنهم لا يحصـرونها في أبنـاء علي ، وإنما من جمع صـفاتها من المسلمين، فهو أهل لها، وكذلك التفضيل بمجرد النسب لا يقرونه، فتدخلت الغيرة على العقيدة مع الغـيرة على الميزة التي اكتسـبها بعض النـاس في مسـألتي الإمامة والنسب، وعند ذلك رغب القـــائمون على المـــذهب الزيـدي وعقيدته الموروثة في التصـدي لهـذه الفرقة، وهزيمتها فكريـاً عن طريق المنـاظرة، ولما كـان رجـال المطرفية أكثر علماً وأنضج فكراً؛ وشعر الطرف الثاني بـــذلك؛ رغب في تســليح فريقه برجـــال على نفس المستوى، بل أقوى ليحملوا فكره، ويدافعوا عن أصـوله ومبادئه بالطريقة التي يريدها هـو، و عنـدما علم الإمـام المتوكل أحمد بن سليمان أن أحد علماء المعتزلة وصل

1 (?) المُطَرِّفِيــة: هي فرقة من فــرق الزيدية منســوبة إلى مطـــرف بن شـــهاب من أعلام أواخر المائة الرابعة وأوائل المائة الخامسة، وكـانوا على جـانب عظيم من الإقبـال على العلم والاشـــتغال به والإخلاص في الطاعة والعبـــادة، حصل بينهم وبين الإمــام عبدالله ابن حمــزة شــقاق فقضى عليهم قضاء مبرماً. انظر: الزيدية للأكوع ص (76 - 77) وتيـارات معتزلة اليمن ص (187، 192).

إلى مكة لأداء الحج عام (540 هـ) سارع باستدعائه إلى اليمن، فأجـاب إلى ذلك، ووافى الإمـام في محل إقامته حينها هجرة محنكة من خـولان صـعدة في مطلع عـام (541ه)، ومعه كتب الاعــتزال، وبقي في اليمن ســنتين ونصف لنشر الاعـــتزال على طريقة معتزلة البصـــرة، وهي تخــالف الاعــتزال الــذي كــان في اليمن من قبل والذي كان أقرب إلى معتزلة بغداد، وقد التقى في هذه الفـــــترة القاضي جعفر بن عبد الســــلام الأبنـــــاوي بالبيهقي[1]، وأخذ عنه علوم الاعتزال وأســلوب المحاجة والمناظرة اسـتعداداً لمنـاظرة المطرفيـة، ثم لما عـزم البيهقي على العودة إلى العراق عزم معه جعفر بن عبد الســلام ليــتزود من المنبع الأصــلي للاعــتزال، غــير أن البيهقي مات في تهامة في طريق العودة، فلم يثنِ ذلك عزيمة ابن عبد السـلام، بل واصل المسـير إلى العـراق وفـــارس، وأخذ في كل بلد حلّه عن علمـــاء المعتزلة فيه[2]، ثم عــاد يحمل كتب المعتزلة معــه، وبهــذا تكامل وجود المعتزلة في اليمن، بل إن من البـاحثين من يـرى أن المعتزلة لم تدخل اليمن إلا من ذلك التاريخ.

ولكن الحق أن الــذي دخل في ذلك التــاريخ هو فكر وعقيدة معتزلة البصرة التي تخالف الاعتزال الــذي ظل قائمـاً في المجتمع منذ دخل الهـادي إلى أن ظهر جعفر

---

1 (?) هو زيد بن علي بن الحسن البيهقي المعـتزلي، حج سـنة (540 هــ) فاســتدعاه الإمــام أحمد بن ســليمان إلى اليمن فوصل صعدة سـنة (541 هــ) ومكث يـدرس كتب الاعـتزال في مسجد الهادي بصــعدة ســنتين ونصف ثم رحل إلى بلاده فمـات في تهامـة. انظـر: تيـارات معتزلة اليمن ص (132 - 134).

2 (?) ملخص من تيارات معتزلة اليمن ص (132-135).

بن عبدالســـلام في أيــام المتوكل على الله أحمد ابن سليمان المتوفى سنة (566 هـ)[1].

المطلب الرابع: اســتمرار منهج الســلف الصــالح رغم مزاحمة المناهج المختلفة له:

لقد تكفل الله بحفظ دينه وكتابه الكريم، فقـال جـلّ من قائل: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**[(2)]، ومقتضى حفظه أن يبقى ظاهراً قائماً، وأن تقوم به طائفة تمثله بحق، وتعمل به بصـــــدق، وتـــــدعو إليه بإخلاص، على وفق ما نـزل الكتـاب و ما بلغ الرسـول ﷺ ووفق ما فهمه الصحابة الكرام من الكتاب والسـنة دون زيــادة أو نقصــان أو انحــراف، وقد أكد هــذا المعــنى الرسـول ﷺ في قولـه: **$لا تـزال طائفة من أمـتي على الحق ظـاهرين لا يضـرهم من خـذلهم ولا من خـــالفهم حـــتى يـــأتي أمر الله وهم على ذلك#**[(3)].

وإذا كــان هــذا الوعد يشــمل جميع بلاد الله الــتي يظللها الإســلام، فــإنَّ يمن الإيمــان والحكمة من أحق البلاد بتحقيق هــذا الوعــد، وبالفعل فــإن تــاريخ اليمن لمليء بالأدلة على هـذه الـدعوى، فلم يخـلُ جـانب من جــوانب منهج أهل الســنة والجماعة ممن يقــوم بــه، ويــدافع عنه طــوال التــاريخ اليمــني، أو على ســبيل الاحتياط في معظم مراحل التاريخ.

---

1 (?) انظر الصــلة بين الزيدية والمعتزلة ص (71)، للــدكتور أحمد عبدالله عــارف، طبع المكتبة اليمنية صــنعاء ودار أزال بيروت، الطبعة الأولى (1407هـ- 1987 م).

2 (?) سورة الحجر آية (9).

3 (?) تقدم تخريجه ص (109)

وإذا كـان قد مـرَّ بنا أن غـالب القـرون الثلاثة كـان الظاهر فيه مذهب أهل السنة والجماعة في اليمن، فإن الفـترات اللاحقة لم تشـهد غيابـاً كـاملاً لهـذا المـذهب، وإنما قد يضـعف، ويضـايق، ويضـطهد دعاته في بعض الأحيـان، ثم لا يلبث أن يظهـر، وما إن تُرفع الحجب، وتـزال العقبـات من أمامه حـتى يهـرع النـاسُ إليه، يتسابقون عليه، ويسيرون تحت لوائـه، وذلك أنه الوحيد المنسجم مع الفطرة والذي تميل إليه الأنفس والقلـوب الـتي لم تعمَ بظلمـات البـدع، ولم يعكر عليها غبـار الشـبهات، ومن الأدلة الناصـعة على أن منهج السـلف الصـالح هو المنهج المنسـجم مع الفطـرة السـليمة أن جميع المـذاهب الوافـدة على اليمن لم تظهـر، وتنتشر بين النـاس إلا في ظل دول قوية وسـلطات قـاهرة، ماعـدا منهج أهل السـنة والجماعة فإنه يقـوم بنفسـه، وينتشر بما جعل الله فيه من عوامل البقـاء والخلـود والانتشـار، وسـيظهر ذلك مما سـنورده في المبـاحث القادمة عند الكلام على تلك المناهج.

وإذا علمنا أن الأصل الـذي كـان عليه أهل اليمن هو مذهب أهل السنة والجماعة وأن المـذاهب الأخـرى إنما طرأت عليه، فإن المعروف المقرر هو بقاء ما كان على ما كـان حـتى يثبت خلافه، ولم يثبت أن مـذهباً من تلك المـذاهب الوافـدة قد طبق اليمن قاطبـة، ولم يـدّعِ أحد من أهل تلك المـذاهب ذلـك، وهـذا وحـده يكفي دليلاً على اسـتمرار مـذهب السـلف الصـالح وعـدم انقطاعه إلى يومنا هذا.

وهذا ما نلمحه جليـاً في كلام المـؤرخين، والشـهادة الأولى لمؤرخ زيـدي هو يحـيى بن الحسـين ابن القاسم

في طبقات الزيدية حيث يقول: (قلت: وكـان اليمن في هـذا التـاريخ - وهو سـنة أربعمائة إلى خمسـمائة - فيه اختلاف شـديد في المـذاهب، واضـطراب وفتن وشـبه يوردها كل فريق، فكان فيه الزيدية فـريقين: مخترعة و مطرفية، وفي اليمن الأسفل حنبلية وشافعية، ولما كان رأس خمسـمائة فما بعـدها غلب على اليمن الأسـفل مـذهب الأشـعري لما خـرج من الشـام مع بـني أيـوب، فـإنهم أخرجـوا معهم " المقالة القدسـية " أول إحيـاء علـوم الـدين في عقيـدة الأشـعري فمـال إليه أكـثر الشـافعية في ذلك الـوقت؛ لأن الأشـعري في ثلاثمائة سنة وكانت وفاته أربع وعشـرين وثلاثمائة... ثم اختلفت الشافعية بـاليمن فمنهم من قـال بمقالة أحمد بن حنبل بـأن المتشـابهات تمر من غـير تأويل مع اعتقـاد أن الله ليس كمثله شـيء، واحتجـوا بقـراءة الوقف على قولـه: **﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾**[1]، ومنهم من تـأول ذلك كما يقـول الأشـعري، وجـرت بينهم منـاظرات في ذلك الزمن لاسيما العمراني الشافعي صـاحب " البيـان على مـذهب الشـافعي فإنه بنى على أصـول أحمـد) انتهى محل الغرض منه[2]، وقد عقَّب القاضي الأكوع على هذا الكلام بقوله: (ورغم هذه التيارات المتعاكسة المتضاربة فقد ظل اليمن صـامداً أمـامهم لم تـتزعزع عقائـده أو يهدم بنيانه المتراص إلا بعد فترة متراخية، ثم ذكر نحـواً

---

1 (?) آل عمران(7).

2 (?) طبقات الزيدية مخطوطة، بواسطة مقدمة السلوك في طبقـات العلمـاء والملـوك ص (34) للقاضي بهـاء الـدين الجنـدي، الطبعة الثانية (1416هـ-1995م) مكتبة الإرشـاد صنعاء، والمقدمة للقاضي الأكوع.

مما ذكره في كتابه اليمن الخضراء ونقلناه سـابقاً[1]، ثم قال: (هذا هو العمل السـائد في العقائد والمقامـات في عمـوم اليمن ماعـدا حضـرموت فالغـالب عليها مـذهب الخوارج).

ولما تغلغلت هــذه المــذاهب في النفــوس بطبيعة التفاعل والامتزاج انبثق عنها في القــرن الرابع الهجـري مذاهب متشعبة فمن حنفية إلى مالكية إلى شافعية إلى هادوية في صعدة، والمذهب السائد هو مـذهب السـلف الذين لا ينتمون إلى أي إمام من أئمة المذاهب)[2].

ويقول شيخ الإسـلام الشـوكاني -رحمه الله تعـالى-: (و لا ريب أن علمـــاء الطوائف لا يكـــثرون العناية بأهل هــذه الــديار لاعتقــادهم في الزيدية مــالا مقتضى له إلا مجرد التقليد لمن لم يطلع على الأحوال، فـإن في ديـار الزيدية من أئمة الكتاب والسـنة عـدداً يجـاوز الوصـف، يتقيدون بالعمل بنصـوص الأدلة، ويعتمـدون على ما صح في الأمهات الحديثية، وما يلحق بها من دواوين الإسـلام المشتملة على سنة خير الأنام، ولا يرفعــون إلى التقليد رأساً، ولا يشوبون دينهم بشـيء من البـدع الـتي لا يخلو أهل مـذهب من المـذاهب من شـيء منها، بل هم على نمط السلف الصالح في العمل بما يدل عليه كتـاب الله وما صح من ســنة رســول الله ﷺ مع كــثرة انشــغالهم بــالعلوم الــتي هي آلات علم الكتــاب والســنة من نحو وصـرف وبيـان وأصـول ولغة مع عـدم إخلالهم بمـا عـدا ذلك من العلـوم العقليـة، ولو لم يكن لهم من المزية إلا التقيَّد بنصوص الكتاب والسنة وطرح التقليد، فـإن هـذه

[1] (?) انظر: ص (239)

[2] (?) المصدر السابق (1/33).

خصيصة خص الله بها أهل هـذه الـديار في هـذه الأزمنة الأخيرة، ولا توجد في غيرهم إلا نادراً)[1]..

وفي القـرن الرابع نـرى من يحمل منهج أهل السـنة والجماعة ومـــذهبهم، ويـــرد على من خـــالفهم، فهـــذا الحســـين بن عبدالله المـــراغي له كتــاب يــردّ به على المعتزلة باسم الحروف السبعة في الــرد على المعتزلة وغـــيرهم من أهل الضـــلال والبدعة " وقد عـــاش آخر القــرن الثـالث وبداية القــرن الرابع حيث تــوفي سن (324ه)[2]، وهو وافد على اليمن وليس من أهلهـا، ولكنه استقر بها، وصار له أتباع أخذوا عنه ذلك المذهب الــذي كان في الأصل موجوداً قبل وروده [3].

وفي القرن الخــامس يمر بنا الفقيه عبدالله بن يزيد اللَعفي، قال الجندي: (له تصانيف على معتقد السـلف)، وكان يعيش في القرن الخـامس ووفاته (بعد خمسـمائة بيسير)[4].

وفي القرن الخامس أيضاً كـانت مدرسة الإمـام زيد بن عبدالله اليفـــــــاعي[5]، وهي مدرسة عظيمة جليلة، يدرس فيها فنون مختلفـة، ومن أعظمها علـوم العقيـدة على مذهب السلف الصـالح والفقه على مـذهب الإمـام الشــافعي -رحمه اللــه-، وكــان أصــحابه فــوق ثلاثمائة

1 (?) البدر الطالع (2/83).

2 (?) طبقات فقهاء اليمن ص (83).

3 (?) انظر: السلوك (1/232).

4 (?) المصدر السابق (1/251).

5 (?) زيد بن عبدالله اليفاعي، من فقهاء الجند السـائرين على منهج السلف الصالح في الأسماء والصفات، صـاحب مدرسة متميزة في الفقه وله أتباع وتلاميذ كثيرون تـوفي (514هــ)، طبقات فقهاء اليمن ص (119)، هجر العلم (4/2377).

متفقه في غالب الأيام، حـتى لقد خشي منه ومن أتباعه وأتباع شيخه أبي بكر بن جعفر المحـابي أمـير الجند من قبل الصـــليحي، فعمل الحيلة للإيقـــاع بين الشـــيخين وأتباعهما؛ مما اضطر الشيخ زيد للرحيل إلى مكة تجنبـاً للفتنة[1].

وعاصـــره وكـــان على نفس المنهج الإمـــام زيد بن الحسن الفايشي[2]، غــير أن الأول كــان بالجند والثــاني بالجعامي من أعمال إب، وتــوفي ســنة (528ه) وقيل (527ه)[3] -رحمه الله- وفي مدرستيهما كان يدرس علم التوحيد على مــذهب الســلف الصــالح - رضــوان الله عليهم - وعنهمــا وعن غيرهما من العلمــاء أخذ الإمــام

1 (?) انظر: طبقات الفقهاء ص (120)، والسلوك (1/263).

2 (?) هو زيد بن الحسن الفايشـــي، من فقهـــاء الشـــافعية المنتمين لمذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات، كبير القدر عظيم الأثر في منطقة الجعامي بإب توفي سنة (528 هــ) انظر ترجمتـه: طبقـات فقهـاء اليمن ص (155)، وهجر العلم (1/389).

3 (?) انظر: السلوك (1/285 ـ 287) وهجر العلم (1/391 - 392).

يحيى بن أبي الخـير[1] ذلك المـذهب[2]، والإمـام ابن أبي الخـــير هو رأس أهل الســـنة في اليمن في القـــرن الســادس، فقد تبنــاه ودافع عنه وكــافح وألّف ونــاظر وخرّج الطلاب عليه، وقد عني بــالرد على المعتزلة حين وفـــــــودهم إلى اليمن يمثلهم القاضي جعفر بن عبد السلام المعتزلي فـألّف كتابه " الانتصـار في الـرد على القدرية الأشـرار، ثم ظهرت الأشـاعرة فأضـاف - رحمه الله - إلى ما ذكـــره في الانتصـــار من مســائل القدرية مذهب الأشعرية والرد عليهم، قال ابن سَمُرة: (فأجحف فيه على الأشــعرية وقطع حلــوقهم وأفحمهم خصوصــاً بـــذلك من يقـــول: **﴿ما أنـــزل الله على بشر من شيء ﴾**[3].

ففرح الفقهاء بكتابه " الانتصار " و انتسـخوه ودانـوا به واعتقدوه)[4].

---

1 (?) هو يحيى بن أبي الخـير العمـراني، إمـام شـهير من أئمة علمـاء اليمن، إمـام في الفقه وهو صـاحب كتـاب " البيـان" الشهيرالذي اعتنى بطبعه قاسم محمد النـوري وطبع الطبعة الأولى بدار المنهاج بيروت سـنة (1421هـ-2000م)، وإمـام في السنة على منهج السـلف الصـالح، رأس علمـاء الحنابلة في اليمن وصـاحب كتـاب" الإنتصــار في الـرد على القدرية الأشــرار " الــذي حققه ســعود ابن عبد العزيز الخلف وطبع بدار أضواء السلف بالريـاض الطبعة الأولى سـنة (1419هـ-1999م).

2 (?) انظر: طبقات الفقهاء ص (175 - 177).

3 (?) الأنعام(91).

4 (?) طبقـات الفقهـاء ص (181) وقد أخـرج كتـاب الانتصـار وطبع بعد أن حقق وقـدم رسـالة جامعية للجامعة الإسـلامية بالمدينة المنورة

وقال ابن سمرة قبل ذلك: (وكان الإمام يحيى قد سمع في مدرستي الشيخين الإمامين زيد بن حسن الفايشي وزيد اليفاعي " كتاب التبصرة " في علم الكلام وأصول الدين تصنيف أبي الفتوح[1] على مذهب السلف الصالح، وهما ينقلانه جميعاً عن الشيخ أبي نصر البندنيجي مصنف المعتمد في الخلاف، فإنهما صحباه جميعاً في مكة، وعن الإمام يحيى أخذ مشايخنا " التبصرة في أصول الدين ورويناها عنهم وكان -رحمه الله - يُسمعها في مدرسته، ويعلمها من طلبها، فناظر الشريف العثماني وهو أشعري، ونصر مذهب الحنابلة أهل السنة)[2].

وقد ملأ أطراف اليمن أصحاب وتلاميذ الإمام يحيى بن أبي الخير، ونشروا ما أخذوا عنه في كل مكان حلّوا فيه، ومن أشهر من خلفه في ذلك الطريق الفقيه مسعود بن علي بن مسعود العنسي[3]، وقد كان شديد الغيرة على ذلك المذهب، حتى أنه عندما أظهر طاهر بن يحيى بن أبي الخير القول بمذهب الأشاعرة بعد موت أبيه، غضب لذلك، وقام فيه قياماً حسناً، وألّف في الرد عليه، قال الجندي وهو يتكلم على انحراف

---

1 (?) انظر ترجمته: طبقات الفقهاء ص (91) والسلوك (1/230)

2 (?) طبقات الفقهاء ص (177).

3 (?) مسعود بن علي العنسي أحد كبار أصحاب الإمام يحيى بن أبي الخير والسائرين على منهاجه منهاج أهل السنة، وله في ذلك مواقف مشهورة ومؤلفات في الرد على من خالف مذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات، توفي سنة (604 هـ). انظر ترجمته: طبقات فقهاء اليمن ص (216)، وهجر العلم (2/731).

طـــاهر ونقض توبته الـــتي أعلنها في حيـــاة أبيه أثنـــاء ترجمته لسيف السـنة الـبر يهي: (ولـذلك أجمع الفقهـاء على هجـره والإنكـار عليه مشـافهةً ومراسـلة ومكاتبـةً، وكان من أعظمهم في ذلك القاضي مسعود، ولهـذا في الرد عليه كتـاب كبـير وأخبـاره يطـول ذكرهـا)[1]، وبهـذا تعرف غيرة هذا الفقيه على مـذهب أهل السـنة، وليس وحـــده ولكن أجمع جميع الفقهـــاء الحضرميين في ذلك الوقت على ما أبدى على طاهر بن يحيى بن أبي الخــير من الإنكار والهجر، ثم تسلمت الراية مدرسة أخرى هي مدرسة الإمام سيف السـنة أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله البر يهي السكسكي.

قـال الجنـدي: (وله كتب عـدة في الأصـول، يـرد بها على المعتزلة و الأشـعرية، وكـان كبـير القـدر، شـهير الـذكر، صـاحب كرامـات عديـدة، وكتب مفيـدة)[2]، وقد حذا طلابه حـذوه في الـرد على الأشـاعرة وغـيرهم[3]، وبأصحاب الإمام الـبر يهي نقطع أن مـذهب أهل السـنة كان ظاهراً قوياً إلى ما بعد منتصف القـرن السـابع، أي إلى بعد دخول الأيوبيين إلى اليمن بنحو مائة سـنة حيث كان دخولهم سنة (569هـ)[4].

وبعد منتصف القـرن السـابع بـدأت تقل المعلومـات

---

1 (?) السلوك (1/322).

2 (?) انظر ترجمته: طبقات فقهاء اليمن ص (190)، والسلوك (1/318).

3 (?) انظر: ترجمة صاحبه وتلميذه محمد بن مضمون بن عمر بن أبي عمران في هجر العلم (3/2134)، وقد توفي سنة (663)

4 (?) انظر: قرة العيون ص (265).

عن وجود قائمين بمذهب السلف، ولكن مذهب السلف الصالح ما كاد ينحسر عن المناطق الشافعية حتى لمع نجمه زاهراً مضيئاً في المناطق الزيدية على يد مفخرة اليمن الإمام العظيم محمد بن إبراهيم الوزير الذي عاش في أواخر القرن الثامن و أوائل القرن التاسع، فقد جدد هذا الإمام العظيم مذهب السلف الصالح في تلك المناطق، وأشاد أركانه، وأوضح معالمه؛ مما جعل كتبه مرجعاً لأهل السنة وعلماء السلفية في مختلف بلاد العالم الإسلامي، رغم ما لاقى في سبيل ذلك من محن وأذى، قابلها بالصبر والاحتساب وسعة الصدر والإصرار على التمسك بالحق الذي آمن به.

وقد كتب الله له النجاح في دعوته، وأثمرت جهوده بإنشاء مدرسة علمية سلفية، راسخة القواعد طيبة الثمار، مازال سبيلها معموراً إلى الآن، وقد سقنا الحديث عنها في هذا المبحث، والغرض هو تقرير أن منهج السلف الصالح في العقيدة مازال موجوداً حاضراً فاعلاً في اليمن منذ أن دخلها على يد معاذ وأبي موسى - رضي الله عنهما - إلى اليوم، وذلك تصديقاً لقول النبي ﷺ: **$لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك#**[1].

---

1 (?) تقدم تخريجه ص (108).

المبحث الثاني: الإسماعيلية ودورها في نشر القبورية في اليمن

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: طوائف الإسـماعيلية الـتي دخلت اليمن:

سبق في المبحث الأول أن الإسماعيلية الـتي دخلت اليمن فصـــيلان: أما الفصـــيل الأول فهم القرامطـــة، ويمثلهم علي بن الفضل الجـــــدني، وقد انتهى هـــــذا الفصيل بانتهاء دولة علي بن الفضل وابنه الفأفاء سنة (304هـ) كما سبق على يد آل يعفر الحواليين السُنيين.

وأما الفصــيل الثـــاني فهو المنتمي إلى العبيـــديين أصحاب الدولة الفاطمية بمصر، وكان يمثل هذا الفصيل منصور اليمن.

وحينما قضى أهل الســنة على الدولة الإســماعيلية ككيـان سياسـي، وانتهى بـذلك أثر علي بن الفضـل، لم ينتـــهِ أثر ابن حوشب أو منصـــور اليمن، بل إنه عهِـــدَ بالــدعوة من بعــده إلى من يقــوم بها كما ســيأتي في المطلب الثـالث، ولكن الـذي يهمنا هنا أن الإسـماعيلية في مصر في آخر عهد الدولة العبيدية انقســـــمت إلى قسمين: مستعلية، و نزارية، تبعاً للإمـام الـذي تبعته كل فرقة منهـا، وذلك أنه بعد مــوت الخليفة " المستنصر " اختلف على من يخلفه في الإمامـــة، فبـــايع قـــوم ابنه الأكـبر "نـزار " وهم النزاريـة، وبـايع قـوم آخـرون ابنه الأصغر " أحمد " وسموه " المسـتعلي وهم المسـتعلية، والذي يهمنا أن الذين في اليمن من الإسـماعيلية ومنهم

الصليحيون هم من فرقة " المستعلية "[1].

ثم انقسمت المستعلية بـاليمن إلى قسـمين همـا: " الداودية " أتبـــاع الـــداعي " داهـــود قطب شـــاه " و السـليمانية أتبـاع " سـليمان بن حسن "، فالداودية هم البهرة، والذين ولاؤهم للزعامة الإسماعيلية بالهند، وهم الظــاهرون والــذين ينصــبُّ الكلام عنهم كلما ذكــرت الحركة الإسماعيلية المعاصرة، وهم أشد تطرفـاً وأكـثر قبوريـــة، وأما الســـليمانية فهم الـــذين يطلق عليهم المكارمة وولاؤهم لزعيمهم المتواجد بنجـران، وهم أقل عدداً وأثراً من البهرة[2].

المطلب الثــاني: لمحة عن الدولة الصــليحية مؤسسة القبورية في اليمن:

بعد مــــــوت ابن حوشب أو منصـــــــور اليمن، ظل التواصل جاريـــــــــاً بين خليفته في اليمن عبد الله ابن عبــاس الشــاوري وبين المهــدي " المزعــوم " القــائم بـالمغرب، وكـان قد وصل تكليف رسـمي من المهـدي للشـاوري بالقيـام بـأمر الـدعوة، وفعلاً قـام بهـا، ولكن الحسن بن منصور اليمن لم يسلِّم لـه، وأحب أن يكـون هو قائمـاً مقـام أبيـه، وتـربص بالشـاوري حـتى أمكنته

---

1 (?) الإسماعيلية لإحسان الهي ظهير ص (735-736).

2 (?) الفرقة الباطنية الإسـماعيلية (رؤية من الـداخل) قـراءة جديدة وحقائق معاصـرة وهـذا الكتـاب مصـفوف بـالكمبيوتر ولم يطبع بعد، وفيه حقائق عظيمة جديرة بالاطلاع و الاعتبار بما فيها قبل أن تفــوت الفرصة ويقع الفــأس في الــرأس، ومؤلفه يبدو أنه انتحل اسماً مستعاراً هو (علوي طه الجبل) ويحق له ذلــك؛ لما يخشى عليه من شر وكيد تلك الطائفــة، وكان من المفيد أن يعجل بنشره بين الناس.

الفرصة فوثب عليه فقتلـه، ثم أعلن نفسه قائمـاً مقـام أبيه، وتتبع من كان مع الشاوري فقضى عليهم.

ثم أعلن تخليه عن مـذهب أبيه ورجوعه إلى مـذهب أهل السنة، وكان قد قضى على معظم الرجال البارزين من أعـوان أبيـه، ولم يبق إلا من أمكنه الاسـتتار، وكـان من هـــؤلاء: يوسف بن موسى ابن أبي الطفيل فقـــام بأمر الدعوة، ثم قام بعده جعفر بن أحمد بن عبــاس ثم عبدالله بن محمد بن بشر ثم محمد بن أحمد الشـــاوري ثم هــــــارون بن محمد بن رحيم ثم يوسف بن أحمد بن الأشج ثم سليمان ابن عبدالله بن عامر الزواحي، وكـان هـذا الرجل عظيم الجـاه كثـير المـال، فكلما همَّ به أحد من الناس رد عليه قـائلاً: (أنا رجل مسـلم، أقـول: لاإله إلا الله محمد رسول الله، فكيف يحل لكم دمي ومالي؟ فيمسكون عنـه)، وهو الـذي سـلم الأمر إلى الصـليحي.[1].

وكان أبو الصـليحي محمد بن علي الصـليحي قاضـياً سنياً فاضـلاً ذا مكانة في قومـه، وكـان الشـاوري يـزور هـــذا القاضي الفاضـــل، فلحظ ابنه وما عليه من مخايل النجابة والـذكاء والشـجاعة وغيرها من مـؤهلات القيـام بالـــدعوة بل بالإمـــارة، فكـــان يجالســـه، ويفضي إليه بالدعوة، ويرغبه فيها حتى أقنعه.

ولم يتعجل الشـاب علي بن محمد الصـليحي الأمـر، ولكنه بدأ يمهد لنفسه بخطـوات وئيـدة ثابتـة، فأخذ يحج بالناس عن طريق السراة والطائف لمــدة خمسة عشر عاماً حتى شاع ذكره، وظهرت شخصيته، وعرف مكانه، وكان قد تردد على ألسنة الناس أن ذلك الشاب سـوف

---

1 (?) الصليحيون ص (49- 58)

يملك اليمن، فكـان يسـمعه من كثـير من النـاس ولكن يجيب باسـتبعاد ذلـك، وإن كـان في قـرارة نفسه يتـوْقُ إليه ويزيد تصميماً على بلوغه، وعنـدما حضـرت الوفـاة سـليمان الـزواحي أوصى بكتبه وأموالـه، وكـانت كثـيرة لعلي ابن محمد الصـــليحي، فـــانكب على تلك الكتب، فقرأها، وفهمها، وصار من العلماء بما فيها، وبعد أن بث دعوتـه، و اسـتجاب له أعـداد كبـيرة من النـاس، أعلن ثورته وتبعيته للخليفة الفـــــاطمي " المستنصر بالله "، وذلك من جبل مسار سنة (439ه)[1].

وهكذا تأسست الدولة الصـليحية، ومـازال الصـليحي يتوسع حتى ملك اليمن كله، ولم يكتف بــذلك، بل أدخل الحجــاز ضـــمن دولتـــه، وملك مكة و ما والاهـــا باسم الفـــاطميين، وبعد مكاتبـــات مع خليفته في مصر ولّى العهد لابنه محمـــد، ولكنه ما لبث أن مـــات مبكـــراً في حياة أبيه، فـأُخبر الخليفة بـذلك و طلب أن يقـوم بولاية العهد ابنه الآخر المكـــرم أحمـــد، فوافق الخليفة على ذلك[2].

وفي ســنة (459ه) عــزم على الحج، وأخذ معه من الأموال والنفائس مـالا يقـدّر بثمن، كما حمل معه جميع الملـوك والأمـراء الـذين أجلاهم عن الملـك، وحبسـهم لديه؛ خوفاً من تمـردهم، أخـذهم جميعـاً معه إلى الحج، وعددهم خمسـون ملكـاً، وتـرك ابنه ولي العهد بصـنعاء، وسار من طريق تهامة في مـرافقين آخـرين، وكـان في

---

1 (?) المفيد من أخبـار صـنعاء وزبيد ص (95ـ 100) تـأليف عمارة بن علي اليمـني، طبع دار السـعادة بالقـاهرة، الطبعة الثانية (1396هـ- 1976م).

2 (?) الصليحيون ص (95- 98).

موكبه ألفا فـارس، غـير أن أولئك الفرسـان لم يكونـوا مرافقين له، وإنما كان قد قدّمهم أمامـه، وسـار هو في مجموعة صـغيرة من آل الصـليحي وبعض المقـربين[1].

وكـان من جملة الموتـورين منه آل نجـاح حكـام زبيد الذين أزالهم عنها، وسلبهم دولتهم؛ فكـانوا يتربصـون به الـدوائر، فلما علمـوا بسـفره رصـدوه، ثم تجهـزوا في جهاز غير طائل، ولكنّ توفيق الله صحبهم، ونصره تنزل عليهم ففاجـأوه بمنطقة يقـال لها "المهجم" من تهامـة، فأعملوا في معسكره سلاحهم البسيط، فقتلوه، وقتلـوا أخـــاه، وغنمـــوا جميع ما في المخيم من أمـــوال ومجوهرات ونفائس وسلاح وخيل وغير ذلك، ثم احـتزوا رأسه ورأس أخيـــه، وحملوهما مع النســـاء اللاتي أسـروهن، ومنهن أسـماء بنت شـهاب زوجة الملك علي بن محمد الصـــليحي وأم أولاده، وقد نصـــبوا رأس الصـليحي وأخيه على رمحين، ووضـعوهما أمـام أسـماء على الراحلة، ثم بعد ذلك نصـبوهما أمـام الطـاق الـذي تسكنه بحيث كلما نظرت من الطاقة رأتهما أمامها، وتم لسـعيد الأحـول النجـاحي وإخوانه الاسـتيلاء على زبيد وإقامة الدولة النجاحية السـنية هنـاك، وكـان قتله يـوم السـبت الحـادي عشر من ذي القعـدة سـنة (459هـ)[2] ودام الأمر لبني نجاح سنة واحدة، وقيل أقل من ذلك[3].

في أثنـاء ذلك كـانت أم الملك المكـرم قد هـرَّبت إليه رسـالة، تحثه فيها على العمل على فك أسـارها، وبـالغت في ذلك حـتى

---

1 (?) المصدر السابق ص (99).

2 (?) المفيد من أخبار صنعاء وزبيد ص (126-127).

3 (?) المصـدر السـابق ص (128)، وانظـر: التعليق رقم (1) على نفس الصفحة

قـالت في الرسـالة: (أنها حبلى من العبد سـعيد الأحـول)، ولم يكن شيء من ذلك، وإنما قصدها حثه على الإسراع حيث قالت: إن تأخرت عن إطلاقي تمت الفضيحة حين ألد بولد لذلك العبـد، واسـتغلَّ المكـرم تلك الرسـالة أحسن اسـتغلال، فكـان يقرأها على الناس في المسـاجد والمجـامع، ويثـير بها نخـوتهم، فـألّب الناس، وجهز لاستعادة زبيـد، وفك أسر أمـه، وسـار في عشـرة آلاف شخص حتى داهموا زبيد، واقتحموهـا، وهزمـوا بـني نجـاح ومن معهم، و يمم المكرم تحت الطاق الذي فيه أمه، فأطلقهـا، وأنزل الرأسين المنصوبين أمام ذلك الطاق، فغسـلهما، ودفنهما في زبيد، وبنى عليهما مشهداً، هو ثاني مشـهد يثبته التـاريخ في اليمن[1]، وعند عودته مرّ بالمكان الذي قتل فيه أبوه وعمه، فأخذ جثتيهما معه إلى صنعاء[2]، وبنى عليهما مشهداً في صـنعاء، ثم حاول استعادة ملك أبيـه، فـأفلح في البعض، وأخفق في البعض الآخر.

وكـان قد أصـابه الـريح حين كشف عن وجهه أمـام أمه[(3)] في زبيد، وبقي مريضاً بـذلك، ولكنه بقي ماسـكاً بزمام الملك حتى ماتت أمه أسماء سنة (479 هـ)، بعد ذلك فـــوّض الأمر إلى الملكة السـيدة بنت أحمد الصليحية، وهي التي يسميها العامة وأشـباههم " الملكة أروى "، ثم انتقلا إلى ذي جبلة من مخلاف جعفـر، وهو الذي يسمى اليوم " إب ".

وفي عـام (484 هـ) مـات المكـرم، فأسـند أمر

1 (?) المصدر السابق ص (134).

2 (?) الصليحيون ص (134). وانظـر: الأضـرحة في اليمن من القرن الرابع الهجري " العاشر الميلادي "وحتى نهاية القـرن العاشر العاشر الهجـري "السـادس عشر الميلادي " "دراسة أثرية معمارية "ص (39)، وهي رسـالة مقدمة لنيل درجة الـدكتوراة في الآثـار الإسـلامية من قسم الآثـار كلية الآداب جامعة صنعاء د. علي سعيد سيف، كتاب مصفوف بالكمبيوتر (1419 هـ -1998 م)

3 (?) المفيد ص (133)

الدعوة إلى الأمـير أبي حمـير سـبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي، وبقي الملك بيد السيدة بنت أحمد حتى ماتت سـنة (532 هــ)، ودفنت في جـامع جبلة يسـار القبلـة، وقيل أن قبرها كــان في موضع خــاص قد اســتثنته من الوقف حين أوقفت أرض المســجد على العمـــوم، فهو يعتبر ضمن المسجد.

وبعد مـوت الملكة بـدأ التحلل في الدولة الصـليحية وبدأت النواحي تستقل، فبعد استقلال النجـاحيين بتهامة وعاصـــمتها زبيد في حيـــاة الملكة اســـتقل بعد موتها الزريعيون بعـدن والجند وما بينهما واليـاميون بصـنعاء و مخا ليفهـــا ومعظم اليمن الأعلى، وهكـــذا تســـاقطت مدنهم وحصونهم حتى كانت نهايتهم سنة (532ه).

سياسة الدولة الصليحية في تبني ونشر الإسماعيلية:

مرَّ بنا أن الـدعاة الإسـماعيليين توارثـوا الـدعوة بعد منصور اليمن على نفس المنهج، وكان آخـرهم سـليمان الـزواحي، الـذي سـلَّم الراية لعلي بن محمد الصـليحي، ودرّس علي بن محمد الصــــليحي الإرث الإســــماعيلي، وفهمه حـتى صـار من دعاتـه، ولكنه بعد أن أقـام دولته انشـــغل بالسياسة عن الـــدعوة، وهكـــذا خلفـــاؤه: ابنه المكـــرم وســـبأ بن أحمد لم يعـــرف عنهما الانشـــغال بالدعوة بأنفسهما، ولكن هناك دعاة عاصـروهما، قـاموا بما يجب نحوها، ومع ذلك لم يظهر من الصليحيين إجبار لأهل السـنة أو الزيدية الـذين دخلـوا تحت حكمهم على اتباع مذهبهم، والذي يبـدو أن الشـعار الظـاهر هو تـرك أهل كل مـذهب يعملـون بمـذهبهم في خاصة أنفسـهم، ولكن ولاتهم ودعاتهم كانوا يعملون في الخفـاء؛ للإيقـاع

بخصومهم الذين يعلمون بغضهم لهم وتكفيرهم إياهم، ويعملون المكائد لتفريقهم وإشغال بعضهم ببعض، ومن الأمثلة الناصعة على ذلك ما ذكره الجندي في ترجمة الفقيه زيد بن عبدالله اليفاعي بعد أن ذكر فضل الشيخ وسعة علمه وكثرة طلابه حتى لقد أصبح طلابه أكثر عدداً من طلاب شيخه أبي بكر بن جعفر بن عبدالرحيم المحابي، وقد كانا يدرّسان في مسجد الجند جنباً إلى جنب، ولم يكن بينهما شيء من المنافسة، قال: (ولم يزل ذلك من شأنهم حتى تمت الحيلة من المفضل في التفريق بينهم، وذلك أنه مات ميت من أهل الجند، فخرج الإمام زيد والإمام أبو بكر بن جعفر في أصحابهما، يقبرون وعليهم الثياب البيض لبس الحواريين، والمفضل يومئذ بقصر الجند، فحانت منه نظرة إلى المقبرة، فرأى فيها جمعاً عظيماً مبيضين، فسأل عن ذلك فقيل: قبر ميت غالب من حضره من الفقهاء، فعرَض بذهنه ما فعله ابن المصوع مع أخيه حيث قتله، وقال: " هؤلاء يكفروننا ولا نأمن خروجهم علينا مع القلة، فكيف مع الكثرة؟ ثم قال لحاضري مجلسه: انظروا كيف تفرقون بينهم، وتدخلون البغضاء عليهم بالوجه اللطيف "، فجعلوا يولّون القضاء بعض أصحاب الإمام زيد أياماً، ويعزلونه، ويولون مكانه من أصحاب الإمام أبي بكر بن جعفر، ثم يولون إمامة الجامع كذلك، ثم النظر في أمر المسجد كذلك، حتى ظهر السباب بين الحزبَين، وكادَ يكون بين الإمامين، فعلم الإمام زيد ذلك فارتحل مهاجراً إلى مكة)[1]،

---

[1] (?) السلوك (1/263)، ملاحظة: على العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله الاعتبار بهذه الحادثة و الانتباه لمكائد

فالكيد والـدس ثـابت عليهم، ولعـلّ الجو لم يسـاعدهم بشـــكل كبـــير وواضح على دعـــوة عامة النـــاس إلى مذهبهم، أما الدعوة السرية والفردية فهي قائمة لاشك، وقد كسـبوا لهم أتباعـاً مـازالوا يسـيرون على منهجهم إلى اليوم.

ما ينسب إلى الصليحيين من إباحة المحرمات وحط الواجبات:

ذكر الحمادي اليماني -رحمه الله- أنه كان يسـمع ما يقوله الناس عن هذه الفئة " الصـليحية الباطنية "، وأنه كلما سأل أحداً ممن أشـاع تلك الأخبـار: أتشـهد بـذلك؟ قال: لا، إنما سـمعت النـاس يقولـون ذلك فقلتـه، قـال: (فـرأيت أن أدخل في مذهبـه؛ لأتيقن صـدق ما قيل من كذبه؛ ولأطلع على سرائره وكتبه)[1]، ثم بدأ بــذكر كيفية الدعوة إلى أن ذكر كيف يحطون عنه الصلاة ثم الصوم، وكيف يحلــون له الخمــر، وهم في كل ذلك يســتدلون بالآيــات بعد أن يحرفونها عن مواضــعها، ثم بعد اجتيــاز تلك المراحل، يـترقون به إلى ذلك الفعل الشـنيع الـذي أشيع عنهم، فقال: (فإذا صح عندك حاله، فاذهب به إلى زوجتـك، فـاجمع بينه وبينهـا، فيقـول: سـمعاً وطاعة لله ولمولانا، فيمضي به إلى بيته، ويبيت مع زوجته حـتى إذا كان الصـباح قـرع عليهما البـاب، وقـال: " قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس، فيشـكر ذلك المخـدوع له فيقول: " ليس هذا من فضلي. هذا فضل مولانا "، فـإذا خرج من عنده تسمع به أهل هذه الـدعوة الملعونـة، فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الـداعي

الخصـوم الـذين يعملـون على تفريق الكلمة وتشـتيت صف أهل العلم والدعوة إلى الله.

1 (?) كشف أسرار الباطنية (63).

الملعـون، ثم يقـول: لابد لك أن تشـهد المشـهد الأعظم عند مولانـا، فـادفع قربانك "، فيـدفع اثـني عشر دينـاراً، ويصل به ويقول: يا مولانا إن عبدك فلان يريد أن يشـهد المشهد الأعظم وهـذا قربانه حـتى إذا جن الليل ودارت الكؤوس وحميت الرؤوس، وطابت النفوس أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حـريمهم، فيـدخلن عليهم من كل بـاب، و أطفئت السـرج والشـموع، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه يده، ثم أمر المقتـدي زوجته أن تفعل كفعل الـداعي الملعـون وجميع المسـتجيبين، فيشـكره ذلك المخدوع على ما فعل لـه، فيقـول لـه: " ليس هـذا من فضلي، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكره ولا تكفـره على ما أطلق من وثـاقكم، ووضع عنكم أوزاركم، وحط عنكم آصـاركم، ووضع عنكم أثقـالكم، وأحل لكم بعض الـذي حـرم عليكم جهـالكم: **و ما يلقاها إلاّ الـذين صـبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم** ")[1].

قـال محمد بن مالك -رحمه الله تعـالى-: (هـذا ما اطلعت عليه من كفـرهم وضـلالتهم، والله تعـالى لهم بالمرصاد، والله تعـالى عليَّ شـهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفـرهم وجهلهم، والله يشـهد عليّ بجميع ما ذكرته عـالم بـه، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله تعـالى ولعنة اللاعـنين والملائكة والنـاس أجمعين، وأخـزى الله من كـذب عليهم، وأعد له جهنم، وساءت مصـيراً، ومن حكى عنهم بغـير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته)[2]

---

1 (?) فصلت الآية(35).

2 (?) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص (63-70)

هذا ما ذكـره الحمـادي عن علم وخـبرة، فهل يسـلّم له ذلك ويتابع عليه؟

أقـول: أما الحمـادي فلم تُـروَ له ترجمة مفصـلة في أي كتـاب من كتب تـواريخ اليمن الـتي يتـداولها النـاس، حتى إن القاضي محمد بن علي الأكوع عند تحقيق كتابه ذلك لم يعـثر له على ذكر إلا في طبقـات فقهـاء اليمن للجعـــدي، حيث قـــال: (وفي رســـالة محمد بن مالك الحمادي)، وكذلك في كتاب السلوك للجنـدي، قـال في سياق كلامه عن علي بن الفضل: (على ما ذكـره الفقيه أبو عبدالله محمد بن مالك ابن أبي القبائل أحد فقهـــاء اليمن وعلمــاء الســنة، وكــان ممن دخل في مــذهبهما منصـــور و "ابن الفضل أيـــام الصـــليحي وتحقق أصل مــذهبهما، فلما تحقق فســاد ذلــك، رجع عنــه، وعمل رسـالة مشـهورة يخـبر بأصل مـذهبهم، ويـبيّن عـوارهم ويحذر من الاغترار بهم)[1]، ولذلك فإن الجزم بصـدق ما يقول لا يليق بالباحث المنصـف، غـير أن بعض ما ذكـره قد توبع عليه ممن لا يظن أنه نقل عنه، فترتيب الـدعوة عند الفاطمية الإسـماعيلية بمصر تشـبه إلى حد بعيد ما ذكره الحمادي، وقد ذكر ذلك المقريزي، وهو غـير متهم عليهم؛ لأن نقله عنهم وحكايته لتـاريخهم لا يفهم منه إلا احترامهم واعتبارهم من خيـار الخلفـاء، كما أن له كتابـاً خاصـاً بتـاريخهم أسـماه " اتعـاظ الحنفـاء بأخبـار الأئمة الفــاطميين الخلفــاء"[2]، وهو من بين العلمــاء القلائل الـذين أثبتـوا انتسـاب الفـاطميين إلى علي ، فـأرى أن شهادته عليهم مقبولة قطعاً.

---

1 (?) مقدمة كشف أسرار الباطنية ص (45-46).

2 (?) طبع في القاهرة سنة (1387هـ).

وقد وصف المقريزي في خططه ترتيب الدعوة، وقد جعلها تسع مراتب، وفي المرتبة التاسعة قال: (هي النتيجة التي يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من يدعوه، فإذا تيقن أن المدعو تأهل لكشف السر والإفصاح عن الرموز أحاله على ما تقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة، والعلم الإلهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية، حتى إذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه، وقال: ما ذكر من الحدوث والأصول رموز إلى معاني المبادئ وتقلب الجواهر، وأن الوحي إنما هو صفاء النفس؛ فيجد النبي في فهمه ما يلقى إليه، ويتنزل عليه؛ فيبرزه إلى الناس، ويعبر عنه بكلام الله الذي ينظم به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الكافة، ولا يجب حينئذ العمل إلا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء، بخلاف العارف فإنه لا يلزمه العمل بها، ويكفيه معرفته؛ فإنها اليقين الذي يجب المصير إليه، وماعدا المعرفة من سائر المشروعات فإنما هي أثقال و آصار حملها الكفار أهل الجهالة، لمعرفة الأعراض والأسباب، ومن جملة المعرفة عندهم أن الأنبياء النطقاء أصحاب الشرائع إنما هم لسياسة العامة، وأن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة، وأن الإمام إنما وجوده في العالم الروحاني إذا صرنا بالرياضة في المعارف إليه، وظهوره الآن إنما هو ظهور أمره ونهيه على لسان أوليائه ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم، وهذا حاصل علم الداعي، ولهم في ذلك مصنفات كثيرة منها، اختصرت ما تقدم ذكره)[1].

---

1 (?) الخطط المقريزية (2/133).

وفيما أورده المقريزي شـاهد لمـراتب الـدعوة، وإن كان الحمادي قصر بها عن عـدد تلك المـراتب، كما فيها شـــاهد على إســـقاط الواجبـــات والتكـــاليف، كما ذكر الباحثـــان إحســـان إلهي ظهـــير في " الإســـماعيلية " والـــدكتور ســـليمان عبدالله الســـلومي في " أصـــول الإســـماعيلية " أن للإســـماعيلية كتبـــاً في تأويل أركـــان الإسلام وعباداته من أشهرها كتاب " دعائم الإسـلام " و " تأويل دعـــائم الإســـلام للقاضي النعمـــان بن حيـــون المغـــــربي، ، ونقلا عنهما وعن غيرهما من التأويل لتلك الأركـــان والعبـــادات ما يلغيها فعلاً، وأن بعض من وصل إلى درجة المعرفة لديهم معفوون عنها[1].

كما اعترف بأصل ذلك أحد باحثيهم المعاصـرين وهو الدكتور مصطفى غالب في "تـاريخ الإسـماعيلية"، حيث قال: (وما ظهر من أمور الدين من العبـادة العملية و ما جـاء في القـرآن هي معـانٍ يعرفها العامـة، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلاً باطنـاً لا يعلمه إلا الأئمة وكبار حججهم ودعاتهم وحدودهم)[2].

وتبقى قضـــية إباحة الفاحشة ســـواءً إحلال النســـاء بالانفراد أو في المشهد الأعظم- كما عبر عنه الحمـادي - فهـذا الجـزء من التهمة لم أجد له من كتبهم ما يشـهد لـــه، وإن كـــان مبـــدأ التأويل ونسخ الشـــريعة يســـعه ويتضمنه، ولكنهم أنفسهم ينكرون ذلك غاية الإنكار، كما صرَّح بـذلك الغـزالي في رده عليهم[3]، ولـذا فأنا عـاجز

---

1 (?) الإســـماعيلية تـــاريخ وعقائد من ص (499 - 522)، وأصول الإسماعيلية (2/649-662).

2 (?) تاريخ الإسماعيلية ص (42).

3 (?) فضـــائح الباطنية ص (30) لأبي حامد الغـــزالي طبع دار

عن نفيه أو إثباته على سبيل القطع، ولا أحب أن أقـذف أحـداً بما لم يثبت لـديّ بيقين، خصوصـاً في مثل هـذه التهم القبيحة الـتي تنكرها الفطر السـليمة، والشـيم الأصيلة، فضلاً عن الدين القويم.

المطلب الثـالث: دور الدولة الصـليحية في نشر القبورية في اليمن:

لم يثبت في تـاريخ اليمن وجـود قـبر معظّم عليه مشهد أو مسجد قبل العقد الثاني من القـرن الخـامس إلا ما ذكر مما يسـمى مسـجد الشـهيدين بصـنعاء الـذي قيل أنه على قبَري قثم وعبـدالرحمن ابـني عبيدالله بن العباس ، والـذَين قتلهما بسر بن أرطـأة والي معاوية على اليمن الـذي أرسـله أثنـاء الفتنة بينه وبين علي ، فقد قيل: إنه بُنى على قبريهما مسجد، وهـذا الـذي قيل ذكره المتـأخرون من مـؤرخي اليمن مثل الجنـدي حيث قال: (وقبر الطفلين مشهور بصنعاء في مسـجد يعـرف بمسـجد الشـهيدين)[1]والخـزرجي حيث قـال: (فـدفن الولـدان حيث قتلا وبـني عليهما مسـجد هو معـروف[2]، وقال مثله ابن الديبع[3]، وقـال العرشـي: فقـبرا بصـنعاء

البشير عمان ط الأولى (1413هـ-1993م).

1 (?) السلوك (1/173)

2 (?) العسـجد المسـبوك فيمن ولي اليمن من الملـوك - مخطوط مصور صورته وزارة الإعلام والثقافة ضمن مشروع الكتـاب 6/1 (70) الفضل المزيد على بغية المسـتفيد في أخبـار مدينة زبيد ص (39) تحقيق الـدكتور يوسف شـلحد، طبع مركز الدراسات والبحـوث اليمـني سـنة (1983م)وفي قرة العيون مصدر سابق (70).

3 (?) عبدالرحمن بن علي الشيباني المعروف بابن الديبع عالم

بالشهيدين، وبهما سمي[1]، فهذه المراجع كلها كما تـرى تثبت وجـود المسـجد على القـبر، ولكن مـتى بـني ذلك المسجد؟ ومن الذي بناه؟.

عبـارتهم بلفظ المبـني للمجهـول وهي لا تفيد تحديد من بـنى أو مـتى بُـني، كما أن العرشي يثبت أن القـبر بذلك المسجد، وهو أيضاً لم يحدد تـاريخ بنـاء المسـجد، فالـــذي نفهم من هـــذه العبـــارات أنه في أيـــام أولئك المـــؤرخين يوجد مســجد، يقـــال: إنه على قـــبر ذينك الطفلين، لم يحـدد أحد منهم ولا من غـيرهم مـتى بـني، ومما يؤكد أنه لم يكن موجـــوداً في الـــزمن الأول أن المـؤرخ إسـحاق بن يحـيى بن جرير الطـبري الصـنعاني المتــوفى ســنة (450ه)ذكر الحادثة وقتل الطفلين في باب المصرع، ولم يذكر بناء المسـجد عليهما[2]، وكـذلك الـرازي المتـوفى سـنة (560ه) ذكر المصـرع، وصـرح بقولـــه: (الموضع الـــذي يبـــاع فيه الســـليط وموضع الحـــدادين إذا أردت أن تـــنزل ســـوق العراقـــيين موضع مســجد ابن زيــد، وكــانت مقــبرة غمــدان حيث يحــدد

محدث مؤرخ، من علماء زبيد، و إليه ينسب المولد المشهور بمولد "الـــديبعي "، لديه تنـــاقض كبـــير، فبينما هو من أهل الحديث والفقه إذ به يـأتي في ذلك المولد بالطامـات، وهـذا شأن من سلم لأهل التصوف، فإنه لا يكـاد ينفعه ما لديه من العلم، وخـير مثـال على ما أقـول هـذا الرجل والشـرجي الزبيــدي صــاحب التجريد الصــريح في الحــديث وطبقــات الخواص المليء بالـدجل والخرافـة. تـوفي (944 هــ). انظر ترجمته: النور السافر ص (19) والبدر الطالع (1/335).

1 (?) بلوغ المرام ص (9).

2 (?) تاريخ صنعاء للطـبري المـذكور ص (25) تحقيق عبدالله الحبشي، وطبع مكتبة السنحاني بصنعاء بدون تاريخ.

الحدادون اليوم بصنعاء، والله سبحانه وتعالى أعلم)[1]، فلو كان هناك مسجد أو مشهد على القبرين لذكَرَه، وبهذا نعلم أن المسجد أو المشهد المشار إليه إنما بني بعد ذلك على عادة القبورية الذين يتتبعون المناسبات، وعلى أثرها يبنون على البقعة التي يتوهمون أنها موضع القبر، فتصبح بذلك مزاراً، ولهذا فإن الدكتور "علي سعيد سيف" في رسالته الأضرحة في اليمن لم يثبت هذا المسجد ضمن الأضرحة التي تناولها بالدراسة، وإنما ذكرها في التمهيد فقط، وقال: (ولكن يستشف من بعض الروايات)[2].

وقد اجتهدت في توضيح هذه المسألة حتى لا يقال أن هناك مشهداً من أيام الصحابة؛ فيتخذ حجة للقبوريين، ومثل ذلك يقال في المسجد المبني على قبر الشريف العراقي، وهو الطبيب العراقي الذي كان يعمل في اليمن في صنعاء، فلما سمع بما يفعله علي بن الفضل بالإسلام والمسلمين نذر على نفسه أن يقتله، فذهب إلى عاصمة ابن الفضل "المذيخرة" وعمل فيها وأظهر براعة في الطب فطلبه علي بن الفضل ليكون طبيباً له ثم احتاج ابن الفضل إلى الفصد ففصده بمبضع مسموم فمات ابن الفضل وهرب الطبيب إلى موضع يسمى " قينان " بوادي السحول فقتل هناك، قال الجندي: (وقبره هنالك، وهو مسجد جامع له منارة يزار ويتبرك، به دخلته في المحرم أول

---

1 (?) تاريخ مدينة صنعاء للرازي ص (85) تحقيق حسين عبدالله العمري، طبع مكتبة الفكر المعاصر ببيروت، ودار الفكر دمشق، الطبعة الثالثة (1409هـ-1989 هـ).

2 (?) الأضرحة في اليمن ص (28).

سنة ست وتسعين وستمائة)[1].

وقد علق على ذلك القاضي الأكـوع فقـال: (والقـبر لايـزال موجـوداً وهـذه القصة ظـاهرة عليها الصـنعة والوضع ومحتاجة إلى مناقشة)[2].

أما ابن الـديبع فقـال: (فـأُدرك في السـحول عند المسـجد المعـروف بقينـان، فـأرادوا إمسـاكه، فـامتنع وقاتلهم حتى قتل، وقـبره هنـاك رحمه اللـه)[3]. وهـذا - كما ترى - ليس فيه ذكر المسجد الذي على القبر وعلى كل حـال فليس في النقلين ولا في غيرهما ذكر لتـاريخ بناء المسجد الذي على القبر ولا من بناه، فليس فيه أي حجة على وجـود مسـجد على القـبر قبل التـاريخ الـذي ذكرته سابقاً، وهو العقد الثاني من القرن الخـامس؛ لأن هذا المسجد لو صح أنه بني عند مقتل ذلك الرجل لكان في القـــرن الرابـــع، حيث أنه قتل بعد مقتل علي بن الفضل بأيـــام، ولكن ذلك لم يصـــح، وبهـــذا يثبت أن المشـــاهد الثـــابت بناؤها هي الـــتي أسســـتها الدولة الصـــليحية الإســـماعيلية، غـــير أنه - ومن بـــاب الأمانة ومعرفة الحقيقة - قد ثبت أن هناك مشهداً واحداً، سبق الدولة الصـليحية بسـنوات، وهو لا يمت للقبورية بصـلة؛ لأنه من مشـــاهد الســـلاطين لا من مشـــاهد الأوليـــاء والصالحين، ذلك المشهد هو مشهد آخر أمير من أمــراء بـــني زيـــاد وعمتـــه، إذ إن وزير ذلك الأمـــير الطفل - ويسـمى نفيسـاً - كـان قد قتل الطفل وعمته بتهمة أن المرأة كانت تكاتب خصمه ومنافسه نجاحاً، وكـان وقتها

---

1 (?) السلوك (1/212)

2 (?) المصدر السابق الموضع نفسه.

3 (?) قرة العيون ص (150).

فــاراً من زبيد بســبب تســلط" نفيس، فقتلهــا، وقتل الطفــل، ثم بــنى عليهما جــداراً، فلما علم نجــاح بــذلك اتخذه ذريعة للانقضاض على خصمه، وجمع الجمــوع، ثم هجم بهم على زبيد في عدة وقائع، آخرها سنة (412هـ) حيث قتل نفيس، فلما دخل نجـــاح زبيد ســـأل مـــولاه مرجـــان: (ما فعل مواليك وموالينـــا؟ قـــال: في ذلك الجــدار، فأخرجهما نجــاح، وصــلى عليهمــا، وبــنى لهما مشـهداً، وأعـاد مرجانـاً في موضـعهما، فبـنى عليه حيـاً وعلى جثة نفيس)[1].

وقد ذكر مثل ذلك ابن الـــديبع في الفضل المزيد[2]، وقريبــاً منه الخـزرجي في العسـجد المسـبوك[3]، وهـذا أول مشهد بني على قبر في اليمن حسبما اطلعت عليه في كتب التاريخ اليمني، وليس هو مما يخشى منه؛ لأنه ليس له فضل من جهة دينيــة، وإن كــان هو من الأمــور المحرمــة، ومن نتــائج الجهل وتوســيد الأمــور إلى غــير أهلها، مع أن النجاحيين من السُنة، وليســوا من الشــيعة رواد القبورية في العــالم، ولكنّ الســببَ - والله أعلم - هو النزعة الســـــلطانية والكسب السياسي بإظهـــــار وتعظيم ذلك الــوزير لأســياده ووفائه لهم بعد أن أصــبح هو الوريث لدولتهم، وما أظن أن هذا سوف يحصل لــولا أن ظاهرة تقديس القبــور وتعظيمها قد فشت في البلاد الإســـــلامية المجـــــــاورة من جهة الدولة الفاطمية الإسماعيلية.

(3) مشاهد آل الصليحي:

---

1 (?) المفيد ص (85-86).

2 (?) الفضل المزيد ص (55).

3 (?) المسجد المسبوك ص (104).

الدولة الصليحية إسماعيلية العقيدة، فاطمية الـولاء، متأثرة كل التأثر بأسـيادها العبيـديين في مصـر، وقد مر بنا دور العبيديين في نشر القبوريـة، فلا غرابة أن يكـون الصـليحيون على منـوالهم، وأن يسـيروا على طـريقهم، ولامانع أن نجزم بأنهم مؤسسو القبورية في اليمن.

(3) مشهد الرأسين:

مر بنا أن بـني نجـاح عنـدما قتلـوا على بن محمد الصليحي وأخاه أخـذوا رأسـيهما، فنصـبوهما بزبيد أمـام طـاق زوجة الصـليحي " أسـماء بنت شـهاب "، وعنـدما هـاجم الملك المكـرم أحمد بن علي الصـليحي زبيد لاسـتنقاذ أمه من الأسـر، واسـترجاع ملك أبيـه، أنـزل الرأسين، ودفنهما في زبيد، وبـنى عليهما مشـهداً. قـال عمارة: (وأنا أدركت مشهد الرأسين)[1]، وكان ذلك سنة (460 هـ).

(2) مشهد الصليحي بصنعاء:

وعند عـودة الملك المكـرم إلى صـنعاء نبش قـبري أبيه وعمـه، ثم حمل جثتيهما في تـابوتين، ودفنهما في صـنعاء وأمر ببنـاء مشـهد جـامع لهما[2]، وهو بـذلك أخذ

---

1 (?) المفيد ص (134).

2 (?) الصليحيون ص (134) وفي الهامش يقول: (نقل صاحب العيـون " 7/116 " ومشـهد الصـليحي اليـوم قد عفى المتغلبون الظالمون آثاره، وهدموا منـاره، فـإن عنـايتهم في ذلك كثـيرة، وفي هـدم القبـور أفعـال نكـيرة، وذلك شـيء يتحاماه الكفار والمسـلمون ويـأنفون عنه وهـؤلاء يقـدمون)، قلت: وهذه هي حجج القبورية في كل زمان ومكان، يتباكون على هدم المشاهد وتسوية القبور المشرفة الـتي أمر النـبي بتسـويتها. انظر للمزيد عن مشـهد الصـليحي بصـنعاء: الأضرحة في اليمن (39).

بسُـنّة المعز الفـاطمي الـذي أحضر معه رفـات آبائه عندما انتقل من المغرب إلى مصر، و بنى عليهما التربة الشـهيرة الـتي تسـمى " تربة الزعفـران " وقد سـبق الحديث عنها.

قبر السيدة بنت أحمد في جامع ذي جبلة:

قـال الهمـداني: (وفي غـرة شـهر شـعبان من سـنة اثنـتين وثلاثين وخمس مائة تـوفيت الملكة الحـرة عن اثنـتين وتسـعين سـنة من العمـر، ودفنت في جـامع ذي جبلة أيسر القبلة في منزل متصل بالجـامع، وكـانت هي التي تولت عمارة هذا الجامع، وهيأت موضع قبرها فيـه. وذكر إدريس: أن بعض ملوك اليمن أراد أن يخـرج جثتها من قبرها حين ظن بعض الفقهـاء كونها في الجـامع، ففتحوا عن قبرها حـتى انتهـوا إلى تـابوت، فوجـدوا فيه قفصاً مقفلاً، ففتحوه، فأصابوا فيه كتباً وأحكامـاً، تشـهد أنها اسـتثنت فيه ذلك المـنزل الـذي دفنت فيه عن المسـجد لقبرها فيـه، ووجـدوا بـذلك علامـات القضـاة وشـهادة الشـهود الثابتة عند الحكـام، فـردوا قبرها على ما كـان عليـه، وردوا تربته وحجارته إليه "، ويقـول إدريس: " وقبرها إلى اليوم ، يزوره جميع فرق الإسلام، ويعـترف بفضـلها الخـاص والعـام، ويـأتي إلى قبرها من أصـيب بظلم، أو حاجـة، أو علة في بدنـه، أو بليـة، فيتشـفعون بها إلى الله تعـالى في كشف ما انتـابهم بفضلها ")[1].

وفيها وفي قبرها يقـول القاضي حسـين بن أبي

---

1 (?) الصليحيون ص (207-208) وانظر: الأضرحة ص (240) وما بعدها.

عمران بن الفضل اليامي:

وقفت على قـــبر الوحيـــدة وقفة وقد زِين منها مسجدٌ و ستورُ

فقبلته واستفتُ رَيَّاً ترابه وعـاود قلـبي رنة وزفير

و ســالت دمــوع العين مــني كأنها بشــطٍّ مجاري المقلتين سطور

ولله منها روحُ قدْس تميزت فصارت بــأعلى الدائرات تطير[1]

مشهد العباس:

هذا المشهد كما يقول - الدكتور علي سعيد سـيف - يقع في منطقة أسـناف خـولان إلى الشـرق من مدينة صـنعاء على يمين الطريق المـار بين صـنعاء وخـولان الطيـال، ويبعد عن صـنعاء بحـوالي (20)كم، ويحتل المسجد الضريح ربوة مرتفعة تقع جنوب قرية أسـناف، وتتبع إدارياً مديرية خـولان التابعة لمحافظة صـنعاء، [2]، وذكر الدكتور أن العباس صاحب الضريح غـير معـروف، ولكن بنـاء الضـريح كـان بتـاريخ (شـهر ذي الحجة سـنة تسع عشرة وخمسمائة)[3]، وهذا التاريخ يأتي أثنـاء حكم الملكة السـيدة بنت أحمد الصـليحية غـير أن الـدكتور يرجح أن يكون باني الضـريح واسـمه "موسى بن محمد

---

1 (?) الصـــليحيون ص (208)، وهـــذا القاضي هو من الإسماعيلية فلا غرابة أن يقبل قبر الملكة، و أن يستف ترابه فهذه ديانتهم.

2 (?) الأضرحة ص (49).

3 (?) المصدر السابق نفس الموضع.

القطبي "[1] كان من السلاطين السُنيين الذين عاشوا في تلك الفترة، وربما يكون أميراً أو شيخ قبيلة، أطلق عليه لقب سلطان، ولست أوافق الدكتور على ذلك الاستنباط، فما دام العصر عصر الصليحيين، وهم في عصر قوتهم فلن يكون هناك مجال لسلاطين سنّيين، فلم لا يكون ذلك الرجل والٍ من ولاة الصليحيين؟ خصوصاً والدكتور يقول فيماً بعد: (ومن المحتمل أن معمار هذا الضريح قد نهَج نهْج معمار الدولة الصليحية في جامع جبلة والذي يتشابه في كثير من الأوجه مع عمائر الدولة الفاطمية بمصر؛ لما كانت بينهما علاقات)[2]، أليس نسبة هذا الضريح إلى الصليحيين أحق من أن ينسب إلى أهل السنة؟ بلى، والدلائل قائمة، فهم الحاكمون، وهم الذين ابتدأوا بإنشاء المشاهد في اليمن، وطريقة بناء الضريح كطريقتهم، وعليه فالمرجح أن هذا الضريح من عمل الصليحين والله أعلم.

المطلب الرابع: استمرار قبورية الإسماعيلية:

بانتهاء الدولة الصليحية انتهى دور الظهور الثاني للإسماعيلية في اليمن، ودخلوا دور السِّتر الثاني، ولكن دهاتهم ودعاتهم قد أحسوا بذلك قبيل انتهاء الدولة وبالتحديد في أيام الملكة السيدة بنت أحمد، ولذلك فقد كلف (القاضي لمك بن مالك الجمادي عند عودته إلى اليمن من قبل الإمام الخليفة المستنصر وباب أبوابه المؤيد بتنفيذ سياسة معينة بالنسبة إلى إقامة الدعوة ونقل آدابها وعلومها إلى اليمن، وأنه لُقِّب بلقب داعي

1 (?) المصدر السابق ص (49 - 58).
2 (?) المصدر السابق ص (51).

القلم في عهد الملك المكـــرم أحمد الصــليحي، ولقب داعي البلاغ في عهد الملكة الحـــرة، وقد اختـــار هـــذا الـداعي نخبة من التلامـذة الأفـذاذ البعيـدين عن الملك أمثال ابنه يحيى بن لمك و الذؤيب ابن موسى الـوادعي وإبراهيم بن الحسين الحامدي، وسلم إليهم كل ما كـان أخـذه من علـوم الـدعوة أيـام إقامته بمصـر)[1]، وبهـذا كوّنوا الأساس المتين لصـرح دعـوتهم الـذي يعـول عليه في بقائها واســتمرارها حـــتى إن ذهبت الدولـــة، بقيت الــدعوة محافظة على كيانهــا، بل ازدهر علمها في تلك الفترة أكثر فأكثر.

يقـول الهمـداني: (نـرى أن دعـوة اليمن مضت من يـوم وفـاة السـيدة الحـرة الملكة الصـليحية إلى انتهـاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتـــــاز بنشـــــاط علمي، وجمع شتات التراث الفكري، وتسجيلها في كتب ومؤلفـــات وحفظ ما تركه المؤلفـــون الــدعاة في عهد الخلفاء الفاطميين، وقد بـدأت هـذه الحركة العلمية في حيــاة الملك المكـرم والملكة الحـرة بعد عـودة قاضي قضاة اليمن لمك بن مالك الحمادي من الديار المصـرية إلى مقر الدولة الصليحية، وقد سـبق أن ذكرنا أن داعي الدعاة المؤيد في الدين الشـيرازي قـرر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفـــاطمي خطـــوط برنـــامج الدعوة العلمي، وكلف القاضي لمك تنفيذ هذا البرنامج، ونقل القاضي كتب الــدعوة وما احتوته من العلــوم إلى اليمن. ثم قـــررت الســيدة الملكة الحـــرة بعد وصـــول القاضي إلى اليمن فصل الــدعوة عن شـــؤون الملـــك، وعينت الملكة يحـــيى بن لمك والـــداعي الـــذؤيب بن

1 (?) الصليحيون ص(268).

موسى الـوادعي للإشـراف على تنفيذ هـذا المشـروع العلمي البعيد عن التيارات السياسية، فابتـدأت الـدعوة تعمل لهذا الغـرض في عهد الـداعي الـذؤيب بن موسى الــوادعي، و مأذونه الســلطان الخطـــاب بن الحسن الحجـــوري، ثم أظهر الـــداعي إبـــراهيم بن الحســين الحامـدي، و مأذونه الشـيخ علي بن الحسـين بن جعفر بن الوليد القرشـي، والشـيخ محمد بن طـاهر الحـارثي نشـاطاً بليغـاً في هـذا الصـدد، وبلغ الـداعي حـاتم بن إبراهيم الحامدي، والداعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغاً لا يستهان به. وأثبت الــداعي علي بن حنظلة خلاصة بعض علـــوم الـــدعوة في رســالته وأرجوزته. وقد واصل علماء اليمن هذا النشــاط العلمي في القرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الــدين الأنف القرشي المتـوفى سـنة اثنـتين وسـبعين وثمـان مائة، بل إلى أيامنا هذه. ومن هذا العرض الســريع نأخذ فكرةعما يوجد من الــثروة الأدبية والعلمية في خــزائن كتب الدعوة اليمنيـة)[1]. وكـانت هـذه الجهـود في أكـثر الأحيان محاطة بالسرية التامـة؛ وذلك لمحاربة اليمنـيين لها سـواء في ذلك أئمة الزيدية أو سـلاطين الشـافعية، ولكن كل ذلك لم يفتَّ في أعضــــادهم، أو يــــوهن عـزائمهم، فاسـتمروا، وعنـدما جـاءت التعددية الحزبية وحرية الــرأي الــتي تجــاوزت الحــدود لإعطــاء الحرية لأصـحاب العقائد الضـالة والمبـادئ الهدامة والـدعوات المشبوهة، عندما جاء هذا العهـد، اسـتغلت الإسـماعيلية الفرصــة، وبـدأت تـزاول نشـاطها بجـرأة عجيبة وجهود جبارة وتركيز ينذر بـالخطر على البلاد اليمنيـة، وتـداعوا

---

1 (?) المصدر السابق ص (298).

إلى اليمن من كل حدب وصوب، وصار اليمن من أماكن حج البهـــرة الإســـماعيلية، بحيث يحج إلى اليمن حسب تعبيرهم عشرات الآلاف كل عام، والعمل الظاهر الــذي يمارســـونه هو تتبع الأضـــرحة والقبـــور المنســـوبة إلى أئمتهم ودعـاتهم، وإليك قائمة بـأهم المشـاهد والقبـور والمزارات التي يقصدونها:

1) قـــبر الـــداعي إبـــراهيم بن حـــاتم الحامـــدي الهمـداني الحاشـدي اليـامي في قرية "الحطيب" عزلة شـــرقي حـــراز - قضـــاء حـــراز - ويعتـــبر أهم مـــزار للإسماعيلية الداودية البهرة، ومتوسط من يزوره سنوياً من غـير باطنية اليمن خمسة عشر ألف نسـمة، خاصة من الهند وباكستان، والـداعي المـذكور مؤلف كتـاب " كنز الولد ".

2) قبر الملكة السـيدة بنت أحمد الصـليحي في الجامع الكبير بمدينة جبلة محافظة إب.

3) قبر إدريس عماد الـدين صـاحب كتـاب "زهر المعاني " المقبـور تحت قمة جبل شـبام حـراز (2920 متر فوق سـطح البحـر)، وتجـري الآن محاولة حثيثة من قبل الإسـماعيلية لإقامة مسـجد على قـبره؛ رغم عـدم وجود سكان في هذا الجبل الإستراتيجي، والذي يعد من أهم المواقع العســكرية في المنطقة متحكم في طريق صنعاء الحديدة، ويطل على كل قضاء حراز.

4) قبر في جبل الصميع في عزلة هوزان قضـاء حراز محافظة صنعاء، لم يُعرف اسم صاحبه

5) قـبر الـداعي لمك بن مالك في حصن زبـارة قسم الملاحي عزلة لهاب قضاء حراز محافظة صنعاء.

6) قـبرا الحسـين و الحسن ابـني إدريس عمـاد

الــدين في قمة جبل مســار، من عزلة مســار، قضــاء حراز، ونشك في أصل وجود هـذين القـبرين المنـدثرين بعد أن كُشف عنهما بزعم الباطنية، وهـذا الجبل المركز الأول لانطلاق الدولة الصــــليحية في اليمن، وهو موقع هام واستراتيجي مرتفع عن سطح البحر (2760) مـتراً، ولازال أهله صــامدين أمــام هــذه الطائفة رغم كــثرة الإغراءات والضغوط.

7) قبر الملا محمد في مدينة زبيد من بلاد تهامة محافظة الحديدة.

8) قــبرٌ في غيل بــني حامد عزلة بــني مــونس، قضاء همدان محافظة صنعاء.

9) قــبرٌ في حصن طيبة المطل على وادي ظهر من قضاء همدان محافظة صنعاء.

10) قبر أويس القرني من قرية الحمى من ضواحي زبيد.

وهناك مساجد يخصونها بالزيارة و ليس هناك ســبب ظاهر لزيارتها:

1) الجامع لكبير بصنعاء[1].
2) مسجد معاذ بن جبل بالجند.
3) مسجد في حرف سفيان.

---

[1] (?) قـال زبـارة في نشر العـرف لنبلاء اليمن بعد الألف طبع مركز الدراســات والبحــوث اليمــني صــنعاء ط الثانية (1405هـ-1985م) (3/312): (قـال صـاحب مطلع الأقمـار , ونقلت من خطه أن القـبر الـذي غـربي الصـومعة الشـرقية بجــامع صــنعاء هو قــبر الحسن ابن عبدالله بن الحسن بن جعفر بن محمد بن عبدالله بن العبــــــاس بن عبدالله بن العبــــاس بن علي بن أبى طــــالب انتهى). قلت: فلعلهم يزورون هذا القبر المزعوم.

4) حصن ذمرمر من بلاد حضــور، وهــذا الحصن قد كان يوماً مقراً لآل حاتم اليامييين، وقد قيـل: إنهم كـانوا إســـماعيلية باطنيـــة، وممن ذكر من أهلها "محمد بن أحمد اليـــامي"، ووصف بأنه عـــالم الإســـماعيلية و شاعرها[2].

2 (?) انظر هجر العلم (2/796-797)

المبحث الثالث: السلاطين ودورهم في نشر القبورية في اليمن

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الســــلاطين هم وراء مظـــــاهر القبورية في اليمن قبل الصوفية:

لعل أعظم نزعة لـــدى الســـلاطين دفعت بهم إلى إنشاء المشاهد ومظـاهر العظمة على القبـور: هي أبهة الملـك، ومحبة اسـتمرار نـاموس الملك بعد الوفـاة كما كان حـال الحيـاة، كما صـرح به المقريـزي وهو يتحـدث عن تربة أسرة آل قلاوون بالقاهرة[1]، مع بواعث أخـرى تقدم الحديث عنها في الفصل الثالث[2].

ومن أجل الباعث الأول المشار إليه أصبح السلاطين وراء معظم مظــاهر القبورية في اليمن، فــأول مشــهد عـرف وثبت وجـوده في اليمن على الإطلاق هو مشـهد الزياديَيْن، الذي بنـاه مولاهما نجـاح على جثتيهما عنـدما أنزلهما عن الجدار[3]، وقد تقدم، كما أن السلطان أسعد ابن وائل من أوائل من دفُنــوا في المســاجد في الــديار الشافعية إن لم يكن أولهم[4].

وأول قبة بنيت في حضـرموت على الإطلاق هي قبة السلطان مسـعود بن يمـاني المتـوفىَّ سـنة (648ه)[5]،

---

1 (?) الخطط المقريزية (3/480).

2 (?) انظر ص (219).

3 (?) انظر المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ص (86).

4 (?) السلوك (2/485)

5 (?) الفرائد في قيد الأوابد للعلامة المؤرخ عبد الله بن حسن بلفقية، مخطوط بمكتبة الأحقاف بتريم، لديَّ صورة منه.

وهـذه المشـاهد كلها قبل رسـوخ التصـوف في اليمن، وحـتى أول مشـاهد الدولة الصـليحية الـتي سـبق الكلام عنها والتي هي أول المشاهد المنظمة والمتوالية- والتي بقي أثرها إلى اليوم- هي كذلك في بـدايتها كـان لـدافع عظمة السـلطان دخل كبـير فيهـا، ثم جـاءت الدولة الأيوبية وكـان معظم سـلاطينها يـدفنون إما في قبـاب خاصـة، كما دفن المعز إسـماعيل ابن طغتكين في قبة خاصة به في زبيد تعرف بقبة الخليفة[1]، أو في مدارس أو نحوها، ولإعطـاء صـورة لما عليه سـلاطين اليمن من اهتمـام بالمشـاهد والقبـاب لأهـداف مختلفة أضـرب مثالين، أحـدهما لإئمة الزيديـة، والآخر لسـلاطين الدولة الرسولية، وذلك في المطلبين التاليين.

المطلب الثـــاني: أئمة الزيدية ودورهم في نشر القبورية في اليمن:

رغم أن الغلو لـــدى الزيدية الأولى لم يكن خارجـاً عن الحـدّ، ورغم أن اتجاهها هو اتجـاه المعتزلة المعتمـــدين على العقل النـــافين للخوارق والكرامات كما هو معلـوم، إلا أننا نجد أئمة الزيدية في اليمن - وبعد قرون من إنشـاء دولتهم وتتـابع العشـرات من أئمتهم- نجـدهم ينحرفـون انحرافـاً شـديداً في هـذه المسـألة، والذي يظهر - والله اعلم- أن باعث الأئمة لذلك كان باعثاً سياسياً أكثر منه باعثاً عقـديا، ولكن وجود المشاهد والقباب ووجود سـدنةٍ يتـأكلون منها ويبنـون بها مجـداً وجاهـاً على أنقـاض

1 (?) العسجد المسبوك ص (74).

عقائد الأمة حوّلها إلى مـــزارات مقدسة يعتقد فيها العوام وأشـباههم مـالا يجـوز اعتقـاده إلا في الله تعـــالى، ومن أجل السياسة أيضـــاً يتغاضى الأئمة عن ذلك ويـــــــتركون العامة يغرقـــــون في بحر الخرافة والشـــرك وهم ينظرون.

وأئمة الزيدية يبنــون المشــاهد للسياسة ويهــدمونها للسياسة كـذلك؛ فالـدليل على أنهم يبنونها للسياسة ما بــدر من الإمــام عبدالله بن حمـزة وذلك أنه عـاش في آخر القـرن السـادس وبداية القـرن السـابع[1]، وهو أول من سن لأئمة الزيدية سنة البناء على المشاهد حيث لم يُسجَّل لأحد من الأئمة قبل عصره شئ من ذلك.

والـــــــذي يظهر لي- والله أعلم- أنه إنما فعل ذلك مضاهاة لمعاصريه من الأيوبيين الذين عُــرِف عنهم أنهم يبنون على قبور سـلاطينهم البنايـات الضـخمة في مصر والشــــام[2] وفي اليمن كـــــذلك[3]، فلعله أراد أن يُظْهِر بــذلك شـيئاً من أبهة الملك للأئمة وهم أمـوات كما هي لهم وهم أحيـاء، وقد لاحظ ذلك الأسـتاذ محمد محمـود الزبـيري في كتيِّبــه"الإمامة وخطرها على وحـدة اليمن"

---

1 (?) تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن تأليف العلامة عبد الواسع بن يحـيى الواسـعي، طبع مكتبة اليمن الكـــبرى صـــنعاء الطبعة الثانية ســـنة (1990م) ص (197).

2 (?) سبق الحديث عن مسـاهمة الأيوبـيين في نشر القبورية في الفصل الثالث.

3 (?) انظر تراجم سلاطينهم في اليمن في الفضل المزيد من تاريخ زبيد وغيره من تواريخ اليمن، وفيها يذكرون كيف يُقْـبر سلاطين الأيوبيين.

حيث قال: (بهذه النفسية يمارس الإمـام أعبـاء منصـبه، وتكاد هـذه الأعبـاء تنحصر في استصـفاء ثـروة الشـعب باسم الزكـاة وقمع الانتفاضـات الشـعبية باسم الجهـاد وقتال البغـاة، ثم بنـاء مسـجد باسم الأمـام تضـاف إلى جواره غالباً قبة الضريح لهذا الإمام تمدّ نفوذه الــروحي حتى وهو في القبر)[1].

وهذا الذي نسـبه الزبـيري إلى الإئمة يجب أن يحـدَّد بأئمة القــرن الســابع فَمَنْ بعـدهم، وأن أولئك الأئمة قد عمَّروا على معظم قبور الأئمة السابقين مشاهد وقباباً.

وقد خَطَا هــذا الإمــام بالقبورية في الــديار الزيدية خطوات كبيرة جداً، إذ لم يكتف بأن يبني لنفسه مشهداً في حياته أو يوصِــي أن يبُــنى له ذلك بعد وفاتــه، وإنما سن ذلك عمليــاً في حياته بــأمر إمــامي وتهديد شــديد اللهجة لأهل قرية "لصف " حيث قتِل عنــــدهم أخــــوه إبراهيم بن حمــزة وهو يقاتل الأيوبــيين، فلما حصل ذلك كتب لهم الأمام عبدالله بن حمزة هذه الرسالة يهـدِّدهم فيها إذا لم يبنـوا عليه مشـهداً أنه سـينقل جثمانه عنهم، وهذا نص الرسالة:

(بسم الله الــرحمن الــرحيم من عبد الله المنصــور بالله أمــير المؤمــنين إلى كافة الســاكنين بلصف من المؤمــنين والمســلمين، ســلام عليكم، فإنا نحمد الله إليكم الـذي لا إله إلا هـو، ونسـأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى.

أما بعد: فقد بلغنا جفوتكم للشـهيد الـذي تـوفي بين أظهـركم، وحــطَّ رحله بين أفـنيتكم، وجــاد بنفسه دون

---

[1] (?) الإمامة وخطرها على وحدة اليمن ص (13-14) للأستاذ محمد محمود الزبيري طبع دار الكلمة صنعاء بدون تاريخ.

بلادكم، واستقبل بوجهه العدوّ صبراً واحتساباً حين زاغت الأبصار فشلاً، وبلغت القلوب الحناجر وجلاً، وظن قوم بالله الظنونا جزعاً، وابتلي المؤمنون بالهزيمة امتحاناً، وزلزلوا بالحادثة اختباراً، فرخص عنده من الموت ما غلا عند غيره، وغلا عنده من الفرار ما رخص عند سواه , وعلم القصد فتم العزم، ومضى على البصيرة على مناهج السلف الصالح مستقبلاً لكثرة العدو وعزمه، ومستصغراً لعظيمة نجده، فبلغنا أنكم هاجرون لقبره، قالون لمصرعه، قد صغّرتم منه ما عظّم الله سبحانه جهلاً، وجهلتم ما علم الصالحون حيرة وشكاً، كأنكم لم تسمعوا أقوال محمد صلى الله عليه وآله فينا - أهل البيت خاصة - **$أقرب الناس مني موقفاً يوم القيامة بعد حمزة وجعفر رجلٌ منا أهل البيت خرج بسيفه فقاتل إماماً ظالماً فقُتِل#،** فهلا - رحمكم الله - استشفيتم بتراب مصرعه من الأدواء، وسألتم بتربة مضجعه رفع الأسواء، واستمطرتم ببركة قبره من رحمة ربكم طوالع الأنواء , وعظَّمتم حاله كما يُعَظَّم حال الشهداء، وأوجبتم من حقه ما ضّيع الأعداء، وعمَّرتم على قبره مشهداً، وجعلتموه للاستغفار مثابة ومقصداً، ونذرتم له النذر تقرباً، وزرتموه توددا إلى الله سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وإلينا تحبُّباً، فقد رُوِّينا عن أبينا صلى الله عليه في حديث فيه بعض الطول أنه نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام وهما يلعبان بين يديه فبكى فهابه أهل المنزل أن يسألوه، فوثب عليه الحسين عليه السلام فقال: ما يبكيك ياأبتي؟ فقال: إني سررت بكما اليوم سروراً لم أسرّ به قبله مثله،

فجـاءني جبريل فـأخبرني أنكم قتلى، وأن مصـارعكم شتى، قال: يا أبتي فمن يزورنا على تباين قبورنا؟ قـال: **$قوم من أمتي يريدون بذلك بـرّي وصـلتي إذا كـان يـوم القيامة أتيت حـتى آخذ بأعضـادهم فأنجيهم من أهوالها وشدائدها#.**

ألا فـاعلموا بعد الـذي بلغنا عنكم أنا قد قَلَيْنا له جـواركم، ورغبنا به عن داركم، وعزمنا بعد الخـيرة لله سبحانه وتعـالى على نقله من أوطـانكم إلى من يعـرف حقه، ويتيقن فضله وسـبقه، فلو رعيتم له حرمه القرابة وفضل وراثة النبـوة)تأمل(! لعلمتم حرمة ذلك الـدم الزكي، وكـثر عليه منكم البـاكون، والبـواكي، فـإن كـان ذلك من غرضكم فإنا نفعله إن شاء الله تعـالى، وإن لم يكن من إرادتكم فلسـنا بتاركيه بتوفيق الله سـبحانه، والسلام)[1].

والرسالة لم تقتصر على بناء المشهد عليه بل تعدت إلى طلب الاستشفاء بتراب مصرعه، والسـؤال بتربتـه، والاسـتمطار بقـبره، فهل كـان الإمـام فعلاً- وهو من هو في العلم والعقل والدهاء - هل كـان يعتقد ذلـك؟! أظنه لم يكن كـذلك وإنما كما قلت سـابقاً يريد إسـباغ الهيبة وإضـفاء المكانة على مشـهد وقـبر أخيـه، ولـذلك فإنه حينما لم يتم الإصـغاء إليه فأنه نقل جثمانه إلى قرية الزاهر بالجوف حيث قُبِر هناك[2].

والإمام الثاني الـذي كـرر نفس الأسـلوب هو الإمـام يحيى بن محمد حميد الدين الذي أمر في رسالة أخـرى قبيلة أرحب ببناء تابوت وقبة على قـبر الإمـام أحمد بن

---

1 (?) هجر العلم (225-1/223)

2 (?) المصدر السابق (1/224).

هاشم الويسي المتوفي سنة (1269ه)والمدفون في "دار أعلا" من أرحب للتبرك به، وهدَّدهم إن لم يفعلوا ذلك بأنه سينقل رفاته إلى مكان آخر، فما كان من أهل أرحب إلا أن بنوا له قبة ووضعوا على قبره تابوتاً[1]، والذي جعلني أدَّعي أن الباعث على ذلك هو السياسة أن الإمام يحيى كذلك كان عالماً وعاقلاً ولم يكن من السذاجة بحيث يعتقد أن ذلك مما يحبه الله ويرضاه، ثم إنه في نفس الوقت أو بعده بقليل كان ابنه وولي عهده الإمام أحمد بن يحيى يهدم قبور أولياء الصوفية في الديار الشافعية كما سيأتي بعد قليل.

تلك هي الحوادث والتصرفات التي تدل على أن أئمة الزيدية يبنون المشاهد لأجل السياسة وإن كان قد ترتب على ذلك خلل كبير في عقيدة الكثير من العوام وأشباههم، كما صور ذلك الإمام الشوكاني رحمه الله حين ذكر ما يجري عند مشهد الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذيبين[2]، وبعد أن ألِفَ علماءُ تلك البلاد هذه المشاهد -وكان القائمون وراءها أئمة مجتهدين - ركنوا إلى ذلك الواقع، وأحسنوا الظن بمن سن تلك السنة وتابعوهم عليها، ليس بالفعل فقط ولكن بالإفتاء أيضاً، وهذه نقلة خطيرة جداً، وتحول كبير في هذا المسار عند الزيدية، والذي أفتى بذلك هو الإمام الجليل يحيى بن حمزة الذي أثنى عليه الإمام الشوكاني رحمه الله في البدر الطالع ثناءً عاطراً[3]، رغم رده عليه في هذه الفتوى، والفتوى المقصودة هي مانقلها عنه الإمام

---

1 (?) المصدر السابق (1/255).

2 4 انظر: الدر النضيد ص(48).

3 (?) البدر الطالع (2/332-332)

المهـــدي في البحر الزخـــار حيث قـــال: (مســـألة (ي) ولابـأس بالقبـاب والمشـاهد على الفضـلاء لاسـتعمال المسلمين ولم ينكر)[1].

ثم تبع الإمام المهدي على ذلك الإمـام يحـيى فقـال في الأزهـار وهو يتكلم عما ينـدب في القـبر ومنه رفعه قدر شبر (وكره ضد ذلك والإنافة بقبر غير فاضل)[2]

ومن المعلـوم أن الإمــام الشــوكاني قد ردّ على هــذه الفتــوى بكتابه المشــهور "شـــرح الصدور في تحريم رفع القبور ".

هـذا ما يتعلق ببنـاء المشـاهد والقبـاب وأما هدم تلك المشـاهد وكونه للسياسة كـذلك فهو أظهر، وإليك هاتين الواقعتين:

أما **الواقعة الأولى** فهي ما حدث من هدم للقبـور المشرفة والمشاهد المقامة عليها أيـام الإمـام المتوكل على الله المعاصر للشـــوكاني، حيث إنه أجــــاب أئمة الدعوة النجدية إلى هدم بعض المشاهد في صــنعاء وما حولها، وكتب بذلك إلى سـائر الجهـات، ذكر ذلك الإمـام الشوكاني في "البدر الطالع" وصـاحب كتـاب "حوليـات يمانية " وسيأتي نص كلامهما في الباب الثـالث إن شـاء

---

1 (?) البحر الزخـار الجـامع لمـذاهب علمـاء الأمصـار تـأليف الإمام أحمد بن يحـيى المرتضى (2/132)، طبع دار الحكمة اليمانية صـنعاء تصـوير عـام (1409هـ-1988م) عن الطبعة الأولى (1366هـ-1947م)(2/132).

2 (?) الأزهار في فقه الأئمة الأطهار(1/361) للإمـام المهـدي صاحب البحر الزخار مع شرحه السـيل الجـرار تحقيق محمد إبــراهيم زايد طبع دار الكتب العلمية ببــيروت الطبعة الأولى الكاملة (1405هـ-1985م).

الله[1]، وقد جزْمتُ بـأن الأمر كـان سياسة لا تـديناً؛ لأن ذلك الإمام بينما كان يرضخ للنجديين ويداهنهم كما عـبر بـذلك صـاحب الحوليـات كـان في نفس الـوقت يكـاتب الأتراك والمصريين للقـدوم إلى الجزيـرة والقضـاء على الدولة النجدية[2].

والواقعة الثانية الــــتي تــــدل على أن من أئمة الزيدية من يهدم القبــور لأجل السياسة هي حادثة هــدم بعض القبور في الديار الشافعية من اليمن، والــتي قــام بها الإمـام أحمد بن يحـيى حميد الـدين حيث أزال القبة التي على قــبر الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل عــام (1348ه)، حينما كـــان واليــــاً للعهد بعد أن تغلب على معارضة قبيلة الزرانيق - الــتي كــانت تعــرف من قبل بالمعازبة- لامتداد نفوذ الإمـام يحـيى إلى بلادها ودخولها تحت حكمـه، كما أزال الإمـام أحمد كـذلك التـابوت من على قــبر أحمد بن علــوان في يفــرس من ناحية جبل حبشى عام(1362ه)[3]، قد يقول قائل لم لا تحمل هــذا العمل على المحمل الحسن وتجريه على أفضل تقـــدير وتجعله من باب إزالة المنكر؟

فـأقول: إن الـذي يمنع من حمله على ذلك هو عـدم إقـدام الإمـام أحمد عنـدما كـان وليـاً للعهـد، أو بعد أن

---

1 (?) الباب الثالث(ص 680).

2 (?) انظر ذكريـات الشـوكاني ص (113- إلى آخر الكتـاب) تحقيق د. صالح رمضـان محمـود طبع دار العـودة (1983م) وحوليات يمانية ص (22-23) تحقيق عبدالله محمد الحبشي لم يسم المؤلف طبع دار الحكمة اليمانية صـنعاء ط الأولى (1411هـ-1991م)

3 (?) هجر العلم (1/222-223).

أصبح إماماً على إزالة شئ من مشاهد البلاد الزيدية، فلو كان الأمر لوجه الله لما فعله في ناحية وتركه في ناحية أخرى، قد يكون بعض مشاهدها أشد من تلك التي هدمها، كما قال القاضي إسماعيل الأكوع حفظه الله[1]، ومما يؤكد صلة المشاهد الزيدية بالسياسة أن معظم المشاهد المعظمة في الديار الزيدية هي للأئمة وحواشيهم، وقلّ أن تجد مشهداً لرجل فقير أوضعيف، وإليك قائمة بأهم المشاهد الزيدية وستكون إن شاء الله على حسب التسلسل الزمني لإنشائها:

1) مشهد الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة من منطقة ظفار ذيبين.

2) مشهد الأمير عماد الدين يحي بن حمزة (أخو عبدالله بن حمزة) بمدينة كحلان.

3) مشهد الإمام أحمد بن الحسين المعروف بأبي طير في مدينة ذيبين.

4) مشهد الإمام يحيى بن حمزة (وليس أخا عبدالله بن حمزة بل هو من ذرية الحسين وليس من ذرية الحسن[2]#ومشهده بمدينة ذمار.

5) مشهد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بصعدة[3]ومعه عدد من أبنائه وأحفاده ومشهد الإمام

---

1 (?) نفس المصدر نفس الموضع.

2 (?) انظر البدر الطابع (2/332-333).

3 (?) وهو مؤسس الدولة الزيدية باليمن توفي سنة (298هـ) ولكن المشهد لم يعمر إلا مابين سنة (733) و(750هـ) وهي فترة حكم الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد الذي كان أول من بنى مشاهد مقبرة صعدة على قبور الإمام الهادي وبنيه، انظر: الأضرحة ص (161)

المهدي باني تلك المشاهد.

6) مشهد الإمام صلاح الدين بصنعاء.

7) مشـــهد الإمـــام المهـــدي لـــدين الله أحمد بن المرتضى حصن الظفير حجة.

8) مشهد الإمام المهدي صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم بصعدة.

9) مشهد الإمـام الناصر محمد بن يوسف بن صـلاح بن المرتضى بمدينة ثلا.

10) مشـهد الإمـام شـرف الـدين يحـيى بن شـمس الدين أحمد بن يحيى المرتضى بظفير حجة. 11) مشهد مدرسة الإمـام شـرف الـدين بثلا، وفيه عـدد من أبنائه وبناته وذويه.

12) مشهد الأمير صلاح الدين بن شـمس الـدين بن الإمام شرف الدين بمدينة ثلا.

هذه بعض المشـاهد وقد تـركت الكثـير سـواها وهي كلها موجـــودة مشـــاهدة للعيـــان، وقد كتب عنها كتابة تاريخية أثرية الـــدكتور علي ســعيد ســيف في رســالته المقدمة للـدكتوراه من جامعة صـنعاء باسم "الأضـرحة في اليمن من القرن الرابع إلى القرن العاشر"، فيمكن لمن أراد معرفتها بدقة أن يرجع إلى هناك.

مع العلم أن أكثر هذه المشـاهد تضم إلى جـوار من هي باسمه عدداً من أبنائه وأحفاده وزوجاته، وهذا يثبت أن أئمة الزيدية قد ســاهموا في نشر مظــاهر القبورية في جهاتهم كسائر حكام اليمن.

المطلب الثالث: الدولة الرسولية ودورها في نشر القبورية في اليمن:

لمحة عن الدولة الرسولية:

الدولة الرسولية منسوبة إلى مؤسسها " نـور الـدين عمر بن علي بن رسـول" (ت 647ه)، وقد قـامت على أنقاض الدولة الأيوبية، حيث كان عمر بن علي من قـواد هذه الدولة أيام آخر ملوكها الملك المسعود، وحين عزم الملك المسـعود على السـفر إلى مكة حيث مـات بهـا، استبد بالأمر ودعا إلى نفسه وخطب له بذلك، ثم توالى أبنـاؤه وأحفـاده في الملك والسـلطنة، وامتـدت دولتهم من حضرموت إلى مكة بل في بعض الأحيان من ظفـار إلى مكـــة، وعاشـــوا في صـــراع مع أئمة الزيديه حينـــاً يأخذون صـنعاء وذمـار وحجـة، وحيناً يصل أئمة الزيدية إلى زبيد أو إلى تعز أو إب وهكـــذا، وامتـــدَّ حكمهم من سنة (625ه) إلى سنة (958ه) وهي مـدة طويلة زادت على ثلاثة قـــرون وقد تمـــيزت هـــذه الدولة بـــالقوة والعظمة والإنجازات الضخمة في شتى الميادين.

ففي العمـــران فعلت ما لم تفعله دولة أخـــرى في اليمن، وكـان أكـثر ملوكها مشـاركين في العلم والأدب فبنـوا المـدارس وجلبـوا العلمـاء والمدرسـين ووقفـوا الأوقـاف العظيمة عليهـا، كما جمعـوا نفـائس الكتب بل ألفوا الكثير منها في فنون مختلفة، وفي عصرهم ازدهر التصوف وشجع بعضهم أتباع ابن عـربي أصـحاب وحـدة الوجود.

وبالجملة فقد كانت هـذه الدولة مفخـرة من مفـاخر

اليمن في جوانب كثيرة، كما كـانت فاتحة شر كبـير في جــوانب أخــرى، ومن أهمها فتح البــاب أمــام التصــوف المنحرف الفلسفي تصوف أصحاب وحدة الوجود الــذي ما تـزال آثـاره ظـاهرة إلى هـذا التـاريخ وإن أفل نجمه وذهبت دولتـه، كما أنهم رسـخوا القبورية في اليمن من خلال قبور سلاطينهم وتبنيهم لبنـاء بعض المشـاهد على قبـور بعض من يعتقـدون فيه الصـلاح، هـذه هي الدولة الرسولية.

وإليك لمحة عن بعض قبور الدولة الرسولية:

قبور الدولة الرسولية:

1) الملك نـــور الـــدين عمر بن علي بن رســـول المتـــوفى(647ه)[1] دفن في المدرسة الأتابكية في ذي هزيم في مدينة تعز بعد أن نقلوه إليها من الجند[2].

2) الملك الأشـــرف عمر بن المظفر المتـــوفى (696ه)[3] ودفن في المدرسة الأشرفية بمدينة تعز[4].

---

1 (?) انظر ترجمته في العقـــود اللؤلؤية في تـــاريخ الدولة الرســولية(1/51) تـأليف علي بن الحسن الخـزرجي تحقيق محمد بن علي الأكوع طبع مركز الدراسات والبحوث اليمني الطبعة الثانية (1403هـ-1983م) وقرة العيون ص(299).

2 2 العقود اللؤلؤية (1/82).

3 (?) انظر ترجمته في: العقـــود اللؤلؤية (1/239) وقـــرة العيون ص(337).

4 (?) المفضل المزيد ص (94)

3) الناصر بن الأشــرف المتــوفى (725 هـ)[1] ودفن في المدرسة الأشــــــــرفية مدرسة والده[2].

4) الملك المجاهد المتـــوفى (764ه)[3] ودفن في مدرسته المجاهدية بتعز[4].

5) الملك الأفضل بن المجاهد المتــــــوفى (778ه)[5] وحمل من زبيد إلى تعز ودفن في مدرسته الأفضلية[6].

6) الملك الأشـــرف بن الأفضل المتـــوفى (803 هـ)[7] ودفن بمدرسته الأشرفية بتعز[8].

7) الملك الناصر بن الأشـــرف المتـــوفى (827ه)[9] ودفن في مدرسة والده الأشرفية[10].

8) الملك المنصور بن الناصر بن الأشـرف المتـوفى (830 هـ)[(11)] ودفن بمدرسة جـده الأشـرفية، وقد كـان

1 (?)انظر ترجمته في: العقود اللؤلؤية (2/13) وقـرة العيـون ص (349).

2 (?)الفضل المزيد ص (96).

3 7 انظر ترجمته في: العقـود اللؤلؤية (2/13) وقـرة العيـون ص (349).

4 8 الفضل المزيد ص (98)

5 (?) انظر ترجمته في: العقود اللؤلؤية(2/111) وقرة العيون ص (368)..

6 (?) الفضل المزيد ص(102).

7 (?) انظر ترجمته في العقود اللؤلؤية (2/141) وقرة العيون ص(376).

8 (?) الفضل المزيد ص (104).

9 (?) المصدر السابق ص(104).

10 (?) المصدر السابق ص (108).

11 (?) المصدر السابق ص (108).

موته بمدينة زبيد فُحمل إلى تعز[1].

9) الملك الظاهر يحيى بن إسماعيل المتوفى(842 هـ)[2]ودفن في مدرسته الظاهرية[3] بمدينة تعز.

10) الملك الأشرف إسماعيل بن الظاهر يحيى المتوفى (845 هـ)[4]ودفن عند والده بالمدرسة الظاهرية بمدينة تعز[5].

هؤلاء الملوك الذين وقفت على التصريح بدفنهم في المدارس التي بنوها، ولا يبعد أن يكون غيرهم من الأمراء ومن الملوك الذين ولّوا ولايات قصيرة أو خرجوا على الملوك الرسميين أن يكونوا كذلك قد دفنوا في مدارس أو مشاهد، بل لا يبعد أن تكون نساؤهم كذلك وقد وقفت على تصريح بواحدة منهن.

11) قال ابن الديبع: وفي السنة المذكورة (836ه) توفيت أم السلطان الحرة الطاهرة، أم الملوك جهة الطواشي، جمال الدين فرحان بمدينة زبيد في الثاني عشر من صفر، ودفنت قريباً من تربة الشيخ طلحة بن عيسى الهتار، وأمر ولدها السلطان الملك الظاهر بإنشاء مدرسة عظيمة على ضريحها ورتب فيها إماماً وخطيباً وأيتاماً ومعلماً لهم وعشرين قارئاً يقرؤون القرآن عند ضريحها عقب كل صلاة، ورتب لهم ما يقوم بكفايتهم. [6]

---

1 (?) المصدر السابق ص (109).
2 (?) الفضل المزيد ص(109).
3 4 المصدر السابق ص(113).
4 (?) المصدر السابق ص (113-114).
5 (?) المصدر السابق ص (115).
6 (?) المصدر السابق ص (111).

12) كما أشــار الجنــدي إلى أن هنــاك تربية خاصة بخواص وأقارب بني رسول حيث قال في ترجمة محمد بن القاضي عمر الهـــزاز: (وكـــان المظفر يجله ويعتقد صلاحه وربما زاره سراً إلى منزله - إلى أن قـال- وحين بلغت وفاته الملك المظفر كتب إلى أولاده ســـألهم أن يدفنوه في التربة الـتي هي قبلي جـامع عدينـه، ففعلـوا ذلك إذ خـــواص بـــني رســـول من القرابة و الســـراري مقبورون فيها) [1].

وهذه التربة ربما كانت على غـرار تـرب الفـاطميين والمماليك التي سبق ذكرها.

مساهمة سلاطين الدولة الرسولية في بناء المشاهد على قبــور من يعتقدون فيهم الصلاح:

بـنى سـلاطين الدولة الرسـولية المشـاهد والقبـاب على قبور من يعتقـدون صـلاحهم، ولكن للأسف لم نجد النص الصــريح على شئ من ذلك إلا على قــبر الشــيخ أحمد بن علوان، و مشهد أحمد بن علوان يوجد بمنطقة يفرُس محافظة تعز، وهو معاصر للملكَيْن عمر بن علي بن رســـول وابنه المظفـــر، ويعد من أكـــابر أقطـــاب الصوفية في اليمن، عُمّر مشهده وأول من عمّره الملك المظفر ذكر ذلك صـاحب الأضـرحة، ولم يحـدد التـاريخ الذي جرى فيه البناء، كما أن المشهد والمسجد المجاور له قد شهد توسعة وترميمـاً كثـيراً في فـترات مختلفـة، أهمها على يد السلطان عامر بن عبـدالوهاب الطـاهري كما هو مكتـــوب هنـــاك[2]، وآخرها على يد بعض ولاة

[1] (?) السلوك (2/117).
[2] (?) الأضرحة ص (123) وما بعدها.

الأتراك.

المبحث الرابع: نشأة الصوفية ودورها في نشر القبورية في اليمن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأة الصوفية في اليمن:

سبق تعريف الصوفية والتفريق بين الزهد الــذي دعا إليه الإســلام وبين التصــوف المنحــرف، والإيضــاح بــأن كلامنا إنما هو منصب على التصـــــوف الفلســـــفي المنحرف، سواء شَعَرَ المتصوفة القائمون به بأصل ذلك التصـوف وعرفـوا مصـادره أم أخـذوه تقليـداً وثقة بمن قبلهم، فـالانحراف هو الانحــراف إن أتى على يد خــبيث ماكر أو على يد صـالح مغفـل، وأما الأشـخاص أنفسـهم وما هي مقاصدهم ونواياهم فذاك شـيء مـرده إلى الله تبارك وتعالى وليس إلينا، إذا عرفنا هـذا التـذكير حق لنا أن نشرع في رصد مبدأ هذا التصوف المنحرف ونشأته.

روّاد التصوف في اليمن:

لعل حضرموت كانت هي الرائدة في جلب واستيراد التصوف، فقد ذكر مؤرخو حضرموت أن أول من عــرف بالتصوف فيها هو " عبدالله بن أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله " حيث ذكر الشـــاطري في " أدوار التـــاريخ الحضرمي " أن من شيوخه أبا طالب المكي، فقد تلقى عنه علم التصــوف، وقــرأ عليه كتابه "قــوت القلــوب " ذلك الكتــاب الشــهير في فن التصــوف. وذلك لما حج سنة (377 هـ)[1] غير أن هذا الرجل لم يكن له أثر يذكر في نشر التصوف في حضرموت، كما سيأتي عند حديثنا

1 (?) أدوار التاريخ الحضرمي ص(162- 163).

عن الفقيه المقـدم، وهـذا كما نـرى من رجـال القـرن الرابع.

وفي القــرن الخــامس: يطالعنا اسم الصــوفي "ســود بن الكميت" المتــوفى (436 هـــ) حيث ترجمه الشرجي في "طبقات الخواص "، وذكر قصة تحوله إلى التصـوف، و أنه كـان له أصـحاب ومريـدون، وأنه كـان يجلس معهم في المسجد ويأكل وينام معهم فيه[1]، وهو أشــهر من عــرف بالتصــوف أو من أشــهرهم في هــذا القــرن، مع وجــود آخــرين أشــار إليهم الســيد عبدالله الحبشي ولم يــبين أســماءهم وذكر أنهم من المنــاطق المحاذية لتهامة ومن مدينة تعز[2].

وفي القرن السادس: اشتهر الصــوفي أحمد بن أبي الخير الصياد المتوفى سنة (579 هـ) وقد كان رجلاً عاديـاً من عـوام مدينة زبيـد، وعلى أثر رؤيا رآها تحـول إلى التصـوف، وصـحب الشـيخ إبـراهيم الفشـلي الآتي ذكره في القرن السابع، قال الشــرجي بعد ذكر الرؤيـا: (ومنذ ذلك الوقت أخذ يترقى في درجات التصوف)[3].

قلت: ثم اشـــتهر أمــــره، وتجمع حوله المريــــدون وسجلت له الكرامات، ونقلت عنه أقوال ذات قيمة عند أهل التصــوف[4]. والملاحظ أنه في هــذا القــرن بــدأت تتكــون جماعــات التصــوف ويلتــفّ المريــدون حــول

---

1 (?) طبقات الخواص ص(150-151).

2 (?) الصوفية والفقهاء في اليمن ص(12) تـأليف عبدالله بن محمد الحبشي توزيع مكتبة الجيل الجديد صـــــنعاء (1396-1976).

3 (?) طبقات الخواص ص (64-69).

4 (?) المصدر السابق.

شيوخهم لا لطلب العلم ولكن لأخذ الفيوضات والبركات وسلوك ذلك الطريق المبتدع، وليس هذا خاصاً بالصـياد وحـده بل قبله كـان لشـيخه إبـراهيم الفشـلي، الـذي سيأتي الحديث عنه في القرن السابع.

القرن السابع: هذا القـرن هو في الحقيقة قـرن التصـوف ففيه نبتت وترعـرعت البـذور الـتي بـذرت في القـرون الماضية وشهد تحولات كبيرة منها:

1)دخول مدرسة ابن عربي - مدرسة وحـدة الوجـود - إلى اليمن وكـان ذلك على يد رجل غـامض مشـبوه يقال له "المقدسي"، لا يعرف اسمه الحقيقي ولا شيء من ترجمته[1]؛ وذلك لشـــدة حنق الفقهاء وأهل العلم عليه وهجـره، بل ومحاولة قتله في قصة طويلة عجيبة تدخّل على إثرها السلطان وزجر الفقهاء وتوعدهم أشد الوعيد إن هم تعرضوا له ولأصحابه[2]، ولكن هـذا الرجل لم يمت إلا وقد غرس تلك النبتة الخبيثة في اليمن، وقد قـرر العلامة الأهـدل أنه أول من قـدم بكتب ابن عـربي إلى اليمن. [3]

---

1 (?) قـال القاضي إسـماعيل الأكـوع في كتابه المـدارس الإسـلامية في اليمن طبع مؤسسة الرسـالة بـيروت مكتبة الجيل الجديد صـنعاء ط الثانية (1406هـ-1986م) ص(83-84): (لم نعرف اسم المقدسي كـاملاً ولا تـاريخ قدومه إلى اليمن ولا تـاريخ ولادته ووفاته ومكانهما فيما بين أيـدينا من المراجـع، ولعل ذلك الإهمـال كـان مقصـوداً من المـؤرخين نكاية به وتجاهلاً لعلمه ومعرفته لعلم المنطـق)، قلت: ليس علمه علم منطق ولكنه الفلسفة الإلحادية.

2 (?) السلوك (2/111- 113).

3 (?) كشف الغطـاء عن حقـائق التوحيد وعقائد الموحـدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعة وبيان حال

كما ظهر هذا القول كذلك في هـذا القـرن لـدى أبي الغيث بن جميل الملقب شـمس الشـموس المتـوفى سـنة (651هـ) وألَّف في ذلك كتابـاً[1]، ولـدى معاصـره أحمد بن علـوان وله في ذلك عـدة كتب منهـا: " البحر المشـكل الغـريب " و " الفتـوح المصـونة والأسـرار المخزونة " و" التوحيد الأعظم[2]".

وقد ذكر مـترجمو الـرجلين أن لهما مكاتبة تشـهد بمدى ما وصلا إليه من التبجح والدعوى الـتي عـرف بها أهل تلك النحلة، قـال الشـرجبي في ترجمة أبي الغيث: (وكتب إليه الشـيخ أحمد المـذكور " ابن علـوان " مـرة من بلده كتاباً يقول فيه: أما بعد. فإني أخبرك أني:

جزت الصفوف إلى الحروف إلى الهجا حـتى انتهيت مراتب الإبداع

لا باسم ليلى أسـتعين على السـرى كلا ولا لبُنى تقل شراعي

فأجابه الشيخ أبو الغيث بكتاب يقول فيه: من الفقير إلى الله تعـالى أبي الغيث بن جميل غَـذِيِّ نعمة الله تعالى في محل الحضرة، أما بعد فإني أخبرك أني:

(4) تجلى ليَ الاسم القديم باسـمه فاشـتُقَّتِ الأسماء من أسمائي

ابن عـربي وأتباعه المـارقين ص(217) للعلامة الحسـين بن عبدالرحمن الأهدل طبع تونس. (1964م).

1 (?) أنكر العلامة الأهـدل أن يكـون هـذا الكتـاب للشـيخ أبي الغيث وذلك لأنه أمي، ولكن السيد عبدالله الحبشي رد عليه في ذلك وأثبت أن الكتاب تأليف ابن جميل. انظـر: الصـوفية والفقهاء (ص71 - 72).

2 (?) الصوفية والفقهاء ص(72).

وحبــانيَ الملك المهيمن وارتضى فــالأرض أرضي والسماء سمائي. [1]

قـال الحبشـي: (وبهـذين الـرجلين - أبي الغيث وابن علوان - قامت مدرسة الفلسفة الصـوفية في اليمن، إلا أن قربهما المباشر من عصر ابن عـــــربي لم يجعلهما يستفيدان من كتاباته الخاصة، و إنما كان ذلك من خلال المشرب الذوقي الذي عُرِفتْ به تعاليم هذه المدرســة، وهم ينهلون جميعاً من الاتجاه الذي سار عليه أســلافهم من دعــواهم في الحب والقــرب وغــيره من إشــارات الصوفية)[2].

2) في هذا القـرن دخلت الطـرق الصـوفية من الخارج، ونشأت الطـرق الصـوفية المحليـة، وإليك لمحة عن أهم الطـرق الصـوفية الـتي عرفتها اليمن في هـذا القرن في المطلب التالي.

المطلب الثــاني: أهم الطـــرق الصـــوفية الـــتي عرفتها اليمن:

الطرق الوافدة:

1) الطريقة القادرية: وهي أول وأشهر الطـرق الصـوفية في اليمن، وقد أعـاد الحبشي أول لقـاء لليمنـيين بهـذه الطريقة وشيخها إلى سـنة (561 هــ)، وهي سـنة وفـاة الشـــيخ الجيلاني - رحمه الله - حيث لقيه اثنــــان من اليمنــــيين في موسم الحج، وهما الشــــيخ " علي بن عبـدالرحمن الحـداد " والشـيخ "عبدالله الأسـدي "، أما الأول فــالتقى به صــدفة عند الكعبــة، وأما الثــاني فقد

1 (?) طبقات الخواص ص (409-410).

2 (?) الصوفية والفقهاء ص (73)

سافر خصيصاً للقاء الشيخ عبدالقادر عندما علم بأنه ناوٍ على الحج تلك السـنة، فـالتقى به في عرفـات. ولم يوضّـح ما هو دور الـرجلين في نشر الطريقة القادرية في اليمن؟ولكن من بين من ذكر أنهم أخـذوا الطريقة القادرية من صوفية اليمن "أحمد بن أبي الجعد "ووفاته ببضع وسبعين وسبعمائة[1]، (و أبو بكر بن محمد بن أبي حربـه) وفاته (794ه)[2] وبهـذا نقطع أن هـذه الطريقة دخلت اليمن في القرن السابع وربما قبله بقليل.

2) الطريقة المَدْيَنِيَّة: المنسـوبة إلى الصـوفي المغـربي الشهير "شعيب أبي مدين التلمسـاني"، وهـذا الصـوفي قد صدّر طريقته إلى اليمن عن طريق مكة عبر تلميـذه عبـدالرحمن المقعـد، ولكن المقعد مـات في الطريق فوكل إيصـالها إلى رجـلٍ آخر هو "عبدالله الصـالح المغـربي" الـذي وصل إلى تـريم، وإلى من سـماه أبو مـدين ووصـفه الفقيه المقـدم- محمد بن علي بـاعلوي- المتـوفى سـنة (653 هـ)، فـدخل خلسة إليه وهو في حلقة شـيخه الفقيه "علي بن محمد بـامروان "فغمـزه وأخـذه من بين يـدي شـيخه فأبلغه الرسـالة وحكّمه وألبسه لبـاس الصـوفية، فعـاد إلى شـيخه وهو كـذلك فغضب عليه شيخه وزجره وظل مقاطعاً له حـتى مـات "رحمه الله "، ثم ذهب إلى قيدون فلقي الشيخ "سـعيد بن عيسى العمـودي" المتـوفى سـنة (671 هـ) فحكّمه كذلك وأدخله في عداد الصوفية، ولقي في دوعن كذلك " باعمر " صاحب عُورَة وألحقه بالجماعـة، ثم توجه إلى ميفعة ولقي الشـيخ عبدالله بـاحمران فحكّمه كـذلك و ألحقه بهم، واسـتقر في ميفعة حـتى مـات، وعند موته قسم تركته بين تلاميـذه وأشـار إليهم بـأن هنـاك علامة على من يكون شـيخهم وهو أن يقع من نصـيبه السـبحة

---

1 (?) طبقات الخواص ص (72 - 74).

2 (?) الطبقات الخواص ص (380 - 381).

فوقعت من نصـيب الفقيه المقـدم، وبـذلك أصـبح شـيخ صـوفية حضـرموت وشـيخ الطريقة المدينية بهـا، وعند وفاته نصّــب زوجته أم المســاكين في منصب شـــيخ الصوفية بحضرموت[1].

3) الطريقة الرفاعيـــــة: المنســــوبة إلى أحمد بن علي الرفــاعي المتــوفى (578ه)، وقد دخلت اليمن على يد

---

[1] (?) انظر: قصة إرسال أبي مدين إلى حضرموت في(الجوهر الشــفاف في ذكر فضــائل ومنــاقب وكرامــات الســادة الأشــراف) تــأليف عبد الــرحمن الخطيب الأنصــاري وهو مخطوط، ولدي نسخة مصورة منه (1/81ـ 82) في الحكاية السابعة والعشرين وفي المشرع الروي (2/4-5)، وحـتى لا يظن أحـدٌ أنـني بـالغت في تعبـيري أو طعنت في (عبد الله الصــالح المغــربي - ومرســله أبي مــدين - أو في الفقيه المقــدم)، أســوق قصــتهم بحروفها من الجــوهر الشــفاف لعبــــدالرحمن الخطيب حيث قــــال: (الحكاية الســــابعة والعشـرون: روى المشـايخ أنه قيل لشـيخ شـيوخنا الشـيخ الفقيه محمد بن علي : إنه لا يفك قفل قلبك إلا الشــــيخ عبـدالرحمن المقعـد، وكـان الشـيخ عبـدالرحمن المقعد إذ ذاك بمكة -حرسها الله تعالى- فسار الفقيه شيخ شـيوخنا = = قاصـداً نحـوه، فلما بلغ أثنـاء الطريق أخـبر بوفاته فرجع إلى بلده، وكان الشيخ عبدالرحمن المذكور من كبار تلامذة الشيخ الكبير خـاص الخـواص أبي مـدين ، وكـان شـيخه أبو مدين قد أمره بالسفر إلى حضرموت، وقال لـه: إن لنا فيها أصــحاب سر إليهم وخذ عليهم عقد الحكم ولبس الخرقة أو كما قال، و قال لـه: ولكنك لاتصل إليهم بل تمـوت في أثنـاء الطريق ونرسل إليهم من يأخذ عليهم ذاك، فســـار الشـــيخ عبـدالرحمن طالبــاً حضــرموت، فلما بلغ في أثنــاء الطريق حضـرته الوفـاة فأحضر تلميـذه الشـيخ الكبـير العـارف بالله تعــالى عبدالله الصــالح المغــربي - و كــان من أولاد ملــوك المغرب فـآثر سـلوك هـذه الطريقة ففتح له وكـان من كبـار

عمر بن عبدالرحمن بن حسان القدسي المتوفى سنة (688ه) وكـان الشـيخ قد أدرك أحد أحفـاد الشـيخ أحمد الرفـاعي وهو نجم الـدين الأخضـر، فأخذ عنه الخرقة الرفاعية، وتـربى بين يديه تربية صـوفية، فلما اسـتكمل الشـيخ تعليمه أمـره أن يـدخل اليمن وينشر الخرقة الرفاعية هنالـك، وفي اليمن اجتمع القدسي ببعض من صوفيتها أمثال الشيخ عمر بن سـعيد الهمـداني وغـيره،

تلامذته ولهما الكرامات الخارقة والإشـارات المفيـدة الفائقة - وأمره بالمسير إلى حضرموت وقـال له ما قـال له الشـيخ = = أبو مـدين ، وفي رواية أنه قـال له أيضـاً: اذهب إلى حضـرموت تجد فيها الفقيه محمد بن علي أبو علـوي عند الفقيه علي بن أحمد أبي مـروان يسـتقي يعـني يأخذ منه العلم، طـارح سـلاحه فـوق رجليـه، فـاغمزْه من عند الفقيه وحكّمْـه، واذهبْ إلى قيـدون= تجـدْ فيها الشـيخ سـعيد بن عيسى فحكّمْه، قال الشيخ عبداللـه: فلما وصـلت إلى تـريم وجـدت الفقيه محمد بن علي كما قـال الشـيخ عبـدالرحمن فغمزته وحكّمته - و ما شاور أبا مروان - فلما رجع إليه وفي رأسه الخرقة اغتاظ عليه وقال لـه: رجونـاك إمامـاً مثل ابن فورك فتركت صحبتنا ورجعت إلى زي الصوفية أو كما قـال، فقال له الفقيه محمد بن علي : : = الفقر خير. وهجـره أبو مروان إلى أن توفي وستأتي حكايتهما في ذلك إن شـاء الله تعالى، فسار الشيخ عبدالله فلما وصل إلى حضرموت اجتمع بشـيخ شـيوخنا الفقيه محمد بن علي وقـال له الشـيخ عبدالله: أي لؤلؤة عجماء لو ثقبت، فقال الشـيخ محمـد، وما الثقب قال: التحكيم، فـانخلع الشـيخ محمد عما هو عليه من زي الفقهاء وترك صحبتهم، وتحكم للشيخ عبدالله ولبس منه الخرقة، وأقبل على الله تعالى في السر والعلانية ورغب في صـحبة الصـوفية، قـالوا ودعا لذريته عند ذلك بثلاث دعـوات (الأولى) بذل النفوس ولا يعودون إلى العمومية أي لا يزالون على زي الفقـراء، (الثانيـة) أن لا يسـلط الله تعـالى عليهم ظالماً يؤذيهم (الثالثة) أن لا يموت أحد منهم إلا وهو مسـتور

ويقول الشرجي: أنه (تنقل بعد ذلك إلى عدة أماكن في اليمن وابتنى عـدة ربط بعد أن شـهر الخرقة الرفاعيـة، وانتشرت عنه انتشاراً كلياً لاسيما في مخلاف جعفر)[1].

4) الطريقة الشـاذلية: نسـبة إلى الشـيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشـــاذلي المتـــوفى ســـنة (656ه)، وقد انتقلتْ هذه الطريقة إلى اليمن على يد الشـيخ علي بن

في دنيـاه - أي لا تكـون به حاجة تضر بدينه - قـالوا: فقبلهن الله تعـالى، فما يمـوت أحد منهم إلا وهو بتلك الصــفة، ولم يسـلط الله تعـالى عليهم بعد ذلك ظالمـاً أبـداً ببركة دعـوة الشيخ لهم). الجوهر الشفاف (1/81-83).

وكذلك قال الشلي في المشرع: (فلما رآه شيخه علي بامروان تغير عما كان قال له: أذهبْتَ نورك وقد رجونا أن تكون كابن فـــورك واخـــترتَ طريق التصـــوف والفقر وقد كنت على المقدار والقدر، فقال الأستاذ: الفقر فخـري وبه أفتخـر، وبه على النفس والشيطان أنتصـر، ولا أتباعد عنكم إعراضـاً، ولا تبدلت بكم معتاضاً. وهجره الفقيه وظن أن يفيد فيه الهجــر، ورأى أنه أعظم من الزجر، واستمر مهاجراً له إلى أن مــات 0) المشــرع الــروي (1/2-ـ 5)، وفي هجر الإمـام بـامروان للفقيه المقدم دليل على أن أهل حضرموت كانوا على منهج الكتاب والسنة، وأنهم لم يعرفوا ذلك الانحراف الصوفي إلى أن قدم ذلك المغربي بالتصـوف وأخـذه عنه الفقيه المقـدم، ولكن منذ ذلك التاريخ استفحل الشر وانحـرف الأكـثر بتـأثير ذلك الفقيه وأتباعه من أبنائه وفقرائه واللائـــــذين بهم ممن ينسـبون إلى الفقه والعلم، بعد أن ضـعف الفقه وقل العلم، ومازال التصوف يفشو والعلم ينقص حتى أظلم الكون، وعم الانحـراف، وظهـرت الـدعاوى والرسـوم، وزالت الحقـائق، وأصبح من النادر وجـود فقيه متضـلع مـدرك للأدلة ومـذاهب العلمــاء قــادر على الــترجيح والاختيــار، أما علم التفســير والحديث فلم يبق لهما أثر، وسـيأتي في البـاب الثـاني مزيد بيان لهذه القضية.

عمر بن دعسين الشاذلي الذي كان من أوائل المؤسسين في اليمن[1].

5) الطريقة السهروردية: نسبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهروردي المتوفى سنة (631ه) ذكرها العيدروس في الجزء اللطيف وذكر أن من أتباعها في اليمن إسماعيل الجبرتي والعلوي[2].

الطرق المحلية: أهم الطرق المحلية التي نشأت في هذا القرن:

1) الطريقة العلوية: المنسوبة إلى الفقيه محمد بن علي باعلوي المشهور بالفقيه المقدم الذي سبق ذكره آنفاً في الطريقة المدينية.

2) الطريقة الأهدلية: نسبة إلى الشيخ علي بن عمر الأهدل المتوفى سنة نيف وستمائة، وهو أخذها في الأصل عن رجل من أصحاب الشيخ عبدالقادر الجيلاني يسمى الأحوري وقد (كثر أصحابه وأتباعه وتخرج به جماعة ممن شهر، وذكر منهم الشيخ أبو الغيث بن جميل وأحمد بن أبي الجعد)[3].

3) الطريقة العلوانية: نسبة إلى الشيخ أحمد بن علوان صاحب يَفْرس[4].

---

1 (?) طبقات الخواص ص (245) والصوفية والفقهاء ص (36).

1 (?) انظر الصوفية والفقهاء ص (35)

2 (?) انظر الجزء اللطيف ص (23) ضمن المجموعة العيدروسية.

3 (?) طبقات الخواص ص(195 - 198).

4 (?) مقدمة كتاب الفتوح للشيخ أحمد بن علوان تحقيق عبد العزيز سلطان طاهر المنصوب طبع دار الفكر المعاصر ط الأولى (1416هـ- 1995م) بيروت لبنان.

السماع الصوفي:

وفي هـذا القـرن " السـابع " فشى وانتشر السـماع الصـوفي، وهو إنشـاد الأشـعار في المسـاجد ومـواطن العبادة بقصد التقـرب إلى الله تعـالى، واعتبـار ذلك من ضمن الوسائل التي تقـرب إليه وتـزكِّي النفس وتسـمو بـالروح، سـواء حصل معها عـزف بالمعـازف المعروفة كالـدفّ والشـبَّابة ونحوها أو لم يحصـل، وفي كثـير من الأحيـان يصـحب ذلك رقص وتمايل وطـرب زائـد، وربما وصل إلى السكر والإغمـاء وفقـدان الشـعور، وكل ذلك تُعطى له المسـوّغات، ويُؤصل له بما يظهـره وكأنه من أعظم القـرب وأفضل الشـعائر في العـرف الصـوفي، وكـان من روّاده في هـذا القـرن، الشـيخ أبو الغيث بن جميل، والشيخ أحمد ابن علوان، والشـيخ محمد بن أبي بكر العـواجي، والشـيخ محمد بن عيسى الـزيلعي[1]، والشـيخ سـفيان الأبيـني وغـيرهم[2] وسـيأتي مزيد من الحديث عن السماع في الباب الثاني إن شاء الله.

الشطح الصوفي:

تعريف الشطح:

عرَّفه المناوي بقوله: (كلام يعبِّر عنه اللسان مقرون بالـدعوى، ولا يرتضـيه أهل الطريق من قائله وإن كـان محقـاً)[3]، وفي قوله لا يرتضـيه أهل الطريق نظـر؛ لأن الواقع أن أعظم من يعتـبرهم الصـوفية أهل الطريقة أو أهل الحقيقة هم أهل الشطح بل المبالغون فيه، بل في

1 (?) الصوفية والفقهاء ص (32).

2 (?) طبقات الخواص ص(147).

3 (?) التوقيف على مهمات التعاريف ص (429 _ 430)

كثير من الأحيان نجد أعظمهم شطحاً أرفعهم رتبة، ثم كيف لا يرتضونه وهم ينقلونه عن أولئك الشاطحين باعتباره من جواهر كلامهم ودرر ألفاظهم وخوارق كراماتهم، بل ربما أثبتوا به بعض ما يقررون من القضايا.

لاشكَّ أنهم يرتضونه وإنما يتظاهرون أمام الآخرين بعدم ارتضائه أو بتأويله.

وكذلك قوله (وإن كان محقاً) الغالب في الدعاوى والشطح ألا يكون محقاً، ومن تتبع تلك الشطحات عرف ذلك، والحق في هذه القضية أن أقصى ما يمكن فعله هو التماس العذر للشاطح بأنه قال ذلك في حال سُكْر و غيبوبة، ومن كان هذا شأنه فإنه جدير أن يدرج في طبقات المجانين لا في طبقات الأولياء.

وقد نُقِل شطح كثير عن صوفية هذا القرن كان كالمدخل لأصحاب الدعاوى والباحثين عن الشهرة والمنزلة عند عوام الناس، يتوسعون فيه ما شاء لهم هواهم واستخفافهم بحدود الشرع وعظمة الحق وعقول الخلق.

ومن الصوفية الذين سجّلوا السبق في الشطح من أهل هذا القرن أحمد بن علوان، وأبو الغيث بن جميل في قصتهما الشهيرة ومفاخرتهما التي ساقها معظم من ترجمَ لهما وقد سبق ذكرها. [1] والفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي وهو من أعظمهم في ذلك[2].

---

1 (?) انظر (ص 287).

2 (?) انظر بعضاً من شطحه في: الجوهر الشفاف (1/35) وما بعدها والغرر ص (147) والمشرع (2/9).

والشيخ أحمد بن أبي الجعد الأبيني. [1]

انتشار التصوف في عموم اليمن:

وفي هذا القرن انتشر التصـوف في عمـوم منـاطق اليمن، وظهر في كل منطقة قطب من أقطـابهم الـذين لا يـزال تـأثيرهم وتعلق النـاس بهم قائمـاً إلى اليـوم، وأكثر المناطق قبولاً للتصـوف في هـذه الفـترة تهامـة، فقد ظهر في شـمالها صـاحبا عواجه محمد بن حسـين البجلي (621 هـ)[2]، ومحمد بن أبي بكر الحكمي (617ه)[3] وفي المراوعة ظهر علي بن عمر الأهـــدل (نيف وسـتمائة)[4] وفي بيت عطـاء أبو الغيث بن جميل (651 هــ) [5]، وفي بيت الفقيه أحمد ابن موسى بن عجيل (696)[6]، وفي التريبة قرب زبيد عيسى بن إقبال الهتار (606ه)[7]، فهؤلاء ستة من كبار الصوفية كلهم من تهامـة، وفي محافظة تعز أحمد بن علـوان (655 هــ) [8]، وفي لحج سفيان بن عبدالله الأبيني (وفاته القرن السـابع)[9]،

---

1 (?) مرآة الجنان (4/349 - 350).

2 (?) انظر ترجمته في طبقات الخواص ص (267).

3 (?) انظر ترجمته في المصدر السابق ص (264).

4 (?) انظر ترجمته في المصدر السابق ص (195).

5 (?) انظر ترجمته في المصدر السابق ص (406).

6 (?) انظر ترجمته في المصـدر السـابق ص (75)، ومـرآة الجنان (4/395).

7 (?) انظر ترجمته في المصدر السابق ص (249)، و ومرآة الجنان (4/458)

8 (?) انظر ترجمته في المصـدر السـابق ص (69)، ومـرآة الجنان (4/357)

9 (?) انظر ترجمته في المصـدر السـابق ص (146)، ومـرآة

وفي أبين أحمد بن أبي الجعد الأبيـني (690 هـ)[1]، وفي عدن جـوهر بن عبدالله الصـوفي سـنة (616هـ)[2]، وفي محافظة شبوة محمد بن عبدالله بامعبد كان حياً سـنة (680هـ)[3]، وفي حضـــرموت -دوعن- ســـعيد بن عيسى العمـودي (671)[4] وفي تـريم الفقيه المقـدم محمد بن علي بــاعلوي (653هـ)[5]، ورغم عــدم الاستقصــاء فإنك تـــرى أن معظم ديــــار الشــــافعية في اليمن قد عمَّها التصوف في هذا القرن.

أثر الدولة الرسوليَّة في ترسيخ التصــوف وتقويته في اليمن:

في هذا القرن كانت الدولة الرسـولية في أوج قوتها وعنفوان شبابها، وكـان سـلاطينها يـدينون بـالولاء التـام للصوفية؛لأن الصـوفية قد اتخـذوا عنـدهم أيـادي جليلـة، من أهمها بشــاراتهم بالملك واســتمراره في أعقــابهم، فجـــدهم عمر بن علي بن رســـول بشَّـــرَه جماعة من الصـــوفية بالملك وقـــوَّوا عزمه عليه[6]. وكـــذلك بشَّـــرَ

الجنان (4/348).

1 (?) انظر ترجمته في المصــدر الســابق ص (72)، ومــرآة الجنان (4/371).

2 (?) انظر ترجمته في المصــدر الســابق ص (120) ومــرآة الجنان (4/347).

3 (?) إدام القــوت أو معجم بلــدان حضــرموت للســيد عبــدا لرحمن بن عبيد الله السقاف منشور في مجلة العرب العدد (15).

4 (?) القــول المختــار فيما لآل العمــودي من الأخبــار جمعَه عبدالله أحمد الناخبي مخطوط مصور لديَّ.

5 (?) الغرر ص (145) وما بعدها والمشرع (2/2) وما بعدها.

6 (?) انظر العقود اللؤلؤية (1/52).

إبـراهيمُ الفشـلي الملـكَ المظفر باسـتمرار الملك في ذريته حينما نازعه إخوانه على ذلك[1]. وبهـــــذا حصل الاعتقاد التام في الصوفية لدى ملوك وأمراء بل ونسـاء بـني رسـول، وبـذلك مكَّنَتْ الدولة الرسـولية للصـوفية تمكيناً تاماً ، فما من اعتراض من الفقهاء على الصوفية إلاَّ ويقمعه ملـوك بـني رسـول، وما من انحـراف يحدثه الصــوفية إلا ويتأوّلونه لهم، وانظر على ســبيل المثــال قصة الـنزاع بين الفقهـاء وبين أصـحاب وحـدة الوجـود، والـتي شـرحَها وبيَّنَ مراحلها وأحـداثها الأسـتاذ عبدالله الحبشي في كتابه " الصوفية والفقهاء في اليمن "[2].

هكـذا تكامل نشر الصـوفية ورسـخت جـذورها بل وبسـقتْ وتمتْ فروعهـاوآتتْ ثمارها في هـذا القـرن، وواصلت التطور والتوسع في القرون اللاحقة[3].

قبورية الصوفية:

سـبق الحـديث عن نشـأة المشـاهد وبنـاء المسـاجد على القبـــور في اليمن، وأنها كـــانت على يد الدولة الصـليحية الباطنيـة، وعلى أيـدي السـلاطين وبـالأخص الأيوبـيين والرسـوليين ومن جـاء بعـدهم ومن عاصـرهم من أئمة الزيديـة، ولم يسـجل في ذلك الـوقت مشـاهد خاصة بالصوفية، ومما يؤكد أنه لم يكن للصوفية مشاهد وقبـور شـهيرة - يقصـدها النـاس للتـبرك بها وعَمَـلِ ما يعمله الصـوفية المتـأخرون عند قبـور أوليـائهم - خلـوُّ

1 (?) الصوفية والفقهاء ص (47).

2 (?) المصدر السابق من ص (85) إلى آخر الكتاب.

3 (?) انظر الفصل الرابع عشر من كتاب " التصوف في تهامة " ص (117) وما بعـــدها تـــأليف محمد بن أحمد العقيلي، الطبعة الثانية بدون تاريخ ولا دار طبع.

طبقاتِ فقهاء اليمن للجعدي من ذلك تقريباً، وقد كان فراغه منه في آخر القرن السادس في عام (586ه)[1]، بينما نجد البهاء الجندي قد شحن كتابه السلوك بذلك، وأكثَرَ من ذكر القبور التي تزار ويتبرك بها[2]، وإن لم يذكر أن عليها مشاهد إلا نادراً[3]، حتى أن القاضي الأكوع في مقدمته للسلوك تبرَّم من ذلك، وأنكرَه وسجَّل كلمة قيمة وملاحظة طيبة عليه.

بداية الزيارات الحولية:

وفي تراجم رجال هذا القرن تُطالِعُك الزيارات الحولية وغير الحولية للقبور وبعض الأماكن الأخرى، ففي ترجمة محمد بن ظفر الشميري قال الجندي: (وبلغتُ تربته قاصداً زيارته، وأقمت عندها أياماً، وهو بمسجد وإلى جنبه امرأته، وببركته مازالت قريته محترمة ما قصدها أحد بسوء إلا خذله الله، ولم أجد بتلك الناحية مزاراً أكثر من تربته قصداً للزيارة وقضاء الحوائج التي تطلب من الله، وكثرة النذور لها، وفي ليلة الرغائب من رجب يجتمع عندها خلق ناشر)[4].

---

1 (?) مقدمة الكتاب ص (ل).

2 (?) انظر الجزء الأول الصفحات (356) و (392 و 393) و (423) و (455) و (462)، والجزء الثاني (60 و 61) و (62) ـ (65) و (82) و (117)ـ ـ (182) و (183) و (188) و (230) و (234) و (242) و (261) و (447) و (457) و (458).

3 (?) انظر: أمثلة ممن أقيم عليه مشهد أو فيه تابوت أو بني على قبره مسجد أو دفن في مسجد في الجزء الثاني ص (263)و(426) و (485).

4 (?) السلوك (2/263) و الرغائب: هي الصلاة المبتدعة التي تُصلى في ليلة أول خميس من شهر رجب، وقوله" خلق

كما يطالعك في هــذا القــرن بدايــةُ اتخــاذ اجتمــاعٍ موسميٍّ لزيـارة قـبر نـبي الله هـود على يد الشـيخ عبد الله باعباد المعروف ب" القديم " وذلك بعد جذاذ النخل وتعبئة التمر، وليس على الأشهر القمرية[1].

وذكر اليافعي قصة زيارة الشـيخ أحمد بن أبي الجعد وأصـحابه والشـيخ سـعيد بن عيسى العمـودي وأصـحابه لقـبر نـبي الله هـود وما جــرى بينهما مما سـيأتي في البـاب الثـاني[2]، كما ذكر زيـارة الكـثيب الأبيض بـأبين، ويقال في ذلك المكان قبور بعض الصالحين، وهو كـثيب يـــزوره أهل تلك البلاد و ما حولها من البلـــدان في كل ســـنة في وقت معلـــوم في رجب[3]، وفيه ذكر مؤرخو حضرموت أن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي كان يزور قبر نبي الله هود [4].

وهكذا في هذا القرن تكاملت فصول الصوفية وظهر معظم مقوماتها وعرف أبرز رجالها ثم فشت وترسخت أكثر وأكثر حتى يومنا هذا.

ناشر " أي كثير.

1 (?) انظر: تاريخ حضرموت (1/69).

2 (?) انظر ص (307).

3 (?) مرآة الجنان (4/352-354).

4 (?) انظـر: الفرائد في قيد الأوابد للعلامة عبد الله بن حسن بلفقيه ص (25).

الـمــدخـــــل

ســـبق في البـــاب التمهيـــدي تعريف القبورية وأنها **(طائفة غلت في أصــحاب القبــور واعتقــدت فيهم عقائد ضالة، حملتها على تعظيم قبورهم وآثـارهم، والتقـرب إليهم بـأنواع من العبـادات حتى صيّرتهم أنداداً لله تعالى)**.

فهــذه الطائفة أهم سماتها الغلو وهو مجــاوزة الحد في هؤلاء النـاس الـذين زَعَمَتْهُم أوليـاء لله تعـالى، مما نتج عنه عقائد ضـالة، بعض هـذه العقائد شـرك وبعضـها دون ذلــك، وبنــاءً على تلك العقائد نشأ تعظيم القبـــور والآثـــار المنســوبة إلى أولئك الأوليــاء، وبهــذا التعظيم غرست بـــذور من بـــذور القبورية في نفـــوس هـــؤلاء القبورية و مقلــديهم من العــوام، مثل المحبة والخــوف المتجاوزَيْن حدود الطبيعة الذَين أوجبا التذلل والانكسـار أمام هـؤلاء الأوليـاء أحيـاءً وأمواتـاً، وحملا على التقـرب إليهم بما لا يُتقـــرب به إلا إلى الله ســـبحانه من النـــذر والذبح والطلب منهم ما لا يجوز طلبه إلاّ من الله تعالى وهو الدعاء، وبناءً على كل ذلك نشأت في الأمة أمراض فتاكة مثل السـحر والكهانة والـدجل والخرافة والتمـايز الطبقي وتجهيل الأمة.

من هــذا المنطلق سـيكون تنـاولي لآثـار القبوريــة، وهناك آثار كثيرة لن أتكلم عنها لضعف أو خفاء ارتباطها بالقبورية التي حددتُ معالمها في هـذا التعريـف، والـتي قد يكون لها بواعث أخرى غير الغلو في أصحاب القبور،

ومن أمثلة ذلك عقيــدة وحــدة الوجــود وإضــاعة الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر عند الصــوفية والســماع الصوفي، فهذه الثلاثة النمـاذج وغيرها قد يتطلع القـارئ لبحثها ودراســتها ولكنــني لن أخــوض فيها لخروجها عما رسمته وحددته لنفسي، ولضيق المساحة المحددة لهـذا البحث.

المبحث الأول: عقيدة القطبية والتصرف في الكون

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القطب:

قـال الجرجـاني في تعريف القطب: (وقد يسـمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه وهو عبـارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظـاهرة سـريان الـروح في الجسـد، بيـده قسـطاس الفيض الأعم , وزنه يتبع علمـه، وعلمه يتبع علم الحـق، وعلم الحق يتبع الماهيـات الغـير المجعولـة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب إسرافيل من حيث حصـته الملكية الحاملة مـادة الحيـاة والإحسـاس لا من حيث إنسـانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشـأة الإنسـانية، وحكم ميكائيل فيه كحكم القـوة الجاذبة فيهـا، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها). [1]

هـذا هو القطب، وهو مـأخوذ عن الإسـماعيلية كما سـبق عن ابن خلـدون[2]، والإسـماعيلية أخذته عن

---

[1] (?) التعريفات ص (177 - 178).

[2] (?) هو المؤرخ المشهور وواضع علم الاجتمـاع عبد الـرحمن بن محمد بن خلـدون الحضـرمي الاشـبيلي تـوفي سـنة (808هـ) اشتهر بالتاريخ الـذي سـماه العـبر وديـوان المبتـدئ والخـبر ومقدمته الـتي تعد من أصـول علم الاجتمـاع، تـرجم نفسه في آخر التـاريخ وترجمه الكثـير من البـاحثين، انظر

الفلاسفة، وما النفس الناطقة إلا إحدى مـراتب الألوهية عند الفلاسفة.

المطلب الثـــاني: اعتمـــاد ما تقـــرر من تعريف القطب عند قبورية اليمن:

ما اشـــــتمل عليه تعريف القطب الســـــابق هو ما اعتقده صوفية اليمن ودانوا به،

يقـــول اليـــافعي[1] بعد أن ذكر حـــديث الأبـــدال الموضوع: $وله واحد قلبه على قلب إسـرافيل# قـال: (والواحد المــذكور في هــذا الحــديث هو القطب، وهو الغـوث ومكانته من الأوليـاء كالنقطة من الـدائرة الـتي هي مركزها به يقع صلاح العالم)[2].

وقال الحداد: (والقطب الغوث هو: إمام الأولياء أهل الدائرة والتصريف، وهم المعـدودون في الأخبـار والآثـار الواردة فيهم). [3]

ترجمته في أخر كتـاب التـاريخ (7/365) وما بعـده، والضـوء اللامع للسخاوي (4/145)، الأعلام للزركلي (3/330)، انظر: مقدمة التاريخ طبعه دار إحياء التراث العربي.

1 (?) عبد الله بن أسـعد اليـافعي تـوفي سـنة (786هــ) أحد أقطــاب صــوفية اليمن فقيه مــؤرخ صــاحب كتــاب روض الرياحين في ذكر حكايات الأولياء والصالحين ومـرآة الجنـان في التاريخ، انظر: طبقات الخواص ص (162)، البدر الطالع (1/378).

2 (?) روض الرياحين في حكايات الصـالحين ص (16) تـأليف عبد لله بن أسعد اليافعي، وبذيله عمـدة التحقيق في بشـائر الصديق للشـيخ إبـراهيم العبيـدي المـالكي، نسـخة مصـورة بدون تاريخ.

3 (?) النفـــائس العلوية في المســـائل الصـــوفية ص (148)لعبدالله بن علـــوي الحـــداد طبع دار الحاوي الطبعة الأولى(1414 هـ -1993 م).

وتلك الصـفات الـتي يتحلى بها القطب قد أسـبغها قبورية اليمن على أوليـائهم، وبهـذا وصف الشـيخ علي الأهـدل صـاحبي عواجة البجلي و الحكمي فقـال أثنـاء حكاية ساقها الشرجي عن اليافعي في بعض مصـنفاته: (يا أبا الغيث هـذان في مقـام التولية والعـزل، يوليـان و يعزلان ويميتان ويحييان بإذن الله تعـالى وسـوف أرثهما وترثني أنت)[1].

وبـــذلك وصف محمد بن أحمد باجرفيل الـــدوعني أبابكر العيدروس حينما استفسره محمد بن عمر بحـرق عن تصرفات مالية تصرفها العيـدروس على غـير الوجه الشـرعي فقـال: (أنا أشـهد أنه أمـير المؤمـنين المالك للتولية والعزل والحل والعقد والتصـرفات كلهـا، وأشـهد أنه أفضل أهل الأرض ظاهراً وباطناً)[2].

ووُصف بها الشـيخ عبـدالرحمن السـقاف، قـال عبـدالرحمن الخطيب: (الحكاية السـابعة والثلاثـون بعد الثلاثمائة وهي السادسة والتسعون من مناقب السقاف عن عبـدالرحيم بن علي الخطيب -رحمه الله تعـالى - قال: كنت يوماً في مجلس شيخنا الشيخ عبـدالرحمن - رضي الله تعـالى عنه - فتكلم الشـيخ في الشـيخ أبي الغيث بن جميل اليمني[3] ثم قـال في أثنـاء مدحـه: أتى فقهـاء اليمن إلى الشـيخ أبي الغيث وقـالوا لـه: يا أبا الغيث ما عرفنا إيش مـذهبك أخبرنا إيش مـذهبك أنت

---

1 (?) طبقات الخواص ص (266).

2 (?) مواهب القدوس في مناقب العيدروس ضمن المجموعة العيدروسية ص (14).

3 (?) توفي سنة (651هـ) انظر هِجَر العلم (1/219)، السلوك (1/184).

شافعي أم مالكي أم حنبلي أم حنفي؟ فقال لهم: (لا أنا شـافعي ولا مـالكي ولا حنبلي ولا حنفي، فقـالوا لـه: (فـإيش أنت فقـال: جنـداري من جنـادرة السـلطان، ثم سـكت الشـيخ عبـدالرحمن - رضي الله تعـالى عنه - سـاعة ثم همز نفسه ومد يديه في الهواء وقـال بـأعلى صوته: أنا جنداري من جنادرة السلطان، قال عبدالرحيم ثم بعد ذلك بأيـام قلت للشـيخ عبـدالرحمن - رضي الله تعـالى عنه -: وما جنـداري السـلطان، فقـال: ما هـذا معناه، هو الـذي يـدخل على السـلطان من غـير إذن ولا عليه حجـاب، ويـأمر وينهى ولا أحد يعارضه فيما يريد، وإذا دخل بلـداً أو مكانـاً لم يبق لأحد معه من أهل تلك الديار والمكان أمر لا أمير ولا وزير ولاغيرهمـا، بل الأمر أمر الجنـداري والحكم حكمه ما شـاء فعل ولا معقب لأمره ولا مرد له...)[1].

قلت: وقبل هـذه الحكاية حكايـات أخـرى سـاقها صاحب الجوهر فيها تأكيد وشواهد على ما تضمنته هـذه الحكاية من اعتقـاد القطبية للسـقاف الـتي تجعله في مقام التصرف التام و التولية والعزل.

وإليك نص حكايـة منهـا، وهي الحكاية الخامسة والثلاثـون بعد الثلاثمائة عن عمر المحضـار بن عبدالرحمن السقاف[2] قال: (كنت نائمـاً أظنه قـال في مسـجد مدينة رسـول الله ﷺ) قـال: فلم أشـعر إلا برجل من الصالحين قد وكزني برجله فرفعت رأسي فقال: ما

---

1 (?) الجوهر الشفاف (1/81-82).

2 (?)نقيب العلويين في زمانه وأحد أشهر أقطـاب حضـرموت تـوفي سـنة(833هـ) انظر الغـرر ص (192)، المشـرع (2/241)

أجــرأك تنــام هنا وبطن أبيك ملانة كرعــان[1] [كم واحد قال سلبه ثم ولى عني ولم أعرفه فسأل الشـيخ عمر عن معنى قول الرجل بطن أبيك ملانة كرعان][2] فقــال أخذ الخلق كلهم في بطنه يــولي من يشــاء ويعــزل من يشاء رضي الله تعالى عنه)[3].

وقـــال أحمد بن حسن العطـــاس في أثنـــاء حكاية (فقــال: إني صــاحب الــوقت وأتصــرف في أهله وأنت فلان ابن فلان، وإن كنت تريد أن تنظر إلى بلدكم تــريم فأدخل رأسك في كمي فبهت من ذلك ولم أفعل، ثم قـال لي: أتريد أن أتصـرف في قلب الباشا بـأن يقـوم؟ وكان جالسـاً في الحـرم فبمجـرد قوله ذلك قـام الباشا وأتباعه وذهبوا خارجين من الحرم، فلما قـاربوا الخـروج منه قال لي: أتريد أن أتصرف فيه بـأن يرجع فيطـوف؟ فبمجرد ذلك رجع هو وأتباعه وطافوا، ثم قـال لي: أتريد أن أتصـرف في قلب الشـريف عبـدالمطلب بـأن يرجع الخمسة الديواني فتسلك في السوق وتمشي؟ فبمجـرد قوله ذلك نادى المنادي بأعلى صوته يقول لكم الشريف عبدالمطلب لايمتنع أحد من الخمسة الديواني). [4]

فانظر إلى هذا الذي إن صدق النقل عنه فهو سـاحر كيف يدعي هذه الرتبة من مراتب الأولياء عند الصــوفية وأنه يتصـــرف حـــتى في قلـــوب النـــاس ومقاصـــدهم ويحملهم على فعل ما يشـــاء دون اختيـــار منهم، وكيف

---

1 (?)هي قوائم الدابة انظر القاموس مادة كرع ص(980).
2 (?) ما بين القوسين من الحاشـية معلم عليه أنه سـاقط من الأصل.
3 (?) الجوهر الشفاف (2/80).
4 (?) تذكير الناس ص(216)

يقص هذا العالم القـدوة من علمـاء صـوفية حضـرموت لأتباعه ومريديه هذه القصة مسـلماً بها مريـداً منهم أن يصـدقوها ويعتقـدوها، أليس هـذا هو التطـبيق العملي لعقيدة القوم في القطب الذي مر تعريفه؟

المطلب الثالث: التصرف في الكـون أهم وظـائف القطب:

اتضح من تعريف القطب بأنه هو المفـوَّض من قبل الله تعالى في التصرف في الكـون، وربما أطلقـوا على مرتبة القطبية (الخلافة العظمى)[1]، والمعنى: أن يكـون القطب خليفة الله تعالى في تصريف الكون.

ولمعرفة ما يشمله ذلك التفويض لـدى القـوم نـذكر بعض النصـوص من كتبهم تـبين سـعة ذلك التفـويض وشـموليته من حيث الزمـان والمكـان ومن حيث الـدنيا والآخرة.

نقل السـيد علي بن محمد الحبشي[2] -أحد أقطـاب

1 (?) أنظر مظـاهر الانحرافـات العقدية عند الصـوفية (2/619).

2 (?)علي بن محمد الحبشي العلوي الحضرمي صاحب سـيؤن ومنشئ ربـاط العلم بها المسـمى باسـمه "ربـاط الحبشي " من أشـهر علمـاء زمانه ومـربي جيله تتلمذ عليه الكثـير من الطلاب الذين نبغوا وأصبحوا من العلماء والأدباء غـير أنه مع علمه قد نقل عنه من الخرافـات والهـذيان مـالا مزيد عليه وذلك ما حواه كتاب كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية كتبه من إملائه تلميذه محسن بن عبد الله السقاف وهو أيضاً صاحب زيارة الحول المشهورة بحضـرموت تـوفي رحمة الله سنة (1312هـ) انظر تاريخ الشـعراء الحضـرميين (4/128) تـأليف المـؤرخ عبدالله بن محمد السـقاف الناشر مكتبة المعـارف الطبعة الثالثة سـنة (1418هـ) الطـائف، ولوامع النور(1/197).

حضــرموت- على ســبيل الإقــرار والاستحســان عن عبـدالعزيز الـدباغ قولـه: (إن تصـرفي يصل حـتى إلى الجنان، وإن الحور ما يفعلن شيئاً إلا بأمر مـني)، وكـان يقول لمريده: (إن كنت تعتقد أن الْبِسَّ في جميع أقطار الأرض يأكل الفـأر بغـير إذن مـني فما أحسـنت الأدب معي)، ثم يعقب الحبشي على ذلك فيقـول: (انظر إلى هذا الفناء العظيم وأين اليوم هذا الاعتقاد)[1].

فانظر إلى هذه الدعوى الـتي شـملت التصـرف في الدنيا والآخـرة وجميع أقطـار الأرض وجميع العـوالم من عالم الحور العين إلى عالم الْبِسَّ والفأر.

وإليك صـورة أخـرى للتصـرف الشـامل في الحيـاة وبعد الموت، قال الشلي: (وقال بعض العـارفين: الفقيه المقدم تصرف على المشايخ الذين تصـرفوا بعد مـوتهم كتصــرفهم في حيــاتهم وهم القطب الربــاني الشــيخ عبـدالقادر الجيلاني والشـيخ معـروف الكـرخي والشـيخ عقيل المنبجي و حيوة بن قيس) ثم استشـهد على ذلك بهـذه الأبيـات لمحمد بن علي خـرد بـاعلوي[2] صـاحب الغُرر:

تصرّف شيخ في الوجود معظّم ٌ على السادة الأشياخ أهل المعارف

على السيد الشيخ الفتى عبد قادر ومعروفٍ الكرخي منجٍ لتالف

---

1 (?) كنوز السـعادة الأبدية ص (179) الـذي قـام بطبعه علي بن عيسى الحداد.

2 (?)صـاحب غـرر البهـاء الضـوي تـوفي سـنة (760هــ) انظر ترجمته في الغرر ص (3-11)، وتاريخ الشعراء الحضرميين (1/142)

وقيسٌ عقيل المنبجي وشـيخنا لتصـريفه لا يصرفون الصارف

وتصريفهم في كل شـيء محقق سـوى في جمال الدين عين لواقف[1]

وتأكيداً لـذلك تجـدهم في الحضـرات وبعض الموالد ينشدون إلى اليوم:

ربي اسـألك باسـرار الفقيه المقـدم والـذي قد حوى التصريف من قبل آدم

ويقول صاحب شرح العينية: (وكان سيدنا الفقيه من الممكــنين في التصــريف بعد مــوتهم، قــال المشــايخ العــارفون: ما صــلينا على جنــازة إلا والفقيه محمد بن علي بعد موته يصــلي معنا عليهــا)[2]، فــانظر الشــمول الزماني لهـذا التصـريف من الأزل إلى الأبد! بل زاد في الأنمـــوذج اللطيف أن قـــال بعد ما ذكر صـــلاته على الأموات بعد موتـه: (فلا شك أنه ممن صـلى على نفسه بنفسه)[3]

وفي منـاقب عبـدالرحمن السـقاف يقـول محمد بن علي خــرد: (ومنها ما روي عن الســيد عبــدالرحمن بن

---

1. (?)المشرع الروي (2/6 - 7)، وقال بعد أبيات (قوله: وقيس صوابه حيوة).
2. (?) شـرح العينية ص (161) نظم عبدالله بن علـوي الحـداد تـــأليف العلامة أحمد بن زين الحبشي بـــاعلوي طبع مطبعة كرجــاي المحــدودة ســنغافورة، الطبعة الأولى (1407هـــ- 1987 م).
3. (?) الأنمــوذج اللطيف في منــاقب الغــوث للأســتاذ الأعظم الفقيه محمد بن علـوي بـاعلوي دفين تربة تـريم ص (213) مع البرقة المشـيقة للسـيد علي بن أبي بكر السـكران طبع في مصر سنة (1347هـ).

علوي بن محمد بن الشيخ المذكور، قال كنت في عدن، وقد أصـــابني في عيـــني وجـــع، ولقيت الفقيه العـــالم القاضي محمد بن سـعيد كبن، وأريته إياها وكـان عارفـاً بعلم الطب، وقيـل، إنه كـان يعـرف اثـني عشر علمـاً سوى العلـوم المتداولة بين النـاس معرفتهـا، ما يسـأله أحد عن شيء منها، وقلت له يافقيـه: أعطـني لها دواء، فلما نظرها قـال: (هـذا مـرض تسـميه الأطبـاء المـاء الأخضر وليس عندنا دواء حتى يكمل عماؤها، وإن أردت لها دواءاً قبل ذلك دللنـاك عليه فقلت: ما هـو؟ فقـال: اقصد جـدك الشـيخ عبـدالرحمن، وقل لـه: يسـلم عليك محمد بن ســعيد كبن، وقل له: في عيـــني وجع أريـــدك تزيله بـــإذن الله فإنه يـــزول، فقلت لـــه: تحولـــني على ميت؟ فنهض من مقعـده وارتعش، ثم قـال: واللـه، ثم والله ثم واللـــه، إني أعتقد في الشـــيخ المـــذكور أنه يتصرف في مماته، كتصـرفه في حياتـه، وأنه انتقل إلى الآخـرة ولم تنتقل دولتـه، وفي رواية عن الفقيه الـولي الصالح الشيخ سهل بن عبدالله باقشير، ما أخـبرني عنه السيد شيخ بن عبدالله بن الشيخ عبدالرحمن، قـال: لما رأى الفقيه عين عبـدالرحمن رآها عميـاء لكتيبة حصـلت فيها هـذا من أمر القـدرة ما يزيل أمر القـدرة إلا أهل القـدرة، وجـدك من أهل القـدرة فأحاله عليـه، فقـال عبدالرحمن: ثم بعد مـدة رأيت الشـيخ في المنـام على ســـرير فقلت لـــه: إن الفقيه ابن كبن قـــال لي إنـــك تتصـرف بعد وفاتك كتصـرفك في حياتـك، فأخذ بـإذني وقال لي: (أنا ابن محمد بن علي، ما تصدق إلا إن قـال: لك ابن كبن؟ أنا كذلك وأزْيَد و أزْيَد، ونفع به)[1]، فهـذا

---

1 (?) الغرر ص (398).

لا يقتصر على التصرف في الكون في حياته وبعد مماته بل هو كـــــذلك وأزيد و أزيد ولا أدري ما هو الأزيد من ذلك؟!.

وهناك مثال عملي للتصرف في الكــون مع تأويل له من أحد كبار أقطاب صوفية اليمن: (من عجائب الآيــات وغـــرائب الكرامـــات ما وقع بين الشـــيخين العـــارفين السيفين القاطعين أعني أبا عيسى واسمه سعيد وأحمد ابن أبي الجعد المـــذكورَين، وذلك أنه ورد الشـــيخ أحمد المــذكور في جمع من أصــحابه على الشــيخ ســعيد في وقت جاءوا إلى زيارة القبــور الشــريفة في حضــرموت، فوافقه الشيخ سعيد وأصحابه على الزيارة ومشوا، فلما بلغوا بعض الطريق بدا للشــيخ ســعيد أن يرجع في هــذا الــوقت ويــزور في وقت آخــر، فرجع هو وأصــحابه إلى موضــعهم واســتمر الشــيخ أحمد على عزمه حــتى انتهى إلى مقصده فزار ورجــع، والشــيخ ســعيد مكث أيامــاً ثم خـــرج هو وأصـــحابه إلى الزيـــارة المـــذكورة فـــالتقى الشــيخان وأصــحابهما في الطريق فقــال الشــيخ أحمد للشـــيخ ســـعيد: توجه عليك حق الفقـــراء في رجوعك فقال: لا ما توجه علي حق، فقال له الشــيخ أحمــد: بلى قد توجه عليك الحق فقم وأنصف، فقــام الشــيخ ســعيد وقــال: من أقامنا أقعــدناه، فقــال الشــيخ أحمــد: ومَنْ أقعدنا ابتليناه، وأصــاب كل واحد منهما ما قاله صــاحبه، فصار الشيخ أحمد مقعداً إلى أن لقي الله تعالى، وصار الشيخ سعيد مبتلى في جســمه ببلاء قطع جســمه حــتى لقي الله تعالى رضي الله تعالى عنهما.

وهذه لعمري أحــوال تَكِـلُ في جَبِّ بعضــها الســيوف القاطعــة، وإنما يقطع الحــالان معــاً إذا كــان صــاحباهما

متكـافيين أو قريبـاً من التكـافي، فـإن لم يكونا كـذلك قطع القــوي منهما الضــعيف، وقد يقطع الســابق دون المسبوق فيما يظهر والله أعلم.)[1].

ومنهم من يدَّعي ذلك لنفسه كما قال الشيخ أبو بكر بن سالم صاحب عينات:

(أنا أعزل أنا اللي ولي أنا شـيخها قاضـيها) [2].

وقال أحمد بن حسن العطـاس قـال: (فـزعت مـرة من أحد النــــاس فلما جئت إلى الحـــــبيب أبي بكر بن عبدالله قـــــال لي: لا تخف من حي ولا من ميت عـــــاد المفـاتيح إلا كلها بيـدي) ، وقـال أيضـاً: (قـال الحـبيب أبوبكر بن عبدالله انسـدحت مـرة في بنـدر الشـحر في مسـجد الحـبيب أحمد بن أبي بكر بن سـالم بعد صـلاة الصـبح فـأتوا بشـيء كالبيضة وفيه شـيء ونكتـوه عند رأسي فإذا هو مختلف الألوان الأبيض والأسود والممتزج فقلت: لعله عالم الذر قال: نعم، فقلت لعله لما ولــوكم عليـه؟ قـال: نعم)[3]، وهـذا واضح أن الرجل يـدّعي أنه بيده مفاتيح الكون ولا أحد يقـدر على عمل شـيء بغـير إذنه هـــذا في الحكاية الأولى، وأما الحكاية الثانية ففيها أنه ولي على عالم الذر أي الخلق الذين لم يخرجوا إلى

---

1 (?) مرآة الجنان لليافعي (4/352-354).

2 (?)من قصيدة شهيرة للشـيخ المـذكور ما زالت متداولة إلى اليوم ينشدها الصوفية في موالدهم وحضراتهم وضـمن مولد الديبعي ص (93 - 95).

3 (?) الحكايتــان في مجمــوع كلام الحــبيب أحمد بن حسن العطـــــاس رواية محمد بن عــــوض بافضل ص (25) وهو مخطوط مصور عند بعض الأصدقاء.

الحياة بعد.

وقضية القطبية واعتقادها عند أهل اليمن مبثوثة في كتبهم فلا يكـاد أحد من كبـارهم لا يوصف بها، حـتى لقد قال عبدالرحمن بن محمد السقاف باعلوي[1]: (في تربة تريم ثمانون قطباً كلهم أشـراف)[2] فهـؤلاء فقط في تربة تريم، فكم في باقي ترب اليمن، و السقاف تـوفي عام (819 هـ) فكم جـاء بعـده من الأقطـاب، وهـذا كله في اليمن إلى ذلك التـاريخ فكيف ببقية بلاد الله منذ أن خلق الله آدم إلى يومنـا، لاشك أن عـدد الأقطـاب لا يمكن أن يـأتي عليه الحصر رغم أنهم يقولـون إن القطب واحد فقط ولا يولى غيره حتى يموت.

وعلى كل حـال فإننا سـنلمس الأثر الكبـير لعقيـدة القطبية بـالمفهوم الصـوفي فيما يـأتي من المطـالب حيث تتوالد العقائد الضالة بعضها من بعض.

وكما شارك صوفية اليمن بقية الصـوفية في عقيـدة القطبية شـاركوهم كـذلك في اعتقـادهم بدولة الأوليـاء وديـوان شـورا هم، يقـول أحمد بن حسن العطـاس: (وعقد أي الـديوان مـرة في قبة الحـبيب عمر بن عبـدالرحمن العطـاس ورأيت الحـبيب أبا بكر ارتفع من قبره وفرشوا له فوق القبر حقه، وكـان رئيس المجلس الحبيب أبوبكر، ورأيت بالجانب البحري من القبـة، رجلاً فسألته: من هو؟ فقال: نقيب الأوليـاء بالقـدس، والـذي ظهر لي أن النوبة بقيت مع الحـبيب أبي بكر مـدة بعد موته، قال سيدي: والرجال الذين هم رجـال ما يطلبـون

---

1 (?) جد آل السقاف انظر ترجمته في المشرع الـروي ص (2/141)

2 3 الغرر ص (96)

مقام القطبية، ولا غيرها ويفرون منها، ومثالها مثال مَنْ قـال لـك: (هـذه البلـدة ونفقة أهلهـا، وخـرج معاشـهم ودوابهم، وأعطاك ما يحتاجون إليه ماذا ترى لنفسك؟).

وقال أيضاً: (وفي ليلة وفاة الحـبيب أبي بكر عبدالله العطاس، اجتمع الأولياء أهل الظاهر والبـاطن، وجلست أنا بـالقرب منهم، وكـان ذلك في جـامع حريضـة، فكـان رئيس المجلس الشـيخ عبـدالقادر الجيلاني فـدعاني الشيخ عبـدالقادر فقلت لـه: أنا ما فيَّ طاقة لشـيء إن معكم شـيء لي اطرحـوه في القـرآن، فطلع أحد من الأوليـــاء لم أعرفه إلا من بعد، ولما انقضت نوبته اجتمعوا بأعلى شـبام، بـالقرب من العقّـاد، وجعل الأمر بين اثنين، واحد على المعالي وواحد على المسافل)[1].

المطلب الرابع: فروع عقيدة التصرف في الكون:

الفرع الأول: درجة الكونية:

والمراد بها أن الولي قادر على أن يقول للشيء كن فيكون، وهذا مما اختَصَّ الله بـه، ولم يقم دليل على أن الله تعـالى منحه أحـداً من خلقـه، ولم يدّعه أحد من رسل الله فضلاً عن غيرهم من البشـر، ولكن الصـوفية حينما ادّعـوا لأنفسـهم خلافة الله في تصـريف الكـون سـاغ لهم ذلك الادعـاء الكـاذب المبـني على الادعـاء الكاذب الأول.

ومن أدلة ادعائهم ذلك لأنفسهم وإقرارهم من ادعاه ما ورد في ترجمة علوي بن الفقيه المقدم من المشرع قـال: (وحُكي أن الشـيخ عبدالله باعبـاد سـأل صـاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشـفات بعد مـوت والـده

---

1 (?) نظر الحكايتين في: تذكير الناس ص (206 - 207).

فقـال: (ظهر لي ثلاث أحـيي وأميت بـإذن اللـه، وأقـول للشـيء كن فيكـون، وأعـرف ما سيكون فقـال الشـيخ عبدالله: نرجو فيك أكثر من هذا)[1].

وأعجب من ذلك ما ذكره صاحب الجوهر في ترجمة الشـيخ إبـراهيم بن يحـيى بن أحمد بن محمد بافضـل: (وقـال في بعض مصـنفاته وردت إليَّ رقعة من الفقيه ابن العربي فإذا فيها ورد علينا فقير وقال لنـا: الفقـير يحيي ويميت بإذن الله تعالى، والفقير يقول للشيء كن فيكـون بـإذن الله تعـالى والفقـير لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحـد. فأشـكل علينا مافيها[2] فقـال الشـيخ إبراهيم بن يحيى شعراً:

إذا لم أفتكم بصـريح علم فلا من بعـدها تستفتيوني

بما في محكم القـرآن أفـتي وإلا بعد هـذا كذبوني

ثم أجـاب عن الكل بجـواب فـايق عجيب وأتى على كل مسـألة بـدليل من القـرآن)[3]. وحسـبك بهـذا إقـرار لهذه العقائد الخبيثة وأخذ بها.

الفرع الثاني: الإحياء والإماتة:

مما تضمنه توحيد الربوبية من الصفات التي لاشريك له سبحانه فيها الإحيـاء والإماتـة، وقد جمع الله سـبحانه بين هـاتين الصـفتين في آيـات كثـيرة جـداً، أقتصر على

---

1 (?) المشرع (2/211) وقد اعتمد القوم هذه المنقبة له حتى قال صاحب النور السافر عنه ص (281): (يقول للشيء كن فيكون بإذن الله)، وانظر الغرر ص (372).

2 (?) هذه الكلمة غير مفهومة في الأصل وأظنها فيها.

3 (?) الجوهر الشفاف (1/146 - 147).

ثلاث منها، ففي آل عمران يقـول تعـالى: ﴿ **والله يحي ويميت واللــه بما تعملـون بصـير** ﴾[1]، وفي التوبة يقول تعـالى: ﴿ **إن الله له ملك السـموات والأرض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير** ﴾[2]، وفي يـونس يقـول الله تعـالى: ﴿**هو يحـيي ويميت وإليه ترجعون** ﴾[3]، ولما كانت هاتان الصفتان من أكـــبر الـــبراهين على ربوبية الله تعـــالى احتج بهما إبـراهيم على خصـمه فقـال وهو يحـاج ذلك الطاغيـة: ﴿ **ربي الـــذي يحـــيي ويميت** ﴾ فعاند الطاغية وكـــابر فقال: ﴿ **أنا أحيي وأميت** ﴾ قال المفسرون: فلما رأى إبراهيم سفهه وسخافة دعواه عـدل إلى دليل آخر أكـثر ظهـوراً ولا يسـتطيع أن يغالط فيه سـفهاء الأحلام ممن حوله فقـــال: ﴿ **فـــإن الله يـــأتي بالشـــمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الـذي كفر واللـــه لا يهـــدي القـــوم الظـــالمين** ﴾[4]، وقد عد المفسرون هـذا الطاغية مـدّعياً للربوبية بـذلك وجعلـوه مثل فرعـون الـذي صـرح بـذلك حين قـال: ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾[5] وقال: ﴿ **ما علمت لكم من إله غيري** ﴾[6].

وهـــذا كله يـــدل بجلاء على أن من ادعى هـــاتين الصـفتين فقد ادعى الربوبيـة، ومع ذلك فـإن الصـوفية القبورية يدعون ذلك لبعض أوليـائهم، أو يـدعيها بعضـهم

---

1 (?) آل عمران (156).
2 (?) التوبة (116).
3 (?) يونس (56).
4 (?) البقرة (258).
5 (?)النازعات (24).
6 (?)القصص (38).

فيقرونه عليهـا، وإذا أردنا أن نعتـذر لهم نقـول: إنهم لم يـدّعوا ذات الربوبية ولكنهم ادعـوا الخلافة العظمى عن الحق سـبحانه، ومن جملة وظيفة الخليفة الـتي فوضـها إليه الرب سبحانه هذه الصفة وغيرها من الصفات الـتي يزعمونها لأوليائهم، وأما ادعاؤهم ذلك فثابت لاشك فيه، ومن الأدلة على ذلك ما مر من ادعـاء علـوي بن الفقيه المقدم لذلك فيما حكاه الشلي كما في الفرع الأول.

الفرع الثالث: علم الغيب:

من مسلَّمات العقيدة الإسلامية اختصاص الله تعالى بعلم الغيب وأنه لا يشـاركه فيه أحد لا ملك مقـرب ولا نـبي مرسل **إلا من ارتضى من رسـول فإنه يسـلك من بين يديه ومن خلفه رصـداً** [1]، وأنه سـبحانه عنـده وحـده مفـاتيح الغيب كما قـال تعـالى: **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** [2]، وقد بينها سـبحانه وحصر علمها عنـده، وفي الحـديث أن النـبي قال: **$مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلا اللـه؛ لا يعلم ما في غـدٍ إلا اللـه، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم مـتى يـأتي المطرأحد إلا اللـه، ولا تـدري نفس بـأي أرض تمـوت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله#**. [3]

بهـذه النصـوص وغيرها قطع علمـاء المسـلمين أن علم الغيب مما اختص الله بـه، وأن من ادعـاه فقد

---

1 (?) الجن (27).

2 (?) الأنعام (59).

3 رواه البخاري من حديث ابن عمر كتاب التفسير باب قوله (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام) (4/1733)

كذب[1] وأنه طاغوت[2].

ومع ذلك فقد ادعـــــاه الصـــــوفية القبورية لبعض أوليـــائهم أو ادعـــاه بعضـــهم وأقـــروه عليه وعدّوه من كراماته ومناقبه.

ومن الأدلة على ذلك ما مر في الفـــــــرعين الأول والثـــاني مما ادعـــاه علي بن الفقيه المقـــدم وذكر في مناقبه أنـه: (يحـيي ويميت ويقـول للشـيء كن فيكـون ويعلم ما سيكون).

ومن ذلك ما جاء في ترجمة أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف أنه يقول: (أعرف من الفرش إلى العـرش)[3]، وفي ترجمة أخيه حسن بن عبدالرحمن السقاف: (كـان يقول: أنا أعـرف السـعيد و الشـقي وأعـرف الصـالحين بالشـــيم)[4]، وفي ترجمة أخيهما الثـالث شـــيخ: (وقـال والده عبدالرحمن السقاف: ولدي شيخ كعشـرة شـيوخ، وما ســميته شــيخاً إلا أني رأيته في اللــوح المحفــوظ شيخاً)[5].

وسأقتصر على هـذه النمـاذج مع أن هنـاك دعـاوى كثيرة من هذا القبيل.

الفرع الرابع: إعطاء الولد:

هذه الخصلة (إعطاء الولد) هي كـذلك من خصـائص الله تعالى كما قال : **لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشـاء إناثـاً ويهب لمن**

---

1 (?) انظر: فتح القدير للشوكاني (2/123).

2 5 انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (3/282).

3 6 المشرع (2/33).

4 7 المصدر السابق (2/89)

5 (?) المصدر السابق (2/116).

يشاء الذكور، أو يـزوجهم ذكرانـاً وإناثـاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير [1].

ولو قيـل: إن صـالحاً من الصـالحين الأحيـاء دعا ربه لأحد من الناس بالولد فـرزق بتلك الـدعوة ولـداً ماكـان عليه من نكـير، ولكن أن ينسب إلى الـولي ذاته إعطـاء الولد حياً كان أو ميتاً فـذلك الـذي فيه ادعـاء ما هو من خصـائص الربوبيـة، و القبورية يـدعون ذلك لأنفسـهم أو لأوليائهم أحياءً وأمواتاً، والـدليل عليه ما جـاء في تـذكير الناس قال جامعه: (وأهدى بعض السادة شيئاً لسيدي فـدعا له بـأن يرزقه الله ولـداً وقـال له: حولنـاك على الحبيب أحمد بن علي الهدار، وهذا الحبيب كان من أهل الأحـوال العظيمـة، وكـان إذا جـاءه أحد وسـأله الـدعاء بالذرية يقول له: باياْتيك ولد، أو اثنان أو أكـثر فـاعترض عليه أحد بقلبه فكاشفه الحبيب أحمد وقـال لـه: يا فلان إن الـذين قسـمتهم من بحر الشـيخ أبي بكر بن سـالم سبعة آلاف ولد، وأنت يأتيك نصف ولد، فأتـاه نصف ولد على رِجل واحـدة ويد واحـدة وناصـفة وجه، نسـأل الله العافية.)[2]

ويظهر من هــذه الحكاية بشــكل جلي أن الرجل لم يدعُ الله، وإنما يقول على جهة الوعد (باياْتيك ولد) وهذا باللهجة الحضـرمية معنـاه سـوف يأتيك ولـد، فليس فيه أي معـنى من معـاني الـدعاء، ويؤكد ذلك إنكـار العـامي وغضب الحبيب من ذلك الإنكار، ثم تصريحه بأنه قسّــم، و قسّــم من أين؟ قسَّــم من بحر الشــيخ أبي بكر بن

---

1 (?) الشورى الآية (49-50).

2 (?) تذكير الناس ص(321).

ســالم، فــأبوبكر بن ســالم عنــده القــدرة والإمكانية الواسعة جداً المشبهة بالبحر، وهذا ولده أخذ يقسَّم من ملك جــده، أليس هــذا صــريح في أنهم يدَّعون القــدرة الكاملة على ذلك وأنه من جملة ما يملكونه.

وبناءً على ترسخ هذه العقيدة لديهم نجدهم يطلبـون ذلك فعلاً من أوليائهم، قال صاحب تذكير النـاس: (قـال سـيدي: وزرنا مـرة تربة الفريط بـتريم نحن والأخ حامد بن أحمد المحضار، ولما كنا عند الشيخ القرشي صاحب الذرية أخذ الأخ حامد حصــاة كبــيرة ووضــعها عند قــبر الشيخ وقـال: -والحاضـرون يسـمعون - شف نحنا نبغي ولـــداً لفاطمة عبـــوده بنت عبدالله بن عمر القعيطي، وكانت مسنة في ذلك الوقت ومسـتبعدٌ أن تحمل فقـدّر الله أنها حملت بولد وعاش)[1].

وصــاحب هــذه الحكاية من كبــار أقطــاب القــوم وعلمــائهم ومع ذلك يــروي هــذه الحكاية مقــراً لهــا، و"حامد المحضــار " من كبـارهم أيضــاً وقد رفع صـوته يطلب ذلك أمام العامة وأقره من حضر من الأكـابر، إذاً هي قضية مسلّمة يربّون عليها أتباعهم.

ويقول آخر من كبارهم وُصف بأنــه: " العـالم الجليل نسخة السلف وقدوة الخلف " في رحلته الموسـومة ب " النفحة الشـذية إلى الـديار الحضـرمية وتلبية الصـوت من الحجــاز وحضــرموت " في نفس الموضــوع: (ولما وقفنا على قبر الشيخ عمر بن علي القرشي ويـروى أن من طـرح عند قـبره حجـرة يـرزق ولـداً، وقيـل: لنا إن الحـبيب علي بن محمد الحبشي زاره وبصـحبته الحـبيب

[1] (?) المصدر السابق ص (322 - 323).

عمر بن عيدروس العيدروس فأخذ الحبيب عمر ملا ثوبه حصى ليطرحه عند القبر، فقال له الحبيب علي: كثّـرت جم، فقـال: أريد نسـمات تـذكر الله أو قـال تعبد اللـه، فأخــذت أنا حصــاتين وطرحتهما عند القــبر على هــذه النية)[1]، فإذا كان هذا فعل علمائهم فماذا يا تـرى يصـنع عوامهم وجهالهم؟.

الفرع الخامس: إنزال المرض ورفعه:

القــول في هــذا الفــرع كــالقول في بقية الفــروع فالمرض لا يصيب به إلا رب العالمين، قال تعالى حاكيـاً عن إبــراهيم أنه قــال لقومه وهو يــدعوهم ويــبين لهم حقيقة دعوته وعقيدتـه: ﴿ **وإذا مرضت فهو يشـفين** ﴾[2]، وقال الرسول ﷺ: **$لا عدوى ولا طـيرة#**[3]، وقد صرح العلماء بأنه ليس المقصود نفي العدوى من أصلها بدليل قوله ﷺ: **$لا يورد ممرض على مصح#**[4]، لأنه واضح أن في ذلك اعتبــار العــدوى ولكنه نفي للمعــنى الذي كانت الجاهلية تفهمه وهو أن الأمراض تعدي بذاتها

---

1 (?) النفحة الشذية إلى الـديار الحضـرمية، وتليه رحلته تلبية الصـوت من الحجـاز وحضـرموت ص (175 -176)، تـأليف العالم نسخة السلف وقدوة الخلف الحبيب عمر بن أحمد بن سميط، طبع على نفقة أحد المحبين من المحســنين (1397 هـ).

2 (?) الشعراء آية (80).

3 (?) البخـاري في صـحيحه (5/2158)، كتـاب الطب بـاب الجذام، ومسلم في صحيحه (4/1743)، كتاب السلام بـاب لا عـدوى ولا طـيرة ولا هامة ولا صـفر ولا نـوء ولا غـول ولا يورد ممرض على مصح.

4 (?) مســلم في صــحيحه (4/743) في الكتــاب والبــاب السابقين، كلاهما من حديث أبي هريرة.

فتنسب إلى الأمراض، فحسم هذا المعنى الباطل بهذا اللفظ العام ليكون أبلغ وأشمل[1]، فكيف يـأتي بعد ذلك من يقـول أنه يضع المـرض على من شـاء وأنه يرفعه عمن يشاء، إن ذلك لاشك ادَّعاء لخاصة من خصوصيات الربوبية وتعليق للخلق بغـير الحق وهـذا أيضـاً مضـاد ومناقض لما تدعيه الصوفية من تجريد قلوب الناس من سوى الله تعالى.

وإليك الدليل على زعمهم وضع الأمراض على أناس ورفعها عن آخـــرين، فقد ذكر الشـــرجي في ترجمة إسماعيل الجـبرتي قـال: (ومن ذلك ما يـروى عن رجل من أهل مكة يقـال له الفقيه عبـدالرحيم الأميـوطي أنه قال: (كنت لا أعتقد الشيخ إسـماعيل، وكنت أحط منـه، فبينما أنا ذات ليلة بين النـائم واليقظـان، وإذا بي أرى الشـيخ قد دخل عليّ في جماعـة، فسـمعته وهو يقـول لآخر: هات الوجع الفلاني فجاء به فوضعه عليَّ ثم قـال: هـات الوجع الفلاني فجـاء به فوضـعه علي، ثم مـازال يقول هات الوجع الفلاني ويضـعه عليّ، حـتى وضع عليّ قـدْرَ عشـرين وجعـاً حـتى كـدت أمـوت، وخـرج، قـال: (فبقيت تلك الأوجاع عليّ بـاقي ليلـتي ويـومي ذلك إلى العصـر، فأرسـلت إليه واسـتعطفت خـاطره، فجـاء إليَّ فرفع ذلك كله عني، وقمت كأن لم يكن بي شيء فتبت إلى الله تعـالى، وحسّـنت عقيـدتي في الشـيخ نفع الله به). [2]

إذاً فالذي لا يعتقد فيهم ذلك فهو مهدد بـالمرض من قبلهم، فهذا عمر المحضار يـروي عنه صـاحب المشـرع

---

1 (?) انظر: (10/160-162) من الفتح.

2 (?) طبقات الخواص ص(103).

(... وكان إذا غضب على أحد أصابه الجذام وغيره من الأسقام بعد ثلاثة أيام، فقيل له: أما تخشى أن ينالك بهذا شيء فقال: إني لم أدعُ على أحد، ولكني إذا غضبت على أحد وقع في باطني نارٌ لا تنطفئُ إلا بعد ما يصيبه ذلك المرض أو يتوب). [1]

الفرع السادس: إنزال المطر:

الآيات في تفرد الله تعالى بإنزال المطر كثيرة جداً، منها قوله تعالى: **أفرأيتم الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون** [2]، فلو كان أحد من الخلق قادراً على ذلك فهل سيكون هذا التحدي صحيحاً؟ والجواب: لا قطعاً فقد علم أنه لا ينزل المطر إلا الله، بل حتى علم الوقت الذي ينزل فيه المطر ومكان نزوله قبل نزوله لا يعلمه إلا الله: **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** [3]**،** فإذا كان الأمر كذلك فكيف يجوز أن ننسب إنزال المطر إلى عبد من عباد الله، بل إن رسول الله قد حسم الأمر بشكل أوضح، وأبعد المؤمنين عن توهم ذلك أو التلفظ بلفظ يؤدي إلى ذلك الفهم الخاطئ، ففي صحيح البخاري من حديث زيد بن خالد الجهني قال: **$صلى لنا رسول الله صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف، أقبل على الناس فقال: (هل تدرون**

---

1 (?) المشرع (2/242- 243).
2 (?) الواقعة الآية (68-69).
3 (?) لقمان الآية (34).

ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قـال: (أصبح من عبادي مـؤمن وكـافر، فأما من قـال مُطرنا بفضل الله ورحمتــه، فــذلك مــؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال بنـوء كـذا وكـذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب#. [1]

ومن الأدلة على أن القــوم يعتقــدون في أوليــائهم إنزال المطر ما جـاء في ترجمة أحمد بن عمر الـزيلعي من طبقات الخواص حيث قال: (وكان للفقيه أيضــاً ولد يقـال له علي، كـان من الصـالحين، وكـان لا يُلازم في المطر إلا و يحصل سريعاً حتى عرف بذلك، وكان يقـال له صـــاحب المـــاء)[2]، وقد كـــان ذكر في ترجمة الجد حكايات تـدل على أنه يـنزل الغيث منهـا: (أنه وصل من اللحية إلى قرية المحمول وقد أجدبوا مدة طويلـة، فعند أن وصل إليهم جاءت إليه بهيمة وجعلت تخور بين يديه، فـدخل المسـجد ودعا الله تعـالى ثم قـال: (يا ميكائيل كـل، فـاجتمع السـحاب للفـور من كل ناحية و مطـروا مطراً عظيماً بإذن الله تعالى)[3].

ومنها قـول صـاحب الطبقـات: (وكـان أهل الـوادي خُلَب بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وآخره بـاء موحـدة يصـحبونه ويعتقدونــه، فجــاء إليهم مــرة وهم مجــدبون فجعلوا يلازمونه في السيل فقال لفقيرٍ لــه: (اذهب إلى رأس الوادي وقل له: يقــول لك الفقيه سل الآن، ففعل

---

1 (?) البخاري في صحيحه (1/290) كتاب صـفة الصـلاة بـاب يسـتقبل الإمـام النـاس إذا سـلم، ومسـلم (2/59-60) مع النووي كتاب الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.

2 (?) طبقات الخواص ص (77).

3 (?) المصدر السابق ص (75).

الفقـير ذلـك، فسـال الـوادي من سـاعته وسـقوا سـقياً هنيئـاً بفضل الله تعـالى)[1]، فلاحِـظْ أمـره لميكائيل في الحكاية الأولى وأمــره للــوادي في الحكاية الثانيــة، هل يدل على أن الأمر مجـرد دعـاء؟ كلا لا يـدل إلا على أنه هو المالك لذلك والمتصرف فيه.

وفي تذكير الناس: (قـال سـيدي: ووقع بحريضة في بعض السنين قحط شديد، فسار الحـبيب علي بن جعفر العطــاس إلى النقعة، وهي قرية بقــرب حريضة وقــال لأهل البلد: سنجيئكم بسيل من عند الشـيخ جنيد بـاوزير إن شـــاء اللـــه، فلما وصل إليها زار قـــبر الشـــيخ جنيد والشـيخ علي بن سـالم ورجع فسـال وادي حريضة تلك الليلة). [2]

وأوضح من هــذا ما ذكــره، أيضــاً في تــذكير الناس قـال: (قـال سـيدي وبلغنا أن الشـيخ عبدالله بن أحمد بلعفيف كان من أولياء الله المسـتجابة دعـوتهم، ويقـال له بيــاع الســيول، وصل إلى تــريم في بعض زياراتــه، فــاجتمع ببعض الســادة آل العيــدروس فقــال له أنت: بلعفيف بياع السيول، فقال له الشـيخ: نعم حاجة خدمة، فقال له الحبيب: نعم مرادنا سيل، فقال الشيخ لا بأس، بكم تشـتري؟ فقـال له الحـبيب بالـذي تريـده، فقـال الشيخ: نـبيع لك سـيل بكبش سـمين، وخمس قهـاول[3] برُ، فقال الحبيب: لا بأس تم الكلام، فقـال الشـيخ تبغي السـيل لأي أرض؟ قـال الحـبيب: للشـرج الفلاني حقي، فقـــال الشـــيخ: هـــات الكبش والـــبر وأخـــرج رُعّاضك

---

[1] (?) المصدر السابق ص (75).

[2] (?) تذكير الناس ص (187).

[3] (?) القهاول مقدار من الكيل يساوي ثلاثة أصواع تقريباً.

لشرجك، فأتى الحبيب بـالبر والكبش وخـرج الرُّعَّاض[1] وشرب الشرج بإذن الله وبركة أولياء الله)[2].

قلت: وحكى لي جـــدي - رحمه الله - أن في قرية مجاورة لنا رجلاً يقال له " فلان باسليمان " وكان حراثاً عارفـاً بقـوانين الحراثة ومـتى يكـون السـيل أفضل للأرض، فكان ربما جاء السيل في غير الوقت الذي يراه مناسـباً فلا يسـقي أرضه فعـوتب في ذلك لأنه ربما إذا لم يسق لم يـأت سـيل آخر، فيقـول: (ما بيـني وبين السـيل إلا صـاع طحين) يعـني أنه يـتزود صـاعاً من الطحين ويزور الشـيخ سـعيد بن عيسى فيـأتي السـيل، فهل يشك أحد في اعتقاد هذا العامي وأمثاله أن الشيخ سعيد بن عيسى يملك إعطاء السيل؟!.

الفـــرع الســـابع: إجابة الـــداعي وإغاثة المستغيث:

إن هـذا الفـرع في الحقيقة هو النتيجة الحتمية لتلك العقائد بل الثمـــرة المـــرة الخبيثة لهـــا، فـــإن المريد الصـوفي أو العـامي من عـوام المسـلمين حينما يتكـرر على سمعه أن فلاناً من الأولياء هو القطب الغوث الذي أعطي الخلافة العظمى في هذا الكون و التولية والعزل فيـه، واعتبـاره الواسـطة بين الله وبين عبـاده فلا يصل خير إلى العباد إلا بواسطته، وأنه قد فوِّض إليه تصـريف الكـون، وأن تصـريفه نافذ على كل شـيء من العـرش إلى الفرش وحتى البِسْ لا يأكل الفـأر في جميع أقطـار الأرض إلا بإذنه، وأنه يعطي ويمنع ويشـفي ويمـرض بل

1 (?) الرَّعَّاض جمع راعض وهو الـــذي يعـــدِّل الســـيل في الحقول.

2 (?) المصدر السابق ص (188).

يميت ويحـــيي ويُــنزل الغيث ويهب الولـــد، إلى آخر ما ينسب إليهم من القدرات، ماذا سيتصور ذلك المسكين، هذا الولي؟ لاشك أنه سيتصــور أنه هو الســميع المجيب وأنه على كل شيء قدير، وبموجب هذا التصور ســيهرع إليه كلما نـزلت به نازلة أو أصـابته حاجـة، فإنه لا رجـاء في حصول أي مطلوب أو دفع أي مرهـوب إلا بالالتجـاء إليـــه، وهـــذا هو الـــذي يحصل في كثـــير من الأحيـــان والأحوال ولدى أكثر الناس من القرون التي سيطر فيها فكر القبورية على الناس.

وهم لم يكتفـــوا بما مضى من دفع النـــاس إلى ذلك الاعتقاد والتصور الخاطئ، بل صرح الكثير من أوليــائهم بـــأنهم يســـمعون من نـــاداهم ويجيبونه ويغيثـــون من اســـتغاث بهم وينقذونه مما هو فيـــه، ويـــروون مئـــات القصص الــتي تحكي كيف نـــزل الضر بفلان فاســتغاث بالقطب فأغاثه، بصور وأساليب متنوعة كلها تتــآزر على شــيء واحد هو تعميق الاعتقــاد في ذلك الشــخص بأنه يفعل ويفعــل، وأن على الجميع الالتفات إليه والاعتمــاد عليه وإنزال حوائجهم به.

وهذا هو الشرك بالله تعالى، ولكنــني لن أخــوض في الـــرد عليه في هـــذا الموضـــع، وإنما ســـوف أنقل بعض النمـــاذج عنهم في ذلك لإثبـــات أنهم يعتقـــدون في أهل الولاية منهم أحياءً وأمواتاً أنهم يجيبون الداعي ويغيثـــون المستغيث، وليس الأمر كما يقوله من يروج تلك العقائد ويدافع عن الموروث الذي كان عليه الآبـاء والأجـداد من أن ذلك مجرد توسل بهم إلى الله وإن كان بلفظ الدعاء والاستغاثة.

وإليك النصوص الصريحة والوقائع الواضحة الشـاهدة على ما نقول:

أول ما نـــورد في ذلك تقرير عميد القـــوم وحجتهم وإمـــامهم في العلم والتصـــوف من يســـمونه (قطب الدعوة والإرشاد عبدالله بن علوي الحداد) وهذا التقرير في قصيدة من أشهر قصـائده لـدى القـوم وهي العينية حيث يقول فيها في صفة الولي:

من كل طـود في العلـوم وفي الحجا متبحر متفنن متوسع

داع إلى الله العظيم بفعله ومقاله والحال غير مضيع

ذي عفة وفتـوة وأمانة وصـيانة للسر أحسن من يعي

و زهادة وعبادة وشهادة منه الغيـوب بمنظر وبمسمع

جمع الرياضة والكشوف ولم يزل يرقى إلى أن يستجيب إذا دعي [1]

إذاً فهي حقيقة مسلّمة عند القوم أن الولي ما يزال يترقى حتى يصير ممن يستجيب إذا دعي[2]، فعند القوم أن الولي " يُـدعى" وليس فقط يتوسّـل به و" يجيب إذا دُعي " وليس الله يجيب من دعاه متوسلاً به.

وبنـاءً على تلك الحقيقة المعروفة لـديهم منذ عـرف التصوف المنحرف في اليمن والتي عبر عنها الحداد في عينيتـــه، تجد الـــدعوى متواصـــلة لأوليـــائهم بإغاثة من استغاث بهم.

---

1 (?) شرح العينية ص (ب) من المقدمة.

2 (?) انظر: شرح هذا البيت في العينية ص(17-18).

ومن ذلك ما ذكــره شـــارح العينية المـــذكورة في ترجمة علــوي بن الفقيه المقــدم حيث قــال: (وكــان سـريع الغـوث لمن اسـتغاث بـه، قـال السـيد الجليل العلامة المحــدث الإمــام محمد بن علي علــوي خـــرد باعلوي في كتابه " الغُرر " أخـبرني الشـيخ عبـدالرحمن بن علي أن العارفين قالوا: (ثلاثة من آل باعلوي لا تزال خيل حميتهم وإجـــابتهم مســـرجة ملجمة من دعا بهم أُجيب وهم علـــوي المـــذكور وابنه علي والشـــيخ عمر المحضار، وقال صـاحب كتـاب الغـرر المـذكور في ذلك شعراً:

إذا خفت أمراً أو توقّعت شدة فنوِّه بهم كي يدركوك ويحضروا

فنــوِّه بعلــوي الفــتى وابنه علي كــذا عمر فيما يجل ويعسر

فغارتهم تنجيك من كل شدة وعُســرٍ وضـيقٍ أو بصدرك يكبر [1]

ولا يقتصر الأمر على أنـاس ينسـبون إلى الـولي أنه يغيث من يسـتغيث بـه، ولكن الـولي يـدّعي ذلك لنفسه ويفخر به، فهذا عمر المحضار يقول في قصيدة مـازالوا إلى اليوم ينشدونها في حضرة السقاف.

إني سريعُ الغوث في كل الشدائد فاهتف باسمي تجدني أسرِعُ

قل يا شهاب الدين إن يعروك خطب يا فطن **فأنا لخطبك أدفعُ**

---

[1] (?) شرح العينية ص(174)ـ وانظر أيضاً: المشـرع الـروي (2/212).

وقال شارح العينية في ترجمة عبدالرحمن السقاف: (وكـان يـرد على من غلط في مسـجده وهو بـالعجز[1] ويسـمعه الغالـط، وكـان يقلب الـتراب دراهم بـإذن الله تعالى، وكان يظهر لمن اسـتغاث به جهـاراً في الأمـاكن البعيدة بحراً وبراً)[2].

وفي كتـاب " تـاج الأعـراس " في منـاقب الحـبيب القطب صالح بن عبدالله العطاس، قال المؤلف: (ومما أكـرم الله به صـاحب المنـاقب، وخصه به من سـنيات المراتب، وكـان ينفـرد به دون أقرانه من أهل المظـاهر والمناصب، أنه يحضر عند من نـاداه وتوسل به إلى الله بصدق نية وصفاء طوية)[3].

وتقـول الشـيخة سـلطانة الزبيدية كما في ترجمة السقاف من المشرع: (ما رأيت أحـداً أسـرع إجابة عند الاستغاثة من السيد محمد بن السـقاف، وكـانت تقـول: إذا حدث أمر واستغثت بالأوليـاء فـأول من يغيثـني هـو)[4].

وقال صاحب " تاج الأعراس " في ترجمة صـالح بن عبدالله العطـاس: (وممن أثـنى على صـاحب المنـاقب واعـترف له بمقـام الغوثية شـيخ مشـايخ تلك العصـور، وعالمها وإمامها المشـهور، شـيخ الإسـلام ببلد الله الحـرام السـيد أحمد بن زيـني دحلان قـال: (إنه حصل عليَّ حـال بمكة وكـربتُ لـذلك كربـاً شـديداً فاسـتغثت

---

1 (?) العَجُـز: بفتح العين وضم الجيم قرية شـرق تـريم تبعد منها مسافة.

2 (?) شرح العينية ص (188).

3 (?) تاج الأعراس ص (1/94).

4 (?) المشرع الروي ص (1/184).

بالحبيب صالح بن عبدالله العطاس صـاحب عمد وهو إذ ذاك بحضـرموت ودعوته بثلاثة أصـوات، فـإذا هو حاضر عندي في الحرم المكي، راكباً على جـواد أخضر اللـون ومعه أربعـون جنـدياً كلهم مسـلحون، فحين رأيته ذهب عني ذلك الكرب وانشرحت انشراحاً كاملاً ببركته)[1].

وقـال كـذلك في ترجمة هادون بن هـود العطـاس: (ومن كرامـات الحـبيب هادون أيضـاً ما أخبرتـني به والـدتي الشـريفة العفيفة شـيخة بنت الجد علي بن حسين بن هود العطـاس الآتي ذكرها في ترجمة والـدي من البـاب السـادس عن والـدتها الشـريفة العفيفة زينة بنت الحبيب هادون المذكور قالت: لما كان والدي يجـدد عمارة بعض المساكن بالمشهد وعنده جملة من العمال أصـبحنا ذات يـوم وليس عنـدنا في الـدار ما يفطر به الصائم من أنواع الطعام، فلما رجع والدي من المسـجد الإشراق كعادته أخبرناه بالحـال فقـال: لا بـأس، ولكنكم أوقدوا ناراً في المطبخ كعادتكم ليستشـعر العمـال بـأن غداهم يطبخ كالعـادة، ثم خـرج والـدي إلى عند العمـال وألقى بيتـاً من الشـعر الحميـني ارتجـالاً على الـذين ينقلون المـدر منهم وأمـرهم أن يرتجـزوا بـه، وكـان قد اسـتنجد فيه بجـده الحـبيب علي بن حسن العطـاس صاحب المشهد وهو قوله:

مع هادون يا بو حسن والخير واصل وهز
الرمح لا تعمد[2] القبة وغافل

قالت: فلم نلبث إلا يسـيراً وإذا نحن بقافلة أي عـير

---

1 (?) تاج الأعراس (1/104).

2 (?) هـذه الكلمة باللهجة الحضـرمية معناها (لا تبقى) أي لا تبقى في القبة غافلاً عنا.

مرسـلة لمقـام المشـهد من أهل حجر بن دغـار وفيها الذرة والتمر والدهن وغير ذلك، وبمعية العير أنـاسٌ من تلك الجهة أيضاً قاصدين زيارة الحبيب علي بن حسن و معهم ثلاثة أكباش سمان للمقام، فـذبحنا وقـدحنا وكـان ذلك اليوم من أسعد أيام العمال عليهم انتهى.

قلت[1]: وقـول الحـبيب هادون لجـده علي (وهز الرمح) لما اشتهر من أن الحـبيب علي كـان يلقب بـأبي حربة وسـبب تلقيبه بـذلك أنها تـواترت الأخبـار من المعادين للحـبيب علي في حياته وأهل الجـرأة على مقـام المشـهد بعد وفاته أنهم يرونه في منامـاتهم يطعنهم بحربته فيخبرون قراباتهم بذلك موقنين بالموت ويموتـون في الحـال بـإذن الله القائـل: **$من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب#** لاسيما الذين يعتدون على غـيرهم في شـهر المشـهد أي ربيع الأول؛ لأن الحـبيب علي قد جعله عُرضه بضم العين أي أماناً مؤبداً في كل سـنة بين المحـاربين من قبائل تلك الجهة وأخذ عليهم العهد في ذلك ليـأتي كل منهم وهو مطمئن البـال إلى المشـهد لحضـور قصة مولد نـبيهم محمد وسـماع شـمائله الشـريفة وما يضـاف إلى ذلك من المواعظ الدينية، فكـان مما أكـرم الله به الحـبيب علي وعظم به شهر المولد النبـوي أن من اعتـدى فيه بالقتل ونقض العهد يعجل الله له العقوبة بإهلاك عـدد من أولاده وقبيلته بمقدار الأيام الماضية من ذلك الشهر، فمن قتل فيه في اليوم الخامس مثلاً يهلك الله خمسة من رجاله في أسـرع وقت، ومن قتل فيه في اليـوم السـابع يهلك الله منهم سبعة وهكذا حـتى صـار ذلك عند قبائل الجهة

---

1 (?) الكلام ما زال لصاحب تاج الأعراس.

من المجربات التي لا خلاف فيها)[1].

وأعتـــذر للإطالة بنقل الحكاية كاملة وذلك لما فيها من دلالات كثـيرة يجـدها المتأمل وليعـرف كيف يسـخِّر القبوريــون النــاس لمصــالحهم ويبنــون على حطــام عقائدهم مجدهم الموهوم.

وأسألُ صـاحب التـاج وكل من ينشر هـذه الحكايـات ويغــرس بها تقــديس هــؤلاء النــاس في نفــوس عــوام المســلمين أين كــان الحــبيب علي وحربته يــوم هجم الجيش النجدي على المشهد فأخربه وهـدّم قببه وكسّـر توابيته؟.

ومن ذلك أيضــاً ما ذكــره صــاحب مقدمة ديــوان العيـــدروس قـــال: (وأخـــبرني الســـيد الفقيه محمد الظمطاوي المكي وقد رويتها عن المريد الصادق نعمان بن محمد المهري أنه قال: (كنا في سفينة سـائرين إلى الهند فحصل في الســـفينة خـــرق عظيم فـــأيقن أهل السفينة بالهلاك فضجُّوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى وهتفوا بالمشايخ، فقال نعمان: فهتفت بشـيخي أبي بكر بن عبدالله العيـدروس، فأخـذتني سـنة فـرأيت شـيخي وهو داخل الســفينة وبيــده منــديل أبيض متيممــاً نحو الخرق، فانتبهت فرحاً مسروراً وناديت بأعلى صــوتي يا أهل السفينة أبشروا فقد جـاء الفـرج، فقـالوا لي: مـاذا رأيت، فقلت لهم: رأيت شيخي دخل السفينة السـاعة وبيده منديل فسد به الخـرق فافتقـدوه فوجـدوا الخـرق مسدوداً بمنديل أبيض). [2]

---

1 (?) تاج الأعراس (1/207-209).

2 (?) مقدمة ديوان العيدروس المسمى (محجة السالك وحجة الناســـك) ص (242) , تـــأليف الشـــيخ عبـــداللطيف بن

وفي نفس الكتاب في آخره قـال: (وأخـبرني الأمـير مرجان بن عبدالله عبد السـلطان عـامر بن عبـدالوهاب قــــال: كنا في محطة صـــــنعاء الأولى فحصل علينا ما حصل، وأنا إذ ذاك في جماعة، فحمل علينا العــــدو ففر أصـحابي ووقع في فرسي جملة أكـوان[1] فسـقط بي، فزار بي العـدو من كل جـانب وأنا أهتف بالصـالحين، ثم ذكــرت الشـــيخ الأجل أبـــابكر بن عبدالله العيـــدروس فهتفتُ به فـإذا هوقـايم فو الله العظيم لقد رأيته نهـاراً وعاينته جهاراً أخذ بنا صيتي وناصية فرسي وشــلني من بينهم حــتى أوصـــلني إلى المحطة الســعيدة فعند ذلك مات الفرس ونجـوت ببركـات الشـيخ نفع الله به وأعـاد علينا من بركاته)[2].

فهذه النمـاذج إن شـاء الله كافية لإثبـات أن القـوم يعتقدون في أوليائهم أنهم يسـمعون اسـتغاثاتهم، وأنهم يغيثـونهم عند ذلـك، فحينـاً يحضرون بأنفسـهم، وحينـاً يحصل المطلـوب بـدون حضـورهم، وعليه فـإن دعاءهم لأوليائهم ليس مجرد توسل إذ التوسل إنما هو دعـاء لله تعــالى مع ذكر المتوسَّــل به وســؤال الله ســبحانه أن يحقق المطلوب بجاه أو ببركة ذلك المتوسَّل به، ولذلك فإن الـذين يعرفـون حقيقة التوسل ويقتصـرون عليها لا يجيزون دعاء المتوسل بهم ويصـرحون بـأنهم لا يـدعون ولا يجيزون دعـاء غـير اللـه، وإنما يـذكرونهم في ضـمن دعـائهم لله للتـبرك بـذكرهم وليكونـوا سـبباً في عطـاء الله.

عبدالرحمن باوزير ضمن المجموعة العيدروسية.

1 (?) أي جراح.

2 (?) المصدر السابق ص(247).

المبحث الثاني: عقيدة الرجعة وإمكانية الاجتماع بالنبي يقظة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الرجعة وإثبـــات أصـــولها الشيعية:

التعريف:

قال الراغب الأصبهاني: (الرجـوع: العـودة إلى ما كان منه البـدء أو تقـدير البـدء، مكانـاً كـان أو فعلاً أو قولاً، وبذاته كـان رجوعـه أو بجـزء من أجزائـه أو بفعـل من أفعاله، فالرجوع العودة، والرجـع الإعـادة، والرجعـة في الطلاق وفي العـود إلى الـدنيا بعـد الممـات، ويقـال فلان يؤمن بالرجعة)[1].

وقال ابن الأثير: (والرجعـة مـذهب قـوم من العـرب في الجاهلية معروف عندهم، ومـذهب طائفـة من فـرق المسلمين من أولي البـدع والأهـواء يقولـون: إن الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حياً كمـا كـان، ومن جملتهم طائفــة من الرافضــة يقولــون: إن علي بن أبي طــالب مستتر في السحاب، فلا يخــرج مـع من خــرج من ولـده حتى ينادي منادٍ من السماء اخرج مع فلان)[2].

أصلها الشيعي:

هذه هي الرجعـة وهي من عقائـد الرافضـة كمـا هـو

---

1 (?) نقلاً عن: تقديس الأشخاص (2/9).

2 (?) النهاية في غريب الحـديث (2/202) للإمـام مجد الـدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، طبع دار الفكر بــيروت، الطبعة الثانية (1399هـ- 1979م).

واضح من كلام ابن الأثير.

وقد عرفوا الرجعة بأنها: (رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة وعودتهم إلى الحياة بعد الموت في صورهم التي كانوا عليها)[1] ويرون أن الراجعين إلى الدنيا بعد موتهم هم: (النبي الخاتم وسائر الأنبياء والأئمة المعصومون ومن محض في الإسلام ومن محض في الكفر دون الطبقة الجاهلية المعبر عنها بالمستضعفين)[2] ويقصدون بمن (محض في الإسلام) أنفسهم وأتباعهم ومن (محض في الكفر) أعداءهم من أهل السنة سيما كبار الصحابة الذين يزعمون أنهم غصبوا أهل البيت حقهم.

وبما أن الصوفية قد أخذوا جُلَّ عقائدهم عن الرافضة، فمن تلك العقائد عقيدة الرجعة، وإنما لم يسموها باسمها عند الرافضة، بل لم يجعلوا لها اسماً خاصاً، وإنما يدل على ذلك تعريفهم العملي وتصريحهم بعودة بعض المقدَّسين إلى الحياة ولقائهم بهم وأخذهم عنهم يقظة عياناً بأجسادهم التي تراها عيونهم الشحمية كما سيأتي.

ومما يدل على أخذ الصوفية من الرافضة ما ذكره الشعراني في ترجمة علي بن محمد وفاء: (وكان يقول: إن علي بن أبي طالب رُفع كما رُفع عيسى وسينزل كما ينزل عيسى) قال الشعراني قلت: (وبذلك قال سيدي علي الخواص)[3].

فالقول برفع علي ثم عودته إلى الأرض لاشك أنه

---

1 (?) انظر: أصول مذهب الشيعة (2/913).

2 (?) المصدر السابق (2/913).

3 (?) الطبقات الكبرى (2/40).

من عقائـد بعض فـرق الشـيعة الغاليـة وكـون الصـوفية يعتقدونـه بهـذه الصـيغة يـدل دلالـة واضـحة على أخـذه عنهم.

المطلب الثاني: إثبات اعتقاد قبورية اليمن للرجعة:

قبل أن أنقل أمثلة مما قاله القبورية في رؤية النبي يقظة واجتماعهم به، وأخذهم العلم عنه أو مباركـة مـا يفعلـون من بـدع ومخالفـات عقديـة وعمليـة، أثبت نقلاً عن أحـد منظـريهم المعاصـرين وهويؤكـد هـذه العقيـدة ويؤصِّلها وهو الدكتور محمد علوي المـالكي في كتابـه " الذخائر المحمديـة " يقـول: (أمـا قولـه "من رآني في المنـام فسـيراني في اليقظـة " قـال العلمـاء: هـو في الدنيا قطعاً، ولو عند الموت لمن وُفـق ذلـك وأمـا قـول من أوّله برؤيا اليقظة في الآخرة، فقد رد عليـه العلمـاء وقالوا: إن في الآخرة يراه كل مؤمن من رآه في منامه ومن لم يـره كمـا ورد في أحـاديث عـدة صـحيحة، بـل ويـراه الكفـار في الآخـرة والمنـافقون فيعرفـون قـدْرَه العظيم وشـرفه الكبـير ، وقـد يكـون في الـدنيا لأهـل الكمال من المؤمنين وصفاء البصيرة الذين وصفهم الله تعالى ووصف قلوبهم ومعارفهم بقوله: كمشـكاةٍ فيهـا مصباح. المصباح في زجاجة الزجاجةُ كأنهـا كـوكب دري يوقد من شجرة ٍمباركةٍ زيتونة لا شرقيةٍ ولا غربيـة يكـاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار. نورٌ على نورٍ [1].

وهو تمثيل لما نوَّر الله بـه قلب المـؤمن من العلـوم والمعارف، وما فيه من المعارف، فمثل هـذا القلب هـو

1 (?) النور (35).

المؤهل لرؤيا النبي في اليقظة وسائر المغيبات أيضـاً)[1].

والدكتور هنا لا يكتفي بأن قلب العارف يرى النـبي يقظة فقط، بل (ويرى سائر المغيبات أيضاً) فأيُّ ضـلال وقع فيه هذا الدكتور أبعد من هذا الضلال وقد سـبق مـا يتعلق بعلم الغيب عند القبورية.

ومن دعاة الصوفية القبوريـة في اليمن وحضـرموت رجل يُسمّى زين العابـدين العلـوي الـذي ألَّف كتابـاً في العقائـد أسـماه: " الأجوبـة الغاليـة في عقيـدة الفرقـة الناجيـة " أورد سـؤالاً قـال فيـه: (هـل يمكن رؤيتـه يقظة؟ فأجاب: (رؤيته في اليقظة ممكنة وواقعة، فقد ذكر العلماء نفع الله بهم كثـيراً من العـارفين باللـه رأوه في المنام ثم رأوه في اليقظـة وسـألوه عن أشـياء من مصالحهم ومآربهم)[2].

وإليك بعض الأمثلة الدالة على اعتقـاد قبوريـة اليمن هذه العقيدة وادعائهم أن النبي يحضر بعض حضراتهم أو شـعائرهم أو مناسـباتهم أو يلقِّنهم بعض الأحـاديث أو نحو ذلك.

فمن ذلك ما ذكره صاحب "تذكير الناس " في قصـة طويلة وقد ذكر معارضة بعض الفقهاء لاستخدام الـبرك

---

1 (?) الـذخائر المحمدية بواسـطة مغنـاطيس القبـول في الوصـول إلى رؤية سـيدنا محمد ص (20) تـأليف حسن محمد شـداد بن عمر بـاعمر مطبعة الصـباح، دمشق بـدون تاريخ.

2 (?) الأجوبة الغالية في عقيـدة الفرقة الناجية ص (100) تـأليف الحـبيب زين العابـدين العلـوي، الطبعة الأولى (1419هـ-1998 م).

للطهور في المسجد، فقال محتجاً عليهم: (... ولما بـنى سيدنا عبدالرحمن السقاف مسجده بـتريم ووضـع هـذه الجــوابي المعروفــة في الجهــة، وهــو أول من أشــار بوضعها وقال: (أسسـت مسـجدي هـذا والنـبي واقـف في محرابـه، والأئمـة الأربعـة كـل واحـد على ركن من أركانه، ارتفع الخلاف وما قاله بعض الناس من الكراهـة بحضوره))[1]

فانظر كيف جعل حضور النـبي حقيقيـاً وأنـه بـذلك الحضور ارتفـع الخلاف القـائم في تلـك المسـألة، وهـذا غايــة الاعتقــاد بحضــوره حضــوراً حســياً كــاملاً بجســده الشريف لا مجرد روحه.

وفي الكتاب المذكور يقول في قصة طويلـة للشـيخ عمر بامخرمـة: (فـدخل الشـيخ عمـر إلى المدينـة وأتى رباط أنس أو غيره فجلس به ينتظـر الإذن في الـدخول على الحضرة النبوية، فلما كـان ضـحوة النهـار أتى إليـه سيد الوجود فوضع على رأسه كوفيـة مدنيـة... إلخ)[2]

وفيـه: (وقـال سـيدي الحـبيب علي بن محمـد الحبشـي لســيدي أحمــد: (أخــبرني عمي علــوي بن عبداللــه بن حسين بن طـاهر عن أبيـه الحـبيب عبداللـه أن الحـبيب عبدالله بن أبي بكـر عيديـد ممن يجتمـع بـالنبي يقظـة وهذه شهادة عارف بالله رواها ثقـة محتـاط في كلامـه)[3].

وقـال الحامـد في " تـاريخ حضـرموت "في ترجمـة سلطانة الزبيدية: (وصارت فيما يُروى أيضاً ترى النبي

---

1 (?) تذكير الناس ص (51).
2 (?) المصدر السابق ص (276).
3 (?) المصدر السابق ص (277).

ورجال الغيب يقظة وتكلمهم، ولها في التصوف أحوال غريبة)[1].

وفي رسالة " الدلائل والأخبار في خصائص مدنية ظفار": (وروي عن العالم العامل إسماعيل الحضرمي أنه قال لبعض درسته: حضرت في موضع شريف، وحضر النبي والإمام الشافعي وأبو إسحاق الشيرازي فسمعت من قلبي عن ربي: من أحببته من خلقي جعلته رحمة لخلقي، أقر به قرارهم، وأعتمر به ديارهم، وأقضي به أوطارهم، وأمحو به أوزارهم)[2]، الشاهد منه قوله: (وحضر النبي والإمام الشافعي وأبو إسحاق الشيرازي) فهو دليل على اعتقاد رجعة النبي إلى هذه الدنيا كما تزعم الصوفية.

---

1 (?) تاريخ حضرموت ص (794).

2 (?) رسالة الدلائل والأخبار في خصائص مدينة ظفار، تأليف عبدالله بن جعفر الكثيري ضمن كتاب تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة (1/113) للمؤرخ سالم بن محمد بن حميد الكندي المتوفى سنة (1310 هـ) طبع مكتبة الإرشاد صنعاء، الطبعة الأولى (1411هـ- 1991 م).

المطلب الثالث: في الرد على معتقدي الرجعة ورؤية النبي يقظة:

إن عقيدة الرجعة وما ترتب عليها من إمكانيـة رؤيـة النـبي وبعض البشـر الآخـرين بعـد مـوتهم من أوضـح العقائد بطلاناً، فهي تخالف العقـل والنقـل، أمـا مخالفـة العقل فلأن الميت إذا مات وضع في قعـر قـبره وأهيـل عليه التراب وسدت جميع المنافذ، ثم رجعوا وتولوا عنه فقسَّموا أموالـه وأنكحـوا نسـاءه ولم يبـقَ لـه أي تعلـق بالأحيـاء، ولـو كـان في الإمكـان رجوعـه لاتّخـذ بعض الإجراءات لذلك، فلمـا لم يشـرع لنـا الشـرع الإسـلامي شيئاً من ذلك علم أنه لا أصل له.

ثم إن كثـيراً ممن يقـال أنهم يخرجـون من قبـورهم فـيراهم النـاس بأجسـادهم كاملـة صـحيحة قـد نُبشـت قبورهم لغـرض أو لآخـر فلم يعـثر في قبـورهم إلا على عظام بالية أو تربة لا أثر فيهـا إلا لفتـات لتلـك العظـام، ومن أقـرب الأمثلـة وأحـدثها مـا جـرى لقـبر الـولي المشـهور والقطب المـذكور أبي بكـر بن عبداللـه العيدروس صاحب عدن والـذي يقـول عنـه أبـو بكـر بن عبدالله العطاس أنه كلما دخل تلقاه (في سـتمائة ألـف راية من الأوليـاء وأخـذ بيـدي حـتى وصـلنا القبـة)[1] في حكايات كثيرة يطول شرحها هـذا هـو القطب الـذي في زعمهم أنـه لم يمت؛ لأنـه لا يمـوت إلا الحمـار، عنـدما قامت الجماعة المحتسبة بعد نهاية حرب الانفصـال في عدن بتسوية قـبره، وتعـدّى بعضـهم إلى نبش القـبر لم يجدوا من القـبر إلا عظامـاً مبعـثرة محطمـة فـأين هو؟ ولِمَ لَمْ يـدفع عن نفسـه؟ ولِمَ لَم يسـلم جسـده من

1 (?) تذكير الناس ص (225).

البلى؟ كل ذلك يدل على فساد هذه العقيدة.

وأما النقل: فالآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى: قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون [1] الشاهد قوله: ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فهو صريح أنهم في ذلك البرزخ إلى يوم القيامة لا يرجعون عنه، وإن كان قصدهم من طلب الرجوع هو العمل الصالح فكيف إذا كانت الرجعة للانتقام من أبي بكر وعمر وإقامة الحد عليهما[2]؟، ومنها قوله تعالى: ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون [3] فنفى الرجعة عنهم ومنها قوله تعالى: ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نكذبَ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين. بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون [4]، فعند الموت وفي البرزخ وعند العرض على رب العالمين يتمنون الرجوع فلا يُجابون إليه، بل يؤكد لهم عدم إمكان ذلك.

وبهذا أكتفي لوضوح المسألة واتفاق أهل السنة عليها، وحتى الصوفية لا يتظاهرون بالقول بها وإن كان ما يعتقدون من رؤية النبي وبعض أوليائهم يستلزم ذلك ويقتضيه ولكن حيث لا يحاجون في أصل الرجعة فلا داعي للإطالة.

الرد على القبورية في زعمهم رؤية النبي :

---

1 (?) المؤمنون (99-100).

2 (?) انظر مختصر الإثني عشرية ص (201).

3 (?) يس (31).

4 (?) الأنعام (27 - 28).

الأصـل أن من مـات فقـد انتقـل إلى عـالَم آخـر هـو عالم البرزخ، وليس هناك لقاء حسـي بين مَن في ذلـك العالم وبين الأحياء الذين مازالوا في هذه الحيـاة الـدنيا، إلا ما يثبت من ذلك بدليل صحيح صريح من آية صـريحة أو حديث صحيح صـريح، ومعظم القبوريـة إن لم يكونـوا كلهم هم من المخالفين للسلف الصـالح، فهم لا يثبتـون العقيـدة إلا بـالخبر المتـواتر وليس بخـبر الآحـاد وهـذه المسألة مسألة علميـة عقديـة لا مـدخل للقيـاس فيهـا، إذن فعلى أصـــلهم لا تثبت إلا بآيـــة صـــريحة أو حـــديث صريح قطعي الثبوت، وهم لم يأتوا من ذلـك بشـيء فلا آية تدل على ذلـك ولا حـديث متـواتر يـدل عليـه كـذلك، وإنما أهم أدلتهم مـا دل عليـه حـديث أبي هريـرة عنـد البخـاري ولفظـه: (من رآني في المنـام فسـيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي)[1].

والــرد على ذلــك من جهــتين: جهــة الســند وجهــة المعنى:

أمـا جهـة السـند فهنـا مخالفتـان: المخالفـة الأولى للأصل القطعي المتفق عليه أن الأموات قد صــاروا في عـالم آخــر، وأنهم لا يرجعــون عنــه ولا يبعثــون إلاّ يــوم القيامة كما قال تعالى: ثم إنكم بعـد ذلـك لميتـون، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون [2]، فليس هنـاك بعث إلا يــوم القيامة، ومعلوم أن خروج النبي أو أي ميت من قــبره

---

1 (?) البخاري في صحيحه (6/2567) كتاب التعبـير، بـاب من رأى النبي في المنام، ومسلم (4/775) كتاب الرؤيـا، بـاب قول النبي عليه الصـلاة والسـلام: **(من رآني في المنـام فقد رآني).**

2 (?) المؤمنون (15- 16).

بروحه وجسده إنما هو بعث، فهذه المخالفة وحدها لو كان الحديث صحيحاً للزم منها القول بشذوذه فكيف وهذه اللفظة مشكوك أصلاً في صحتها.

أما المخالفة الثانية فإن الحديث روي عن اثني عشر صحابياً كلهم بلفظ (فقد رآني) أو (فقد رأى الحق) أو (فكأنما رآني في اليقظة) ولم يرد ذلك اللفظ إلا من حديث أبي هريرة وبالشك ففيه: (فسيراني في اليقظة أو فكأنما رآني في اليقظة) وهذا اللفظ بالشك عند أحمد والبخاري ومسلم وأبي داود، ولم يرد لفظ فسيراني بالجزم إلا من رواية واحدة عند البخاري فقط[1]، ولذلك قال الحافظ: (قوله " من رآني في المنام فسيراني في اليقظة " زاد مسلم من هذه الوجه " أو فكأنما رآني في اليقظة" هكذا بالشك، ووقع عند الإسماعيلي من الطريق المذكورة " قد رآني في اليقظة " بدل قوله "فسيراني " ومثله من حديث ابن مسعود عند ابن ماجه، وصححه الترمذي وأبو عوانة ووقع عند ابن ماجه من حديث أبي جحيفة، "فكأنما رآني في اليقظة "، فهذه ثلاثة ألفاظ: " فسيراني في اليقظة، فكأنما رآني في اليقظة، فقد رآني في اليقظة "، وجُل أحاديث الباب كالثالثة إلا قوله"في اليقظة")[2].

فهذا التحقيق من الحافظ ابن حجر - رحمه الله - يتضح منه أنه يرى شذوذ هذا اللفظ، خاصة وأنّ رواية أبي هريرة نفسه قد أتت بالشك وسقطت كلمة (أو كأنما رآني)في هذا الموضع إما للاختصار من بعض

[1] (?) انظر تقديس الأشخاص (2/40-41-42).
[2] (?) الفتح (12/383).

الرواة أو على سبيل السهو والغفلة.

والخلاصة أن الروايات التي بصيغة الجزم من حديث أبي هريــرة وغــيره وهم كثــيرون بخلاف هذه اللفظــة المشكوك فيها فلا يمكن لعاقل منصـف أن يتمسـك بهـا مخالفاً تلـك الروايـات، خصوصـاً في مثـل هـذا الموضـع الخطــير الــذي ينتج عن اعتقــاده فســاد في العقيــدة والعمل والمخالفة لأصول ثابتـة قطعيـة، هـذا من ناحيـة السند.

وأمـا من ناحيـة المعـنى فقـد قـال الإمـام النـووي - رحمه الله - عند شرح حديث أبي هريرة هذا في مسـلم بلفظ: (فسيراني في اليقظة أو كأنما رآني في اليقظة) قـال: (قـال العلمـاء: إن كـان الواقـع في نفس الأمـر فكأنما رآني فهو كقولـه فقـد رآني أو فقـد رأى الحـق كما سبق تفسيره، وإن كان سـيراني في اليقظـة ففيـه أقوال: (أحدها: المراد أهـل عصـره، ومعنـاه أن من رآه في النوم ولم يكن هـاجر يوفقـه اللـه للهجـرة ورؤيتـه في اليقظة عياناً، والثاني: معناه أنـه يـرى تصـديق تلـك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة، لأنه يراه في الآخرة جميع أمته من رآه في الدنيا ومن لم يره، والثالث: يراه في الآخرة رؤية خاصة في القرب منه وحصول شفاعته ونحو ذلك والله أعلم)[1].

وقوله: (يرى تصـديق تلـك الرؤيا) أي يحصـل بـه مـا رأى في تلك الرؤيا من عطاء أو بركة أو نحو ذلك.

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن القاضـي ابن العـربي قولـه: (و شــذ بعض الصــالحين فــزعم أنهــا تقــع بعين الرأس حقيقـة)، فقولـه: (شـذ بعض الصـالحين) إشـارة

1 (?) النووي على مسلم (15/26).

إلى مخالفة الإجماع القائم على عدم رجوعه وعدم رؤيته، حيث قال الإمام ابن حزم في مراتب الإجماع: (واتفقوا أن محمداً وجميع أصحابه لا يرجعون إلى الدنيا إلا حين يبعثون مع جميع الناس)[1]، وبناءً على ذلك لم يقع حقيقة، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: (إن جمعاً رأوه في المنام ثم لم يذكر واحدٌ منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يتخلف)[2].

هذا تلخيص للرد على القائلين بهذا القول، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى فتح الباري (12 / 383) وما بعدها، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (2 / 7) وما بعدها الفصل الأول من الباب الثاني، ففي هذين المصدرين الرد الكافي على السيوطي في رسالته (تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك) وكل من قال بذلك القول.

---

1 (?) مراتب الإجماع لابن حزم ص(176).

2 (?) الفتح (12/385).

المطلب الرابـع: لـوازم هـذا الاعتقـاد وما يـترتب عليه من مفاسد:

القول بعقيدة الرجعة يترتب عليه عدة لوازم باطلـة، ذكرهـا العلمـاء في مـواطن مختلفـة، وجمعهـا صـاحب تقديس الأشـخاص، ويمكن بـالتتبع الزيـادة عليهـا وإليـك تلخيصها:

1) أن يحيا الآن ويخرج من قبره ويلزم منه أن يخلـو قبره من جسده فلا يبقى فيه شيء، فيزار مجرد القـبر، ويسلم على غائب؛ لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار ' وهـذه جهـالات لا يلـتزم بهـا من لـه أدنى مسـكة من العقل. " من كلام القرطبي ".

2) ويلزم منه القول باستمرار التشريع.

3) ويلـــزم منـــه أن يكـــون من رآه في اليقظـــة صحابيٌ... ولا يمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة.

4) ويلزم من هذا الاعتقاد حسب ما يـراه الصـوفية أن النبي مفتقر إلى الحكمـة، حيث تـرك الحضـور في المواقـف الحاسـمة من حيـاة الأمـة على عهـد أصـحابه ومن بعدهم، وصـار يتـابع حضـرات الصـوفية وموالـدهم وقضاياهم التافهة[1].

قلت: وهناك لوازم أخرى منها:

أ) فتح البـــاب أمـــام الدجاجلـــة لإضـــلال الأمـــة والاستخفاف بعقولها وفرض ما يريدون عليها بحجة أنهم رأوا النبي وأمرهم بذلك أو دلهم عليه.

ب) فتح البـاب لأن يتلاعب الشـياطين ببعض العبـاد الجهلـة بادعـائهم أنهم رأوا رسـول اللـه أو بإسـماعهم

---

1 (?) انظر: هذه اللوازم مشروحة بأدلتها في رسـالة تقـديس الأشخاص (2/45ومابعدها).

ندائه وكلامه فيغترون، ويعملون بما تدعوهم إليه تلك الشياطين.

ج) إن ادعاء حضور النبي والأولياء من المتقدمين والمتأخرين يعمِّق اعتقاد الضر والنفع في المخلوقين، ومن ثم التوجه إليهم ودعاءهم من دون الله على اعتبار أنهم ينفعون من دعاهم ويحضرون لدى من استغاث بهم، وهذا شرك لا يماري فيه أحد حتى القبوريون أنفسهم؛ لأنهم يقولون: إن من اعتقد النفع أو الضر في أحد دون الله فقد أشرك بالله تعالى.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في ترجمة السقاف في المشرع: (وكان يقول إنّا لا نعتد بشيء من أعمال الظاهر، وكان عزم على الحج ونوى أنه بعد الحج يسيح في الأرض ولايعود إلى حضرموت، فلما وصل إلى الجوف أتاه النبي في جمع من الصحابة والأولياء ومعهم والده، وأمروه بالرجوع إلى بلده وقالواله: مقامك بها أنفع، فرجع ولم يحج ظاهراً، وقد شوهد في مشاعر الحج سنين عديدة وسأله بعض خواصه، هل حججت؟ فقال: أما في الظاهر فلا)[1]، فلفظ" أتاه" ظاهر في اعتقاد إثباته إثباتاً حسياً.

وفي تذكير الناس يقول: (إني رأيت النبي فقلت له: (إنا رتبنا قراءة الصلاة المضرية كل يوم جمعة بعد صلاة الصبح في قبة الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس فهل تبلغكم؟ قال: بلى إني في كل جمعة عند قراءتكم لها استأذن ربي في الحضور معكم)[2]، وفيه أيضاً: (فقيل لسيدي: هل قيل في المولد المنسوب إلى

---

1 (?) المشرع (2/141).

2 (?) تذكير الناس ص (182 - 183).

المحدّث الديبعي أن النبي يحضر قراءته من أولـه إلى آخره؟ قـال: نعم، ولكن إذا رتب السـلف شـيئاً لا تغـيره وخلّـه، إلا إن كنت من السـلف فـأنت وذاك، والحـبيب صالح بن عبداللـه العطـاس يقـول: (يحضـر النـبي في كل مولد، عند المقام فيه، إلا مولد الديبعي فإنه يحضره كلـه)[1]، بـل رآه أحمـد بن حسـن في سـيئون كمـا في تذكير النـاس: (ورأيت النـبي خارجـاً من بعض الـبيوت في سيئون فسألته فقـال: جئت لأحضـر مولـداً في هذه الدار لكن رأيت فيه تنباك فخرجت)[2]، وقـال علـوي بن طاهر الحداد: (قال سيدنا الحـبيب أبـو بكـر بن عبداللـه العطاس: كان السيد أحمد بن علي بحر من السـادة آل القديمي يجتمع بالنبي يقظة، فقال له: يا رسـول اللـه أريد أن أسمع عنك حديثاً بلا واسـطة، فقـال له: أحـدثك بثلاثة أحاديث:

الأول: مـازال ريح قهـوة البن في فم الإنسـان تستغفرله الملائكة.

الثـاني: من اتخـذ سـبحة ليـذكر اللـه بهـا كُتب من الذاكرين الله كثيراً إن ذكر بها أو لم يذكر بها.

الثـالث: من وقف بين يـدي ولي لله حي أو ميت فكأنما عبدَ الله في زوايا الأرض حتى تقطع إرَباً إرَباً)[3].

---

1 (?) المصدر السابق ص (182).

2 (?) المصدر السابق ص (270).

3 (?) مجمـوع كلام الحـبيب أحمد بن حسن العطـاس ورحلته إلى مكة و دوعن مخطوط، الرحلة الدوعنية لعلوي بن طاهر الحداد ص (234 - 235).

المبحث الثالث: الاعتقاد بحياة الخضر والالتقاء به

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة الخضر عند أهل السنة والجماعة:

الخضر عند جماهير أهل السنة نـبي من أنبيـاء اللـه، عاش كما عاش غيره من الأنبياء ومات كما مات غـيره، وما جرى منه مع موسى من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجـدار كـان بـوحي من الله تعـالى، وليس فيه حجة على العلم اللـدنّي ولا على خـروج أحد من أتبـاع الأنبياء عن شريعتهم.

أما أن هـــذا هو قـــول جمهـــور أهل العلم فللنقل المستفيض إن لم يكن المتواتر عنهم.

فالقضـــية الأولى كونه نبيـــاً نقلها عنهم القرطـــبي في تفسـيره[1]، وأبو حيـان كـذلك[2]، والحافظ ابن حجر في الإصابة[3]، والبدر العيني ولفظه: (النوع الثالث في نبوته فالجمهور على أنه نـبي وهو الصـحيح)[4]، والألوسي في تفسيره قال: (فالجمهور على أنه نبي وليس برسـول، وقيل: رسول، وقيل: ولي، وعليه القشـيري[5] وجماعـة، والمنصـــور ما عليه الجمهـــور وشـــواهده من الآيـــات

---

1 (?) الجامع لأحكام القرآن (11/16).

2 (?) البحر المحيط (6/247).

3 (?) الإصابة (2/429).

4 (?) عمدة القاري (13/37 - 38) بواسطة تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (1/291).

5 (?) الصوفي صاحب الرسالة.

والأخبار كثيرة)[1].

وأما الأدلة على ما ذهب إليه جمهور أهل السنة فقد أورد وجوهاً منها الإمـام ابن كثـير في (البداية والنهايـة) فقال: (وقد دلَّ سياق القصة على نبوته من وجوه:

أحدها: قوله تعـالى: **فوجدا عبـداً من عبادنا آتينـاه رحمةً من عندنا وعلّمناه من لدنَّا علماً**[2].

والثاني: قول موسله: **هل أتبعك على أن تعلمـني مما علمت رشـداً. قـال إنك لن تسـتطيع معي صـبراً. وكيف تصـبر على ما لم تُحط به خـبراً. قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. قال فإن اتبعتـني فلا تسـألني عن شـيء حتى أحـدث لك منه ذكـراً**[3]، فلو كـان وليـاً وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهـذه المخاطبـة، ولم يـرد على موسى هذا الرد، بل موسى إنما سـأل صـحبته لينـال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه، فلو كـان غـير نبي لم يكن معصوماً، ولم تكن لموسى وهو نـبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة كبـير رغبة ولا عظيم طلبة في علم ولي غـــير واجب العصـــمة، ولما عـــزم على الـــذهاب إليه والتفــتيش عنه ولو أنه يمضي حقبـــاً من الزمـــان قيل ثمـــانين ســـنة، ثم لّما اجتمع به تواضع له وعظّمه واتّبعه في صورة مستفيد منه دل على أنه نـبي مثله، يُـوحى إليـه، كما يـوحى إليه وقد خُص من العلـوم اللدنية والأســـرار النبوية بما لم يُطْلع الله عليه موسى الكليم نبي بني إسرائيل الكريم، وقد احتج بهذا المسلك بعينه " الرماني " على نبوة الخضر .

والثـالث: أن الخضر أقـدم على قتل ذلك الغلام و ما ذاك

1 (?) روح المعاني (9/461/462).
2 (?) الكهف (65)
3 (?) الكهف (66- 70).

إلا للـوحي إليه من الملك العلام، وهـذا دليل مسـتقل على نبوتـه، وبرهـان ظـاهر على عصـمته؛ لأن الـولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفـوس بمجـرد ما يلقى في خلده؛ لأن خـاطره ليس بـواجب العصـمة إذ يجـوز عليه الخطأ بالاتفـاق، ولما أقـدم الخضر على قتل ذلك الغلام الـذي لم يبلغ الحلم علمـاً منه بأنه إذا بلغ يكفر ويحمل أبويه على الكفر لشـدة محبتهما له فيتابعانه عليه ففي قتله مصلحة عظيمة تربُو على بقاء مهجته صـيانة لأبويه عن الوقـوع في الكفر وعقوبته، دل ذلك على نبوتـه، وأنه مؤيد من الله بعصمته، وقد رأيت الشـيخ أبا الفـرج ابن الجوزي طرق هذا المسلك بعينه في الاحتجـاج على نبـوة الخضر وصـححه وحكى الاحتجـاج عليه الرمـاني أيضاً.

الرابـع: أنه لما فسر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أمـره وجلى، قـال بعد ذلك كله **رحمة من ربك وما فعلته عن أمري** [1]، يعـني ما فعلته من تلقـاء نفسي بل أُمِـرْتُ به وأُوْحِي إليَّ فيـه، فدلّت هـذه الوجـوه على نبوتـه، ولا ينـافي ذلك حصـول ولايته بل ولارسالته كما قاله آخـرون. وأما كونـه: ملكـاً من الملائكة، فغريب جداً وإذا ثبتت نبوته كما ذكرناه لم يبـقَ لمن قـال بولايته وأن الـولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر مسـتند يسـتندون إليه ولا معتمد يعتمدون عليه)[2].

وقال الحافظ ابن حجر "باب ما ورد في كونه نبياً ": قال الله تعالى في خـبره مع موسى حكاية عنـه: **وما فعلته عن أمري** وهـذا ظـاهره أنه فعله بـأمر اللـه، والأصل عدم الواسطة ويحتمل أن يكـون بواسـطة نـبي

1 (?) الكهف (82).

2 (?) البداية والنهاية (1/328).

آخر لم يذكر وهو بعيد، ولا سبيل إلى القول بأنه إلهام، لأن ذلك لا يكون من غير النبي وحياً حتى يعمل به ما عمل من قتل النفس وتعريض الأنفس للغرق، فإن قلنا أنه نبي فلا إنكار في ذلك وأيضاً فكيف يكون غير نبي أعلم من النبي؟ وقد أخبر النبي في الحديث الصحيح أن الله قال لموسى: **$بلى عبدنا خضر#**، وأيضاً فكيف يكون النبي تابعاً لغير نبي؟ وقد قال الثعلبي: هو نبي في سائر الأقوال، وكان بعض أكابر العلماء يقول: أول ما يحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً؛ لأن الزنادقة يتذرعون لكونه غير نبي إلى أن الولي أفضل من النبي كما قال قائلهم:

مقام النبوة في برزخٍ فويق الرسول ودون الولي[1]

وفي هذه الأدلة مقنعٌ لمن طلب الحق.

القضية الثانية قضية موته وهذه القضية كذلك جمهور أهل السنة قائلون بها، نقل ذلك عنهم القرطبي[2] بل قال ابن الجوزي - رحمه الله -كما نقله عنه ابن القيم في المنار المنيف: (والدليل على أن الخضر ليس بباق في الدنيا أربعة أشياء: القرآن، والسنة، وإجماع المحققين من العلماء، والمعقول)[3]. ففي قوله: (إجماع المحققين من العلماء) تأكيد لما قاله القرطبي بل زيادة عليه حيث ذكر إجماع المحققين وهو إشارة إلى أنه لم يخالف في ذلك أحد ممن يعتد به، وقد عدّد الشيخ محمد أحمد لوح القائلين بموته فقال: (ومنهم: البخاري،

---

1 (?) الإصابة (1/429).

2 (?) جامع الإحكام القرآن (11/41).

3 (?) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (52) للإمام ابن القيم، طبع دار العاصمة بالرياض، الطبعة الأولى (1416 - 1996).

و إبراهيم الحربي الذي سئل عن بقائه فقال: "من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هـذا بين النـاس إلا الشـيطان "، وأبو الخطـاب بن دحيـة، وأبو الحسـين بن المنادي الـذي قـال: " بحثت عن تعمـير الخضر وهل هو باقٍ أم لا فإذا أكثر المغفلين مغـترّون بأنه بـاقٍ من أجل ما رُوي في ذلك "، وابن الجـــــــوزي حيث حكم على الأحاديث الـواردة في حياته بـالبطلان، وحيث ألَّف كتابـاً مســـــتقلاً في الموضـــــوع أورد فيه أدلة دامغة على موتـه,والقاضي أبو يعلى حيث ذكر جملة من الأدلة على موتـــه، والقاضي أبو بكر بن العـــربي، وأبو حيــــان الأندلســـي، وشـــيخ الإســـلام ابن تيمية حيث قـــال: "والصواب الذي عليه محققو العلماء أن إلياس والخضر ماتا "وحيث ذكر ابن القيم أن ابن تيمية ألف جــزءاً في وفــاة الخضـر، وكـذلك ابن القيم، والحافظ ابن حجـر، حيث استعرض أدلة الجانبين ثم قال: " والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقــده العــوام من اســـــــتمرار حياته " ومنهم العلامة محمد الأمين الشنقيطي وغير هـؤلاء من العلمـاء المحققين.)[1]، وقد اسـتدل جمهـور أهل السـنة على ذلك بالكتـاب والسـنة وإجماع المحققين والعقل، كما قال ابن الجـوزي -رحمه الله -، وهـــذه الأدلة حسب تـــرتيب ابن الجـــوزي: (أما القــرآن فقوله تعــالى: **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** [2] فلو دام البقاء كان خالداً، وأما السـنة: فـذكر حــديث: **$أرأيتكم ليلتكم هــذه؟ فــإنّ على رأس مائة ســنة منها لا يبقى على ظهر الأرض ممن هو اليوم عليها أحد#**[3] متفق عليه.

---

1 (?) تقديس الأشخاص (1/400/401).

2 (?) الأنبياء (34).

3 (?)البخاري مع الفتح (2/45) كتاب مواقيت الصلاة بـاب ذكر العشاء والعتمة، ومن راه واسعاًومسلم مع النــووي(16/89)

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله : قبل موته بقليل: **$ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية.#**[1]، ثم ذكر عن البخاري، وعلي بن موسى الرضا: أن الخضر مات، وأن البخاري سُئل عن حياته فقال: كيف يكون ذلك؟ وقد قال النبي : **$أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحد# متفق عليه.**

قال: وممن قال: إن الخضر مات: إبراهيم بن إسحاق الحربي، وأبو الحسين بن المنادي وهما إمامان، وكان ابن المنادي يقبِّح قول من يقول إنه حي، وحكى القاضي أبو يعلى موته عن بعض أصحاب أحمد وذُكر عن بعض أهل العلم: أنه احتج بأنه لو كان حياً لوجب عليه أن يأتي إلى النبي .

قال أحمد: حدثنا سريح بن النعمان، حدثنا هشيم، أخبرنا مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله قال: **$والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني#**[2].

فكيف يكون حياً ولا يصلي مع رسول الله الجمعة

كتاب فضائل الصحابة باب بيان معنى قوله على رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة.

1 (?) مسلم مع النووي (16/91)كتاب فضائل الصحابة باب بيان معنى قوله عل رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة.

2 (?) رواه الإمام أحمد في المسند (23/349)، تحقيق الارناؤوط وضعف المحقق اسناده لضعف مجالد بن سعيد، وقال الشيخ الألباني في " تحقيق مشكاة المصابيح" (1/63) (وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف، ولكن الحديث حسن عندي؛لان له طرق كثيرة عند اللالكائي والهروي وغيرهم).

والجماعة ويجاهد معه؟!.

ألا ترى أن عيسى إذا نزل إلى الأرض يصـلي خلف إمام هـذه الأمـة، ولا يتقـدم، لئلا يكـون ذلك خدشـاً في نبوة نبينا . قال أبو الفرج: وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر وينسى ما في طي إثباته من الإعراض عن هـذه الشريعة.

وأما الدليل من المعقول فمن عشرة أوجه:

أحـدها: أن الـذي أثبت حياته يقـول: إنه ولد آدم لصلبه. وهذا فاسد لوجهين:

أحدهما: أن يكون عمـره الآن سـتة آلاف سـنة، فيما ذكر في كتب بعض المـؤرخين، ومثل هـذا بعيد في العادات أن يقع في حق البشر.

والثاني: أنه لو كان ولـده لصـلبه، أو الرابع من ولد ولـده - كما زعمـوا - وأنه كـان وزير ذي القـرنين، فـإن تلك الخلقة ليست على خلقتنـا، بل مُفـرَط في الطـول والعرض. وفي الصـحيحين من حـديث أبي هريـرة عن رسول الله أنه قال: **$خلق الله آدم طوله سـتون ذراعـاً، فلم يـزل الخلق ينقص بعد#**[1]، وما ذكر أحد ممن رأى الخضـر: أنه رآه على خلقة عظيمـة، وهو من أقدم الناس.

الوجه الثالث[2]: أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه في السفينة، ولم ينقل هذا أحد.

---

1 (?) البخاري مع الفتح (6/362) كتاب أحـاديث الأنبيـاء بـاب خلق آدم وذريته ومسـلم (4/2183) كتـاب الجنة وصـفة نعيمها وأهلهـا، بـاب يـدخل الجنة أقـوام افئـدتهم مثل افئـدة الطير.

2 (?) باعتبار الوجهين في الأول.

الوجه الرابـع: أنه قد اتفق العلمـاء أن نوحـاً لما نـزل من السفينة مات مَنْ كان معـه، ثم مـات نسـلهم، ولم يبـقَ غير نسل نوح.

والدليل على هذا قوله تعـالى: **وجعلنا ذريته هم البـاقين** [1] وهـذا يبطل قـول من قـال إنه كـان قبل نوح.

الوجه الخامس: أن هذا لو كان صحيحاً أن بشـراً من بـني آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الــدهر، ومولــده قبل نوح لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب، ولكان خــبره في القرآن مذكوراً في غير موضع؛ لأنه من أعظم آيات الربوبية، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى من استحياه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وجعله آيـة، فكيف من أحيـاه إلى آخر الـدهر؟ ولهـذا قـال بعض أهل العلم: ما ألقى هـذا بين الناس إلا الشيطان.

الوجه السادس: أن القول بحياة الخضر قول على الله بلا علم، وذلك حرام بنص القرآن.

أما المقدمة الثانية فظاهرة، وأما الأولى: فـإن حياته لو كـانت ثابتة لـدل عليها القـرآن، أو السـنة، أو إجمـاع الأمة، فهـذا كتـاب الله تعـالى فـأين فيه حيـاة الخضـر؟ وهـذه سـنة رسـول الله فـأين فيها ما يـدل على ذلك بوجه؟ وهؤلاء علماء الأمة هل أجمعوا على حياته؟.

الوجه الســابع: أن غاية ما يتمسك به من ذهب إلى حياته حكايات منقولة، يخبر الرجل بها: أنه رأى الخضر، فيالله العجب، هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه؟ وكثير من هؤلاء يغتر بقوله: أنا الخضر، ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله، فـأين للـرائي أن المخبرله صادق، لا يكذب؟

---

1 (?) الصافات (77).

الوجه الثـامن: أن الخضر فـارق موسى بن عمـران كليم الرحمن، ولم يصاحبه، وقـال لـه: **هذا فـراق بيـني وبينك** [1]فكيف يرضى لنفسه بمفارقته لمثل موسى ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشـريعة، الـذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة، ولا مجلس علم، ولا يعرفون من الشـريعة شـيئاً؟ وكل منهم يقـول: قـال الخضـر، وجاءني الخضر، وأوصاني الخضر!

فياعجباًله! يفارق كليم الله تعالى ويدور على صحبة الجهال ومن لا يعرف كيف يتوضأ، ولا كيف يصلي؟!.

الوجه التاسـع: أن الأمة مجمعة على أن الـذي يقـول: أنا الخضر، لو قال سمعت رسول الله يقول: كذا وكذا لم يُلتفت إلى قولـه، ولم يحتج به في الـدين، إلا أن يقـال: إنه لم يأت إلى رسول الله ولا بايعه، أو يقول الجاهل: إنه لم يرسل إليه وفي هذا من الكفر ما فيه.

الوجه العاشر: أنه لوكان حياً لكان جهاده الكفـار، ورباطه في سـبيل اللـه، ومقامه في الصف سـاعة، وحضـوره الجمعة والجماعـة، وتعليمه العلم أفضل له بكثـير من سياحته بين الوحوش في القفار و الفلوات، وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه، والعيب له؟)[2]

أما القضـية الثالثـة: وهي أنه ليس في قصة الخضر مع موسى ما يدل على إثبات العلم اللدني ولا خروج التـابع عن شريعة رسوله، فهي أشد وضوحاً؛ لأن من قال ذلك إنما بنى ما بناه على كون الخضر ولياً وليس بنبي، و بذا أثبت العلم اللـدني وجـواز خـروج التـابع عن شـريعة رسوله، ومادام أهل السنة قد أبطلوا تلك المقدمة وهي ولاية الخضر فقد بطلت النتيجة بلا شك، وسـيأتي بيـان بطلان هذه النتيجة في المطلب الثالث من هذا المبحث

---

1 (?) الكهف (78).

2 (?) المنار المنيف ص(52-56).

إن شاء الله.

المطلب الثاني: حقيقة الخضر عند الصوفية:

لأن واضـعي علم التصـوف قد أخـذوه عن الباطنية فـإنهم قد تـابعوهم في العمل على هـدم الشـريعة الإسلامية من وجوه مختلفة، ومن تلك الوجوه عقيـدتهم في الخضر حيث أقـاموا مقـدمتين هما كونه وليـاً وليس برسـول، وأنه عمل بما وهبه الله من العلم اللـدني الباطني دون التقيد بشريعة موسى كما مر.

هاتـان المقـدمتان نتج عنهما أن من عبـاد الله من يحصل على العلم اللدني الـذي هو علم الحقيقة والـذي هو مقدَّم على علم الشريعة، وأن من كان كذلك حق له الخروج عن الشرع الظـاهر ومخالفة ما جـاء به النـبي ﷺ كما سـاغ ذلك للخضر ﷺ، ثم زادوا أمـراً آخر هو تكـريس اعتقـاد أنه حي، وأنه يمكن الالتقـاء به والأخذ عنـه، وأن يتعلم الـولي الـذي حظي بلقائه منه عبـاداتٍ وأعمـالاً يتعبد الله بها لم يـأتِ بها النـبي ﷺ، وربما كشف الخضر لذلك الولي بعض الأسرار و أفاض عليه بعض البركـات، هذا ما عمل رواد التصوف على إثباتـه، وتسـخير النـاس لاعتقـاده، حـتى أصـبح عند كثـير من الأتبـاع حـتى من الصـالحين المخلصـين عقيـدة راسـخة لا تقبل الجـدل، فليس كل من قال بهذه العقيدة واعتقدها يُعتبر زنـديقاً، بل منهم من هو صـالح غـير أنه مقلد لأولئك مخـدوع ببـاطلهم ففي نفسه أمـره إلى اللـه، وأما في علمه وما يلقيه إلى الأمة فيجب كشـفه وبيـان خطئه لئلا يغـتر به مغفلـون آخـرون، وهنـاك ممن يـروِّج هـذه العقيـدة من المتأخرين من هو عالم بحقيقتهـا، ولكنه مـراع لمصـالح يضحِّي في سبيلها بكل شيء، وعلى كلٍ فخلاصة عقيدة

الصوفية القبورية في الخضر أنه: ولي وليس بنـبي وأنه قد أوتي من العلم اللدني الذي هو علم الحقيقة، وبذلك العلم سـاغ له الخـروج عن شـريعة موسى وأنه مـازال حيـاً يـرزق ولن يمـوت إلا على يد الـدجال آخر الزمـان، وأنه يظهر لبعض الأوليـاء ويخـاطبهم ويعلمهم ويـأتيهم بالهبات والبركات من رب العالمين.

النصوص الشارحة لعقيدة الصوفية في الخضر من كتبهم:

كـــان من أوائل من تكلم في الخضر وأبـــرزه في مؤلفاته الحكيم الترمـــــذي[1]، وذلك في كتابه " ختم الولاية "الذي يقول عنه الشيخ عبدالرحمن عبد الخـالق: (وهـذا الكتـاب بنظـري هو أخطر كتـاب صـوفي على الإطلاق)[2]، حيث قـال في جوابه عن علامـات الأوليـاء: (وللخضر قصة عجيبة في شـأنهم وقد كـان عـاين شأنهم في البدء، ومن وقت المقادير فأحب أن يدركهم، فـأعطى الحيـاة حـتى بلغ من شأنه أنه يحشر مع هـذه الأمة وفي زمرتهم، حتى يكون تبعـاً لمحمد ، وهو رجل من قـرن إبـراهيم الخليـل، وذي القـرنين وكـان على مقدمة جنده، حيث طلب ذو القرنين عين الحيـاة ففاتته وأصابها الخضر في قصة طويلة.

وهذه آياتهم وعلاماتهم فأوضح علاماتهم ما ينطقـون به من العلم من أصوله.

قال له قائل: وما ذلك العلم؟

قـال: علم البـدء، وعلم الميثـاق، وعلم المقـادير، وعلم الحروف.

فهذه أصول الحكمة وهي الحكمة العليا، وإنما يظهر هـذا العلم عن كـبراء الأوليـاء، ويقبله عنهم من له حظ

---

1 (?) هو محمد بن علي بن الحسن المعـروف بـالحكيم الترمذي أحد كبار الصـوفية و روادهم تـوفي سـنة (320هـ) انظـر: ترجمته في السـير (13/429)، طبقـات الشـافعية (2/245)، طبقات الصوفية ص (217).

2 (?) الخضر في الفكر الصوفي ص(18) طبع الدار السـلفية، الكويت بدون تاريخ.

من الولاية)[1]، فقد لخص هذا النص معظم عقيدة القوم في الخضر ومع ذلك أردفه ببعض النصوص لزيادة الإيضاح، فأما اعتقادهم أنه كان ولياً فيقرره التيجاني: (واعلم أن الخضر ولي فقط وليس بنبي عند الجمهور[2]، قال الشيخ الأكبر - يعني ابن عربي -: الخلاف فيه عند أهل الظاهر لا عندنا، فإنه عندنا مقطوع به من الأولياء لا من النبيين)[3].

وأما اعتقاد أنه ما يزال حياً فيقرره ابن عطاء الله في لطائف المنن فيقول: (قد تواتر عن أولياء كل عصر لقاؤه والأخذ عنه، واشتهر ذلك إلى أن بلغ حد التواتر الذي لا يمكن جحده)[4].

كما قرر المسألتين ولاية الخضر واستمرار حياته اليافعي في " روض الرياحين " وبالغ حتى قال: (ورجحه الفقهاء والأصوليون وأكثر المحدثين)[5]، وهذه مبالغة مردودة بما سبق نقله عن العلماء و المحدثين من أهل السنة والمحققين، ولم يذكر دليلاً له ولا لأحد ممن قال بذلك إلا أن جمعاً كبيراً من الصالحين أخبروا بمشاهدته ولقياه.

وأما المسألة الثالثة وهي: خروجه عن ظاهر الشرع والاحتجاج بذلك على ما يصدر من أوليائهم من مخالفة

---

1 (?) نفس المصدر نقلاً عن كتاب "ختم الولاية" ص (362).

2 (?) يعني جمهور الباطنية الصوفية وإلا فجمهور علماء أهل السنة على أنه نبي وليس بولي.

3 (?) جواهر المعاني (1/246)، بواسطة تقديس الأشخاص (1/389).

4 (?) لطائف المنن بواسطة الأجوبة الغالية (102).

5 (?) روض الرياحين ص (478).

للشـرع، فقد قـرره اليـافعي كـذلك، فقـال في الفصل الأول من الخاتمة الـذي عقـده في (الجـواب عن إنكـارٍ وقع من بعض الفقهاء المصنفين على الفقراء)[1]، فقـال بعد عـــدد من الحكايــــات ومحاولة تأويل ما فيها من المخالفة: (وعلى الجملة ما جاء عنهم مما يخـالف العلم الظـاهر فله محامـل: أحـدها: أن لا نسـلِّم نسـبته إليهم حــتى يصح عنهم، والثـــاني: بعد الصـــحة أن يلتمس له تأويل يوافق العلم الظاهر، فإن لم يوجد له تأويــل، قيل لعل له تأويلاً في الباطن يعرفه علماء الباطن العارفون بالله تعـــالى، ويـــذكر عند ذلك قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، والثالث: أن يكـون صـدر عنهم في حـال السكر والغيبة، والسكران سكراً مباحـاً غـير مكلف في ذلك الحال، فسوء الظن بهم بعد هذه المخارج من عدم التوفيق، نعـوذ بالله تعـالى من الخـذلان وسـوء القضـاء ومن جميع أنواع البلاء)[2]، الشاهد قوله: (لعل له تــأويلاً

---

1 (?) المصدر السابق ص (472).

2 (?) روض الرياحين ص (477). أقول: حينما لا نسلم أن ذلك وقع منهم يلزم عليه أولاً: ألا ننقل ونشـيع شـيئاً مما وقع من ذلك للإنسـان لأنه يعرضه للـذم و التهم هـذا هو الـواجب وإلا كنا ممن يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فإذا وجدنا أن محـبي ذلك الإنسـان ومعظميه هم الـذين ينشـرون ذلك عنه ويعدونه من جلائل أعماله وعقائده ماذا نقول؟ الجواب: نقول إنهم موقنون مسلمون بأن ذلك، واقع منه وأنهم كذلك راضــون به ومؤمنــون أنه من كراماته ومزايــاه، فكيف إذن يصح هذا المخرج. ثانيـاً: حينما لا نسـلم بوقـوع ذلك الشـيء من ذلك الشخص إنما نبرئ ذلك الشـخص، أما المنهج الـذي ارتضى إشاعته ونشـره فلا يمكن أن يتـبرأ منه أبـداً، وكـذلك عندما نعتـبر أن ذلك حصل في حـال السـكر فهـذا أقصى ما

في الباطن يعرفه علماء البـاطن العـارفون بالله تعـالى ويذكر عند ذلك قصة موسى مع الخضر عليهما السـلام) وهو واضح في أن القـوم عنـدما يصـدر من أقطـابهم أو مجاذيبهم أمر ظاهره مخالفة الشـريعة وليس له مسـاغ فيها ولا يقـــره علماؤها أنهم يحيلـــون ذلك إلى التأويل الباطني الذي يعرفه علماء الباطن وذلك تأسـياً بالخضر الذي كان في زعمهم وليـاً أعطى علم البـاطن الـذي لا يعلمه موسى، فموسى رمز لعلم الظاهر " الشـريعة "، والخضر عنـدهم رمز لعلم البـاطن " الحقيقة " والـتي هي أرفع من علم الشريعة، وبذلك يمررون كل انحراف علمي أو عملي تحت هـــــذا التأويل وحجتهم في ذلك الخضر .

ومِن تنـاقض هـؤلاء القبورية الصـوفية أن عنـدنا في وادي عمد بحضـرموت وبـالقرب من مدينة عمد الـتي يزعمـون أنها مدينة علم وولاية ومن أهلها قطبـان هما - صالح بن عبدالله الحامد وصـالح بن عبدالله العطـاس - ومع ذلك ففي" غيل حبب" الشِـعب الـرئيس لعمد قـبر مجصـص، عنـده مكـان مهيأ للجلـوس والاعتكـاف، وفيه بعض الأواني التي يمكن أن يستخدمها الزوار، هذا القبر شائع عند العوام أنه قبر الخضر .

يمكن أن يحسن به إليه أن يسـتر = =ولا يـذكر ويطـوى ولا يـروى، وكل من سـاهم في نشـره وإشـاعته وتعـداده من فضائل ذلك الشخص هو مؤمن بمسؤولية ذلك الشخص عنه ونسـبته إليه لا باعتبـاره سـكراناً بل باعتبـاره قد وصل إلى درجة عالية من القرب من الله الـذي يقتضي الإذن له بـذلك وأمثاله.

فكيف يتناسب هـذا الأمر مع اعتقـادهم بـأن الخضر حي، وادعاء بعض أولياء عمد نفسها أنه يلتقي بالخضر؟ إنه التناقض البيِّن، فهم لا يريدون أن يهدموا معلمــاً من معالم القبورية، وفي نفس الوقت لا يريدون أن يفرطوا في اعتقــاد حيــاة الخضــر؛ لأنه منهج القــوم واعتقــاد أكـابرهم، قد يقـال إنهم ليس هم الـذين روَّجـوه بل ولا يعتقدونه، أقول: إذا كـانوا لا يعتقدونه وهـذا ممكن جـداً فلماذا يقرون وجود ذلك القبر الذي يهـدم عقيـدة مهمة عندهم هي عقيدة حياة الخضـر؟ وهم قـادرون لو أرادوا هدمه لما يتمتعـــــون به من نفـــــوذ روحي على أهل المنطقــة، بحيث لو أمــروا بــذلك لما خــالفهم فيه أحــدٌ مطلقاً.

الـــــذي يظهر لي والعلم عند الله أن العــــوام ليس بالضــرورة أن يتفطنــوا لهـذا التنــاقض والأمر أن كليهما يستفاد منه، فاعتقاد حياته معلومة أهدافه، واعتقاد دفنه في ذلك الموضع له هــدف كبــير وهو إعطــاء مزيد من القداسة لتلك المدينة، أما في العالم الإسلامي فــالقبور المزعومة للخضر أكثر من أن تُحصى.

بعض ما يترتب على اعتقاد حياة الخضر وولايته:

هنــاك مفاسد عظيمة تــترتب على اعتقــاد حياة الخضر وولايته منها:

أولاً: فتح البــاب أمــام كل دجــال يــروِّج ما شــاء من الأكاذيب ويسوِّغ ما شاء من الأعمال، بـزعم أنه قد لقي الخضر وأمره بذلك أو أخبره به أو أقرُّه عليه.

ثانيــاً: نشر الكثـير من البـدع بـزعم أن الخضر قد علّمها للولي الفلاني والشيخ الفلاني.

ثالثــاً: تعظيم بعض الأشــخاص، حيث يشــاع عنهم

أنهم يلتقون بالخضر، وقد غرس في نفوس العامة أنه لا يلتقي بالخضر إلا الأولياء الكبار والأقطاب المتمكنون.

المطلب الثالث: نماذج من دعاوى الصوفية:

رؤية الخضر:

رؤية الخضر والاجتمـاع به عند الصـوفية القبورية لا تكاد تحصر، إذ جعلوا من مزايا الولي والأدلة على كماله وبلوغه المراتب العالية أنه يرى الخضر ويجتمع به، وفي بعض الأحيان يذكرون عنه مالا يليق بأحقر الناس فكيف بنبي من أنبياء الله، وقبورية اليمن كغيرهم من القبورية لهم من ذلك دعاوى عريضة، وكذبات شهيرة.

فممن قيل عنه أنه لقي الخضـر" أبو بكر بن سـالم" قـال في المشرع: (وكـان يجتمع بالخضر وإليـاس)، [1] وسـعد بن علي بامـدحج " المعـروف بسـعد السـويني " نقل عنه في النور السافر قوله: (ولقيت الخضر مراراً فاستفدت منه فوائد كثيرة)[2]، ومنهم إسـماعيل بن عبد الملك بن مسعود البغدادي قال الشرجي: (وكان الفقيه المذكور معروفاً بصحبة الخضر). [3]

وإليك بعض قصصهم معه:

منها قصة الشاذلي صـاحب المخا حين صـار قطبـاً فكـثرت أذية الجن في نوبته، فشـكا ذلك للخضر عنـدها حل الخضر مشكلته، قال صـاحب تـذكير النـاس: (وذكر سيدي عن شيخه الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطـاس، أن الشيخ علي بن عمر الشـاذلي صـاحب المخـا، تـولى

---

1 (?) المشرع (2/28). وشرح العينية ص (233).

2 (?) النور السافرص (420).

3 (?) طبقات الخواص ص(108).

القطابة وكـثرت في وقته أذية الجن للإنس، فشـكا ذلك إلى الخضر، وقــال له: لِمَ لَمْ تحصل هــذه الأذية إلا في نوبتي؟ فقـال له الخضـر: نأتيك بعـودين من شـجر البن من أرض الحبش تغرسـهما تحت المـيزاب الـذي تتوضأ فيه، فـأتى بهما الخضر وغرسـهما الشـيخ، فلما أثمــرا أخذوا ثمرهما، وطبخوه في القـدر، وشـربوه، فرفع الله عنهم أذية الجن)[1].

قلت: انظر إلى هـذا التنـاقض فـالقطب عنـدهم هو المتصـرف في الكـون وأهلـه، وهـذا القطب لا يسـتطيع إزالة ضرر الجن حتى يأتيه الخضر بما يزيل ذلك.

و**منها** ما ذكره شـارح العينية في ترجمة عبـدالقادر الجيلاني قـال: (وقـال الشـيخ العـارف بالله أبو سـعيد القيلـوبي: رأيت رسـول الله وغـيره من الأنبيـاء عليه وعليهم الصلاة و السلام، في مجلس الشيخ عبـدالقادر، ورأيت الملائكة عليهم الســـلام يحضــــرون طوائف بعد طوائــف، ورأيت رجــال الغيب والجــان، يتســابقون إلى مجلســـه، ورأيت الخضر يكــثر من حضــوره، فســألته، فقــال: من أراد الفلاح، فعليه بملازمة هـذا المجلس)[2]، ومنها ما ذكــره صــاحب المشـــرع في ترجمة علي بن علــوي وهو يتكلم عن فضــائل زوجته قــال: (وحكي أن أمها الشريفة خديجة بنت محمد بن أحمد لما حملت بها أتاها الخضر ، وقال: جئت زائراً لحملك، فقالت: أتدري ما هو ذكر أو أنثى؟ فقال: مـالي عليه تصـرف، وأعطاها شيئاً من مسك الجنة)[3].

---

1 (?) تذكير الناس ص(51-52).

2 (?) شرح العينية ص(101)

3 (?) المشرع (2/228).

ومنها ما حكاه صاحب المشرع في ترجمة محمد بن أحمد بن الأستاذ الفقيه المقدم: قال: (وكان يحب الاجتماع بالخضر ، وكانت عادته يوم الجمعة أنه يمكث معتكفاً في المسجد حتى يأتي إليه من يقوده إلى الجامع، فجاءه الخضر يوماً وقاده حتى أدخله الجامع والناس ينظرونه ولا يرون معه أحدا فسألوه عن ذلك فعرف أنه الخضر)[1].

قلت: أُنظر إلى الدليل على أن ذلك الشخص هو الخضر، فالرجل كان ضريراً وجاء حسبما ذكر من يقوده إلى المسجد، فدخل المسجد والناس يرونه وحده، فلما سألوه من جاء به عَرف أوعُرف أنه الخضر، من الذي عرَّفهم؟ ولِمَ لا يكون كشأن كثير من العميان يستطيعون المشي ودلالة الطريق بدون قائد؟ ولِمَ لا يكون القائد إذا صح وجوده جنياً؟.

ومن تلك الحكايات ما ذكره بافضل عن أحمد بن حسن العطاس أنه قال: (خرج بعض الأولياء فرأى الخضر مع الكفار في حرب يسحب مدافعهم بسلسلة، فقال له: كيف هذا الحال؟ فقال الخضر: أمر اقتضته القدرة الإلهية بانسرع عليه)[2].

وهذه الحكاية ربما لو قرأها كثير من الناس لحكموا على فاعلها بالزندقة، حيث تجعل الأمة تستكين للكفار وترضى باستيلائهم على بلاد المسلمين باعتبار أن ذلك أمر اقتضته القدرة، ولسنا نظن ذلك بالسيد أحمد

---

1 (?) المشرع (1/175).

2 (?) الرحلة المكية ص (51)لأحمد بن حسن العطاس، جمع محمد بن علي بافضل، ضمن مجموع كلام الحبيب أحمد بن حسن العطاس.

العطاس ولا بالشيخ بافضل، فبرغم ما آخـذه عليهما من انحراف وخرافة واعتقـادات باطلة إلا أنـني لا أظن بهما الزندقة والنفاق مطلقاً، ولكنها الثقة الزائدة بمن حـدثوا بـــذلك من دجاجلة الصـــوفية وتـــأثير التربية الصـــوفية تربية(سلِّم تسلَم) وقاعدة:

و إذا لم تـــرَ الهلال فســـلِّم لأنـــاس رأوه بالأبصار

المطلب الرابع: إبطـال دعـوى القـوم في ولاية الخضر وحياته ورؤيتهم له:

قد تقـدم ما يفيد ذلك في المطلب الأول، وأفـرد هنا بعض الأدلة الأخرى و النقـول عن أهل العلم في إبطـال ذلك، **فأول دليل** تمسك به القــائلون بولاية الخضر هو مـــافهموه من قصة الخضر مع موسى، كما جـــاءت في ســـورة الكهف قـــالوا إن موسى اعـــترض على الخضر وأنكر عليـــه، حيث قـــال حينما خـــرق الســـفينة: **لقد جئت شيئاً إمــراً** [1] وحينما قتل الغلام: **لقد جئت شيئاً نُكراً** [2] ولو كان نبياً لما أنكر عليه موسى ذلك؛ لأن النـــبي معصـــوم وموسى يعلم ذلك، فـــدل على أنه ولي وليس بنـــبي؛لأنه لا يمكن أن ينكر موسى على من يعلم أنه نبي معصوم.

والـــدليل الثـــاني: أن الله لم يعلم موسى بنبـــوة الخضر، ولوكـان نبيـاً لأخـبره حـتى لا يقع الإنكـار على المعصوم، إذ الإنكار على المعصوم تضليل له والمضـلِّل للنبي كافر.

والدليل الثالث: وهو أول دليل على عدم نبوتـه، رؤيا

1 (?) سورة الكهف (71).

2 (?) الكهف (74).

رآها إبراهيم التيمي - رحمه الله - فإنه تلقى كلمات من الخضر، وكـان الخضر سـمعها من جبريل حين لقنها للنـبي ، فسـأل إبـراهيم في نومه النـبي عما ذكر الخضر فقال له: صدق الخضر إلى أن قـال له: هو سـيد الأولياء[1].

وهذه الاستدلالات لا تنهض لتجعل الخضر مجرد ولي خال من النبوة لما يأتي:

1- لقوة الأدلة القاضية بكونه نبياً لا مجرد ولي، وقد مرت هذه الأدلة.

2-أن الـدليل الأول والثـاني لا يتم الاسـتدلال بهما على نفي نبوة الخضر إلا بعد إثبـات أنه يلـزم لزومـاً أن النبي لابد أن يكون عالماً بجميع أنبياء الله تعـالى، وهـذا أمر لم تؤيده الأدلة.

أما **أولاً:** فلأن محمـداً سـيد البشر لم يتـوفر له العلم بسائر الأنبيـاء فكيف بغـيره؟ قـال تعـالى: **ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصـنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك **[2].

وأما **ثانيـاً:** فلأن موسى عليه الصـلاة والسـلام لم يكن يعرف الخضر، وكذلك الخضر عليه الصلاة والسـلام لم يكن يعرف موسى، لذلك لما قـام موسى خطيبـاًفي بني إسرائيل فسُئل: أي الناس أعلم؟ قـال: : أنا، فعتب الله عليـه، إذ لم يـرد العلم إليه، فقـال لـه: **$بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك#**، ولذلك أيضـاً لما أتى موسى إلى الصخرة ووجد الخضر فسـلَّم عليـه،

---

1 (?) بتصـرف يسـير من تقـديس الأشـخاص (1/389)، وهو نقلها عن جواهر المعاني للتيجاني.

2 (?) غافر (78).

فرد عليه الخضر، ثم قال **$له: أنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى. قـال: موسى بـني إسـرائيل؟ قال: نعم#**[1]. متفق عليه.

ومن تأمل هذا ظهر له:

أ - أن موسى لم يكن يعرف الخضر.

ب - أنه لم يكن مبعوثاً إليه؛ لأنه كـان نبيـاً إلى بـني إسرائيل فقط.

ج- أن الخضر كان قد بلغه اسم موسى وخـبره، ولم يكن يعرف عينه، ولاشك أنه لوكان واحداً من أفراد أمة موسى لــوجب عليه أن يبحث عنه ويتبع دينه قبل هــذه الحادثة وبعدها.

3 - أما المنامات فهي تجـارة غـير نافقة في سـوق المناقشات العلمية.

قــال الإمــام الشــاطبي: "إن الشــريعة حاكمة لا محكـوم عليهـا، فلو كـان ما يقع من الخـوارق والأمـور الغيبية حاكماً عليها بتخصيص عمـوم، أو تقييد إطلاق، أو تأويل ظاهر، أو ما أشبه ذلك لكان غيرها حاكمـاً عليهـا، وصارت هي محكومـاً عليها بغيرهـا، وذلك باطل باتفـاق ")[2].

وأما **القضـية الثانية**: وهي قضـية اسـتمرار حياته إلى الآن، فقد استدل القائلون بها بنوعين من الأدلة:

النوع الأول: أحاديث وآثار.

والنوع الثاني: إخبـار الجم الغفـير من الصـالحين

---

1 (?) البخاري مع الفتح (6/431) كتاب أحـاديث الأنبيـاء بـاب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ومسلم مع النووي (15/137)كتاب الفضائل باب فضائل الخضر علية السلام.

2 (?) تقديس الأشخاص (1/390-391).

بأنهم رأوه، ونحن نناقش كل نوع على حده.

أما **النوع الأول**: وهو الأحـاديث والآثـار فقد صـرَّح علمــاء الحــديث المعــنيون به أولو الدراية بتصــحيحه وتضــعيفه بأنه لا يصح منها شــيء ســوى أثر واحد، و ستأتي هذه الأدلة في حينها إن شاء الله تعالى.

يقول الإمام ابن الجوزي في موضوعاته بعد أن روى حــديثين فيهما التقــاء الخضر وإليــاس كل موســم، كما روى حديثاً فيه التقاء جبريل وإسـرافيل مع الخضر يـوم عرفـة، ثم قـال: (قلت: وأما حـديث اجتماعه مع جبريل ففيه عدة مجاهيل لا يعرفون، وقد أغـرى خلق كثـير من المهوسـين بـأن الخضر حيّ إلى اليـوم، ورووا أنه التقى بعلي بن أبي طــالب وبعمر بن عبد العزيــز، وأن خلقــاً كثــيراً من الصــالحين رأوه، وصــنف بعض من ســمع الحديث ولم يعرف علله كتاباً جمع فيه ذلك، ولم يسـأل عن أســانيد ما نقــل، وانتشر الأمر إلى أن جماعة من المتصـنعين بالزهد يقولـون: رأينـاه وكلمنـاه فـوا عجبـاً، ألهم فيه علامة يعرفونه بها؟ وهل يجوز لعاقـل أن يلقى شخصاً فيقول له الشخص: أنا الخضر فيصدقه)، ثم ذكر أثــراً عن علي بن أبي طــالب أنه لقي الخضر متعلقــاً بأسـتار الكعبـة... إلخ. ثم قـال: هـذا حـديث لا يصـح، ومحمد بن الهـروى مجهـول، وابن - محـرر - [محــرز] متروك.

وقال أحمد: ترك الناس حـديث عبد الله بن- محـرر- [محرز].

وقال ابن المنادى: لقيته وكانت بعرة أحب إلي منه)[1]، وقد ضـعفه ووهّـاه العـراقي في (المغـني عن حمل

1 (?) هكــذا أورد ابن الجــوزي هــذه الأحــاديث والآثــار في

الأسفار تخريج الإحياء)[1].

وقال الإمام ابن القيم في المنار المنيف: (والأحاديث التي ذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد)[2].

وقال الإمام ابن كثير: (وهذه الروايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد. و قصاراها أنها صحيحة الى من ليس بمعصوم من صحابي أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ والله أعلم)[3].

ويقول الحافظ ابن دحية: (ولا ثبت اجتماع الخضر مع أحد من الأنبياء إلا مع موسى، كما قص الله تعالى من خبرهما، قال: وجميع ما ورد في حياته لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل، وانما يذكر ذلك من يروى الخبر و لا يذكر علّته إما لكونه لا يعرفها، وإما لوضوحها عند أهل الحديث)[4].

موضوعاته (1/195 - 198) تحقيق عبدالرحمن عثمان طبع مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة (1407هـ-1987م).

1 (?) انظر تخريج أحاديث إحياء علوم الدين(2/784-ـ 785) للعراقي وابن السبكي والزبيدي، استخراج أبي عبدالله محمود بن محمد الحداد، طبع دار العاصمة بالرياض الطبعة الأولى (1408 هـ - 1987م).

2 (?) المنار المنيف ص(50).

3 (?) البداية والنهاية (1/334).

4 **(?)** ونقله عنه الحافظ ابن حجر في الزهر النضر في نبأ الخضر (203) ضمن مجموعة الرسائل المنيرية إدارة الطباعة المنيرية(1343هـ).

بعد هـذه الأحكـام العامة على الأحـاديث والآثـار الواردة في حيـاة الخضر، وأنها لا يثبت منها ما تقـوم به الحجة، بعد هذا أرى أن هناك أثـرين جـديرين بالمناقشة الخاصة، لأن كثـيراً من القـائلين بحيـاة الخضر يحتجـون بهما وهما:

الأول: الأثر الوارد في التعزية والـذي رواه الحـاكم في مستدركه شاهداً لحديث قبله فيه: (صـيغة التعزيـة) متحدة معه من حديث جابر بن عبد الله، وهـذا الحـديث من حديث أنس قال: (لما قبض رسول الله أحدق به أصـحابه فبكـوا حوله واجتمعـوا، فـدخل رجل أصـهب اللحية جسـيم فصـيح، فتخطا رقـابهم فبكى، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله فقال: (إن في الله عـزاء من كل مصيبة، وعوضاً من كل فائت، وخلَفَاً من كل هالـك، فإلى الله فأنيبوا وإليه فـارغبوا، ونظـرة إليكم في البلاء فانظروا فإنما المصـاب من لم يجـبر، وانصـرف، فقـال بعضـهم لبعض: تعرفـون الرجـل؟ فقـال أبو بكر وعلي: نعم هـذا أخو رسـول الله الخضر). ثم قـال الحـاكم: (هذا شاهد لما تقدم وإن كان عبـاد بن عبدالصـمد ليس من شرط هذا الكتـاب)[1]. فالحـاكم لم يصـحح الحـديث كعادته، وإنما جعله شاهداً للحديث قبله في لفظ العزاء

[1] (?) المستدرك(3/605)، وكذلك رواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (3/6)، وقـال: (وفيه عبـاد بن عبدالصمد أبو معمر ضـعفه البخـاري) قلت: قـال فيـه: منكر الحديث، وقال مـرة: " فيه نظر " ولا يقـول هـذه العبـارة إلا في المتهم عنده غالباً، قـال ذلك الـذهبي، ووهـاه ابن حبـان، وقال الذهبي في حديث من منكراته: " **هـذا إفك مـبين".** انظر: الميزان (2/369) تحقيق علي محمد البجاوي طبع دار المعرفة، بيروت بدون تاريخ.

فقط دون ذكر الخضر، وبيَّن علته وهي وجــود عبــاد بن عبد الصمد في سنده، وهو واهٍ لا يجوز الاحتجـاج بخـبره حتى عند من يقول بقبول الضعيف في فضائل الأعمال، فليس فيه حجة على حياة الخضر.

أما الأثر **الثـــــاني**: فهو منســـــوب إلى عمر بن عبدالعزيز حيث دخل المسـجد وهو متكئ على شـيخ ثم سُــئل عنه فقــال: إنه الخضـــر، وقد رواه يعقـــوب بن سفيان الفسوي في " المعرفة والتاريخ " قال: (حـدثني محمد بن عبدالعزيز قال: حـدثنا ضـمرة عن السـري بن يحيى عن رياح بن عبيـدة قـال: رأيت رجلاً يماشي عمر بن عبــدالعزيز معتمــداً على يديه، فقلت في نفسي إن هذا الرجل حاف، قـال: فلما انصـرف من الصـلاة قلت: مَن الرجل الذي كان معتمداً على يدك آنفاً؟ قـال: وهل رأيته يا ريـــاح؟ قلت: نعم. قـــال ما أحســـبك إلا رجلاً صالحاً قال ذاك أخي الخضر بشرني أني سألي وأعدل)[1].

وفيه محمد بن عبد العزيز الرملي قال فيه الحافـظ: (صـدوق يهم، وكـانت له معرفـة)[2]، وقـال ابن الجـوزي (هو مجروح عند العلماء)[3]، وقال أبو حاتم: (كـان عنـده غرائب ثم لم يكن عندهم بـالمحمود هو إلى الضـعف ما

---

1 (?) المعرفة والتاريخ (1/577) ليعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق د/أكرم ضـياء العمـري طبع مؤسسة الرسـالة الطبعة الثانية (1401 هــــ - 1981 م) وعــــزاه المحقق إلى ابن الجوزي في سيرة عمر بن عبد العزيز.

2 (?) التقريب ص (872) رقم الترجمة (6133).

3 (?) نقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية. (1/334).

هو[1] #، وقال ابو زرعة: (ليس بالقوي)[2].

وقال الفسوي: (حافـظ)[3]، قلت: وصف (حافـظ) لا ينـافي الجـرح إذ قد يكـون الطعن من جهة العدالـة، ثم قـول ابن حجر أنه يهم معـارض لوصـفه بالحفـظ، ولعل هذا الأثر من غرائبه التي أشار إليها أبو حاتم.

نعم قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (هذا أصلح إسـناد وقفت عليه في هـذا الباب)[4]، وهـذه العبـارة لا تدل على تصحيح الأثر، لما قـرر في كتب المصـطلح أن قول المحدث: هذا أصح شيء في البـاب ونحو ذلك من العبارات، لاتدل على تصحيح الحديث وإنما تدل على أن غيره أشد ضعفاً منه، ثم النكتة الثانية أنه قـال ذلك في الإسناد وهو لو صرَّح بصـحة الإسـناد فلا يعتـبر تصـحيحاً للمتن فكيف وعبارة (أصلح) التي تشـعر بـالتوهين أكـثر من أشـعارها بالتصـحيح، وإذا عـرفت هـذا فـإن المتن لا يصح لعدة أمور.

منها: أنه مخـالف لنص القـرآن في قوله تعـالى: **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** [5]، (فالخضر إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محالة، ولا يجـوز تخصيصه منه إلا بدليل صـحيح والأصل عدمه حـتى يثبت ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبولـه)[6]، وأكد ذلك الشـيخ الشـنقيطي -رحمه الله -

1 (?) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (8/8).
2 (?) المصدر السابق (8/8).
3 (?) الميزان (3/628).
4 (?) الزهر النضر ضمن الرسائل المنيرية (2/231).
5 (?) الأنبياء آية (34).
6 (?) البداية والنهاية (1/334).

فقال في تفسير الآية المذكورة: (فقوله **(لبشــر)** نكرة فى سياق النفي فهي تعم كل بشر فيلـزم من ذلك نفي الخلد عن كل بشر من قبلـــه، والخضر بشر من قبلـــه، فلو كان شرب من عين الحياة وصار حياً خالداً إلى يوم القيامة لكان الله قد جعل لذلك البشر الــذي هو الخضر من قبله الخلد)[1].

ومنها: أن غاية ما في أثر عمر بن عبد العزيز أخباره أن ذلك الشخص الذي كان متكئاً عليه هو الخضـر، ومن المحتمل أن يكــون ذلك الشــخص من الجن، وعمر مع جلالته ليس معصوماً من الخطأ أو أنه كـذب عليه بقوله " أنا الخضر "، وليس للخضر علامة يعرف بها، والإنسان مهما علا قــدره ليس معصــوماً من تلاعب الشــيطان، فكيف مع كل هذه العلل في السند والمتن يحتج بــذلك، وقد ذكر الشيخ محمد بن أحمد لوح عدداً آخر من الأدلة على موت الخضر ورد هذا الأثر، آثرت تجاوزها للاختصار فمن شاء التوسع فعليه بالرجوع إليه[2].

1 (?) أضواء البيان (4/164).
2 (?) انظر ذلك في: تقديس الأشخاص (1/401 - 410)